الزنادقة

عقائدهم وفرقهم وموقف أئمة المسلمين منهم

تأليف
د. سعد بن فلاح بن عبد العزيز العريفي
أستاذ العقيدة الإسلامية المساعد بكلية التربية
بجامعة الملك سعود بالرياض

الجزء الأول

دار التوحيد للنشر

الزَّنَادِقَة

١

ح سعد فلاح عبدالعزيز العريفي، ١٤٣٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العريفي، سعد فلاح عبدالعزيز
الزنادقة: عقائدهم وفرقهم وموقف أئمة المسلمين منهم . /
سعد فلاح عبدالعزيز العريفي – الرياض ، ١٤٣٣هـ
٢ مج
ردمك ٣-٣-٦٩٠٣-٠٠-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
٠-٦٩٠٤-٠٠-٦٠٣-٩٧٨ (ج١)
١- الإلحاد ٢- الفرق الدينية ٣- الزنادقة أ- العنوان
ديوي ٢٤٩ ١٤٣٣/٢٩١٨

رقم الإيداع: ١٤٣٣/٢٩١٨
ردمك: ٣-٣-٦٩٠٣-٠٠-٦٠٣-٩٧٨(مجموعة)
٠-٦٩٠٤-٠٠-٦٠٣-٩٧٨(ج١)

الطبعة الأولى
١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

دار التوحيد للنشر

الرياض - المملكة العربية السعودية
هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٦٧٨٨٧٨ فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٢٨٠٤٠٤
darattawheed@yahoo.com

سلسلة الرسائل الجامعية
(١٧)

الزنادقة

عقائدهم وفرقهم وموقف أئمة المسلمين منهم

تأليف
د. سعد بن فلاح بن عبد العزيز العريفي
أستاذ العقيدة الإسلامية المساعد بكلية التربية
بجامعة الملك سعود بالرياض

الجزء الأول

دار التوحيد للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

أصل هذا الكتاب رسالة علمية، تقدم بها الباحث لقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ونال بها درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف الأولى عام ١٤٢٤هـ.

مُقدِّمة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١][1].

أما بعد: فإن الله ﷻ أرسل محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وأنزل عليه كتابه المبين، الفارق بين الهدى والضلال، والغي والرشاد، والشك واليقين، وافترض على العباد طاعته ومحبته والقيام بحقوقه، ولم يزل ﷺ مشمراً في ذات الله ـ تعالى ـ لا يرده عنه راد، صادعاً بأمره لا يصده عنه صاد، إلى أن

(١) هذه الخطبة تسمى «خطبة الحاجة» وقد كان النبي ﷺ يعلمها أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ وقد أخرجها أبو داود في كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح (١/ ٥٣١)، والنسائي في كتاب النكاح، باب ما يستحب من الكلام عند النكاح (٦/ ٨٩) ح(٣٢٧٧)، وابن ماجه في كتاب النكاح، باب خطبة النكاح (١/ ٦٠٩، ٦١٠) ح(١٨٩٢) وصححها الألباني في تحقيقه لمشكاة المصابيح (٢/ ٩٤٢) ح(٣١٤٩).

بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، وجاهد في الله حق الجهاد، فأشرقت برسالته الأرض بعد ظلماتها وتألفت به القلوب بعد شتاتها، وامتلأت به الأرض نوراً وابتهاجاً، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، فأكمل الله تعالى به الدين، وأتم به النعمة على المؤمنين.

غير أن أعداء هذا الدين من اليهود والمجوس وغيرهم قد غاظهم، ما رأوه من انتشار دين الإسلام، وإقبال الناس على الدخول فيه، فاشتعلت نار الحقد على الإسلام في قلوبهم، وأجمعوا على الكيد لهذا الدين، فلم يقدروا على مقاومته بالسلاح والسنان، فعملوا على تدبير المؤامرات والخطط للكيد له من داخله، فأظهر كثير منهم الدخول في الإسلام بقصد إفساد عقائد المسلمين، وتشتيت كلمتهم، وتفريق جماعتهم، والعمل على القضاء على دين الإسلام.

وقد حل بالإسلام بسبب هؤلاء الزنادقة من المصائب والمحن والتفرق والاختلاف ما حل مما هو معلوم لكل من تدبر التاريخ الإسلامي، إلا أن أولئك الزنادقة لم يستطيعوا القضاء على دين الإسلام، رغم ما قاموا به منذ بزوغ فجر الرسالة إلى يومنا هذا من المؤامرات والخطط الخبيثة والحرب الضروس ضد الإسلام والمسلمين، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۝٨﴾ [الصف: ٨].

فقد أتم الله نوره كما وعد بأن هيأ سبحانه لهؤلاء الزنادقة من تصدى لمكايدهم من خلفاء المسلمين وعلمائهم، حيث وقفوا لهؤلاء الزنادقة بالمرصاد، فجردوا سيوفهم وأقلامهم للدفاع عن دين الإسلام ومحاربة الزنادقة وغيرهم من أعداء هذا الدين وكشف شبهاتهم والقضاء على حركاتهم الخبيثة ضد الإسلام والمسلمين.

وقد رأيت من المهم دراسة مكايد الزنادقة وأساليبهم في حرب الإسلام وما تفرع عن هذه الطائفة الخبيثة من الفرق المتعددة وما انتحلته من العقائد الباطلة والأفكار المنحرفة للكيد للإسلام والمسلمين.

كما رأيت من المهم أيضاً إبراز جهود خلفاء المسلمين وعلمائهم في

محاربة هذه الطائفة والقضاء على حركاتها الخبيثة دفاعاً عن دين الله تعالى، وحماية للمجتمعات الإسلامية من أفكارهم المنحرفة.

من أجل ذلك أحببت أن أكتب عن هذه الطائفة وأحوالها وموقف أئمة المسلمين منها. وقد اخترت أن يكون عنوان هذا البحث **(الزنادقة فرقهم وعقائدهم وموقف أئمة المسلمين منهم)**.

أولاً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تظهر أهمية هذا الموضوع في أمور عدة، أهمها ما يلي:

١ ـ أنّ مصطلح «الزندقة» فيه إجمال، وله عدة إطلاقات حيث أطلقه بعضهم على الثنوية والمجوسية، وأطلقه آخرون على الجهمية والباطنية، وأطلقه بعض الفقهاء على المنافقين، بل أطلقه بعضهم على أصحاب المجون والفحش. ولذا وجب تعيين هذه المعاني التي أُدخلت تحت هذا اللفظ، ودراستها ومناقشة مدى صحة إطلاق هذا اللفظ عليها.

٢ ـ أن الجذور التاريخية لبعض الفرق إنما نشأت وانطلقت من الزندقة، ولذلك أحدثت من المعتقدات الفاسدة والآراء الضالة ما هو بعيد كل البعد عن دين الإسلام.

٣ ـ إبراز جهود أئمة المسلمين من الأمراء والعلماء في محاربة الزندقة والقضاء على دعاتها حماية للدين ودفاعاً عن العقيدة.

٤ ـ أن فكرة الزندقة كما أنها فكرة قديمة في القرون الإسلامية الأولى بل وكانت موجودة قبل الإسلام عند قدماء الفرس والهنود، فهي أيضاً فكرة موجودة وظاهرة في العصر الحديث على اختلاف شعاراتها ومسمياتها.

٥ ـ أن هذا الموضوع ـ حسب علمي ـ لم يسبق أن بحث على هذا المنوال في جامعات المملكة العربية السعودية.

٦ ـ تشجيع كثير من مشايخي وزملائي لي للبحث في هذا الموضوع.

ثانياً: خطة البحث:

تتكون خطة هذا البحث من مقدمة وتمهيد وأربعة أبواب وخاتمة.

المقدمة: وتتضمن أهمية الموضوع وأسباب اختياره وخطة البحث.

التمهيد: في أصل دعوة الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ.

الباب الأول: نشأة الزندقة بعد ظهور الإسلام.

وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: مفهوم الزندقة.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الزندقة واشتقاقها في اللغة.

المبحث الثاني: مفهوم الزندقة قبل الإسلام.

المبحث الثالث: مفهوم الزندقة بعد ظهور الإسلام.

الفصل الثاني: جذور الزندقة قبل الإسلام.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: جذور فارسية.

المبحث الثاني: جذور هندية.

المبحث الثالث: جذور أخرى.

الفصل الثالث: نشأة الزندقة في تاريخ المسلمين وأسبابها.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: نشأة الزندقة في تاريخ المسلمين.

المبحث الثاني: أسباب ظهور الزندقة في بلاد المسلمين.

الفصل الرابع: أهداف الزنادقة وأساليبهم.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أهداف الزنادقة.

المبحث الثاني: أساليب الزنادقة.

الفصل الخامس: صلة الزندقة بالشعوبية.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الشعوبية.

المبحث الثاني: نشأة الشعوبية وتطورها.

المبحث الثالث: صلة الشعوبية بالزندقة.

الباب الثاني: فرق الزنادقة وآثارهم.

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: فرق الزنادقة.

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: السبئية.

المبحث الثاني: الجهمية.

المبحث الثالث: الراوندية.

المبحث الرابع: الإسماعيلية.

المبحث الخامس: القرامطة.

المبحث السادس: فرق أخرى (الدروز، النصيرية).

الفصل الثاني: أثر الزندقة في الفرق الإسلامية.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: أثر الزندقة في الخوارج.

المبحث الثاني: أثر الزندقة في الشيعة.

المبحث الثالث: أثر الزندقة في المعتزلة.

المبحث الرابع: أثر الزندقة في الصوفية.

الفصل الثالث: أهم مظاهر الزندقة في العصر الحديث.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: فرق حديثة.

المبحث الأول: إنكار الواجبات واستحلال المحرمات.

المبحث الثاني: الاستهزاء بالدين وشعائره نظماً ونثراً.

الباب الرابع: الحكم على الزنادقة وجهود أئمة المسلمين في محاربتهم.

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: الحكم على الزنادقة.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: توبة الزنديق.

المبحث الثاني: قتل الزنديق.

المبحث الثالث: ميراث الزنديق.

الفصل الثاني: نماذج من جهود الخلفاء والأمراء في محاربة الزنادقة.

وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول: جهودهم في عصر الخلفاء الراشدين.

المبحث الثاني: جهودهم في عصر الخلفاء الأمويين.

المبحث الثالث: جهودهم في العصر العباسي الأول.

المبحث الرابع: جهودهم في العصر العباسي الثاني.

المبحث الخامس: جهودهم في العصر العباسي الثالث.

المبحث السادس: جهودهم في العصر العباسي الرابع.

المبحث السابع: جهودهم في الدولة العثمانية.

المبحث الثامن: جهودهم في العصر الحاضر.

الفصل الثالث: نماذج من جهود العلماء في محاربة الزنادقة.

وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول: جهودهم في القرن الأول.

المبحث الثاني: جهودهم في القرنين الثاني والثالث.

المبحث الثالث: جهودهم في القرنين الرابع والخامس.

المبحث الرابع: جهودهم في القرنين السادس والسابع.

المبحث الخامس: جهودهم في القرنين الثامن والتاسع.

المبحث السادس: جهودهم في القرنين العاشر والحادي عشر.

المبحث السابع: جهودهم في القرنين الثاني عشر والثالث عشر.

المبحث الثامن: جهودهم في العصر الحاضر.

الخاتمة: وتشتمل على أهم نتائج البحث.

الفهارس.

ثالثاً: منهج البحث:

أما منهج البحث الذي سرت عليه في أبواب هذه الرسالة فهو على النحو التالي:

١ ـ حرصتُ على نقل أقوال الزنادقة من كتبهم إن كان لهم كتب، وإلا نقلت أقوالهم بواسطة كتب المقالات والفرق كبعض فرق غلاة الشيعة وغيرهم، كما نقلت أيضاً أقوال بعض الفرق الحديثة من البهائية والقاديانية عمن كتب عنهم من علماء القارة الهندية وغيرهم، ممن يوثق بعلمه وأمانته كالشيخ إحسان إلهي ظهير وأبي الحسن الندوي وغيرهما، وذلك لعدم توافر كتبهم.

٢ ـ إذا ذكرتُ عدة أقوال أو ذكرتُ أمثلة لمذهب من المذاهب، فإني أذكر الأقوال والمذاهب في الغالب، حسب التسلسل التاريخي.

٣ ـ قد يحصل تكرار في ذكر بعض الأمثلة نظراً لمناسبة ذلك لموضع آخر كذكر بعض عقائد الزنادقة عند الحديث عن فرقهم، ثم تكرر ذكر بعضها في مباحث العقائد في الباب الثالث.

٤ ـ نظراً لكثرة مظاهر الزندقة في العصر الحديث فقد اكتفيت بدراسة أهم تلك المظاهر مع ربطها بعقائد الزنادقة المتقدمين.

٥ ـ اكتفيتُ بعرض ما انتحله الزنادقة من العقائد الباطلة دون تكلف الرد عليها، وذلك لأن مجرد عرضها وتصورها كاف في بيان بطلانها، والحمد لله.

٦ ـ اكتفيتُ في ذكر جهود الخلفاء والعلماء في محاربتهم للزندقة بذكر نماذج من تلك الجهود في كل عصر، مرتباً ذلك حسب الترتيب الزمني، وقد أكثرت من ذكر النماذج نظراً لتعدد فرق الزنادقة.

٧ ـ عزوتُ الآيات إلى مواضعها بذكر اسم السورة ورقم الآية في الهامش.

٨ ـ خرّجتُ الأحاديث من مصادرها، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بعزوه إلى من خرجه منهما، وإن كان في غيرهما عزوته إلى بعض من خرجه مع الحرص على بيان درجته بنقل كلام أهل الاختصاص في ذلك.

٩ ـ خرّجتُ الآثار من مصادرها، وذلك بعزوها إلى بعض من خرجها، دون التعرض للحكم عليها.

١٠ ـ عرّفتُ بالأعلام دون المشاهير منهم، كالأئمة الأربعة وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ونحوهم، كما أنني لم أترجم للأعلام المعاصرين وذلك لصعوبة معرفة تراجم الكثير منهم، خاصة المعاصرين من الزنادقة.

١١ ـ نسبتُ الأبيات الشعرية إلى قائليها، وعزوتها في الغالب إلى مصادرها من دواوين الشعراء وغيرها.

١٢ ـ شرحتُ الألفاظ الغريبة الواردة في أصل الرسالة.

١٣ ـ عرّفتُ بالفرق والبلدان التي تحتاج إلى تعريف.

١٤ ـ ذيّلتُ البحث بعدة فهارس توضيحية[١].

• هذا وقد واجهتني في إعداد هذا البحث المتشعب كثير من الصعوبات، أهمها ما يلي:

١ ـ اتساع نطاق الرسالة وتشعب مباحثها حتى إنني لا أبالغ إذا قلت: إن كل فصل منها يحتاج إلى رسالة مفردة.

---

(١) تم الاكتفاء بفهرس الأعلام المترجم لهم، وفهرس المصادر، وفهرس الموضوعات.

٢ ـ صعوبة الحصول على كثير من مراجع هذا البحث، خاصة ما يتعلق بكتب فرق الزنادقة، حيث إن الكثير منها غير موجود في المكتبات العامة، والموجود من ذلك لا يمكن الاطلاع عليه بسهولة حيث قد أودع في الأقسام الخاصة المحدودة الاطلاع.

٣ ـ تشتُتْ مادة هذا البحث ما بين كتب الفرق والعقائد وكتب التاريخ والتراجم وكتب الأدب وغير ذلك من الكتب المتنوعة مما جعلني أعيش مع كمٍّ هائل من المراجع القديمة والحديثة.

ولقد بذلت وُسعي، واستفرغت جهدي في اجتياز خضم هذا البحث رغم صعوبته وتشتت أطرافه، فتحريت الصواب، وحرصت على إيضاح مسائل البحث وتوثيقها، وراجعت ذلك عدة مرات، ومع ذلك فإني لا أدعي أني وفيت الموضوع حقه، ولا أني أصبت في كل ما قلت، لكن حسبي أني اجتهدت وبذلت فيه وسعي، فما كان فيه من صواب فمن الله تعالى وحده، وله الحمد والمنّة، وما كان من خطأ فمني وأستغفر الله تعالى منه.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أتوجه بالشكر الجزيل ـ بعد شكر الله تعالى ـ لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ممثلة في كلية أصول الدين، وفي قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بها على إتاحة الفرصة لإعداد هذه الرسالة.

كما أتوجه بالشكر الجزيل لفضيلة الأستاذ الدكتور مصطفى إبراهيم الدميري الأستاذ بكلية الدعوة والإعلام بالرياض والأستاذ بجامعة الأزهر الذي تفضل بالإشراف على هذه الرسالة وأمدني بتوجيهاته وآرائه، وغمرني بلطفه وحسن خلقه، ووفر لي الكثير من وقته، فجزاه الله عني خير الجزاء، ووفقنا وإياه للعلم النافع والعمل الصالح.

كما أتوجه بالشكر والعرفان لكل من أعانني على استكمال هذا البحث من مشايخي وإخواني وزملائي، وأخص منهم فضيلة الشيخ عبد الرحمٰن بن ناصر البراك، والشيخ الدكتور عبد العزيز العبد اللطيف فجزاهما الله عني خير الجزاء على ما قدماه لي من توجيهات نافعة وآراء صائبة.

والله تعالى أسأل أن يرزقني الإخلاص في القول والعمل، وأن يجعل ما كتبت حجة لي عند ربي، والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

د. سعد بن فلاح بن عبد العزيز العريفي

تمهيد

(أصل دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام)

بعث الله الرسل عليهم السلام بالدعوة إلى التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥].

فأصل دعوة الرسل عليهم السلام هي الدعوة إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة، والتحذير من الشرك وعبادة غير الله تعالى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وهذا الأصل وهو التوحيد هو أصل الدين الذي لا يقبل الله من الأولين والآخرين ديناً غيره، وبه أرسل الله الرسل وأنزل الكتب، كما قال تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ۝٤٥﴾ [الزخرف: ٤٥]...

وقد ذكر الله عز وجل عن كل من الرسل أنه افتتح دعوته بأن قال لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩]...»(١).

وعبادة الله وتوحيده التي بُعث لأجلها الرسل هي الغاية التي خلق الله الإنس والجن من أجلها كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦].

فالأنبياء عليهم السلام متفقون في دعوتهم لهذه الغاية العظيمة توحيد الله تعالى

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ١٥٤) جمع وترتيب عبد الرحمٰن بن قاسم رحمه الله، ط. خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، مكتبة النهضة الحديثة ١٤٠٤هـ.

وإفراده بالعبادة، وإن اختلفت شرائعهم وعباداتهم كما قال ﷺ: «**الأنبياء أخوة لعلات**(١) **أمهاتهم شتى ودينهم واحد**»(٢).

وقد بلغ الرسل عليهم السلام هذه الدعوة العظيمة إلى أقوامهم وتتابعوا على ذلك، فكلما انحرف الناس عن التوحيد، وفقدوا نور النبوة، وغشيتهم ظلمات الزيغ والضلال بعث الله إليهم رسولاً ينير لهم الطريق ويزيل بنور الوحي تلك الظلمات، كما قال تعالى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝١﴾ [إبراهيم: ١].

وقد كان أول رسول بعثه الله تعالى بعد حدوث الشرك نوح عليه السلام كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ...﴾ [النساء: ١٦٣] ثم تتابع الرسل بعد ذلك مبشرين ومنذرين، يبشرون أهل التوحيد بالفلاح والسعادة، وينذرون أهل الشرك من العذاب والشقاء، كما قال تعالى: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ...﴾ [النساء: ١٦٥].

ولما كان الله تعالى قد قضى بأن يجعل لهذا التتابع آخراً، وللأنبياء خاتماً، فقد ختمهم تعالى بنبينا محمد ﷺ الذي هو خيرهم وأفضلهم، فقد بعثه الله بعد ما أظلمت الأرض، وادلهم ظلامها، وتفرق أهلها في الباطل فرقاً وأحزاباً، واجتالتهم الشياطين ومقتهم رب العالمين(٣).

فكانت حاجة أهل الأرض إلى بعثته أعظم من حاجتهم إلى غيث

---

(١) العلات: جمع عَلَة وهي الضرة، وأولاد العلات: الذين أمهاتهم مختلفة وأبوهم واحد. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير الجزري (٣/ ٢٩١) بتحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطنحاوي، المكتبة العلمية، بيروت.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا﴾ (٤/ ٣٢٢) ح(٢٣٩) عالم الكتب، بيروت، ومسلم في كتاب الفضائل، باب: فضائل عيسى عليه السلام (٤/ ١٤٦٥) ح(٢٣٦٥)، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب**» رواه مسلم في صحيحه كتاب الجنة، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة (٤/ ١٧٤١) ح(٢٨٦٥).

السماء، ومن نور الشمس الذي يذهب عنهم شدائد الظلمات، فحاجتهم إلى رسالته فوق جميع الحاجات، وضرورتهم إليها مقدمة على جميع الضروريات، كما قال المقداد بن الأسود رضي الله عنه: «لقد بُعث النبي ﷺ على أشد حال بعث عليه نبي من الأنبياء في فترة وجاهلية، ما يرون ديناً أفضل من عبادة الأوثان، فجاء بفرقان فرّق به بين الحق والباطل»[1].

فقد كشف النبي ﷺ بنور الوحي ظلمات الشرك، وأضاء بنور الهدى الطريق للسالكين، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: ٥٢].

فكانت بعثته ﷺ على أهل الأرض في معاشهم ومعادهم نعمة عظيمة لا يستطيعون لها شكوراً، حيث ترك أمته ﷺ على نور وهدى، كما قال ﷺ: «**تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**»[2].

وقد مضى الرعيل الأول في ضوء ذلك النور على هدى وبصيرة، لم تطفئه عواصف الأهواء، ولم تلتبس به ظلم الآراء، وأوصوا من بعدهم ألّا يفارقوا النور الذي اقتبسوه منهم، وألّا يخرجوا عن طريقتهم، فلما كانت أواخر عصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم حدثت بعض الفتن التي أثارها أعداء

---

(١) أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء (١/ ١٧٥)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٧هـ.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٨/ ٣٦٧) ح(١٧١٤٢) بتحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، وابن ماجه في مقدمة السنن، باب اتباع سُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين (١/ ١٦) ح(٤٣) واللفظ لهما، والحاكم في المستدرك، كتاب العلم (١/ ٩٦)، دار المعرفة، بيروت، من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، وصححه البزار فيما نقله عنه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله تحقيق: أبي الأشبال الزهيري (٢/ ١١٦٤ ـ ١١٦٥) دار ابن الجوزي، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ، ثم قال ابن عبد البر: «هو كما قال البزار، حديث العرباض حديث ثابت»، وصحح إسناده أيضاً الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٦٤٧ ـ ٦٤٨) ح(٩٣٧)، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.

الإسلام، فنتج عن ذلك قتل الخليفة عثمان رضي الله عنه، وظهور التفرق والانحراف في الأمة[١].

فظهرت الخوارج[٢] والشيعة[٣] في أواخر عهد الخلفاء الراشدين، ثم تلا ذلك ظهور القدرية[٤] والمرجئة[٥] في أواخر عصر الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ فبعدوا عن النور الذي كان عليه أوائل الأمة، ومع هذا فلم يفارقوه بالكلية.

---

(١) انظر: الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (٣/ ١٠٦٩) بتحقيق: د. علي الدخيل الله، دار العاصمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

(٢) الخوارج: هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وقالوا بالبراءة من بعض الصحابة رضي الله عنهم وكفروا مرتكب الكبيرة، وهم فرق كثيرة وسيأتي لهم مزيد تعريف. انظر: ص٢٩٤ وما بعدها.

(٣) الشيعة: هم الذين شايعوا علياً رضي الله عنه وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية إما جلياً وإما خفياً، وهم فرق كثيرة أكثرها غالية، وسيأتي لهم مزيد تعريف. انظر: ص٣٠٨ وما بعدها.

(٤) القدرية: هم الذين يقولون بنفي القدر وأن الأمر أنف ليس لله فيه تقدير، فهم ينكرون علم الله تعالى بالأشياء قبل وقوعها، وهذه هي القدرية الأولى، ومن رؤوس القائلين بذلك معبد الجهني وغيلان الدمشقي، ثم إن السلف ـ رحمهم الله ـ لما أنكروا مقولة القدرية وتبرؤوا منهم، صاروا بعد ذلك يقرون بالعلم المتقدم والكتاب السابق إلا أنهم ينكرون عموم مشيئة الله وقدرته وخلقه لأفعال العباد، وقد ورث هذه المقالة المعتزلة ودعوا إليها ضمن عقائدهم المنحرفة. انظر: الفرق بين الفرق، لعبد القاهر البغدادي بتحقيق: محيي الدين عبد الحميد ص١٨ ـ ١٩، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، والملل والنحل بتحقيق: أمير مهنا وعلي فاعور (١/ ٥٦)، دار المعرفة، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام (٨/ ٢٢٨ ـ ٤٥٠)، والقضاء والقدر د. عبد الرحمٰن المحمود ص١١٧ ـ ١٣١، الناشر دار النشر الدولي، ط. الأولى ١٤١٤هـ.

(٥) المرجئة: مأخوذة من الإرجاء وهو التأخير، وسموا بذلك لأنهم يؤخرون الأعمال عن مسمى الإيمان، وهم أصناف متعددة؛ منهم مرجئة الخوارج، ومرجئة القدرية، ومرجئة الجبرية، والمرجئة الخالصة. انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري ص١٣٢ وما بعدها، بتصحيح المستشرق هلموت، دار فرانز شتايز، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ، والملل والنحل (١/ ١٦١ ـ ١٦٢)، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام (٧/ ١٩٥)، والقدرية والمرجئة، د. ناصر العقل ص٧٧ ـ ١١٧، دار الوطن، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

ثمّ إنّه لما انقضى عصر الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وبَعُد الناس عن نور النبوة زاد الافتراق واتسعت دائرة الانحراف، فظهرت الجهمية[١] والمعتزلة[٢]، ثم توالت بعد ذلك الفرق المنحرفة كالباطنية[٣] بفرقها والصوفية[٤] وغير ذلك من الفرق الكثيرة التي حدثت في هذه الأمة والتي أخبر عنها النبي ﷺ بقوله: «**افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة**»[٥].

غير أن بعض الفرق التي حدثت في الأمة الإسلامية وفارقت ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ إنما أحدثها أعداء الإسلام من الزنادقة الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر والعداوة لدين الإسلام، فقد اتخذ أولئك الزنادقة من تلك الفرق الخبيثة طريقاً للنيل من الإسلام والكيد له

---

(١) الجهمية: هم أتباع جهم بن صفوان، وهم معطلة في الأسماء والصفات، جبرية في القدر، مرجئة في الإيمان، وسيأتي لهم مزيد تعريف. انظر: ص٢٠٤ وما بعدها.

(٢) المعتزلة: هم أصحاب واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد، وإنما سموا بهذا الاسم لاعتزالهما حلقة الحسن البصري بعد إظهارهما لبدعتهما، وهم فرق كثيرة، يجمعهم القول بالأصول الخمسة، وسيأتي لهم مزيد تعريف. انظر: ص٣٢٨ وما بعدها.

(٣) الباطنية: هم الذين يقولون بأن لكل ظاهر باطناً، ولكل تنزيل تأويلاً، وهم فرق كثيرة فمنهم الإسماعيلية والقرامطة والنصيرية وغيرهم، وسيأتي لهم مزيد تعريف. انظر: ص٢٢١ وما بعدها.

(٤) الصوفية: هم المنسوبون إلى لبس الصوف، وقد أطلقت في الأصل على بعض من عرفوا بالزهد والعبادة، ثم تطورت وخرجت عن مسمى الزهد والعبادة إلى بعض المصطلحات المنحرفة. وسيأتي لهم مزيد تعريف. انظر: ص٣٤٣ وما بعدها.

(٥) أخرجه أبو داود في أول كتاب السُّنَّة، باب شرح السُّنَّة (٢/ ٥٥٠)، والترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة (٥/ ٢٥) ح(٢٦٤٠) بتحقيق: إبراهيم عطوة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ، كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح»، وصححه أيضاً شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٣/ ٣٤٥) فقال بعد ذكره: «الحديث صحيح مشهور في السنن والمسانيد»، وصححه أيضاً العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٣٥٦) ح(٢٠٣).

من داخله بعد أن عجزوا عن مقاومته من الخارج بالسيف والسنان، فأرادوا إفساد شريعة الإسلام وإطفاء نور الوحي وتحريف عقيدة التوحيد الصافية، كما أفسد سلفهم من الزنادقة أعداء الشرائع دين الأنبياء قبل ذلك وحرفوا شرائعهم كما قال زيد بن رُفيع[(١)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بعث الله نوحاً عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وشرع له الدين، فكان الناس في شريعة نوح فما أطفأها إلا الزندقة، ثم بعث الله موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وشرع له الدين فكان الناس في شريعة الدين، فما أطفأها إلا الزندقة» قال الراوي عن زيد: «فإذا زيد بن رفيع لا يخاف على هذا الدين إلا الزندقة»[(٢)].

وقد وجّه لدين الإسلام ما وجّه لغيره من الأديان السماوية، حيث حرص أعداء الإسلام من الزنادقة على إفساد هذا الدين، كما فعل رأس الزنادقة عبد الله بن سبأ اليهودي[(٣)] الذي أظهر الإسلام في خلافة عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حتى تمكن من الكيد له وإفساد عقائد بعض المسلمين وتفريق جماعتهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هذا الزنديق: «هو رأس المنافقين «عبد الله بن سبأ» الذي كان يهودياً، فأظهر الإسلام وأراد فساد دين الإسلام

---

(١) زيد بن رُفيع، جزري، قال ابن حبان: كان فقيهاً ورعاً فاضلاً، روى عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود، وروى عنه معمر وزيد بن أبي أنيسة. قال عبد الله بن الإمام أحمد: سألت أبي عن زيد بن رفيع فقال: ثقة ما به بأس. وقال أبو داود: جزري ثقة. وذكره ابن حبان في الثقات، ولم أقف على تاريخ وفاته. انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٣/ ٥٦٣)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٧١هـ، ولسان الميزان لابن حجر، تحقيق: غنيم عباس (٣/ ٣٥٨)، مطابع الفاروق الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

(٢) أخرجه أبو إسماعيل الهروي في ذم الكلام وأهله (١/ ٧١) بتحقيق: عبد الرحمٰن الشبل، مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، وأخرج نحوه ابن بطة في «الإبانة الصغرى» ص١٧٠، تحقيق: د. رضا بن نعسان، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ من قول منصور بن المعتمر وفيه طول وذلك بزيادة ذكر بعض الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ.

(٣) عبد الله بن سبأ اليهودي: ويقال له ابن السوداء، وأصله من أهل صنعاء، فأظهر الإسلام في خلافة عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لا رغبة فيه بل للكيد به، وإليه تنسب فرقة السبئية، وسيأتي التعريف به وبفرقته في الباب الثاني. انظر: ص١٩٧.

كما أفسد بولص[(١)] دين النصارى...»[(٢)].

ولم يزل أعداء الإسلام من الزنادقة يتربصون بهذا الدين القويم الدوائر منذ ذلك العصر إلى يومنا هذا كما سيتضح من خلال أبواب ومباحث هذه الرسالة، إلا أن الله تعالى قد تكفل بحفظ هذا الدّين، فحفظ كتابه من التحريف والتبديل كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩].

وأبقى في الأمة من يقوم بهذا الدين وينتصر له إلى يوم القيامة كما أخبر بذلك المصطفى ﷺ بقوله: «**لا تزال طائفة من أمتي يُقَاتِلُون على الحق، ظاهرين إلى يوم القيامة**»[(٣)].

---

(١) بولص ويقال بولس: من كبار رجال الديانة النصرانية حتى كانوا يسمونه «بولس الرسول»، كان أبوه يهودياً من اليهود الفريسيين المتعصبين على النصرانية، وقد ولد «بولس» في طرطوس بآسيا الصغرى حوالي سنة ١٠م، وتربى في أورشليم، واسمه الأصلي شاول، ولم يكن من تلاميذ المسيح عليه السلام أو حواريه، وإنما نشأ نشأة يهودية ثم انتقل إلى المسيحية لإفساد دين النصارى، فأدخل على النصارى الوثنية وصرفهم من عبادة الله إلى عقيدة التثليث وعبادة المسيح عليه السلام، مات سنة ٦٧ أو ٦٨م. انظر: الموسوعة العربية الميسرة بإشراف محمد غربال ص٤٤٠، دار الشعب، الطبعة الثانية، ١٩٧٢م، ودراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، د. محمد الأعظمي ص٣٣٧، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤/٥١٨).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي...**» (٣/١٢١٠) ح(١٩٢٣) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه.

الباب الأول

نشأة الزندقة بعد ظهور الإسلام

الفصل الأول

مفهوم الزندقة

وفيه مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الزندقة واشتقاقها في اللغة.

المبحث الثاني: مفهوم الزندقة قبل الإسلام.

المبحث الثالث: مفهوم الزندقة بعد ظهور الإسلام.

المبحث الأول

مفهوم الزندقة واشتقاقها في اللغة

الزندقة لفظ أعجمي معرّب، أُخذ من كلام الفرس بعد ظهور الإسلام وعرِّب[(١)].

قال ثعلب[(٢)]: «ليس زنديق ولا فَرِزين[(٣)] من كلام العرب ثم قال: . . . وليس من كلام العرب «زنديق» وإنما تقول العرب: رجل زَنْدَقٌ وزَنْدَقيّ: إذا كان شديد البخل. . .»[(٤)].

---

(١) انظر: الصّحاح للجوهري (٤/ ١٤٨٩)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، دار الملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ، ولسان العرب لابن منظور (١٠/ ١٤٧)، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، وتاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي (١٣/ ٢٠١)، تحقيق: علي شبري، دار الفكر، وبغية المرتاد لابن تيمية ص٣٣٨، تحقيق: د. موسى الدويش، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ.

(٢) أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني مولاهم أبو العبّاس البغدادي، وثعلب لقبه، إمام الكوفيين في النحو واللغة وكان حُجّة ثقة ديناً، له عدة مصنفات، وُلد سنة ٢٠٠هـ، وتوفي سنة ٢٩١هـ. انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي (١/ ٣٩٦)، تحقيق: محمد أبو الفضل، المكتبة العصرية، بيروت، بدون تاريخ، والبداية والنهاية لابن كثير (١١/ ١٠٤ ـ ١٠٥) بتحقيق: د. أحمد أبو ملحم وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٨هـ. وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٤/ ٥ ـ ٧) تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٦هـ. وشذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد (٢/ ٢٠٧)، دار الفكر.

(٣) الفَرِزين: لفظ أعجمي معرب، يطلق على الملك في اصطلاح لعب الشطرنج. انظر: لسان العرب (١٣/ ٣٢٢)، والمعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم لأبي منصور الجواليقي ص١٦٦، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ.

(٤) المعرب من الكلام الأعجمي لأبي منصور الجواليقي، ص١٦٦. وانظر: لسان العرب (١٠/ ١٤٧) وتاج العروس (١٣/ ٢٠١).

والزندقة الاسم، وجمع الزنديق زنادقة، والهاء في «زنادقة» عوض عن الياء في «زنديق» قال سيبويه[(١)]: «الهاء في «زنادقة» و«فرازنة» عوض عن الياء في «زنديق» و«فرزين» وأصله الزناديق»[(٢)].

وقد اختلف في أصل كلمة «زنديق» بالفارسية، فقيل هو معرّب «زنده كرد» أي: الذي يقول بدوام الدهر[(٣)].

قال ابن دريد[(٤)]: «قال أبو حاتم[(٥)]: «الزنديق فارسي معرب». كأن أصله عنده «زنده كرد». «زنده»: الحياة، و«كرد»: العمل: أي: يقول بدوام الدهر»[(٦)].

---

(١) عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر، المعروف بسيبويه. مولى بني الحارث بن كعب إمام النحاة وحجة العربية. كان قد ابتدأ أمره بطلب الحديث والفقه، ثم عدل إلى العربية حتى صار إماماً فيها. توفي سنة ١٨٠هـ. انظر: البداية والنهاية (١٠/١٨٦) وما بعدها، وبغية الوعاة (٢/٢٢٩ ـ ٢٣٠)، والسير (٨/٣٥١ ـ ٣٥٢).

(٢) لسان العرب (١٠/١٤٧)، وانظر: الصحاح (٤/١٤٨٩)، والمعرّب ص١٦٧.

(٣) انظر: المحيط في اللغة لابن عبّاد (٦/ ٩٠) بتحقيق: محمد آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، والمعرب من الكلام الأعجمي ص١٦٧، ولسان العرب (١٠/ ١٤٧).

(٤) محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، أبو بكر اللغوي البصري، شيخ الأدب والنحو، له عدة مصنفات في اللغة وغيرها. ولد سنة ٢٢٣هـ، وتوفي سنة ٣٢١هـ. انظر: بغية الوعاة (١/٧٦)، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي (٥/٢٩٦ ـ ٣٠٦)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، والبداية والنهاية (١١/١٨٨)، والسير (١٥/٩٦).

(٥) سهل بن محمد بن عثمان، أبو حاتم السجستاني ثم البصري، كان عالماً باللغة والشعر والقراءات، وله في ذلك تصانيف مفيدة، توفي سنة ٢٥٥هـ وقيل سنة ٢٥٠هـ، وعاش ثلاثاً وثمانين سنة. انظر: بغية الوعاة (١/٦٠٦)، ووفيات الأعيان لابن خلّكان (٢/٤٣٠ ـ ٤٣٢)، تحقيق: إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ ولا رقم طبعة، ومعجم الأدباء (٣/٤٠٣ ـ ٤٠٤)، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي (١٢/٩١ ـ ٩٢)، تحقيق: محمد عبد القادر ومصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ، والسير (١٢/٢٦٨ ـ ٢٧٠).

(٦) المعرب من الكلام الأعجمي ص١٦٧. وانظر: تعريب الكلمة الأعجمية لابن كمال باشا ص٧١، تحقيق: محمد سواعي، الجفان والجابي، الطبعة الأولى، ١٩٩١م، =

وقيل: هو معرّب «زن دين» أي: دين المرأة[(١)].

وقيل: إن الزنديق نسبة إلى «الزند» وهو تأويل لكتاب «البستاه» الذي جاء به زرادشت[(٢)] إلى الفرس. وكان من أورد في طريقتهم شيئاً بخلاف المنزل ـ عندهم ـ الذي هو «البستاه» وعدل إلى التأويل الذي هو الزند قالوا: هذا زندي، فأضافوه إلى التأويل، وأنه منحرف عن الظواهر من المنزل إلى تأويل هو بخلاف التنزيل، فلما أن جاءت العرب أخذت هذا المعنى من الفرس، وقالوا: زنديق وعرّبوه[(٣)].

وقيل: إن الزنديق معرّب «زنده» التي هي نسبة إلى «الزند» أيضاً، وهؤلاء قالوا: إن الهاء في «زنده» تفيد الانتساب الخاص في لغة الفرس[(٤)].

وقد رجح هذا القول ابن كمال باشا[(٥)] ثم بيّن سبب ترجيحه لذلك فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

= وفتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (١٢/ ٢٧٢)، مكتبة الرياض الحديثة، بدون تاريخ ولا رقم الطبعة.

(١) انظر: تاج العروس (١٣/ ٢٠١)، تحقيق: علي شبري، وكتاب دائرة المعارف للبستاني (٩/ ٢٧٠)، دار المعرفة، بيروت، وموسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي (١/ ٩١٣)، تقديم وإشراف د. رفيق العجم، مكتبة لبنان ـ ناشرون، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

(٢) زرادشت بن يورشب وقيل زرادشت بن أسبيمان، ادعى النبوة في زمان بشتاسب الفارسي وتبعه على ذلك كثير من الفرس، وزعم أنه يوحى إليه وأنه نزل عليه كتاب من السماء وهو «البستاه»، وقد أُطلق على ديانته التي دعا إليها اسم «الزرادشتية» نسبة إليه. انظر: تاريخ الأمم والملوك للطبري (١/ ٣١٧)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ، بدون رقم الطبعة، والمنتظم (١/ ٤١٢ ـ ٤١٣)، ومروج الذهب للمسعودي (١/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

(٣) انظر: مروج الذهب (١/ ٢٥٩)، وكتاب وجاء دور المجوس لعبد الله الغريب (١/ ٢٦)، الطبعة السادسة، ١٤٠٨هـ.

(٤) انظر: تعريب الكلمة الأعجمية ص٧٩.

(٥) أحمد بن سليمان الحنفي، الشهير بابن كمال باشا، تركي الأصل مستعرب، كان جده من أمراء الدولة العثمانية، شارك في كثير من العلوم وصنّف فيها، توفي سنة ٩٤٠هـ. انظر: الفوائد البهية في تراجم الحنفية لعبد الحي اللكنوي ص٤٢ ـ ٤٤، دار الأرقم، =

«وإنما رجحنا القول بأنه معرّب «زنده» على القول بأنه معرب «زندي» لأن الياء في آخر الكلمة لمطلق النسبة في لغة الفرس، والهاء فيه للاختصاص والانتساب الخاص...»[(١)].

وقيل في أصل هذه الكلمة غير ذلك[(٢)].

هذه هي أهم الأقوال في أصل كلمة «زنديق» في الفارسية، ولعل أقرب هذه الأقوال إلى الصواب هو القول بأن كلمة «زنديق» منسوبة إلى «الزند» الذي هو تأويل كتاب «البستاه» سواء قيل بأنه معرب كلمة «زندي» أو قيل بأنه معرب كلمة «زنده» إذ إن كلا القولين منسوب إلى «الزند»، والخلاف إنما وقع بينهما في الانتساب الخاص في لغة الفرس، هل يكون بحرف «الياء» التي هي لمطلق النسبة، أم يخصص بحرف «الهاء» مع اتفاقهما على الانتساب إلى «الزند».

وقد اختار القول الأول الخوارزمي[(٣)] والمسعودي[(٤)] وغيرهما[(٥)] وهو

= بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، وشذرات الذهب (١٠/ ٣٣٥)، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (١/ ٣٣٨)، دار إحياء التراث، بيروت، بدون تاريخ، والأعلام للزركلي (١/ ١٣٣)، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة العاشرة، ١٩٩٢م.

(١) تعريب الكلمة الأعجمية ص٧٤.

(٢) انظر: تاريخ ابن خلدون (٢/ ٢٠٣)، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ. ودائرة المعارف للبستاني (٩/ ٢٧٠).

(٣) محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي، أبو عبد الله، الكاتب التركي المتوفى سنة ٣٨٧هـ. انظر: معجم المؤلفين (٩/ ٢٩).

(٤) علي بن الحسين بن علي المسعودي، أبو الحسن، يقال إنه من ذرية عبد الله بن مسعود ﷺ، مؤرخ إخباري، صاحب فنون، توفي سنة ٣٤٥هـ وقيل: في السُّنَّة التي بعدها. انظر: السير (١٥/ ٥٦٩)، ومعجم الأدباء (٤/ ٤٨ ـ ٥٠)، ومعجم المؤلفين (٧/ ٨٠).

(٥) انظر: مفاتيح العلوم للخوارزمي ص٥٦ بتحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ، ومروج الذهب (١/ ٢٥٩)، وتاج العروس (١٣/ ٢٠١)، وكتاب وجاء دور المجوس (١/ ٢٦).

ظاهر كلام محمد الأمين المحبي[(١)(٢)].

وأما القول الثاني فقد رجحه ابن كمال باشا والخفاجي[(٣)(٤)]، إلا أن محمد المحبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما ذكر الخلاف في ذلك رد ما ذكره ابن كمال باشا بقوله: «وخطأ بعضهم من قال: أنه معرّب «زندي» لأن الياء لمطلق النسبة، والهاء لنسبة مخصوصة مثل «بنفشه» و«بنجه»[(٥)] وليس بشيء»[(٦)] والله أعلم.

---

(١) محمد أمين بن فضل الله المُحبِّي، الدمشقي الحنفي، مؤرخ، أديب شاعر، لغوي، مشارك في بعض العلوم، ولد سنة ١٠٦١هـ، وتوفي سنة ١١١١هـ. انظر: معجم المؤلفين (٩/٧٨)، والأعلام (٦/٤١)، ومقدمة قصد السبيل (١/١١ ـ ٤٩)، تحقيق: د. عثمان الصيني، مكتبة التوبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

(٢) انظر: قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل (٢/٩٨).

(٣) أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي، شهاب الدين المصري، أديب لغوي شاعر، ولد بمصر ورحل إلى بلاد الروم، وتولى قضاء بلاد مصر وغيرها، وقد كان مولده سنة ٩٧٧هـ، وتوفي بمصر سنة ١٠٧٩هـ. انظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمُحبّي (١/٣٣١ ـ ٣٤٣)، دار صادر، بيروت، والأعلام (١/٢٣٨).

(٤) انظر: شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل للخفاجي ص٩٧، مطبعة السعادة ـ مصر، الطبعة الأولى، ١٣٢٥هـ، فقد قال الخفاجي بعد ذكره للأقوال في المسألة «الصواب أنه معرب زنده» وقد نسب ابن كمال باشا هذا القول إلى ابن دريد في تعريب الكلمة الأعجمية ص٧١، والمشهور عن ابن دريد هو النص المتقدم الذي يرويه عن أبي حاتم، والنسبة فيه إلى «زنده كرد» وليس إلى «زنده». انظر: ص٢٩.

(٥) «بنفشه» هي زهرة البنفسج أو اللون البنفسجي.
أما «بنجه» فهي راحة اليد والأصابع الخمسة أو أسفل القدم مع الأصابع الخمسة.
انظر: تعريب الكلمة الأعجمية ص٧٩ حاشية ١٩٧.

(٦) قصد السبيل (٢/٩٨).

المبحث الثاني

مفهوم الزندقة قبل الإسلام

تبين في المبحث السابق أن لفظ «الزندقة» لم يكن عربياً في الأصل وإنما كان فارسي الأصل ثم عرّب بعد ذلك. وأن أول إطلاق لفظ «الزنديق» كان على الذّين عدلوا إلى «الزند» الذي هو التأويل، وتركوا الأصل وهو «البستاه» الذي جاءهم به زرادشت، وهؤلاء الذّين عدلوا إلى الزند، وتركوا البستاه هم ماني[1] وأتباعه. فلذلك أطلق عليهم لقب «الزنديين» نسبة إلى «الزند» أي: المنحرفين عن الظواهر إلى التأويلات، ثم إن هذا اللقب غلب بعد ذلك على ماني وأتباعه وهم المانوية[2].

وقد كان ذلك في زمن سابور بن أرد شير[3]، أحد ملوك الساسانيين، وكان الساسانيون يدينون في ذلك الوقت بدين زرادشت كما سيأتي بيان ذلك في الفصل الثاني[4] إن شاء الله تعالى.

وقد صور ذلك المسعودي بقوله في معرض حديثه عن ماني وأتباعه: «وفي أيام ماني هذا ظهر اسم الزندقة الذي إليه أضيف الزنادقة، وذلك أن

---

(١) هو ماني بن فاتك الذي خرج في زمن سابور بن أردشير، وسيأتي التعريف به وبفرقته في الفصل الثاني. انظر: ص٧٠.

(٢) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٩٠)، ومروج الذهب (١/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩)، وانظر: ص٧٠ وما بعدها.

(٣) سابور بن أرد شير بن بابك بن ساسان الأصغر، أحد ملوك بني ساسان ملك بعد والده أرد شير، وكان عاقلاً بليغاً، وهو الذي بنى مدينة سابور بفارس. انظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير (١/ ٢٩٧) بتحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ، ومروج الذهب (١/ ٢٥٧).

(٤) انظر: ص٧١.

الفرس حين أتاهم زرادشت بن أسبيمان[١]... بكتابهم المعروف بالبستاه باللغة الأولى من الفارسية، وعمل له التفسير وهو الزند، وعمل لهذا التفسير شرحاً سمّاه البازند... وكان الزند بيانا لتأويل المتقدم المنزل، وكان من أورد في شريعتهم شيئاً بخلاف المنزل الذي هو البستاه، وعدل إلى التأويل الذي هو الزند، قالوا: هذا زندي، فأضافوه إلى التأويل، وأنه منحرف عن الظواهر من المنزل إلى تأويل هو بخلاف المنزل»[٢].

ثم إن لقب «الزنادقة» لم يبق خاصاً بفرقة المانوية وحدها ـ وإن كانت هي الأصل في إطلاق هذا اللقب ـ بل توسع في إطلاق ذلك حتى شمل كثيراً من فرق الثنوية[٣] الأخرى، كالديصانية[٤] والمزدكية[٥] وغيرهما. ولعل هذه الفرق إنما أطلق عليها هذا اللقب لمشابهتها للمانوية في القول بأزلية النّور والظلمة، فغلب عليها هذا اللقب بسبب ذلك. وإن كانت قد لا تتفق مع المانوية في تفاصيل هذه المسألة كما سيأتي[٦].

ومن هنا عرّف بعض العلماء الزنادقة بأنهم هم الثنوية[٧].

وقد أشار الحافظ ابن حجر رحمه الله إلى هذا المفهوم، فقال في معرض كلامه عن مفهوم الزندقة: «والتحقيق ما ذكره من صنف في الملل أن أصل الزنادقة: أتباع ديصان، ثم ماني، ثم مزدك، وقام الإسلام، والزنديق يطلق

---

(١) تقدمت ترجمته. انظر: ص٣٠.

(٢) مروج الذهب (١/ ٢٥٩)، وانظر: تاريخ ابن خلدون (٢/ ١٩٧).

(٣) الثنوية: هم القائلون بأن النور والظلمة أزليان قديمان بخلاف المجوس فإنهم قالوا بحدوث الظلام. انظر: الملل والنحل (١/ ٢٩٠).

(٤) الديصانية: هم أتباع ديصان الفارسي، وسيأتي التعريف بها في الفصل الثاني. انظر: ص٨٤.

(٥) المزدكية: هو أتباع مزدك الإباحي، وسيأتي التعريف بها في الفصل الثاني. انظر: ص٧٩.

(٦) انظر: ص٧٩، ٨٥.

(٧) انظر: مروج الذهب (١/ ٢٥٩)، ودائرة المعارف للبستاني (٩/ ٢٧٠)، وموسوعة كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي (١/ ٢٧٠).

على ذلك»[١].

فهذا المفهوم الذي ذكره الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ يدل على أن «الزنديق» كان يطلق قبل الإسلام على أتباع فرق الثنوية من مانوية وديصانية ومزدكية، وهذا هو المفهوم الذي كان مشهوراً عند الفرس وغيرهم إلّا أن ثمة مفهوماً آخر للزندقة قبل الإسلام أشار إليه ابن قتيبة[٢] وابن حبيب[٣]، يدل على أنه كان يطلق لفظ «الزندقة» قبل الإسلام ويراد به معنى آخر غير ما كان مشهوراً عند الفرس من إطلاقهم ذلك على فرق الثنوية. وهذا المفهوم الثاني الذي أشار إليه ابن قتيبة وابن حبيب لعله كان خاصاً ببعض العرب، حيث ذكر ابن قتيبة في تعداده لأديان العرب قبل الإسلام أن الزندقة كانت في قريش وأنهم أخذوها من الحيرة[٤]، فقال: «كانت النصرانية في «ربيعة» و«غسّان» وبعض «قضاعة» وكانت اليهودية في «حمير» و«بني كنانة» و«بني الحارث بن كعب» و«كندة» وكانت المجوسية في «تميم» منهم زرارة بن عدس التميمي[٥] وابنه

(١) فتح الباري (١٢/ ٢٧٠).

(٢) عبد الله بن مسلم بن قتيبة أبو محمد الدينوري، وقيل: المروزي، الإمام النحوي اللغوي صاحب التصانيف البديعة المفيدة، ولد سنة ٢١٣هـ، وتوفي سنة ٢٧٦هـ. انظر: البداية والنهاية (١١/ ٥٢)، وبغية الوعاة (٢/ ٦٣ ـ ٦٤)، وشذرات الذهب (٣/ ٣١٨ ـ ٣١٩)، والأعلام (٤/ ١٣٧).

(٣) محمد بن حبيب بن أمية الهاشمي مولاهم، أبو جعفر البغدادي، كان عالماً باللغة والأنساب وأخبار العرب، وله في ذلك عدة مصنفات. توفي سنة ٢٤٥هـ بسامرّاء. انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٢/ ٢٧٦)، تحقيق: مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، وبغية الوعاة (١/ ٧٣ ـ ٧٤)، ومعجم الأدباء (٥/ ٢٨٦ ـ ٢٨٩)، والأعلام (٦/ ٧٨).

(٤) الحيرة: ـ بكسر الحاء ـ مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النَّجف، زعموا أن بحر فارس كان يتصل به، وقد كانت مسكن ملوك العرب في الجاهلية. انظر: معجم البلدان (٢/ ٣٧٦).

(٥) زرارة بن عدس التميمي، جاهلي، كان حكماً من قضاة تميم وقاد تميماً وغيرها في بعض حروبها في الجاهلية، وهو والد حاجب والمنذر. انظر: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب لأبي العباس القلقشندي ص٢٤٩، دار الكتب العلمية، بيروت، والأعلام (٣/ ٤٣).

حاجب بن زرارة[١]، وكان تزوج ابنته ثم ندم. ومنهم الأقرع بن حابس[٢] وكان مجوسياً، وأبو سود[٣] ـ جدّ وكيع بن حسّان[٤] ـ كان مجوسياً، وكانت الزندقة في «قريش» أخذوها من «الحيرة»»[٥].

فابن قتيبة رحمه الله قد نسب الزندقة إلى قريش، ولم يبين مفهوم تلك الزندقة التي نسبها إليهم، وإنما بين مصدرها الذي أخذوها منه وهو بلدة الحيرة.

وقد كانت الحيرة تحت الحكم الفارسي، يحكمها ملوك الساسانيين[٦]، وقد كان يقطن تلك البلدة كثير من فرق الزنادقة من المانوية والمزدكية وغيرهما. وكان تجار قريش يترددون على تلك البلاد للتجارة ونحوها. فتأثر أولئك التجار القرشيون بتلك المعتقدات التي كانت ببلاد الحيرة وما جاورها. كما تأثر غيرهم من العرب ببعض الديانات الأخرى من النصرانية واليهودية

---

(١) حاجب بن زرارة بن عدس الدارمي التميمي، صحابي أسلم ووفد على النبي ﷺ بالمدينة ومعه أخوه وكيع. قال أبو حاتم: بعثه النبي ﷺ على صدقات قومه، ولم يلبث أن مات في حياة النبي ﷺ. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (١/ ٢٨٦) و(٣/ ٢٤٦)، دار الكتب العلمية.

(٢) الأقرع بن حابس بن غفال التميمي، وفد على النبي ﷺ وشهد فتح مكة وحنيناً والطائف، وهو من المؤلفة قلوبهم، وقد حسن إسلامه، وكان رضي الله عنه شريفاً في الجاهلية والإسلام، قيل: إنه قتل باليرموك في عشرة من بنيه. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٥٨ ـ ٥٩).

(٣) أبو سود: بضم أوله وهو ابن كليب بن عوف التميمي جد وكيع بن حسان، كان مجوسياً فأسلم، له صحبة، وقد روى عن النبي ﷺ حديثاً واحداً في اليمين الفاجرة. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٧/ ٩٣ ـ ٩٤).

(٤) وكيع بن حسان بن أبي سود التميمي، ولي إمارة خراسان لسليمان بن عبد الملك، بعد قتله لقتيبة بن مسلم حينما خلع بيعة سليمان، ولذلك حظي وكيع عند سليمان وولاه خراسان، ثم عزله بعد ذلك بيزيد بن المهلب ولم أقف على تاريخ وفاته. انظر: تاريخ الطبري (٤/ ٤٧)، دار الكتب العلمية ١٤١٧هـ، والمنتظم (٧/ ٢٥).

(٥) المعارف لابن قتيبة ص٦٢١، تحقيق: د. ثروت عكاشة، الهيئة المصرية للكتاب، الطبعة السادسة، ١٩٩٢م.

(٦) انظر: تاريخ الطبري (١/ ٤٨٣)، وانظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير (١/ ٣١٥ ـ ٣١٦).

والمجوسية، بحكم مخالطتهم لأصحاب تلك الديانات ومجاورتهم لهم[١].

ومن المعلوم أن مجتمع مكة كان قبل الإسلام مجتمعاً وثنياً، حيث كانت قريش وغيرها من قبائل العرب يعبدون الأصنام ويشركونها في العبادة مع الله تعالى كما دلّ على ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى عن أصنام هؤلاء المشركين: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ [النجم: ١٩، ٢٠] وقال تعالى مبيناً حجتهم في عبادة هذه الأصنام: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

لكن قد يقال إن مراد ابن قتيبة رحمه الله بنسبته الزندقة إلى قريش أن ذلك لم يكن عاماً فيهم بل كان ذلك خاصاً في بعض الأفراد الذّين كانوا يترددون على الحيرة للتجارة وغيرها.

وهذا المفهوم هو الذي دلت عليه بعض الآثار عن السلف رضي الله عنهم كما ذكر القرطبي[٢] رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ [يس: ٤٧]، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان بمكة زنادقة فإذا أمروا بالصدقة على الفقراء والمساكين قالوا: لا والله: أيفقره الله ونطعمه نحن...»[٣]، ونقل ابن الجوزي[٤]

---

(١) انظر: المعارف ص٦٢١، وكتاب في الفكر الديني الجاهلي د. محمد الفيومي ص١٩٠ ـ ١٩١ دار المعارف، القاهرة ١٤٠٢هـ.

(٢) محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الله القرطبي المالكي، من كبار المفسرين، إمام متفنن، متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة، توفي سنة ٦٧١هـ في بلاد مصر. انظر: طبقات المفسرين للداودي (٢/ ٦٩ ـ ٧٠)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، والديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون ص٤٠٦، تحقيق: مأمون الجنّان، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، وشذرات الذهب (٧/ ٧٨٤ ـ ٧٨٥)، ومعجم المؤلفين (٨/ ٢٣٩).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٥/ ٢٦)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

(٤) عبد الرحمٰن بن علي بن محمد القرشي، أبو الفرج البغدادي المعروف بابن الجوزي علّامة عصره في التاريخ والحديث، مع مشاركته في علوم أخرى، ولد سنة ٥٠٨هـ، وتوفي سنة ٥٩٧هـ. انظر: البداية والنهاية (١٣/ ٣١ ـ ٣٢)، والسير (٢١/ ٣٦٥ ـ ٣٨٤)، ووفيات الأعيان (٣/ ١٤٠ ـ ١٤٢)، ومعجم المؤلفين (٥/ ١٥٧)، والأعلام (٣/ ٣١٦ ـ ٣١٧).

عن قتادة(١) أن هذه الآية نزلت في الزنادقة(٢).

فهذان الأثران يدلان على أنه كان يوجد بمكة بعض الزنادقة، وهم الذين نزلت الآية فيهم وإن كان عامة أهل مكة لم يكونوا كذلك بل كانوا على الشرك كما تقدم.

وقد أكد هذا المعنى نصّ ابن حبيب الذي تقدمت الإشارة إليه بل عيّن رحمه الله أسماء زنادقة قريش قبل فتح مكة، فقال رحمه الله: «زنادقة قريش: أبو سفيان بن حرب(٣)(٤) أسلم، ....

---

(١) قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي، أبو الخطاب البصري، حافظ عصره، إمام في التفسير وعالم بالحديث ولد سنة ٦١هـ، وتوفي سنة ١١٨هـ. انظر: طبقات المفسرين للداودي (٢/ ٤٧ ـ ٤٩)، والبداية والنهاية (٩/ ٣٢٥ ـ ٣٢٦)، والسير (٥/ ٢٦٩ ـ ٢٨٣)، والأعلام (٥/ ١٨٩).

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٦/ ٢٧٤)، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

(٣) صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس، أبو سفيان القرشي الأموي، مشهور باسمه وكنيته، أسلم رضي الله عنه عام الفتح وحسن إسلامه وشهد حنيناً والطائف، وتوفي سنة ٣١هـ وقيل ٣٢هـ. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٣/ ٢٣٨).

(٤) هذا الكلام الذي أورده ابن حبيب في نسبة الزندقة إلى أبي سفيان قبل إسلامه، مخالف لما كان معروفاً عنه قبل إسلامه من الشرك بالله وتعظيم الأصنام، فقد كان يفتخر على المسلمين في غزوة أحد بعبادة الأصنام، فيقول: «**لنا العزى ولا عزى لكم**»، ففي نسبة الزندقة إليه نظر، فالظاهر أنه كان قبل إسلامه على ما كان عليه قومه من الشرك بالله تعالى.

والعجيب أن بعض أهل الأهواء ممن يميل إلى التشيع ويبغض بني أمية قد تمسك بمثل هذا الكلام فطعن في أبي سفيان رضي الله عنه بعد إسلامه واتهمه بالنفاق والزندقة، كالدكتور علي النشار فقد قال في معرض حديثه عن الغنوصية والزندقة: «ثم ظهر غنوصي عنيف، اعتنق الزندقة؛ أي: الإيمان بالاثنين على صورة عنيفة، وهذا الغنوصي هو أبو سفيان بن حرب، ولم يتنبه الباحثون إلى سبب عداوته الكبرى وضغنه المرير على الإسلام، سواء في جاهليته أو بعد أن أرغم على اعتناق الإسلام غداة فتح مكة...» نشأة الفكر الفلسفي، د. علي النشار (١/ ١٩٨)، دار المعارف، الطبعة الثامنة.

وأبو سفيان رضي الله عنه قد أسلم وحسن إسلامه وصحب النبي ﷺ واستعمله النبي ﷺ على نجران، وقد بقي على إسلامه إلى أن توفي رضي الله عنه في خلافة عثمان رضي الله عنه، فلو كان =

وعقبة بن أبي معيط[١]، ضربت عنقه صبراً[٢]، وأبيّ بن خلف[٣] قتله رسول الله ﷺ بيده يوم أحد، والنضر بن الحارث بن كلدة[٤] أخو بني

= منافقاً وزنديقاً كما يدعي النشار لم يستعمله النبي ﷺ على المسلمين.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: منهاج السُّنَّة (٤/٤٢٩) في معرض حديثه عن أبي سفيان وأمثاله من مسلمة الفتح: «فصفوان وعكرمة وأبو سفيان كانوا مقدِّمين للكفار يوم أحد، رؤوس الأحزاب في غزوة الخندق، ومع هذا كان أبو سفيان وصفوان وعكرمة من أحسن الناس إسلاماً...»، وقال أيضاً رحمه الله في مجموع الفتاوى (٣٥/ ٦٥): «والنبي ﷺ لم يول على المسلمين منافقاً، وقد استعمل على نجران أبا سفيان بن حرب أبا معاوية، ومات رسول الله ﷺ وأبو سفيان نائبه على نجران... فكيف يكون هؤلاء منافقين والنبي ﷺ يأتمنهم على أحوال المسلمين في العلم والعمل...».

(١) عقبة بن أبان بن ذكوان بن أميّة بن عبد شمس. من مقدّمي قريش في الجاهلية، كنيته أبو الوليد وكنية أبيه أبو معيط، كان شديد الأذى لرسول الله ﷺ ولأصحابه فأُسر يوم بدر ثم قتل صبراً. انظر: نسب قريش، لأبي عبد الله الزبيري ص١٣٨، تعليق ليفي بروفنسال، دار المعارف، الطبعة الثالثة، والبداية والنهاية (٨/٦٢٦)، (٩/ ٣١٩ ـ ٣٢٠)، والأعلام (٤/ ٢٤٠).

(٢) وذلك حين أسر في معركة بدر، أمر النبي ﷺ بقتله وهو منصرف من بدر في مكان يقال له عرق الظبية، وكان الذي تولى قتله عاصم بن ثابت رضي الله عنه. انظر: البداية والنهاية (٣/ ٣٠٦)، والسيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٢٩٨) بتحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، دار القلم، بيروت.

(٣) أبيّ بن خلف بن وهب بن جُمح، قتله رسول الله ﷺ يوم أحد وكان أبيّ بن خلف أُسر يوم بدر، طعنه بحربة للزّبير بن العوام وهو الذي قال فيه الرسول ﷺ: «**أنا أقتلك**» في قصة، فمات بمرّ الظّهران على أميال من مكة. انظر: نسب قريش ص٣٨٦ ـ ٣٨٧، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي ص١٦٠ ـ ١٦١، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة.

(٤) النّضر بن الحارث بن علقمة بن كَلَدَة بن عبد مناف من بني عبد الدار من قريش، صاحب لواء المشركين ببدر، قُتل يوم بدر كافراً، قتله عليّ بن أبي طالب صبراً بالصفراء، وكان شديد العداوة لله ورسوله، ومن الرواة من يرى أن النّضر لم يقتل صبراً وإنما مات بسبب جراحه، فالله أعلم، وهو غير النُّضَيْرُ الذي هو من ولد كلدة قُتل يوم اليرموك شهيداً وكان من المهاجرين. انظر: نسب قريش ص٢٥٥، والكامل لابن الأثير (٢/ ٢٦ ـ ٢٧)، والأعلام (٨/ ٣٣)، وغيرها.

عبد الدار[(١)]، ضرب رسول الله ﷺ عُنقه صبراً[(٢)]، ومنبِّه[(٣)] ونَبيه[(٤)] ابنا الحجاج السهميان، قتلا يوم بدر[(٥)]، والعاص بن وائل السهمي[(٦)]، والوليد بن المغيرة المخزومي...»[(٧)].

---

(١) بنو عبد الدار: بطن من قصي بن كلاب من العدنانية وكان لعبد الدار من الولد عثمان وعبد مناف والسابق، وقد كان في بني عبد الدار حجابة الكعبة، وقد بقيت بعد ذلك في أحد بطونهم وهم بنو شيبة. انظر: نهاية الأرب ص٣٠٦.

(٢) وذلك بعد أسره في معركة بدر، فأمر رسول الله ﷺ بقتله في مكان يقال له الصفراء وكان الذي تولى قتله علي ابن أبي طالب رضي الله عنه. انظر: البداية والنهاية (٣/٣٠٦)، والسيرة النبوية لابن هشام (٢/٢٩٨).

(٣) مُنَبِّه بن الحجّاج بن عامر السهمي القرشي: نديم جاهلي، من أشراف قريش في الجاهلية وهو أحد المطعمين يوم بدر، وكان نديماً لطعيمة بن عدي وحضر معه وقعة بدر، وقتل فيها مع من قتل من صناديد قريش. انظر: نسب قريش ص٤٠٣ ـ ٤٠٤، والمحبر، لمحمد بن حبيب ص١٦١، المكتب التجاري للطباعة، بيروت، والأعلام (٧/٢٨٩ ـ ٢٩٠).

(٤) نُبَيْه بن الحجّاج بن عامر السهمي القرشي أبو الرَزّام، شاعر الوجاهة في قريش قبل الإسلام، كان نديماً للنضر بن الحارث، ثم كان هو وأخوه منبّه من المقتسمين وهم سبعة عشر رجلاً من قريش اقتسموا أعقاب مكة يصدون الناس عن رسول الله ﷺ وفيهم نزلت الآية: ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ۝٩٠﴾ وقُتل مع أخيه مشركَين في وقعة بدر، وله شعر كثير. انظر: المحبر لمحمد بن حبيب ص٦١، ونسب قريش ص٤٠٣ ـ ٤٠٤، والأعلام (٨/٨ ـ ٩).

(٥) أما منبه بن الحجاج السهمي فقتله أبو اليسر أخو بني سلمة رضي الله عنه، وأما أخوه نبيه فقتله حمزة بن عبد المطلب وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما. انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢/٢٧١).

(٦) العاص أو العاصي بن وائل بن هاشم السهمي، القرشي، أحد الحكّام في الجاهلية، كان نديماً لهشام بن المغيرة وأدرك الإسلام وظل على الشرك، ويعدّ من المستهزئين، وكان على رأس بني سهم في حرب الفجار سنة ٣٣ قبل الهجرة، قيل في خبر موته إنه نزل في أحد الشعاب، فلما وضع قدمه على الأرض صاح فطافوا فلم يروا شيئاً، فانتفخت رجله حتى صارت مثل عنق البعير ومات؛ فقالوا: لدغته الأرض وهو والد عمرو بن العاص الصحابي. انظر: نسب قريش ص٤٠٨، جمهرة أنساب العرب ص١٦٣، والأعلام (٣/٢٤٧).

(٧) المحبر لابن حبيب البغدادي ص١٦١، وانظر: المنمق لابن حبيب أيضاً ص٣٨٩ بتصحيح خورشيد أحمد، عالم الكتب.

وقد ذكر ابن دحية الكلبي[١] كلاماً نحو كلام ابن حبيب ونسب ذلك القول إلى ابن عباس رضي الله عنهما ونقل عن مجاهد[٢] أنه قال لابن عباس رضي الله عنهما: «وأنى وقعوا في الزندقة؟ فقال: من الحيرة، كانوا يقدمون بتجاراتهم...»[٣].

وبهذا يُعلم أن تلك الزندقة التي نسبها ابن قتيبة إلى قريش إنما كانت خاصة ببعض الأفراد الذّين ذكرت أسمائهم كما في كلام ابن حبيب المتقدم.

وأما مفهوم تلك الزندقة التي نُسبت إلى أولئك القرشيين، وهل كانت موافقة لمفهوم الزندقة المشهور عند الفرس أو لا؟ فالذي يتضح ـ والله أعلم ـ أن مفهوم الزندقة الذي وُجد عند بعض القرشيين لم يكن هو نفس المفهوم الذي كان مشهوراً في ذلك الوقت عند الفرس الذي كان لا ينصرف إلا إلى فرق الثنوية من المانوية ونحوها، وإن كان ذلك المفهوم للزندقة قد تأثر ببعض معتقدات تلك الفرق وخاصة من كان منهم في بلد الحيرة كما تقدم ذلك في كلام ابن حبيب وابن دحية، إلا أن ذلك لم يكن تأثراً كاملاً، بل كانت زندقة أولئك القرشيين أقرب إلى قول الدهرية[٤] من إنكار البعث وعدم الإيمان

---

(١) عمر بن الحسن بن علي الكلبي، أبو الخطاب، المشهور بابن دحية، أديب مؤرخ حافظ للحديث إلا أنه قد أخذ عليه تعصبه للعجم وثلبه للعرب. ولد سنة ٥٤٤هـ، وتوفي سنة ٦٣٣هـ. انظر: البداية والنهاية (١٣/ ١٥٥ ـ ١٥٦)، والسير (٢٢/ ٣٨٩ ـ ٣٩٠)، والأعلام (٥/ ٤٤).

(٢) مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، تابعي، مفسر فقيه دين. ولد سنة ٢١هـ، وتوفي سنة ١٠٤هـ، وقيل: قبل ذلك. انظر: طبقات المفسرين للداودي (٢/ ٣٠٥ ـ ٣٠٩)، والسير (٤/ ٤٤٩ ـ ٤٥٧)، والمنتظم لابن الجوزي (٧/ ٩٤ ـ ٩٥)، وشذرات الذهب (٢/ ١٩ ـ ٢٠).

(٣) كتاب مثالب العرب لابن دحية الكلبي ورقة ١١٦ مخطوط (١٥٥) بدار الكتب المصرية رقم (١٩٣٥) وله مصورة بمكتبة الأمير سلمان بجامعة الملك سعود برقم (١٠٦٤) وانظر: اتجاهات الشعر العربي، د. محمد هدارة ص٢٤٠، دار العلوم العربية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

(٤) الدهرية هم الذين ينكرون الخالق والبعث والإعادة، ويقولون بالطبع المحيي والدهر المفني، وهم الذين قال الله عنهم: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ [الجاثية: ٢٤]. انظر: الملل والنحل (٢/ ٥٨٢).

بالخالق ﷻ، يدل على ذلك ما ذكره الشوكاني[(١)] رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ...﴾ [يس: ٤٧] فقد ذكر عن القشيري[(٢)] والماوردي[(٣)] أنهما قالا: «إن الآية نزلت في قوم من الزنادقة، وقد كان في كفار قريش وغيرهم من سائر العرب قوم يتزندقون فلا يؤمنون بالصانع»[(٤)].

فهذا القول الذي ذكره الشوكاني عن القشيري والماوردي، يدل على أن مفهوم الزندقة عند العرب قبل الإسلام كان يطلق على من يقول بالدهر وعدم الإيمان بالخالق.

وقد كان في قريش من يذهب إلى ذلك وهم الذّين ذكرهم الله سبحانه في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الجاثية: ٢٤]، وقد أشار إلى ذلك ابن جرير الطبري[(٥)] فقال في تفسيره لقوله تعالى عن هؤلاء الكفار في قولهم: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ

---

(١) محمد بن علي بن محمد الشوكاني. فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن من أهل صنعاء، له عدة مصنفات مفيدة في علوم متنوعة، ولد سنة ١١٧٣هـ، وتوفي سنة ١٢٥٠هـ. انظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني (١/ ٧٣٢ ـ ٧٤٢) بتحقيق: د. حسين العمري، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، والأعلام (٦/ ٢٩٨)، ومعجم المؤلفين (١١/ ٥٣).

(٢) عبد الكريم بن هوزان القشيري، أبو القاسم النيسابوري الأشعري الشافعي، كان عالماً في الفقه والتفسير والأصول، له عدة مصنفات في الأصول وغيرها، توفي سنة ٤٦٥هـ. انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٣/ ١٥٠)، تحقيق: مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، والسير (١٨/ ٢٢٧ ـ ٢٣٣)، ووفيات الأعيان (٣/ ٢٠٥ ـ ٢٠٨).

(٣) علي بن محمد بن حبيب الماوردي، أبو الحسن المصري إمام في الفقه والأصول والتفسير بصير بالعربية، ولي قضاء بلدان شتى، وتوفي ببغداد سنة ٤٥٠هـ. انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٢٣٢)، والسير (١٨/ ٦٤ ـ ٦٨)، وتاريخ بغداد (١٢/ ١٠٢)، وشذرات الذهب (٥/ ٢١٨ ـ ٢١٩).

(٤) انظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني (٤/ ٣٧٣)، دار الفكر ١٤٠٣هـ.

(٥) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر، عالم مجتهد وإمام في التفسير، ومرجع =

﴿إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ قال: «إنكاراً منهم أن يكون لهم ربّ يفنيهم ويهلكهم»[(١)].

قال الشهرستاني[(٢)] في معرض كلامه عن معطلة العرب: «صِنفٌ منهم أنكروا الخالق والبعث والإعادة، وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفني وهم الذّين أخبر عنهم القرآن المجيد: ﴿وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾»[(٣)].

ويؤيد ذلك ما ورد عن بعض أولئك النفر الذّين وُصفوا بالزندقة من إنكارهم للبعث، واعتراضهم على الرسول ﷺ في ذلك كما حصل ذلك من العاص بن وائل وأبي بن خلف وغيرهما. فقد أخرج ابن جرير عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [يس: ٧٧] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء العاص بن وائل إلى رسول الله ﷺ بعظم حائل[(٤)] ففتّه بين يديه، فقال: يا محمد أيبعث الله هذا بعد ما أرِم[(٥)]؟ فقال: نعم يبعث الله هذا، ثم يميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم قال: ونزلت الآيات: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٧٧﴾ [يس: ٧٧][(٦)] وفي رواية عن مجاهد وقتادة أن ذلك أبي بن خلف[(٧)].

= في التاريخ، ولد سنة ٢٢٤هـ، وتوفي سنة ٣١٠هـ. انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٢/ ٩٢)، وطبقات المفسرين للداودي (٢/ ١١٠ ـ ١١٨)، والبداية والنهاية (١١/ ١٥٦ ـ ١٥٧)، وتاريخ بغداد (٢/ ١٦٢).

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري (١٣/ ١٥٢)، دار الفكر ١٤٠٥هـ.

(٢) محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، أبو الفتح الشافعي، متكلم، واعظ، له عدة تصانيف، ولد سنة ٤٦٧هـ، وتوفي سنة ٥٤٨هـ. انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٣٧٦)، والسير (٢٠/ ٢٨٦ ـ ٢٨٨)، وشذرات الذهب (٤/ ١٤٩).

(٣) الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٥٨٢).

(٤) حائل: أي: متغير اللون من طول مكثه. انظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي ص١٢٧٩، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.

(٥) أرم، بكسر الراء؛ أي: بلي، والرمة بالكسر: العظام البالية، والجمع رِمَمٌ ورمام، تقول منه رمَّ، العظم يرِمُ بالكسر رِمة، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾. انظر: الصحاح للجوهري (٥/ ١٩٣٦ ـ ١٩٣٧).

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٢٣/ ٣٠ ـ ٣١).

(٧) المرجع السابق (٢٣/ ٣٠ ـ ٣١).

وبهذا يتضح أن مفهوم تلك الزندقة التي وجدت في قريش كانت زندقة دهرية مشتملة على إنكار الرّب تعالى، وعدم التصديق بالبعث والحساب، غير أن هذه الزندقة قد اختلطت ببعض العقائد الثنوية التي تأثر بها أولئك الزنادقة في بلد الحيرة وغيرها. ولعل هذا هو السبب في إطلاق وصف الزندقة على أولئك الدهريين إذْ إنّ أصل الزنادقة هم المانوية من الفرس ـ كما تقدم ـ فلما تأثر بهم أولئك العرب في بعض معتقداتهم أُطلق عليهم لقب الزنادقة. ومما يدل على تأثرهم بعقائد زنادقة الحيرة ما أخرجه ابن أبي حاتم[١] عن مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ [الأنعام: ١] قال: «نزلت هذه الآية في الزنادقة. قالوا: إن الله لم يخلق الظلمة ولا الخنافس ولا العقارب ولا شيئاً قبيحاً، وإنما خلق النور وكل شيء حسن فأنزل الله هذه الآية»[٢] ومما يؤكد أن المراد بالزنادقة الذّين نزلت فيهم هذه الآية هم زنادقة مكة الذّين ذكرهم ابن حبيب وغيره أن الآية نزلت في مكة كما نصّ على ذلك ابن كثير[٣]

---

(١) عبد الرحمٰن بن محمد بن إدريس الحنظلي، أبو محمد الرازي، المشهور بابن أبي حاتم، الإمام الحافظ المحدث. كان ﷺ بحراً في العلوم ومعرفة الرجال، وكان على جانب كبير من العبادة والورع والزهد. ولد سنة ٢٤٠هـ، وتوفي سنة ٣٢٧هـ. انظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي (٢/ ٥٨٧ ـ ٥٨٨)، تحقيق: علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت، والبداية والنهاية (١١/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤)، والسير (١٣/ ٢٤٦)، ومقدمة الجرح والتعديل (١/ د).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٤/ ١٢٥٩) تحقيق: أسعد الطيّب مكتبة نزار الباز الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، وانظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (٣/ ٦)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

(٣) إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، أبو الفداء، عماد الدّين، حافظ، مؤرخ، فقيه، مفسر، تناقل النّاس مصنفاته وانتفعوا بها في حياته وبعد مماته. ولد سنة ٧٠١هـ، وتوفي سنة ٧٧٤هـ. انظر: طبقات المفسرين للداودي (١/ ١١١)، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني (١/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤)، تحقيق: محمد سيد جاد الحقّ، دار الكتب الحديثة، الطبعة الثانية، ١٣٨٥هـ، وشذرات الذهب (٨/ ٣٩٧ ـ ٣٩٨)، والأعلام (١/ ٣٢٠).

وغيره[١] من المفسرين.

ومما تقدم يتضح أن الزندقة قبل الإسلام كانت تطلق ويراد بها أحد شيئين:

الأول: فرقة المانوية وغيرها من فرق الثنوية كالمزدكية والديصانية. وهذا هو المعنى الأصلي لإطلاق هذه الكلمة. ولم يزل ذلك المعنى معروفاً عند الفرس وغيرهم، حتى بعد ظهور الإسلام.

الثاني: من يقول بدوام الدّهر وينكر الرّب ﷻ ولا يعترف بالبعث. وهؤلاء هم الذّين يقال لهم الدهرية. وهذا المعنى هو الذي كان موجوداً عند بعض العرب ولا سيما قريش، وإن كان أولئك الدهريون الذّين أُطلق عليهم هذا اللقب قد تأثروا ببعض عقائد الزنادقة الأولين من المانوية والمزدكية، ولعل تأثرهم بذلك هو سبب إطلاق هذا اللقب عليهم. والله تعالى أعلم.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢/١٢٦)، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦/٢٤٦).

المبحث الثالث

مفهوم الزندقة بعد ظهور الإسلام

تعدّدت إطلاقات لفظ «الزندقة» بعد ظهور الإسلام، واختلف المراد بها، عما كان عليه قبل الإسلام[1]. مما جعل تحديد مفهوم الزندقة بعد ظهور الإسلام يزداد غموضاً. ولذا فقد اختلفت عبارات العلماء في تحديد تعريفٍ للزندقة يكون جامعاً لتلك الإطلاقات المتعددة. فاكتفى بعضهم بذكر المعنى الأصلي للزندقة[2]، ولم ينظر بعضهم إلى ذلك، وإنما نظر إلى بعض الإطلاقات الأخرى. وسأذكر فيما يلي بعض ما وقفت عليه من تلك الإطلاقات الواردة في هذا المعنى، ثم أتبع ذلك إن شاء الله بذكر بعض التعريفات التي عرّف بها العلماء الزنديق، ثم أبين المعنى الراجح من تلك التعريفات والذي سيكون ـ بإذن الله ـ هو ميدان الانطلاق في هذا البحث، وذلك كما يلي:

أولاً: الطوائف التي أطلق عليها وصف الزندقة في الإسلام:

١ ـ أطلق وصف «الزندقة» على الذّين حرّقهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقد أخرج البخاري بسنده عن عكرمة[3] قال: «أتي علي رضي الله عنه

---

(١) انظر: إطلاقات لفظ «الزندقة» قبل الإسلام ص٣١.

(٢) وهو إطلاقه على فرقة «المانوية» من الثنوية.

(٣) عكرمة بن عبد الله البربري، أبو عبد الله المدني، مولى بن عبّاس رضي الله عنه، تابعي، كان من أعلم النّاس بالتفسير والمغازي. ولد سنة ٢٥هـ، وتوفي سنة ١٠٥هـ. انظر: طبقات المفسرين للداودي (١/ ٣٨٦ ـ ٣٨٨)، والبداية والنهاية (٩/ ٢٥٤ ـ ٢٦٠)، والسير (٥/ ١٢ ـ ٣٦)، وتهذيب التهذيب لابن حجر (٧/ ٢٦٣ ـ ٢٧٣)، دائرة المعارف النظامية ـ حيدرأباد، الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.

بزنادقة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عبّاس ﭭ فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم[١] لنهي رسول الله ﷺ: «**لا تعذّبوا بعذاب الله**»، ولقتلتهم لقول رسول الله ﷺ: «**من بدّل دينه فاقتلوه**»»[٢].

وهؤلاء الذّين حرّقهم علي ﭬ هم السبئية، أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي وقد غلوا في علي ﭬ وادّعوا أنّه هو ربهم وخالقهم ـ تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً[٣] ـ، وسيأتي الكلام على فرقة السبئية في الباب الثاني إن شاء الله تعالى.

٢ ـ أطلق وصف «الزندقة» على فرقة «المانوية» التي هي أصل الزندقة، كما تقدم في المبحث السابق.

وقد ورد ذلك صريحاً في وصية الخليفة العبّاسي المهدي[٤] لابنه الهادي[٥] وذلك حينما أوصاه بتتبع الزنادقة والقضاء عليهم.

كما نقل ذلك الإمام أبو جعفر الطبري فقال ﭫ: «ذكر محمد بن عطاء ابن مقدّم الواسطي[٦] أن أباه حدّثه أن المهدي قال لموسى يوماً ـ وقد قُدِّمَ إليه

---

(١) بيّن ابن القيم ﭫ سبب تحريق علي ﭬ لهؤلاء الزنادقة وهو يعلم سنة رسول الله ﷺ في قتل الكافر، فقال: «**لكن لما رأى أمراً عظيماً جعل عقوبته من أعظم العقوبات ليزجر الناس عن مثله**»، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية لابن القيم ص٢٠ بتحقيق: بشير عيون، مكتبة المؤيد، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

(٢) صحيح البخاري كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب حكم المرتد والمرتدة (٩/ ٢٦).

(٣) انظر: فتح الباري (١٢/ ٢٧٠ ـ ٢٧٢).

(٤) محمد بن عبد الله بن محمد العبّاسي، أبو عبد الله المهدي بن أبي جعفر المنصور، أمير المؤمنين، كان كريماً، عادلاً، تتبع الزنادقة وقضى عليهم. ولد سنة ١٢٧هـ، وتوفي سنة ١٦٩هـ. انظر: تاريخ الطبري (٨/ ١٦٨ ـ ١٧٦)، والبداية والنهاية (١٠/ ١٥٥ ـ ١٦١)، ومروج الذهب (٣/ ٣٧٧ ـ ٣٩٦).

(٥) موسى بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور العبّاسي، أبو محمد الهادي، كان شهماً خبيراً بالملك، توفي سنة ١٧٠هـ. انظر: تاريخ الطبري (٨/ ٢٠٥ ـ ٢٢٩)، والبداية والنهاية (١٠/ ١٦٣ ـ ١٦٤)، ومروج الذهب (٣/ ٣٩٧ ـ ٤١١).

(٦) لم أجد له ترجمة.

زنديق، فاستتابه فأبى أن يتوب، فضرب عنقه، وأمر بصلبه ـ يا بُني إن صار لك هذا الأمر فتجرد لهذه العصابة؛ يعني: أصحاب ماني»[١].

وبهذا المعنى ورد أيضاً عن المأمون العبّاسي[٢]، كما ذكر ذلك المسعودي بقوله: «وذكر ثمامة بن أشرس[٣] قال: بلغ المأمون خبر عشرة من الزنادقة ممن يذهب إلى قول ماني، ويقول بالنّور والظلمة، من أهل البصرة فأمر بحملهم إليه بعد أن سمّوا واحداً واحداً...» وذكر تمام قصتهم وفيها أنّه كان يمتحنهم بإظهار صورة ماني والتفل عليها والتبرؤ منها[٤].

وقد أطلق وصف الزندقة بهذا المعنى ابن النديم[٥]، وسمّاهم «المنانية» فقال: «أسماء وذكر رؤساء المنانية في دولة بني العبّاس وقبل ذلك...»[٦] ثم ذكر جملة ممن اشتهروا بالزندقة في ذلك الزمن، وصرّح بأنهم زنادقة[٧].

٣ ـ أطلق وصف الزندقة على فرق الثنوية سواءٌ في ذلك المانوية وغيرها من الفرق كالديصانية والمزدكية وغيرها. وقد كان وصف الزندقة يطلق على هذه الفرق قبل الإسلام كما تقدم[٨] واستمر ذلك بعد قيام الإسلام كما قال

---

(١) تاريخ الطبري (٨/ ٦١٢).

(٢) عبد الله المأمون ابن هارون الرشيد العبّاسي، أبو جعفر الهاشمي، كان أديباً شجاعاً، لكنه سلك مذهب المعتزلة وامتَحن الأئمة في مسألة خلق القرآن، ولد سنة١٧٠هـ، وتوفي سنة ٢١٨هـ. انظر: البداية والنهاية (١٠/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨)، وشذرات الذهب (٢/ ٣٩ ـ ٤٤).

(٣) ثمامة بن أشرس النميري، أبو معن البصري المتكلِّم، أحد رؤوس المعتزلة، وإليه تنسب فرقة الثمامية، وقد كان فصيحاً ذا نوادر، توفي سنة ٢١٣هـ. انظر: طبقات المعتزلة لابن المرتضى ص٣٥، دار صادر، بيروت، وتاريخ بغداد (٧/ ١٥٥ ـ ١٥٨)، والسير (١٠/ ٢٠٣ ـ ٢٠٦)، والأعلام (٢/ ١٠٠ ـ ١٠١).

(٤) انظر: القصة بتمامها في مروج الذهب (٤/ ١٠ ـ ١١).

(٥) محمد بن إسحاق بن محمد النديم، أبو الفرج البغدادي الوراق أديب، مشارك في كثير من العلوم إلا أنه كان يميل إلى التشيع، توفي سنة ٣٤٨هـ. انظر: معجم الأدباء (٥/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨)، والأعلام (٦/ ٢٩)، ومعجم المؤلفين (٩/ ٤١).

(٦) الفهرست لابن النديم ص٤١٠، دار المعرفة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

(٧) انظر: المرجع السابق ص٤١٠ ـ ٤١١.

(٨) انظر: ص٣٤.

ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «والتحقيق ما ذكره من صنف في الملل أن أصل الزندقة أتباع ديصان ثم ماني ثم مزدك... وقام الإسلام و«الزنديق» يطلق على من يعتقد مقالتهم...»[(١)].

وبهذا المعنى أطلقها الخوارزمي[(٢)] فقال: «الزنادقة هم المانوية، وكان المزدكية يسمّون بذلك»[(٣)].

٤ ـ أطلق وصف «الزندقة» على الجهمية، أطلقه عليهم بعض السلف كالإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ وعثمان بن سعيد الدارمي[(٤)] وغيرهما[(٥)].

يقول الإمام الدارمي رَحِمَهُ اللهُ في معرض ردّه على المريسي[(٦)]: «ثم لم يزل هذا الكفر بعد كفار قريش دارساً طامساً، لما قد طمسه الله بتنزيله حتّى مضى النبي ﷺ وأصحابه والتابعون، فكان أوّل من أظهره آخر الزمان الجعد بن درهم[(٧)]

(١) فتح الباري (١٢/ ٢٧٠).

(٢) تقدمت ترجمته. انظر: ص٣١.

(٣) مفاتيح العلوم للخوارزمي ص٥٦.

(٤) عثمان بن سعيد بن خالد السجستاني، أبو سعيد الدارمي، محدث فقيه، كان شديداً على أهل البدع، جذعاً في أعينهم. توفي سنة ٢٨٠هـ، وقيل: ٢٨١هـ. انظر: السير (١٣/ ٣١٩ ـ ٣٢٦)، والبداية والنهاية (١١/ ٧٧).

(٥) انظر: الرد على الجهمية للإمام أحمد ص١٥ ـ ١٦، بتحقيق: أحمد بكير، دار ابن قتيبة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، والرد على الجهمية لأبي سعيد الدارمي ص١٧٣ وما بعدها بتحقيق: بدر البدر، الدار السلفية، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، والإبانة لابن بطة «الرد على الجهمية» (٢/ ١٠١) وما بعدها بتحقيق: يوسف الوابل، دار الراية، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.

(٦) بشر بن غياث بن أبي كريمة العدوي المريسي، المتكلم، إمام في البدعة، رأس في الإرجاء، أحد من أضل المأمون في مسألة خلق القرآن. توفي سنة ٢١٨هـ. انظر: البداية والنهاية (١٠/ ٢٩٤).

(٧) الجعد بن درهم مؤدب الخليفة الأموي مروان الحمار، قيل: كان من موالي بني مروان، وكان سكن حرّان، فتلقى مذهبه الخبيث عمن كان فيها من الصابئة والفلاسفة، وهو شيخ الجهم بن صفوان، قتله خالد القسري على الزندقة. انظر: البداية والنهاية (١٠/ ٢١) و(٩/ ٣٩٤)، والسير (٥/ ٤٣٢)، وميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي (١/ ٣٩٩).

بالبصرة وجهم[(١)] بخراسان[(٢)] قتلهما الله بشرِّ قتلة، وفطِن النّاس لكفرهما حتّى كان سبيل من أظهر ذلك في الإسلام القتل صبراً، حتى كانوا يسمّونهم بذلك: الزنادقة»[(٣)].

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ في رده على الجهمية (باب ما ضلّت فيه الجهمية الزنادقة من متشابه القرآن)[(٤)].

وروى الآجري[(٥)] بسنده عن يزيد بن هارون[(٦)] ـ وذكر الجهمية ـ فقال: «هم ـ والله الذي لا إلـه إلا هو ـ زنادقة عليهم لعنة الله»[(٧)].

٥ ـ أطلق وصف «الزندقة» على كثير من أهل الفجور والخلاعة والمجون كالذّين كانوا في زمن بني العبّاس من أمثال مطيع بن إياس[(٨)]

---

(١) الجهم بن صفوان الراسبي مولاهم، أبو محرز السمرقندي، رأس الجهمية وإمامهم، قتله سلم بن أحوز سنة ١٢٨هـ بمدينة «مرو»، وقيل: بأصبهان. انظر: الملل والنحل (١/ ٩٧)، والبداية والنهاية (٩/ ٣٩٤)، والسير (٦/ ٢٦ ـ ٢٧)، وميزان الاعتدال (١/ ٤٢٦).

(٢) خراسان: بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق، وآخرها مما يلي الهند، وتشتمل على أمهات من البلاد، منها نيسابور وهراة ومرو وغيرها. انظر: معجم البلدان (٢/ ٤٠٠).

(٣) نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المرّيسي، الجهمي، العنيد (١/ ٥٣٠ ـ ٥٣١) تحقيق: د. رشيد الألمعي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

(٤) الردّ على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد بن حنبل ص١٥.

(٥) محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري، أبو بكر البغدادي، الإمام المحدِّث، كان ثقة صادقاً ديناً، له مصنفات كثيرة مفيدة، توفي بمكة سنة ٣٦٠هـ. انظر: تاريخ بغداد (٢/ ٢٤٣)، والبداية والنهاية (١١/ ٢٨٨)، ووفيات الأعيان (٤/ ٢٩٠)، والسير (١٦/ ١٣٣ ـ ١٣٦).

(٦) يزيد بن هارون بن زاذي أبو خالد السلمي، مولاهم الواسطي، الإمام القدوة الحافظ، كان رأساً في العلم العمل، ولد سنة ١١٨هـ، وتوفي سنة ٢٠٦هـ. انظر: تاريخ بغداد (١٤/ ٣٣٨ ـ ٣٤٨)، والسير (٩/ ٣٥٨ ـ ٣٧١)، وشذرات الذهب (٢/ ١٦)، دار الفكر، بيروت ١٤١٤هـ.

(٧) الشريعة للآجري (١/ ٥٠٣) بتحقيق: د. عبد الله الدميجي، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

(٨) مطيع بن إياس الكناني، أبو سلمى، كان ظريفاً ماجناً، من الشعراء المخضرمين في الدولتين، توفي سنة ١٦٦هـ. انظر: تاريخ بغداد (١٣/ ٢٢٥)، والأغاني لأبي الفرج =

وبشّار بن برد[١] وحمّاد عجرد[٢] وحمّاد الراوية[٣] وحمّاد الزبرقان[٤]، وغيرهم من أصحاب الخلاعة والمجون.

يقول الأصبهاني[٥] مبيّناً حال مطيع بن إياس: «كان ماجناً متهماً في دينه بالزندقة»[٦]. وأما بشّار بن برد فقد وصفه حمّاد عجرد بقوله فيه: «هو والله أعلم بالزندقة من ماني»[٧].

ويقول ابن المعتز[٨] عن حمّاد عجرد وأصحابه:

= الأصفهاني (١٣/ ٢٧٦)، تعليق أمير مهنا، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ، والأعلام (٧/ ٢٢٥).

(١) بشّار بن برد مولى بني عقيل أبو معاذ، ولد ضريراً، شاعر خليع، متّهم في دينه، وقد كان يقول برجعة علي رضي الله عنه بعد موته كما هو مذهب الكاملية من الرافضة، اتُّهم عند المهدي بالزندقة، فأمر صاحب الزنادقة أن يضربه ضرب التلف حتّى مات، وذلك سنة ١٦٧هـ وقيل في السنة التي بعدها. انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة ص٥١٣ ـ ٥١٦، دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة السادسة، ١٤١٧هـ، وتاريخ بغداد (٧/ ١١٦)، ووفيات الأعيان (١/ ٢٧٣)، وشذرات الذهب (١/ ٦٩٤).

(٢) حماد بن عمر بن يونس السوائي مولاهم، أبو عمرو، المعروف بعجرد، أحد الشعراء الموالي الذّين اشتهروا بالمجون والخلاعة والسخرية بأحكام الشريعة، وتوفي سنة ١٦١هـ. انظر: الشعر والشعراء ص٥٢٨، وتاريخ بغداد (٨/ ١٤٤)، ومعجم الأدباء (٣/ ٢٤٢ ـ ٢٤٤)، والأعلام (٢/ ٢٧٢).

(٣) حمّاد بن سابور بن المبارك، أبو القاسم، الملقب بالراوية، كان من أعلم النّاس بأيام العرب إلا أنه كان يتهم في دينة، توفي ببغداد سنة ١٥٥هـ. انظر: السير (٧/ ١٥٧)، ومعجم الأدباء (٢/ ٢٤٦ ـ ٢٥٠)، والأعلام (٢/ ٢٧١).

(٤) حمّاد بن سلمة المعروف بالزبرقان، أحد نحاة البصرة، كان ظريف المفاكهة والملاعبة، متّهم بالزندقة. انظر: طبقات الشعراء لابن المعتز ص٦٩، تحقيق: عبد الستار أحمد، دار المعارف ـ مصر، والأغاني (١٦/ ٢٣٧).

(٥) علي بن الحسين بن محمد، أبو الفرج الأصبهاني القرشي، كان حافظاً للأشعار والأغاني والأخبار وكان يتشيع، توفي سنة ٣٥٦هـ. انظر: تاريخ بغداد (١١/ ٣٩٧ ـ ٣٩٩)، والسير (١٦/ ٢٠١) وما بعدها، ومقدمة الأغاني (١/ ج ـ م).

(٦) الأغاني للأصبهاني (١٣/ ٢٧٦).

(٧) المرجع السابق (٢/ ٥٣٠).

(٨) عبد الله بن المعتز بالله محمد بن المتوكل العبّاسي، أبو العبّاس البغدادي، أديب شاعر، له نظم رائق، ولد سنة ٢٤٧هـ، وتوفي سنة ٢٩٦هـ. انظر: السير (١٤/ ٤٢ ـ ٤٤)، وتاريخ بغداد (١٠/ ٩٥ ـ ١٠٠)، ومعجم المؤلفين (٦/ ١٥٤).

«كان بالكوفة ثلاثة نفر يقال لهم الحمّادون: حمّاد عجرد وحمّاد الراوية وحمّاد الزبرقان، يتنادمون على الشراب ويتناشدون الأشعار ويتعاشرون معاشرة جميلة، وكانوا كأنهم نفس واحدة، يُرمون بالزندقة جميعاً»[١].

٦ ـ أطلق وصف «الزندقة» على كل من أظهر الإسلام وأبطن المانوية أو غيرها من الديانات الفارسية، ثم اتسع هذا الإطلاق بعد ذلك ليشمل كل من أسرّ الكفر وأظهر الإسلام[٢]، أيّاً كان هذا الكفر.

قال ابن النديم[٣] في كلامٍ له على المانوية ورؤسائهم في العهد العبّاسي: «ومن رؤسائهم المتكلمين الذين يُظهرون الإسلام ويبطنون الزندقة. . .» ثم ذكر جملة من رؤسائهم في ذلك الزمن[٤].

وقال ابن حجر رحمه الله في معرض كلامه على المانوية وغيرهم من زنادقة الثنوية: «وأظهر جماعة منهم الإسلام خشية القتل ومن ثمّ أطلق ـ أي: لفظ الزنديق ـ على كل من أسرّ الكفر وأظهر الإسلام»[٥].

٧ ـ أطلق وصف «الزندقة» على الإسماعيلية[٦] والقرامطة[٧]، وقد أطلق عليهم وصف الزندقة جماهير الأمة وأئمة السلف والمتكلمين، الذين عرفوا حال هؤلاء الزنادقة وكيدهم للدّين وأهله.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في معرض كلامه على بني عبيد[٨] من

---

(١) طبقات ابن المعتز ص٦٩، والشعر والشعراء لابن قتيبة ص٥٢٨.

(٢) انظر: فتح الباري (١٢/ ٢٧١).

(٣) تقدمت ترجمته. انظر: ص٤٤.

(٤) انظر: الفهرست لابن النديم ص٤١١.

(٥) فتح الباري (١٢/ ٢٧١).

(٦) الإسماعيلية: فرقة من فرق الباطنية الزنادقة ينتسبون إلى إسماعيل بن جعفر، وسيأتي التعريف بهم وبعقائدهم في الباب الثاني. انظر: ص٢٢١ وما بعدها.

(٧) القرامطة: فرقة من فرق الباطنية الزنادقة، أطلق عليهم هذا الاسم نسبة إلى حمدان قرمط، وسيأتي التعريف بهم وبعقائدهم وثوراتهم في الباب الثاني. انظر: ص٢٤٧ وما بعدها.

(٨) بنو عبيد هم ذرية عبيد الله المهدي، الذي ادعى أنه هاشمي وأنه من ولد فاطمة، ولذلك فقد تسمى أبناؤه بالفاطميين، وانتحلوا هذا النسب الشريف. وقد قيل: إن أصلهم يهود حكموا بلاد المغرب ثم بلاد مصر ونشروا زندقتهم وكفرهم تحت مسمى التشيع لآل البيت. انظر: البداية والنهاية (١١/ ١٩١ ـ ١٩٢)، والسير (١٥/ ١٤١ ـ ١٥١).

الباطنية: «وهؤلاء القوم يشهد عليهم علماء الأمة وأئمتها وجماهيرها أنهم كانوا منافقين زنادقة، يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر»(١)، ثم ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعض من ردّ على الباطنية ووصفهم بالزندقة، فقال: «صنّف العلماء في كشف أسرارهم وهتك أستارهم، كما صّنف القاضي أبو بكر الباقّلاني(٢) كتابه المشهور في كشف أسرارهم وهتك أستارهم وذكر أنهم من ذريّة المجوس... وكذلك ذكر القاضي أبو يعلى(٣) في كتابه «المعتمد»(٤) فصلاً طويلاً في شرح زندقتهم وكفرهم(٥)، وكذلك ذكر أبو حامد الغزالي(٦) في كتابه الذي سمّاه «فضائل المستظهرية وفضائح الباطنية»(٧). قال: ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه

---

(١) مجموعة فتاوى ابن تيمية «الفتاوى الكبرى» (٤/ ٢٣١)، دار الفكر ١٤٠٠هـ.

(٢) محمد بن الطيّب بن محمد البصري، أبو بكر الباقلاني، المُتكلم الأشعري المالكي، له عدة مصنفات في نصرة المذهب الأشعري، توفي سنة ٤٠٣هـ. انظر: الديباج المذهب ص٣٦٣، وتاريخ بغداد (٥/ ٣٧٩ ـ ٣٨٣)، والبداية والنهاية (١١/ ٣٩٠ ـ ٣٩١).

(٣) محمد بن الحسين بن محمد البغدادي، أبو يعلى الحنبلي، المعروف بابن الفراء، شيخ الحنابلة، كان ذا عبادة وتهجد وملازمة للتصنيف، ولد سنة ٣٨٠هـ، وتوفي سنة ٤٥٨هـ. انظر: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (٢/ ١٦٦ ـ ١٩٧)، تعليق أسامة حسن وآخر، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٧، والبداية والنهاية (١٢/ ١٠١)، والسير (١٨/ ٨٩ ـ ٩٢).

(٤) كتاب «المعتمد في أصول الدين» للقاضي أبي يعلى الفراء، طبع في مجلد واحد بتحقيق: د. وديع زيدان، دار المشرق، بيروت، وهذا الكتاب لخصه المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الكتاب الأصل وهو المعتمد الكبير كما أشار إلى ذلك في مقدمته لهذا الكتاب.

(٥) لم أجد في كتاب المعتمد المطبوع إلا بعض الإشارات في التنبيه على زندقة الباطنية، وقد أشار المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تلخيصه للمعتمد ص٢٦٦ إلى أنه قد تكلم على ذلك في كتاب المعتمد الذي هو الأصل فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حديثه عن الباطنية: «قد شرحنا جملة توحيدهم ومعنى قولهم في النبوة... في كتاب المعتمد بما فيه كفاية...».

(٦) محمد بن محمد الطوسي الشافعي، أبو حامد الغزالي، فيلسوف متصوف، برع في علوم كثيرة وتخبط في المذاهب المختلفة، إلا أنه رجع في آخر حياته إلى مطالعة كتب السُّنَّة من الصحيحين وغيرهما، وقد صنف مصنفات كثيرة في فنون مختلفة. توفي سنة ٥٠٥هـ. انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٤١٦)، والبداية والنهاية (١٢/ ١٨٧ ـ ١٨٨)، والسير (١٩/ ٣٢٢ ـ ٣٤٦).

(٧) اشتهر هذا الكتاب بفضائح الباطنية، وقد طُبع الكتاب وحُقق عدة تحقيقات، =

الكفر المحض، وكذلك القاضي عبد الجبّار ابن أحمد[١] وأمثاله من المعتزلة المتشيِّعة الذين لا يفضلون على علي غيره، بل يُفسِّقون من قاتله ولم يتب من قتاله، يجعلون هؤلاء من أكابر المنافقين الزنادقة، فهذه مقالة المعتزلة في حقهم، فكيف تكون مقالة أهل السُّنَّة والجماعة...»[٢].

٨ ـ أطلق وصف الزندقة على «الدهرية» وهم القائلون بداوم الدّهر، المنكرون لربوبية الخالق جل وعلا، والزندقة بهذا المعنى هي التي كانت موجودة عند بعض قريش قبل الإسلام ـ كما تقدم ـ[٣].

وبهذا المعنى أطلقها أبو حاتم السجستاني ـ كما تقدم ـ فقال: «الزنديق، فارسي معرّب... يقول بداوم الدّهر»[٤].

ثانياً: التعريفات التي عرّف بها الزنديق:

اختلفت عبارات العلماء في تعريف «الزنديق» وبيان المراد به، تبعاً لتعدد إطلاقات وصف «الزندقة» واختلاف معانيها، وسأذكر أهم تلك التعريفات التي وقفت عليها، في المراد بـ«الزنديق» وذلك كما يلي:

١ ـ عُرِّف الزنديق بأنه: «الثنوي القائل بوجود إلٰهين أحدهما إلٰه الخير والآخر إلٰه الشّر»، وبهذا التعريف قال المسعودي[٥] وبه قال الجوهري[٦]،

= ومن حققه «نادي درويش» ويقع الكتاب في ٢٣٦صفحة، المكتب الثقافي، القاهرة.

(١) عبد الجبّار بن أحمد الهمذاني، أبو الحسن المعتزلي، العلّامة المتكّلم، شيخ المعتزلة، له تصانيف كثيرة على مذهب المعتزلة، توفي سنة ٤١٥هـ. انظر: تاريخ بغداد (١١/ ١١٤ ـ ١١٦)، والسير (١٧/ ٢٤٤ ـ ٢٤٦)، وميزان الاعتدال (٢/ ٥٣٣).

(٢) الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤/ ٢٣٢).

(٣) انظر: ص٤١.

(٤) المعرب من الكلام الأعجمي ص١٦٧، وانظر: فتح الباري لابن حجر (١٢/ ٢٧٠).

(٥) تقدمت ترجمته. انظر: ص٣١.

(٦) إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر النيسابوري، لغوي أديب، ذو خط جيد، قرأ العربية على أبي علي الفارسي وأبي سعيد السيرافي، ورحل إلى العراق والحجاز وطوّف بلاد ربيعة ومضر، وأجهد نفسه في الطلب، ثم عاد إلى خراسان فأقام على التدريس والتأليف وتوفي سنة ٣٩٣هـ. انظر: بغية الوعاة (١/ ٤٤٦ ـ ٤٤٨)، ومعجم =

إلّا أنه لم يطلق العبارة على جميع الثنوية وإنما قال «الزنديق» من الثنوية»[١].

وفي دائرة المعارف: «الزنديق في تعريفه أقوال منها أنه الثنوي القائل بوجود خالقين أحدهما إلٰه النور وهو يزدان والثاني إلٰه الظلمة...»[٢].

وهذا التعريف مأخوذ من أصل إطلاق كلمة «زنديق» وإنما أطلق ذلك في الأصل على «المانوية» وهم فرقة من الثنوية ثم شاع هذا الإطلاق في فرق الثنوية كالديصانية والمزدكية وغيرها كما تقدم. ولعل مراد الجوهري بقوله من «الثنوية» تخصيص ذلك ببعض فرق الثنوية، إما المانوية وحدها باعتبارها هي الأصل في ذلك، أو أنه يدخل معها بعض فرق الثنوية، كالمزدكية والديصانية.

٢ ـ عرّف «الزنديق» بأنه: «من لا ينتحل ديناً وينكر الشرائع».

وقد عرّفه بذلك الإمام النووي[٣] إلّا أنه اكتفى بالعبارة الأولى فقال: «الزنديق الذي لا ينتحل ديناً» وفي موضع آخر قال: «هو الذي ينكر الشرع جملة»[٤]، وبنحو ذلك عرَّفه الحافظ ابن حجر فقال: «الزنديق من لا يعتقد ملة وينكر الشرائع ويطلق على المنافق»[٥].

٣ ـ وعرّف «الزنديق» أيضاً بأنه: «الذي ينكر الخالق ويقول ببقاء الدهر وينكر الحياة الآخرة».

قال ابن دحية الكلبي[٦] «الزنديق: اسم يقع على من لا يثبت

= الأدباء (٢/ ٢٠٥ ـ ٢١٢)، وشذرات الذهب (٣/ ١٤٢ ـ ١٤٣)، والأعلام (١/ ٣١٣).

(١) الصحاح للجوهري (٤/ ١٤٨٩).

(٢) دائرة المعارف للبستاني (٩/ ٢٧٠).

(٣) يحيى بن شرف بن مري الخرامي، أبو زكريا النووي الشافعي، الإمام المشهور، صاحب التصانيف النافعة، ولد بنوى من قرى حوران بسورية سنة ٦٣١هـ، وتوفي سنة ٦٧٦هـ. انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٤/ ٤٧١)، وشذرات الذهب (٥/ ٣٥٤)، والأعلام (٨/ ١٤٩).

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي (١/ ٢٠٧) دار إحياء التراث العربي، بيروت، وانظر: فتح الباري (١٢/ ٢٧١).

(٥) فتح الباري المقدمة ص١٢٨، و(١٢/ ٢٧١).

(٦) تقدمت ترجمته، انظر: ص٤١.

للمصنوعات صانعاً وعلى من لا يثبت الرسالة أصلاً...»[١] وبنحو ذلك قال ابن كمال باشا في كتابه «تحقيق لفظ الزنديق»[٢] وفي لسان العرب: «الزنديق: القائل ببقاء الدهر»[٣] وقريبٌ من ذلك ما قاله أبو حاتم ـ كما تقدم ـ[٤] من أنه الذي «يقول بدوام الدهر»[٥].

٤ ـ وعرّف «الزنديق» أيضاً بأنه: الذي يفسر ما ثبت من الدِّين بتفسيرات باطنية فاسدة مخالفة لما فسره به الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ والتابعون وإجماع الأمة[٦].

وقد عرّفه بذلك صديق القنوجي[٧] فقال في معرض بيان الفَرْق بين الزنديق وغيره: «وإن اعترف به ـ أي: الدِّين الحق ـ ظاهراً وباطناً، لكنه يفسر بعض ما ثبت من الدِّين ضرورة بخلاف ما فسره الصحابة والتّابعون وأجمعت عليه الأمة فهو زنديق، كما إذا اعترف بأن القرآن حق، وما فيه من ذكر الجنة والنّار حق لكن المراد بالجنة الابتهاج... والمراد بالنار هي الندامة...»[٨].

وبنحو هذا التعريف عرّفه بعض المعاصرين فقال في بيان معنى الزندقة: «تأويل نصوص القرآن أو الحديث، تأويلاً يخالف المعنى المقصود مخالفة غير

---

(١) النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، لابن دحية، تحقيق: مديحة الشرقاوي ص٣٤، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

(٢) انظر: رسالة في تحقيق: لفظ الزنديق لابن كمال باشا ص٥٥، تحقيق: د. حسين محفوظ ضمن مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد عدد ٥ سنة ١٩٦٢م.

(٣) لسان العرب (١٠/ ١٤٧).

(٤) انظر: ص٢٩.

(٥) المعرب من الكلام الأعجمي ص١٦٧.

(٦) انظر: الروضة الندية شرح الدرر البهية لمحمد صديق خان (٢/ ٢٩٥)، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ.

(٧) محمد صديق خان بن حسن بن علي الحسيني البخاري، القنوجي الهندي، أبو الطيب، من رجال النهضة الإسلامية المجددين، ولد في قنوج سنة ١٢٤٨هـ ونشأ بها، وتعلم في دهلي، وسافر إلى بهوبال وتزوج ملكتها. له نيف وستون مصنفاً بالعربية والفارسية والهندية. توفي سنة ١٣٠٧هـ. انظر: الأعلام (٦/ ١٦٧ ـ ١٦٨)، ومعجم المؤلفين (١٠/ ٩٠).

(٨) الروضة الندية شرح الدرر البهية لصديق حسن (٢/ ٢٩٥).

معقولة، أو تأويلاً منافياً للأصول الاعتقادية»[١].

٥ ـ وعرّف «الزنديق» أيضاً بنفس تعريف المنافق وهو أنه: «من يظهر الإسلام ويبطن الكفر، سواء أبطن ديناً من الأديان كدين اليهود والنصارى أو غيرهم، أو كان معطِّلاً جاحداً للصانع والمعاد، وللنبوة أو لنبوة نبينا ﷺ»[٢].

وهذا التعريف للزنديق هو المنقول عن السلف ـ رحمهم الله ـ فقد نقل القرطبي[٣] وغيره عن الإمام مالك رحمه الله أنه قال: «النفاق على عهد رسول الله ﷺ هو الزندقة فينا اليوم»[٤] وقال الإمام أحمد رحمه الله فيما نقله عنه حنبل[٥]: «الزنادقة الذّين ينتحلون الإسلام وهم على دين غير ذلك»[٦].

وقال ابن المبارك[٧] رحمه الله في المنافقين: «هم الزنادقة لأن النفاق على عهد رسول الله ﷺ هي الزندقة من بعده»[٨].

والزنديق بهذا المعنى هو المشهور عند العلماء، وهو الذي تكلّم عليه الفقهاء من جهة قبول توبته.

---

(١) الوضع في الحديث لعمر فلاته (١/ ٢٢٠)، مكتبة الغزالي ١٤٠١هـ.
(٢) بغية المرتاد السبعينية لابن تيمية ص٣٣٨.
(٣) تقدمت ترجمته، انظر: ص٣٧.
(٤) تفسير القرطبي (١/ ١٩٩)، وانظر: تفسير ابن كثير (١/ ٥٠).
(٥) حنبل بن إسحاق بن حنبل الشيباني، أبو علي، تلميذ الإمام أحمد ابن حنبل وابن عمه، أحد حفّاظ الحديث ورواته، توفي سنة ٢٧٣هـ. انظر: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (١/ ١٤٣ ـ ١٥٤)، وتاريخ بغداد (٨/ ٢٨١)، ومعجم المؤلفين (٤/ ٨٦).
(٦) أخرجه الخلال في أحكام أهل الملل كتاب الردة، باب أحكام الزنادقة ص٤٦٠، تحقيق: سيد كردي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ. وانظر: المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة (٢/ ٦٨)، جمع وتحقيق: عبد الإلٰه بن سلمان الأحمدي، دار طيبة، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ.
(٧) عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، مولاهم، أبو عبد الرحمٰن المروزي، الإمام الحافظ المجاهد، أفنى عمره في الأسفار حجاً وجهاداً. ولد سنة ١١٨هـ، وتوفي رحمه الله وهو منصرف من غزو الروم سنة ١٨١هـ. انظر: البداية والنهاية (١٠/ ١٨٤)، والسير (٨/ ٣٧٨)، وتهذيب التهذيب (٥/ ٣٨٢ ـ ٣٨٣)، والأعلام (٤/ ١١٥).
(٨) أخرجه ابن بطة في الإبانة «كتاب الإيمان»، تحقيق: رضا نعسان (٢/ ٧٠٣)، دار الراية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.

قال ابن العربي[١] رَحِمَهُ اللَّهُ: «الزنديق هو الذي يُسر الكفر ويظهر الإيمان»[٢].

وقال ابن قدامة[٣] رَحِمَهُ اللَّهُ: «الزنديق هو الذي يظهر الإسلام ويستتر بالكفر وهو المنافق، كان يسمى في عصر النبي ﷺ منافقاً ويسمى اليوم زنديقاً»[٤].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فأما الزنديق الذي تكلم الفقهاء في قبول توبته في الظاهر فالمراد به عندهم المنافق الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر»[٥].

وبهذا التعريف قال كثير من المتكلمين كالسعد التفتازاني[٦] والشريف الجرجاني[٧] وغيرهما[٨].

---

(١) محمد بن عبد الله بن محمد الاشبيلي، أبو بكر المالكي، المعروف بابن العربي، الفقيه المتكلم الأشعري، له عدة مصنفات في الفقه وغيره، ولد سنة ٤٦٨هـ، وتوفي سنة ٥٤٣هـ. انظر: الديباج المذهب ص٣٧٦، والبداية والنهاية (١٢/ ٢٤٥)، ووفيات الأعيان (٤/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧)، والسير (٢٠/ ١٩٧).

(٢) أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٢٠)، تعليق محمد بن عبد القادر، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

(٣) عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، أبي محمد موفق الدين الجماعيلي، شيخ الحنابلة، كان زاهداً عابداً، تبحر في فنون كثيرة، وصنف التصانيف المليحة في مذهب الحنابلة وفي خلاف العلماء، وكان حسن المعرفة بالحديث. ولد سنة ٥٤١هـ، وتوفي سنة ٦٢٠هـ. انظر: الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (٤/ ١٠٥ ـ ١١٨)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، والسير (٢٢/ ١٦٥)، والبداية والنهاية (١٣/ ١٠٧ ـ ١٠٩).

(٤) المغني، لابن قدامة (٩/ ١٥٩)، تحقيق: د. عبد الله التركي وعبد الفتّاح الحلو، هجر للطباعة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

(٥) بغية المرتاد ص٣٣٨، وانظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٧/ ٤٧٢).

(٦) مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، الشهير بسعد الدين، عالم متكلم، شارك في فنون عدة وانتهت إليه معرفة علوم البلاغة في زمنه. ولد سنة ٧١٢هـ، وتوفي سنة ٧٩١هـ. انظر: الدرر الكامنة لابن حجر (٥/ ١١٩)، وشذرات الذهب (٦/ ٣١٩ ـ ٣٢٢)، ومعجم المؤلفين (١٢/ ٢٢٨).

(٧) علي بن محمد بن علي الحسيني المعروف بالشريف الجرجاني، فيلسوف متكلم، عالِم بالعربية. ولد سنة ٧٤٠هـ، وتوفي سنة ٨١٦هـ. انظر: مقدمة كتاب التعريفات، مكتبة لبنان ١٩٩٠م، والأعلام (٥/ ٧).

(٨) انظر: شرح المقاصد للتفتازاني (٥/ ٢٢٧)، تحقيق: د. عبد الرحمٰن عميرة، =

يقول التفتازاني في بيان الفرق بين الزنديق وغيره: «وإن كان ـ أي: الكافر ـ مع اعترافه بنبوة النّبي ﷺ وإظهاره شعائر الإسلام يبطن عقائد هي كفر بالاتفاق خُصّ باسم الزنديق»(١).

وهذا التعريف هو الذي ارتضاه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما تقدم ـ وكذلك تلميذه العلامة ابن القيم رحمه الله فقد قال في تعداده لطبقات النّاس: «الطبقة الخامسة عشرة: طبقة الزنادقة: وهم قوم أظهروا الإسلام ومتابعة الرسل وأبطنوا الكفر ومعاداة الله ورسله، وهؤلاء المنافقون»(٢).

فالحاصل أن لفظ «الزنديق» قد صار علماً عند كثير من السلف والفقهاء والمتكلمين على من يظهر الإسلام ويبطن الكفر. أياً كان نوع هذا الكفر وإن كان يصلي ويصوم ويحج ويقرأ القرآن. ولا فرق في ذلك بين من كان في باطنه يهودياً أو نصرانياً أو مشركاً أو مجوسياً أو غير ذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فأما الزنديق الذي تكلم الفقهاء في قبول توبته في الظاهر فالمراد به عندهم المنافق الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر وإن كان مع ذلك يصوم ويحج ويقرأ القرآن، وسواء كان في باطنه يهودياً أو نصرانياً أو مشركاً أو وثنياً، وسواء كان معطّلا للصانع وللنبوة أو للنبوة فقط أو لنبوة نبينا ﷺ فقط، فهذا زنديق وهو منافق، وما في القرآن والسُّنَّة من ذكر المنافقين يتناول مثل هذا بإجماع المسلمين»(٣).

لكن هل يفهم من ذلك أن مراد السلف ـ رحمهم الله ـ بهذا الإطلاق أن يكون لفظ «الزنديق» مرادفاً للفظ المنافق وأن معناهما واحد، الظاهر ـ والله أعلم ـ أن هذا ليس هو مرادهم بهذا الإطلاق وذلك لأمرين:

الأول: أن السلف ـ رحمهم الله ـ لم يكونوا ليعدلوا عن اللفظ الوارد في

= عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، وتحقيق: لفظ الزنديق لابن كمال باشا ص٥٤.

(١) شرح المقاصد (٥/ ٢٢٧).

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم ص٤٠٢، دار الوطن.

(٣) بغية المرتاد لابن تيمية ص٣٣٨.

الكتاب والسُّنَّة، ويستبدلوا به لفظاً آخر محدثاً، ومنهجهم في ذلك واضح لمن تتبعه، وهو الالتزام بألفاظ الكتاب والسُّنَّة وعدم العدول عنها إلى غيرها من الألفاظ المحدثة، بل ذم من يفعل ذلك من أهل الكلام وغيرهم من المبتدعة[١].

الثاني: أنه لو كان هذا هو مراد السلف بلفظ «الزنديق» لما كان في الإمكان معرفة الزنادقة؛ لأن إبطانهم للكفر سرّ ولا يعلم السر إلا الله ﷻ. وإنما معرفتنا محدودة بما يظهرونه لنا وهو الإسلام. وأما ما يبطنون فلا علم لنا به. ولذلك كان النبي ﷺ وأصحابه ﭫ يعاملون الناس حسب ظواهرهم لعدم علمهم بما يكون في الباطن. وإن كان الرسول ﷺ قد أعلمه الله بأسماء بعض المنافقين[٢]، إلا أنه كان يعاملهم حسب ما يظهرونه له، ويكل سرائرهم إلى الله تعالى.

والذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ أن مراد السلف ـ رحمهم الله ـ بهذا الإطلاق أن لفظ «النفاق» لفظ عام يدخل فيه كل من أسر الكفر وأظهر الإسلام سواء كان زنديقاً أو غيره. ويختص لفظ الزنديق بالمنافق إذا ظهر منه ما يدل على إسراره للكفر، كأن يطعن في الإسلام مثلاً أو يمتدح بعض ملل الكفر أو غير ذلك مما تتبين به حاله. سواء كان ذلك شعراً أو نثراً أو كتابة أو غير ذلك.

---

(١) ما ورد من استعمال بعض الأئمة ـ رحمهم الله ـ لبعض العبارات الكلامية المحدثة إنما كان ذلك منهم من باب الاضطرار للرد على الفلاسفة والمتكلمين، كما فعل شيخ الإسلام ابن تيمية ؒ في ردوده عليهم حيث استخدم بعض عباراتهم كلفظ «واجب الوجود» ونحوه. وأما ابتداء فلم يخوضوا في ذلك بل كانوا ملتزمين بألفاظ الكتاب والسُّنَّة محذرين من الألفاظ الكلامية المحدثة. انظر: درء التعارض (٣/ ١٨٤ ـ ١٨٥)، ومجموع الفتاوى (٦/ ٣٦).

(٢) كان النبي ﷺ يَعْرِفُ بعض المنافقين بأسمائهم وقد أخبر حذيفة ﭬ بأسماء بعضهم كالذين هموا بالنبي ﷺ في غزوة تبوك، وقد كانوا أربعة عشر أو خمسة عشر رجلاً، وأما عامة المنافقين فقد كان النبي ﷺ لا يعرفهم بأسمائهم كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ وإن كان النبي ﷺ قد يعرفهم بعلاماتهم وصفاتهم، إلا أن ذلك لا يقتضي أنه اطلع على أسمائهم وأعيانهم كلهم. انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٣٩٨ ـ ٣٩٩).

فالزنديق في أصله منافق إلا أنه لما أظهر بعض ما يدل على إسراره للكفر اكتسب وصفاً آخر وهو «الزنديق» وإن كان ـ مع ذلك ـ باقياً على نفاقه بإبطانه للكفر وإظهاره للإسلام.

ومن تتبع كلام السلف ـ رحمهم الله ـ وإطلاقهم لهذا اللفظ أدرك أن هذا هو مرادهم، سواء في إطلاقهم لهذا اللفظ على بعض الفرق كالباطنية والجهمية وغيرهما، أو على بعض أهل المجون والخلاعة، أو على أفراد من الناس كابن الراوندي[(١)] وغيره من الزنادقة.

ولذلك نجد كثيراً من السلف يجمع بين هذين اللفظين «الزنديق» و«المنافق»، ولو كان مراد السلف ترادف اللفظين في المعنى لما جمعوا بينهما في موضع واحد، ولاستغنوا بإطلاق أحدهما عن الآخر، وقد تقدم بعض ما يدل على ذلك في أكثر من نقل عن السلف ـ رحمهم الله ـ وخاصة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله والذي كرر ذلك في كثير من المواضع، كقوله رحمه الله في كلام له على فرقة السبئية: «أصل المذهب من إحداث الزنادقة المنافقين الذين عاقبهم في حياته عليّ أمير المؤمنين...»[(٢)]، وكقوله رحمه الله عن العبيديين: «اتفق أهل العلم على رميهم بالزندقة والنفاق»[(٣)].

وبهذا يعلم أن السلف ـ رحمهم الله ـ لم يريدوا بهذا الإطلاق أن لفظ «الزنديق» مرادف للفظ «المنافق» وإنما أرادوا أن كل زنديق منافق من غير عكس، فبينهما خصوصٌ وعمومٌ وقد أشار إلى ذلك الحافظ ابن حجر رحمه الله بعد أن ذكر الخلاف في تعريف الزنديق فقال: «وقد قيل إن سبب تفسير

---

(١) أحمد بن يحيى بن إسحاق، أبو الحسين الراوندي، الزنديق، كان على مذهب المعتزلة، فلما أظهر زندقته تبرؤوا منه، صنف كتباً كثيرة في الزندقة والتشكيك في القرآن، ولم يزل على زندقته إلى أن قصمه الله سنة ٢٤٥هـ، كما قال ابن خلكان، وأرخ ابن كثير وفاته سنة ٢٩٨هـ وهو ابن ست وثلاثين سنة. انظر: طبقات المعتزلة ص٥٣، ووفيات الأعيان (١/ ٩٤)، والبداية والنهاية (١١/ ١٢٠).

(٢) منهاج السُّنَّة النبوية لابن تيمية (١/ ١١) بتحقيق: د. محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤/ ٤٧٨).

الفقهاء الزنديق بما يفسر به المنافق، قول الشافعي...: «وأي كفر ارتد إليه مما يظهر أو يسر من الزندقة وغيرها ثم تاب سقط عنه القتل»[١]، وهذا لا يلزم منه اتحاد الزنديق والمنافق بل كل زنديق منافق من غير عكس...»[٢].

وقد ذهب بعض العلماء إلى تخصيص لفظ «المنافق» بمبطن الكفر في زمن الرسول ﷺ والزنديق بمبطن الكفر بعد ذلك الزمن[٣]. لكن هذا لا يتفق مع كلام السلف ـ رحمهم الله ـ لما تقدم فإن مسمى النفاق الوارد في الكتاب والسُّنَّة باق كما كان في زمن النبي ﷺ.

ومما تقدم يتضح مراد السلف ـ رحمهم الله ـ بإطلاق هذا اللفظ، وأنهم إنما أرادوا بذلك المنافق إذا ظهر منه ما يدل على كفره الذي يبطنه بقلبه كالطعن في الشريعة والقدح في القرآن والسُّنَّة ونحو ذلك.

وهذا التعريف هو الراجح المختار، وهو الذي سيكون ميدان الانطلاق في هذا البحث إن شاء الله تعالى.

وأما ما عدا هذا التعريف الذي أخذ به السلف ـ رحمهم الله ـ من الإطلاقات والتعريفات المتقدمة، فلا تخلو من أحد أمرين:

أولاً: أن تكون داخلة في هذا التعريف الذي أخذ به السلف، كإطلاق لفظ الزندقة على بعض الفرق كـ «السبئية» و«الجهمية» و«القرامطة» وكذلك يقال في إطلاقه على «أهل الخلاعة والمجون».

فأما إطلاق وصف «الزندقة» على هذه الفرق فذلك لأن الغالب على اتباع هذه الفرق أنهم منافقين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، وقد فطن السلف لأئمة تلك الفرق وعرفوا حقيقة قولهم، ولذلك ورد تكفيرهم عن

---

(١) مختصر المزني في فروع الشافعية، لإسماعيل المزني ص٣٤١، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

(٢) فتح الباري (١٢/ ٢٧١).

(٣) انظر: مقدمة ديوان بشار لمحمد بن الطاهر بن عاشور (١/ ١٩)، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة ١٣٦٩هـ.

السلف، ووصفهم بالزندقة والنفاق[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن الجهم الذي تنسب إليه الجهمية: «وهكذا كان الجهم يقول أولاً: «إن الله لا كلام له»، ثم احتاج أن يطلق أن له كلاماً لأجل المسلمين فيقول: «هو مجاز»، ولهذا كان الإمام أحمد وغيره من الأئمة ـ رحمهم الله ـ يعلمون مقصودهم، وأن غرضهم التعطيل وأنهم زنادقة و«الزنديق» منافق. ولهذا تجد مصنفات الأئمة يصفونهم فيها بالزندقة كما صنّف الإمام أحمد رحمه الله «الردّ على الزنادقة والجهمية» وكما ترجم البخاري آخر كتاب الصحيح بـ«كتاب التوحيد والردّ على الزنادقة والجهمية»»[(٢)].

وقال رحمه الله في كلام له عن الرافضة: «وأصل الرفض من المنافقين الزنادقة فإن الذي ابتدعه ابن سبأ الزنديق»[(٣)].

وقال رحمه الله في موطن آخر: «أصل المذهب من إحداث الزنادقة المنافقين الذّين عاقبهم في حياته علي أمير المؤمنين رضي الله عنه فحرق منهم طائفة بالنار، وطلب قتل بعضهم ففروا من سيفه البتّار»[(٤)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن العبيديين وأمثالهم من الباطنية: «وهؤلاء بنو عبيد القداح ما زالت علماء الأمة المأمونون علماً وديناً يقدحون في نسبهم ودينهم ولا يذمونهم بالرفض والتشيع، فإن لهم في هذا شركاء ومن جنسهم الخرمية المحمرة[(٥)] وأمثالهم من الكفار المنافقين الذّين يُظهرون

(١) انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤/ ٤٣٥)، ومنهاج السُّنَّة (١/ ١١).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٢/ ٣٥٢)، وانظر: المجموع أيضاً (٣/ ٣٥٣)، وبغية المرتاد ص٣٤١.

(٣) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤/ ٤٣٥).

(٤) منهاج السُّنّة لابن تيمية (١/ ١١).

(٥) الخرمية المحمرة: هم أتباع بابك الخرمي المجوسي الأصل الذي خرج في زمن المأمون وأظهر الزندقة واستباح المحرمات وكثر أتباعه في بلاد أذربيجان، فحاربه المأمون، ثم المعتصم واستمرت فتنته قريباً من عشرين عاماً ثم إن المعتصم ظفر به =

الإسلام ويبطنون الكفر»[١].

وأما إطلاق وصف الزندقة على «أهل الخلاعة والمجون» فهو داخل أيضاً في هذا التعريف، وذلك أن غالب الذين عرفوا بذلك كانوا من أبناء فارس الذين دخلوا في الإسلام خشية القتل فاظهروا الإسلام وأبطنوا عقائدهم الفارسية من مانوية ومزدكية وغيرها.

وقد كانت هذه العقائد التي يخفونها تظهر أحياناً في أشعارهم وكلامهم كقول بشار بن برد منوِّهاً بتقديس النّار:

الأرض مظلمة والنار مشرقة والنّار معبودة مذ كانت النار[٢].

ومما يدل على أنهم كانوا يخفون عقائدهم الفارسية ولا يصرحون بذلك إلا في مجالسهم التي كانت تجمعهم ما ورد من شهادة بعضهم على بعض بالزندقة وانتحال الإسلام أمام العامة، ومن أمثلة ذلك:

ما ذكره حمّاد عجرد عن بشار بن برد مبيناً حقيقة ما كان يعتقده وأنه يظهر للناس خلاف ما يبطن، حيث قال: «ما يغيظني من بشار إلا تجاهله بالزندقة، يوهم الناس أنه يظن أن الزنادقة تعبد رأساً ليظن الجهال أنه لا يعرفها وهو والله أعلم بالزندقة من ماني»[٣].

ومن ذلك ما ذكره أبو نواس[٤] بعد حبسه في سجن الزنادقة حيث قال: «كنت أَتَوهم أن حماد عجرد إنما رمي بالزندقة لمجونه في شِعره، فلما حبست

= مع بعض أتباعه فقتله ثم صلبه وذلك سنة ٢٢٣هـ بسر من رأى. انظر: الفهرست ص٤١٦ ـ ٤١٨، والبداية والنهاية (١٠/ ٢٩٧).

(١) مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٣١)، وانظر: الفتاوى الكبرى (٤/ ٢٣٣).

(٢) الأغاني للأصبهاني (١٤/ ٣٢٠). وانظر: مقدمة ديوان بشار (١/ ٢٤).

(٣) المرجع السابق (١٤/ ٣٢٠).

(٤) الحسن بن هانئ البصري، أبو علي الحكمي مولاهم، المعروف بأبي نواس، شاعر ماجن، متهم في دينه له أشعار إباحية لا تصدر عن مسلم. ولد سنة ١٤٦هـ، وتوفي سنة ١٩٨هـ. انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة ص٥٤٣ ـ ٥٦٤، وتاريخ بغداد (٧/ ٤٤٩ ـ ٤٦٠)، والأعلام (٢/ ٢٢٥).

في حبس الزنادقة فإذا حماد إمام من أئمتهم. . .»[١].

وإن كان وصف «الزنديق» قد أطلق على بعض أصحاب المجون الذين غلب عليهم ذلك من غير إبطان منهم لعقائد كفرية، وهذا قليل وغالباً ما يكون من العامة[٢].

ثانياً: ما كان من تلك الإطلاقات والتعريفات تبعاً لأصل كلمة «الزندقة» وما كانت تطلق عليه قبل الإسلام. وهذا ينطبق على إطلاق لفظ الزندقة على المانوية وغيرها من فرق الثنوية التي هي الأصل في إطلاق لفظ الزندقة. وكذلك يدخل في ذلك إطلاق هذه الكلمة بمعنى «الدهرية» ومن ينكر الخالق ويقول بدوام الدهر أو ينكر الشرائع فإن هذا المفهوم كان موجوداً قبل الإسلام كما تقدم.

وقد زالت تلك المعاني لكلمة «الزندقة» بدخول أبناء فارس وغيرهم في الإسلام إما رغبة فيه، وإما إظهاراً للإسلام خشية القتل مع البقاء على الكفر في الباطن. كما كان بعض الفرس في زمن المهدي ينتحلون المانوية وغيرها في الباطن ولا يستطيعون إظهار ذلك خشية القتل. ولذلك كان المهدي وغيره من خلفاء بني العبّاس يسمونهم «المانوية» ويمتحنونهم في ذلك[٣]، مما يدل على أنهم كانوا يُخفون تلك العقائد، فيكون ذلك موافقاً لتعريف السلف المتقدم وهو إظهار الإسلام وإبطان الكفر، وعلى هذا يدل استعمال ابن النديم لهذا اللفظ، فإنه قال كما تقدم: «ومن رؤسائهم ـ أي: المانوية ـ المتكلمين الذّين يظهرون الإسلام ويبطنون الزندقة»[٤]. وكذلك قول ابن حجر رحمه الله في معرض كلامه على فرق الثنوية من المانوية وغيرها: «وأظهر جماعة منهم الإسلام خشية القتل، ومن ثم أطلق الزنديق على كل من أسر الكفر وأظهر الإسلام»[٥].

---

(١) الأغاني (١٤/٣١٦ ـ ٣١٧).

(٢) انظر: ضحى الإسلام (١/١٥٢).

(٣) انظر: ص٤٧.

(٤) الفهرست ص٤١١.

(٥) فتح الباري (١٢/ ٢٧١).

الفصل الثاني

جذور الزندقة قبل الإسلام

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: جذور فارسية.

المبحث الثاني: جذور هندية.

المبحث الثالث: جذور أخرى.

تمهيد

من خلال ما تقدم في بيان أصل كلمة «الزندقة»[١] يتضح لنا أن الجذور الأولى للزندقة ترجع في أصلها إلى بعض المذاهب الفارسية، وخاصة المانوية والمزدكية والديصانية، فهي أصل تلك الكلمة ومنشؤها قبل ظهور الإسلام.

وقد أثرت تلك المذاهب الفارسية في عقائد الزنادقة وأفكارهم بعد ظهور الإسلام تأثيراً ظاهراً، إضافة إلى تأثير تلك المذاهب في إطلاق لفظ الزندقة على بعض الفرق المنحرفة بعد ظهوره.

فالمذاهب الفارسية إذاً هي الجذور الأولى للزندقة قبل الإسلام سواء من الناحية اللفظية أو العقدية، إلا أن هناك بعض المذاهب والديانات الأخرى تشترك مع المذاهب الفارسية في الجذور العقدية، حيث تعود عقائد الزنادقة في أصلها إلى مزيج من عقائد الأمم والحضارات المختلفة التي كانت موجودة قبل ظهور الإسلام، من الفرس والروم واليونان واليهود وغيرهم.

قال الشهرستاني في بيان بعض عقائد الزنادقة: «الغلاة على أصنافها كلهم متفقون على التناسخ والحلول، ولقد كان التناسخ مقالة لفرقة في كل أمة تلقوها من المجوس المزدكية والهند البرهمية[٢] ومن الفلاسفة...»[٣].

فقد تأثر الزنادقة بعقائد متنوعة ومزجوا فيما بينها، وبنوا على ذلك عقيدتهم المنحرفة كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند ذكره لقوله ﷺ:

---

(١) انظر: الفصل الأول ص٢٨.

(٢) سيأتي التعريف بهذه الفرقة. انظر: ص٨٩.

(٣) الملل والنحل (١/٢٠٥ ـ ٢٠٦).

«**لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة...**»[(١)]، قال: «وهذا بعينه صار في هؤلاء المنتسبين إلى التشيع، فإن هؤلاء الإسماعيلية أخذوا من مذاهب الفرس، وقولهم بالأصلين: النور والظلمة، وغير ذلك أموراً، وأخذوا من مذاهب الروم من النصرانية، وما كانوا عليه قبل النصرانية من مذاهب اليونان،... ومزجوا هذا بهذا...»[(٢)].

وبهذا يتضح أن جذور الزندقة العقدية ليست مقصورة على المذاهب الفارسية، وإنما هي مزيج من العقائد والمذاهب التي كانت موجودة قبل ظهور الإسلام، كما يتضح ذلك إن شاء الله تعالى من خلال مباحث هذا الفصل.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالسُّنَّة، باب قول النبي ﷺ: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم**» (٩/ ١٨٤) ح(٩٠)، ومسلم في كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى (٤/ ١٦٣١) ح(٢٦٦٩) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه..

(٢) منهاج السُّنَّة (٨/ ١٥).

المبحث الأول

جذور فارسية

أولاً: المانوية:

المانوية هي إحدى الديانات الفارسية التي ظهرت في عهد السّاسانيين[١]، وترجع نسبتها إلى مؤسسها الأول، وهو ماني بن فاتك[٢]، وقيل: ماني بن فتّق بابك[٣]، قال أبو الحسين الملطي[٤]: «وإنما سمّوا «مانية» لأن رجلاً كان يقال له ماني زعموا أنّه نبيهم، وكان في زمن الأكاسرة»[٥].

وقد وُلد ماني سنة (٢١٥ أو ٢١٦م) في قرية من قرى بلاد بابل[٦] في

(١) الساسانيون هم ملوك فارس، ونسبتهم إلى أحد ملوكهم المتقدمين وهو: أردشير بن بابك بن ساسان، وهو أول من ملك من الملوك الساسانية، وآخر من ملك منهم يزدجرد بن شهريار الذي قتل ببلاد خراسان بعد أن فتحها المسلمون في خلافة عثمان رضي الله عنه، وجميع من ملك من آل ساسان من أردشير إلى يزدجرد ثلاثون ملكاً من الرجال والنساء. انظر: مروج الذهب (١/ ٢٥١، ٢٩٢).

(٢) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٩٠)، وسرح العيون شرح رسالة ابن زيدون لابن نباتة ص٢٨٦ تحقيق: محمد أبو الفضل، المكتبة العصرية، صيدا ١٤٠٦هـ.

(٣) انظر: الفهرست لابن النديم ص٣٩٨.

(٤) محمد بن أحمد بن عبد الرحمٰن الملطي العسقلاني، أبو الحسين الشافعي، عالم بالقراءات، مشارك في العلوم الأخرى، له تصانيف في الفقه والرد على أهل البدع، توفي سنة ٣٧٧هـ بعسقلان، انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٢/ ٥٨)، والأعلام (٥/ ٣١١)، ومعجم المؤلفين (٨/ ٢٧٥).

(٥) التنبيه والردّ للمطلي ص١٠٧، تحقيق: يمان المياديني، رمادي، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

(٦) بابل: بكسر الباء: اسم ناحية ببلاد العراق قريباً من الكوفة، ينسب إليها السحر. قيل: إن أول من سكنها نوح عليه السلام بعد الطوفان، وقيل غير ذلك. يقال: إنها سبع مدن، وفيها كثير من العجائب. انظر: معجم البلدان (١/ ٦٧ ـ ٣٦٩).

العراق، وظهر ماني بدعوته في زمان «سابور بن أردشير[(١)]»[(٢)].

وكان ماني في الأصل مجوسياً عارفاً بمذاهب قومه، وكان قومه يدينون بالديانة الزرادشتية ويعتقدون نبوة زرادشت[(٣)]، ويعظِّمون ما جاءهم به من تعاليم. فلمّا خرج ماني وأحدث ديناً جديداً اتبعه كثير منهم، ودانوا بديانته، وتركوا ما كانوا عليه من الديانة الزرادشتية[(٤)].

وكان ماني يقول بنبوة المسيح عليه السلام ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام[(٥)]. وقد زعم ماني أنّه الفار قليط[(٦)]، الذي بشّر به عيسى عليه السلام[(٧)].

وكان ماني يعتقد بالمبدأ الثنوي: وهو القول بأن للعالم إلٰهين اثنين هما إلٰه الخير والنّور، ويصدر منه كل ما هو جميل ونافع، وإله الشّر والظلام وينشأ عنه كل ضارّ وقبيح، وكان يدعو أصحابه إلى اعتقاد هذا المبدأ الثنوي[(٨)].

قال الشهرستاني: «حكى محمد بن هارون المعروف بأبي عيسى الورّاق[(٩)]: وكان في الأصل مجوسياً عارفاً بمذاهب القوم، أنّ الحكيم ماني

---

(١) تقدمت ترجمته. انظر: ص٣٣.
(٢) انظر: تاريخ الطبري (١/ ٣٩٦)، والملل والنحل (١/ ٢٩٠).
(٣) انظر: الملل والنحل (١/ ٢٩٠). (٤) انظر: سرح العيون ص٢٨٦.
(٥) انظر: الملل والنحل (١/ ٢٩٠).
(٦) الفار قليط: كلمة يونانية معرّبة، قيل: إن أصلها «باراكلي طوس» ومعناه المعين والوكيل والمعزِّي، وقيل: إن أصلها «بيركلوطوس» فيكون معناها قريباً من معنى محمد وأحمد، والنصارى ينكرون المعنى الثاني ليبعدوا بشارة عيسى عليه السلام بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم. انظر: إظهار الحق لرحمة الله الهندي (٤/ ١١٨٧ ـ ١١٨٨)، تحقيق: د. محمد أحمد ملكاوي، رئاسة الإفتاء بالمملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
(٧) انظر: الفهرست ص٣٩٩.
(٨) انظر: التنبيه والردّ للملطي ص١٠٦ ـ ١٠٧، وسرح العيون ص٢٨٦ ـ ٢٨٧، والحور العين لنشوان الحميري ص١٤٠، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي بمصر.
(٩) محمد بن هارون الورّاق أبو عيسى، كان من نظار المعتزلة، وله تصانيف على مذهبهم، وقد كان يرمى بالزندقة، وعنه أخذ ابن الراوندي الزنديق، توفي ببغداد سنة ٢٤٧هـ. انظر: لسان الميزان (٥/ ٤١٢)، والأعلام (٧/ ١٢٨).

زعم أن العالَم مصنوع مركب من أصلين قديمين؛ أحدهما نور، والآخر ظلمة، وأنهما أزليان لم يزالا، ولن يزالا، وأنكر وجود شيء إلا من أصل قديم، وزعم أنهما لم يزالا قويين حساسين، دراكين[(١)] سميعين بصيرين، وهما مع ذلك في النّفس والصورة والفعل والتدبير متضادّان، وفي الحيز متحاذيان تحاذي الشخص والظِّل»[(٢)].

وكان ماني يقول بتناسخ الأرواح، ويفرِّق في ذلك بين أرواح الصِّديقين وأرواح أهل الضلالة؛ فيقول: «إنّ الأرواح التي تفارق الأجسام نوعان: أرواح الصِّديقين، وأرواح أهل الضلالة، فأرواح الصِّديقين إذا فارقت أجسادها سرت في عمود الصبح إلى النّور الذي فوق الفلك، فبقيت في ذلك العالم على السرور الدائم، وأرواح أهل الضلالة إذا فارقت الأجساد، وأرادت اللحوق بالنّور الأعلى ردّت منعكسة إلى السفل، فتتناسخ في أجسام الحيوانات إلى أن تصفو من شوائب الظلمة ثم تلتحق بالنّور العالي»[(٣)].

فالمانوية يرون أن أرواح الصِّديقين الطيِّبين تصعد في العلو إلى النّور فتبقى في سرور دائم، وأمّا أرواح أهل الضّلالة فعلى الضِّد من ذلك، إذ إنّها ترد إلى السفل فتتناسخ في أجسام الحيوانات، ثم ترد بعد ذلك إلى النّور حيث تكون قد صفت من شوائب الظلمة.

وأمّا اعتقاده في الأنبياء فكان يرى «أنّ أوّل من بعث الله تعالى بالعلم والحكمة: آدم أبو البشر، ثم بعث شيئاً[(٤)] بعده، ثم نوحاً بعده، ثم إبراهيم عليه السلام بعده، ثم بعث بالبددة[(٥)] إلى أرض الهند، وزرادشت إلى أرض

---

(١) هكذا في الأصل والصحيح «مدركين». (٢) الملل والنحل (١/ ٢٩٠).

(٣) الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي ص٢٧١، وانظر: التبصير في الدّين للإسفراييني ص١١٤، المكتبة الأزهرية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

(٤) هكذا في الملل والنحل، ولعلها تحرفت عن «شيثا» وهو شيث بن آدم. وانظر: مروج الذهب (١/ ٣٣).

(٥) البددة: جمع بدّ، وقد اختلف الهنود في المراد به فزعمت طائفة أنه صورة الباري تعالى، وقالت طائفة: صورة رسوله إليهم، وقيل: إن لكل ملّة منهم صورة يرجعون إلى عبادتها ويعظمونها، انظر: الفهرست ص٤٢٣.

فارس، والمسيح كلمة الله وروحه إلى أرض الروم والمغرب، وبولس بعد المسيح إليهم، ثم يأتي خاتم النبيّين إلى أرض العرب»[١].

فماني يقول بنبوة بعض الأنبياء الذين ثبتت نبوتهم كنوح وإبراهيم وعيسى عليهم الصلاة والسلام، كما يقول ماني بنبوة بعض من لم تثبت نبوته كزرادشت والبددة، بل يَدَّعي ماني النبوة لنفسه وصدّقه في ذلك أتباعه المانوية[٢].

وفي المقابل أنكر نبوة بعض الأنبياء الذّين ثبتت نبوتهم كموسى وغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسّلام[٣].

وقد كان لماني عدّة كتب ورسائل دوّن فيها آراءه وما كان يدعو إليه من العقائد، فقد ذكر ابن النّديم أنّ لماني سبعة كتب ضمّنها أقواله وآراءه، وهذه الكتب التي ألَّفها ماني؛ منها: ما هو بلغة الفرس ومنها ما هو بلغة سوريا، فمن ذلك:

١ ـ كتاب سفر الأبرار.

٢ ـ كتاب سفر الجبابرة.

٣ ـ كتاب فرائض السماعين.

٤ ـ كتاب سفر الأحياء.

٥ ـ كتاب فرائض المجتبين[٤].

يقول ابن النّديم في بيان أسماء هذه الكتب وما تحتوي عليه من أبواب: «لماني سبعة كتب، أحدها فارسي، وستّة سوري بلغة سوريا وذلك: كتاب سفر الأبرار، ويحتوي على أبواب: باب ذكر الديصانيين. . . باب ابن الأرملة وهو عند ماني المسيح المصلوب الذي صلبه اليهود[٥]، باب شهادة عيسى

(١) الملل والنحل (١/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤).

(٢) انظر: الفهرست ص٣٩٩، وسرح العيون ص٢٨٦.

(٣) انظر: الملل والنحل (١/ ٢٩٠). (٤) انظر: الفهرست ص٣٩٩.

(٥) هذه هي عقيدة النصارى في عيسى يعتقدون أنه صلب وقتل، والحق أنّه لم يصلب =

على نفسه... باب حفظ العالم، باب الأيام الثلاثة، باب الأنبياء، باب القيامة. فهذا ما يحتوي عليه سفر الأبرار. كتاب سفر الجبابرة ويحتوي... كتاب فرائض السماعين...»[١].

وأما رسائل ماني فكثيرة جداً. وقد ذكر ابن النّديم ما يزيد على سبعين رسالة، إلّا أن تلك الرسائل ليست خاصة بماني وحده بل يشترك في ذلك من جاء بعده من علماء المانوية الذين تابعوه على مذهبه، ومن تلك الرسائل:

١ ـ رسالة الأصلين.

٢ ـ رسالة الكبراء.

٣ ـ رسالة قضاء العدل.

٤ ـ رسالة الكلمات العشر.

٥ ـ رسالة الهدى الصغيرة.

٦ ـ رسالة بابل الكبيرة.

٧ ـ رسالة المعلم في الوصالات[٢].

وأمّا شريعة ماني التي ألزم بها أتباعه فقد «فرض ماني على أصحابه العُشر في الأموال كلِّها، والصلوات الأربع في اليوم والليلة، والدعاء إلى الحقّ، وترك الكذب والقتل والسرقة والزنى والبخل والسحر وعبادة الأوثان وأن يأتي على ذي روح ما يكره أن يؤتى إليه بمثله»[٣].

وقد كان يحث أتباعه على ترك الشهوات والزهد في الدنيا، وعدم أكل اللحم وينهى عن شرب الخمر، وكان يأمر بترك النِّكاح ليتعجل فراغ العالم

= ولم يقتل، بل رُفع إلى السّماء، كما قال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ وقال: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾، وانظر: في الرد على النصارى: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية، (٢/١٠٨ ـ ١١٧)، تحقيق: د. عبد العزيز العسكر وآخرين، دار العاصمة، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ، وهداية الحيارى في الرد على اليهود والنصارى لابن القيم ص٩٦، ١٩١، مكتبة الحياة، بيروت.

(١) الفهرست ص٣٩٩.

(٢) انظر: المرجع السابق ص٤٠٠.

(٣) الملل والنحل (١/٢٩٣) والفهرست ص٣٩٦.

بقطع النسل، وكان يقول: «ينبغي للذي يريد أن يدخل في الدّين أن يمتحن نفسه، فإن رآها تقدر على قمع الشهوة والحرص وترك اللحمان وشرب الخمر والتناكح وترك أذية الماء والنّار والشّجر والنبات، فليدخل في الدّين، وإن لم يقدر على ذلك كله، فلا يدخل في الدّين»[١].

ولمّا خرج ماني بهذه العقائد والتّعاليم الجديدة ببلاد الفرس، اعتبره الزرادشتيون هو وأتباعه زنادقة، وذلك لأن الزرادشتيين كانوا يعظمون كتاب زرادشت وهو البستاه، ويعتقدون أن ذلك الكتاب أُنزل عليه من السماء، وأنه زرادشت نبيّ كغيره من الأنبياء الذّين نزلت عليهم الكتب. وقد كان ماني قد عدل عن هذا الكتاب «البستاه» إلى كتاب «الزند» الذي هو تأويل لكتاب «البستاه». وكان من أورد في شريعتهم شيئاً بخلاف المنزل الذي هو «البستاه»، وعدل إلى التأويل والتفسير الذي هو الزند، رموه بالزندقة لقوله بالتأويل وعدوله عن الأصل[٢].

ثم إن ماني لم يَكْتَفِ بالأخذ بكتاب «الزند» وترك الكتاب الأول الذي هو «البستاه»، بل أحدث شريعة جديدة ادعى فيها أنه نبيّ، وأن عيسى عليه السلام بشّر به، وأنه أنزل عليه كتاب كغيره من الأنبياء[٣].

وقد استمرّ إطلاق لقب «الزنادقة» على ماني وأتباعه في زمن ماني وبعد ذلك حتى ظهور الإسلام، كما دلّ على ذلك كلام الخليفة المهدي في وصيته لابنه بتتبّع الزنادقة، كما تقدم ذلك في الفصل الأول[٤].

وقد انتشرت المانوية بين المجوس في زمن ماني وكثر أتباعه وذاع صيته[٥] ـ على الرغم من محاربة الزرادشتيين له ومطاردتهم لأتباعه ـ بل ازداد انتشار المانوية بعد مقتل «ماني» حتى دخل في هذه الديانة بعض النصارى

---

(١) الفهرست ص٣٩٦. (٢) انظر: مروج الذّهب (١/ ٢٥٩).
(٣) انظر: الفهرست ص٣٩٩، وسرح العيون ص٢٨٦.
(٤) انظر: ص٤٧.
(٥) انظر: سرح العيون ص٢٨٨، وانظر: الفهرست ص٤٠٠.

ببلاد مصر وغيرها، ودان بها كثير من بطارقة[١] النصارى ورهبانهم[٢]، وفي ذلك يقول المسعودي مبيّناً مدى انتشار المانوية والثنوية بين النصارى، وكيف تفشت هذه الديانة بين بطارقتهم ورهبانهم مما جعل بطريق الإسكندرية يمتحنهم في ذلك بإطلاق أكل اللحم، ليعرف من كان منهم على مذهب الثنوية: «وأطلق طيماوس بطريق الإسكندرية... للبطارقة والأساقفة[٣] والرهبان ببلاد مصر والإسكندرية أكل اللحم لأجل الثنوية ليعرف من كان منهم ثنوي المذهب إذ كانت الثنوية تمتنع من ذلك، فأمّا البطارقة والأساقفة والرهبان بغير مصر والإسكندرية كرومية[٤] وأنطاكية[٥] وغيرهما من البلاد فإنهم امتنعوا من أكل اللحم، وأكلوا بدلاً عنه السمك محنة لهم، إذ كانت الثنوية لا تأكل اللحم ولا السمك إلّا السماعين منهم فإن منهم من يأكل اللحم، ومنهم من يأكل السمك دون اللحم»[٦].

---

(١) البطارقة: جمع بطريق، وهو الحاذق بالحرب وأمورها بلغة الروم، وهو ذو منصب وتقدم عندهم. انظر: المعرب من الكلام الأعجمي ص٧٦، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (١/ ١٣٥).

(٢) الرهبان: جمع راهب، وهو المتعبِّد في الصومعة من النصارى، وليس عند النصارى عمل أفضل من الترّهب. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٢٨١)، ولسان العرب (١/ ٤٣٧ ـ ٤٣٨).

(٣) الأساقفة: جمع أسقف، وهو رئيس النصارى في الدّين، أعجمي تكلمت به العرب. انظر: المعرب من الكلام الأعجمي ص٣٥، ولسان العرب (٩/ ١٥٦).

(٤) رومية: بتخفيف الياء المثناة، مدينة رياسة الروم وعلمهم. قيل: سمي الروم روماً لإضافتهم إليها، واسمها رومانس بالرومية، وهي شمالي غربي القسطنطينية، بينهما مسيرة خمسين يوماً أو أكثر. انظر: معجم البلدان (٣/ ١١٣ ـ ١١٧).

(٥) أنطاكية: بالفتح ثم السكون والياء مخففة، مدينة ببلاد الشام بينها وبين حلب يوم وليلة. بها كانت مملكة الروم، وتعد من أعيان المدن وأمهاتها، موصوفة بالنزاهة والطيب والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه. حاصرها أبو عبيدة رضي الله عنه حتى صالح أهلها على الجزية ثم نقضوا العهد فوجّه إليهم عمرو بن العاص رضي الله عنه ففتحها مرة ثانية. انظر: معجم البلدان (١/ ٣١٦ ـ ٣٢٠).

(٦) التنبيه والإشراف للمسعودي ص١٤٧، مطبعة بريل ١٨٩٣م، بدون طبعة.

وأمّا نهاية ماني فقد كانت على يد أحد ملوك الفرس وهو بهرام بن هرمز[١]، وذلك أنّ ماني استمرّ يدعو النّاس إلى هذا الدّين الجديد الذي جاء به إلى أن ملك بهرام بن هرمز، فدعاه ماني إلى الدّخول في دينه، وكان هذا الملك على دين زرادشت ـ دين آبائه ـ فأظهر بهرام الدّخول في مذهبه واحتال عليه حتى ظفر به فقتله[٢].

يقول الطبري رحمه الله: «كان بهرام بن هرمز ـ فيما ذكر ـ رجلاً ذا حلم وتؤدة، فاستبشر النّاس بولايته، وأحسن السيرة فيهم، واتبع في ملكه في سياسة الناس آثار آبائه، وكان ماني «الزنديق» يدعوه إلى دينه، فاستبرأ ما عنده فوجده داعية للشيطان، فأمر بقتله وسلخ جلده وحشوه تبناً وتعليقه على باب من أبواب «جندي سابور»[٣] يدعى باب الماني، وقتل أصحابه ومن دخل في ملّته»[٤].

وقيل: إن سبب قتل بهرام بن هرمز لماني، هو ما ذهب إليه ماني من الأمر بترك التناكح حتى ينقطع النسل ويتخلّص العالم من الشّر، فلذلك عاجله بهرام بالقتل، بعد أن ناظره أحد «الموابذة»[٥] بحضرة الملك بهرام في مسألة قطع النسل فانقطع ماني، فأمر بهرام بقتله وصلبه، ثم تتبّع أصحابه ومن كان على ملّته بالقتل والتشريد. وقد أشار إلى ذلك ابن حزم[٦] في معرض كلامه

---

(١) بهرام بن هرمز بن سابور، أحد ملوك الفرس الساسانيين، كانت مدة ملكه ثلاث سنين، وكانت له حروب مع ملوك الشرق، احتال على ماني الزنديق حتى قتله مع من ظفر به من أصحابه. انظر: تاريخ الطبري (١/ ٣٩٧ ـ ٣٩٨)، ومروج الذهب (١/ ٢٥٩).

(٢) انظر: تاريخ الطبري (١/ ٣٩٨)، ومروج الذهب (١/ ٢٥٩).

(٣) جندي سابور هكذا في تاريخ الطبري، وفي معجم البلدان جُنديسابور: بضم الجيم وسكون النون وفتح الدال، وياء ساكنة وسين مهملة وألف، وباء موحدة مضمومة: مدينة بخوزستان بناها سابور بن أردشير فنُسبت إليه. انظر: معجم البلدان (٢/ ١٩٨ ـ ١٩٩).

(٤) تاريخ الطبري (١/ ٣٩٨).

(٥) الموابذة: جمع موبذان، وهو فقيه الفرس وحاكم المجوس كالقاضي عند المسلمين، وقيل الموبذ: هو الكاهن عند الفرس، وموبذ الموبذان هو كبير القضاة كاهن الكهنة. انظر: الملل والنحل (١/ ٢٩٥)، وسرح العيون ص٢٨٩.

(٦) علي بن أحمد بن حزم أبو محمد الأندلسي الظاهري، الإمام الحافظ، اشتغل بعلوم =

عن ماني بقوله: «وهو ـ أي: ماني ـ الذي قتله بهرام بن بهرام[١]، إذ ناظره بحضرته موبذ موبذان في مسألة قطع النسل وتعجيل فراغ العالم، فقال له الموبذ: أنت الذي تقول بتحريم النكاح ليستعجل فناء العالم، ورجوع كل شكل إلى شكله، وإن ذلك حقّ واجب. فقال له ماني: واجب أن يعان النّور على خلاصه بقطع النسل مما هو فيه من الامتزاج، فقال له الموبذ: فمن الحقّ الواجب أن يعجل لك هذا الخلاص الذي تدعو إليه، وتعان على إبطال هذا الامتزاج المذموم، فانقطع ماني، فأمر بهرام بقتل ماني، فقتل هو وجماعة من أصحابه»[٢].

ولمّا قتل ماني وأخذ الملك بهرام يتتبّع أصحابه فيقتلهم في أي موضع وجدهم، هرب جماعة من المانوية إلى بلاد ما وراء النهر، ونزلوا هنالك، وبقوا على ديانتهم، وكان يعقد لرئيسهم في بابل ثم يمضي الرّئيس حيث يأمن من البلاد[٣].

وقد بقي منهم بقية بعد ظهور الإسلام يتسترون بإظهار الإسلام تتبعهم الخليفة المهدي وقتل منهم الكثير كما سيأتي[٤]، ولم يزل لهم بقية يتنقلون بين البلدان حتى زمن ابن النديم[٥]، فقد ذكر أنه كان يعرف منهم جماعة ثم قلّوا شيئاً فشيئاً، وفي ذلك يقول ابن النديم في معرض كلامه عن المانوية: «قد

= كثيرة وبرز فيها وأكثر من التصنيف وفاق أهل زمانه. وكان من أشد الناس في الأخذ بالظاهر في الفروع، وقد ناقض ذلك في الأصول فنسب إلى التجهم. ولد بقرطبة سنة ٣٨٤هـ، وتوفي سنة ٤٥٦هـ وقد جاوز التسعين. انظر: البداية والنهاية (١٢/ ٩٨)، والسير (١٨/ ١٨٤)، والأعلام (٤/ ٢٥٤).

(١) هكذا في الأصل «بهرام بن بهرام»، ولعلّ الصّواب «بهرام بن هرمز» والد بهرام بن بهرام، كما ذكر الطبري والمسعودي. انظر: تاريخ الطبري (٢/ ٥٣).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (١/ ٣٧ ـ ٣٨) بتصرف يسير، مكتبة السلام العالمية، وانظر: سرح العيون ص٢٨٨ ـ ٢٨٩.

(٣) انظر: الفهرست ص٤١٠.

(٤) انظر: ص٦٥٧ وما بعدها.

(٥) انظر: الفهرست لابن النديم ص٤٠٠ ـ ٤٠١.

قلّوا في المواضع الإسلامية، وأمّا مدينة السّلام[١]، فكنت أعرف منهم في أيّام معز الدولة[٢] نحو ثلاثمائة، وأمّا في وقتنا هذا فليس بالحضرة منهم خمسة أنفس»[٣].

ثانياً: المزدكية:

المزدكية نسبة إلى «مزدك بن ماردا»[٤] وقيل «مزدق بن يامداد»[٥]، مؤسس هذه الديانة الفارسية، وقد ظهر مزدك في أيام الملك قباذ بن فيروز[٦]، في أواخر القرن الخامس الميلادي حوالي سنة (٤٨٧م).

وقد كان مزدك من أهل نيسابور[٧] وهو فارسي الأصل[٨].

---

(١) مدينة السّلام هي مدينة بغداد، وإنما سميت بذلك لأنها تقع على نهر دجلة الذي يقال له وادي السلام كانت في زمن الفرس قرية بها سوق مشهورة. افتتحها المثنى بعد فتحه للحيرة، ولما ملك أبو جعفر المنصور العباسي مصّرها وعمرها وأنفق في عمارتها أموالاً كثيرة، ولما تمت عمارتها سنة ١٤٩هـ نزلها وقد اتخذها بنو العباس عاصمة لهم بعد ذلك. انظر: معجم البلدان (١/ ٥٤١ ـ ٥٥٢).

(٢) أحمد بن الحسن بن بويه الديلمي، أول من حكم بغداد من البويهيين، لقبه الخليفة المستكفى بـ«معز الدولة» لما دخل بغداد وكتب اسمه على الدراهم، وقوي أمره حتى كان هو وإخوته يتصرفون في أمور الدولة ويتحكمون في الخليفة العباس، وقد أظهر الرفض وتقوى بملكه الرافضة، وقد كانت مدة ولايته إحدى وعشرين سنة، توفي سنة ٣٥٦هـ. انظر: البداية والنهاية (١١/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠).

(٣) الفهرست لابن النديم ص٤٠١.

(٤) انظر: الملل والنحل (١/ ٢٩٤)، والتنبيه والرد للملطي ص١٠٧، وتاريخ ابن خلدون (٢/ ٢٠٨).

(٥) انظر: تاريخ الطبري (١/ ٤٢٢)، والتنبيه والإشراف للمسعودي ص١٠١.

(٦) قباذ بن فيروز بن يزد جرد أحد ملوك الفرس الساسانيين. وكانت مدة ملكه ثلاثاً وأربعين سنة، عزله الفرس لمتابعته لمزدك الزنديق وقد كان قباذ يظهر الخير ويكره الدماء. انظر: تاريخ الطبري (١/ ٤٢٠)، والمنتظم (٢/ ١٠٦)، ومروج الذهب (١/ ٢٧٣).

(٧) نيسابور: بفتح أوله، مدينة عظيمة بالقرب من الري، افتتحها المسلمون في أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقيل قبل ذلك، وهي كثيرة الخيرات والفواكه. وقد خرج منها من أئمة العلم من لا يحصى. انظر: معجم البلدان (٥/ ٣٨٢ ـ ٣٨٣).

(٨) انظر: الملل والنحل (١/ ٢٩٤)، ومروج الذهب (١/ ٢٧٣)، والحور العين ص١٤٢، =

وقد قال مزدك بقول: «ماني» في مسألة النّور والظلمة، إلّا أن مزدك ذهب إلى أن النّور يفعل بالقصد والاختيار، بخلاف الظلمة فإنها على الخبط والاتفاق. يقول الشهرستاني: «حكى الوراق أن قول المزدكية كقول كثير من المانوية في الكونين والأصلين، إلّا أن مزدك كان يقول: إن النّور يفعل بالقصد والاختيار، والظلمة تفعل على الخبط والاتفاق، والنّور عالم حساس، والظلام جاهل أعمى، وأن المزاج كان على الاتفاق والخبط لا بالقصد والاختيار، وكذلك الخلاص إنّما يقع بالاتفاق دون الاختيار»(١).

فمزدك ثنوي يقول بالأصلين القديمين، إلّا أنّه يفضّل النّور على الظلمة، فيجعل النّور عالماً حساساً وأما الظلمة فيجعلها جهلاً وعمى(٢).

وأمّا ماني فقد جعل النّور والظلمة سواء، في الإدراك والإحساس والسّمع والبصر، وإن كان مزدك يتّفق مع ماني في كون النّور والظلمة أزليين قديمين(٣).

ويرى مزدك أن الأصول والأركان التي حدث عنها مدبر الخير ومدبر الشر ثلاثة، وهي الماء والأرض والنّار.

يقول الشهرستاني في معرض حديثه عن مزدك: «ومذهبه في الأصول والأركان أنها ثلاثة: الماء والأرض والنّار، ولمّا اختلطت حدث عنها مدبر الخير، ومدبر الشّر، فما كان من صفوها فهو مدبر الخير، وما كان من كدرها فهو مدبر الشّر»(٤).

وكان مزدك يدعو أتباعه إلى الإباحية المطلقة، والاشتراك في الأموال والنساء، وأنه لا يجوز لأحد أن يستأثر من ذلك بشيء، بل إن تلك الأموال والنساء ملك للجميع يشتركون فيها كما يشتركون في الطرقات.

= وفجر الإسلام لأحمد أمين ص١٠٩ ـ ١١٠، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة السادسة عشر.

(١) الملل والنحل (١/ ٢٩٥).

(٢) انظر: المرجع السابق (١/ ٢٩٥).

(٣) انظر: ص٧١.

(٤) الملل والنحل (١/ ٢٩٥).

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كلام له عن المزدكية: «وهؤلاء ـ أي: المزدكية ـ يرون الاشتراك في النساء والمكاسب كما يشترك في الهواء والطرق وغيرها»[(١)].

وسبب إباحة مزدك للأموال والنساء وإشاعتها بين الناس، أنه رأى أن الأموال والنساء هي سبب للمباغضة والقتال، وقد كان ينهى أتباعه عن ذلك فأباح لهم ما يعتقده سبباً للعداوة والبغضاء.

يقول الشهرستاني في بيان ذلك: «وكان مزدك ينهى الناس عن المخالفة والمباغضة والقتال، ولمّا كان أكثر ذلك إنما يقع بسبب النساء والأموال، أحل النساء وأباح الأموال، وجعل الناس شركة فيهما كاشتراكهم في الماء والنار والكلأ»[(٢)].

وقيل: إن سبب قول مزدك بإباحة النساء والأموال، أنه رأى أن النّاس جميعاً ورثوا أباهم آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وقد كان آدم يتلذذ بما في هذه الأرض من الملذات من طعام وشراب ونكاح، فلما مات ورثته ذريته بالسوية، فليس لأحد أن يستأثر بشيء من ذلك دون غيره من بني آدم.

يقول الملطي رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان ذلك: «زعموا ـ أي: المزدكية ـ أن الدنيا خلقها الله خلقاً واحداً، وخلق لها خلقاً واحداً، وهو آدم، جعلها له يأكل من طعامها ويشرب من شرابها، ويتلذذ بلذائذها، وينكح نساءها فلمّا مات جعلها ميراثاً بين ولده بالسوية، ليس لأحد فضل في مال ولا أهل، فمن قدر على ما في أيدي النّاس وتناول نساءهم بسرقة أو خيانة أو مكر أو خلابة[(٣)]، أو بمعنى من المعاني فهو له مباح سائغ، وفضول ما في أيدي ذوي الفضل محرم عليهم، حتى يصيروا بالسوية بين العباد سواء»[(٤)].

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم (٢/ ٢٤٧) بتحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، وانظر: تاريخ ابن خلدون (٢/ ٢٠٨).

(٢) الملل والنحل (١/ ٢٤٧). وانظر: الحور العين ص١٤٢.

(٣) الخلابة هي الخداع بالقول اللطيف. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٥٨).

(٤) التنبه والرد للملطي ص١٠٧.

ولما كانت دعوة مزدك دعوة إباحية اشتراكية تبعه على ذلك خَلقٌ كثير غالبهم من الفقراء وسفلة النّاس نظراً لظروفهم الاجتماعية التي كانوا يعانون منها.

واستغل هذه الدعوة سفلة النّاس ورعاعهم، حتى ابتلي النّاس بهم فكانوا يدخلون على الرجل في داره فيغلبونه على منزله ونسائه وأمواله.

وقد ساعد على انتشار دعوة مزدك الإباحية وتطبيقها بين النّاس إجابة ملك الفرس قباذ ابن فيروز[١] لهذه الدعوة ورغبته في الدخول فيها، مما جعله يدافع عن هذه الدعوة الجديدة وينشر تعاليمها بين النّاس، حتى فشت تلك الديانة بتعاليمها الإباحية في صفوف الفرس، مما أدى إلى عموم الفوضى وانتشار الفساد بين الناس[٢].

وقد صوّر الطبري قول مزدك وأصحابه بقوله: «قالوا إن الله إنّما جعل الأرزاق في الأرض ليقسمها العباد بينهم بالتآسي، ولكن النّاس تظالموا فيها وزعموا أنّهم يأخذون للفقراء من الأغنياء، ويردون من المكثرين على المقلّين، وأنّ من كان عنده فضل من الأموال والنّساء والأمتعة فليس هو بأولى به من غيره. فافترض السفلة ذلك واغتنموه وكاتفوا مزدك وأصحابه وتابعوهم فابتُلي النّاس بهم، وقوي أمرهم حتى كانوا يدخلون على الرجل في داره، فيغلبونه على منزله ونسائه وأمواله... ولم يلبثوا إلا قليلاً حتّى صاروا لا يعرف الرجل منهم ولده ولا المولود أباه، ولا يملك الرجل شيئاً مما يتّسع به...»[٣].

وقد بالغ مزدك في دعوته للاشتراكية، حتى وصل الأمر به إلى أن طلب من الملك «قباذ» أن يمكنه من نسائه، وقد دخل مزدك يوماً على الملك فقال للملك: «قد أثمت فيما عملت فيما مضى وليس يطهّرك من هذا إلّا إباحة

---

(١) تقدمت ترجمته. انظر: ص٧٩.

(٢) انظر: تاريخ الطبري (٤١٩/١)، والفهرست ص٤١٦.

(٣) تاريخ الطبري (٤١٩/١)، وانظر: المنتظم (١٠٧/١).

نسائك...»[(١)] بل إن مزدك قد همّ بالاختلاء بزوجة «قباذ» أم «أنو شروان»[(٢)] «فدخل على «قباذ» يوماً و«أم أنو شروان» بين يديه، فلمّا رآها قال لقباذ: ادفعها إليّ لأقضي حاجتي منها، فقال: دونكها، فوثب أنو شروان، فجعل يسأله ويتوسل إليه أن يهب له أمه إلى أن قبّل رجله فتركها، فبقي ذلك في نفس أنو شروان»[(٣)].

ولما كانت هذه الدعوة التي جاء بها مزدك بعيدة كل البعد عن شريعة زرادشت وشبيهة في بعض تعاليمها بدعوة «ماني» الزنديق، فقد اعتبر الزرادشتيون مزدك وأتباعه زنادقة خارجين عن شريعة «زرادشت»[(٤)]، كما اعتبروا قبل ذلك ماني وأتباعه «زنادقة» حينما عدل إلى الزند وترك كتاب زرادشت الأول وهو «البستاه».

وقد استمر مزدك يدعو إلى مذهبه الإباحي تحت رعاية الملك قباذ الذي نصر مذهب مزدك ودافع عنه. لكن ذلك الدفاع لم يلبث أن توقف وانقلب إلى الضد من ذلك بوفاة الملك قباذ وتولي ابنه الملك أنو شروان الذي كان قد اغتاض من ذلك المذهب الجديد وتعاليمه الإباحية، كيف وقد وصل الأمر بمزدك إلى أن همّ بالاختلاء بأم أنو شروان كما تقدم، وهذه الحادثة قد زادت من حقد أنو شروان على مزدك وأتباعه، فلما تولى أنو شروان عرش الملك أظهر ذلك الحقد على مزدك وأتباعه، فأمر بقتل مزدك ثم أمر به فصلب. وفي ذلك يقول ابن الأثير[(٥)]: «إن أنو شروان أذن للناس إذناً عاماً ـ أي: بعد توليه

---

(١) المنتظم (١/ ١٠٧).

(٢) أنو شروان بن قباذ بن فيروز أحد ملوك الفرس الساسانيين، جمع أهل مملكته على دين المجوسية ومنعهم النظر والخلاف والحجاج في الملل، بعد أن قتل مزدك وأتباعه، وكانت مدة ملكه ثمان وأربعين سنة. انظر: المنتظم (٢/ ١٠٧ ـ ١٠٨)، ومروج الذهب (١/ ٢٧٣).

(٣) المنتظم (٢/ ١٠٧ ـ ١٠٨).

(٤) تقدمت ترجمته. انظر: ص٣٠.

(٥) علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري، أبو الحسن عز الدين، المؤرخ الأديب النسابة، ولد سنة ٥٥٥هـ بجزيرة ابن عمر ونشأ بها، وسكن الموصل. وتوفي بها سنة ٦٣٠هـ رحمه الله تعالى. انظر: البداية والنهاية =

الملك ـ ودخل عليه مزدك. . . فقال أنو شروان: إني كنت تمنيت أمنيتين، أرجو أن يكون الله قد جمعهما إليّ، فقال مزدك: وما هما أيها الملك؟ قال: تَمَنَّيْتُ أن أملك. . . وأن أقتل الزنادقة، فقال مزدك: أو تستطيع أن تقتل الناس كلهم؟ فقال: وإنك ها هنا يا ابن الزانية، والله ما ذهب نتن ريح جوربك من أنفي منذ قبّلت رجلك إلى يومي هذا، وأمر به فقُتل وصلب»[١].

ثم أمر الملك أنو شروان بقتل أصحاب مزدك فقتل منهم الكثير، حتّى قتل في ضحوة واحدة مائة ألف زنديق وصلبهم، ثم قسمت أموالهم في أهل الحاجة، وأمر بكل مولود اختلف فيه عنده أن يلحق بمن هو منهم، إذا لم يعرف أبوه، وبكل امرأة غلبت على نفسها أن يؤخذ الغالب لها حتّى يغرم لها مهرها ويرضي أهلها، حتّى صلحت الحال وانتظم الناس وزالت تلك الفوضى الإباحية التي نشرها بينهم مزدك وأتباعه[٢].

ولم تنته المزدكية الإباحية بالقضاء على رئيسها مزدك مع كثير من أصحابه، بل بقي لها أتباع في الدولة الساسانية، يدينون بها ويدعون إليها سراً، حتّى بعد ظهور الإسلام، وقد كان يدين بالمزدكية بعض قرى كرمان[٣] طوال عهد الدولة الأموية[٤].

ثالثاً: الديصانية:

الديصانية نسبة إلى رئيسهم «ديصان الفارسي»، وإنما سمي بذلك لأنه ولد على «نهر ديصان»[٥] ....

= (١٣/ ١٤٩ ـ ١٥٠)، والسير (٢٢/ ٣٥٣)، والأعلام (٤/ ٣٣١).

(١) الكامل لابن الأثير (١/ ٣٣٦). وانظر: المنتظم (١/ ١٠٩).

(٢) انظر: تاريخ الطبري (٢/ ١٠١ ـ ١٠٢)، والمنتظم (٢/ ١٠٩).

(٣) كرمان: بالفتح ثم السكون، ولاية مشهورة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان، وهي بلاد كثيرة النخل والزرع والمواشي، تشبه البصرة في كثرة التمور. انظر: معجم البلدان (٤/ ٥١٥ ـ ٥١٦).

(٤) انظر: فجر الإسلام ص١١٠.

(٥) نهر ديصان: على باب من أبواب الرهاء بالجزيرة، مصبه إلى ناحية حرّان ثم ينتهي =

فسمي باسم ذلك النهر[(١)(٢)].

وقد كان ديصان قبل ماني بزمن، وكان ماني يذكره في كتبه، ويرد عليه في بعض المسائل التي يخالفه فيها. إلّا أن ماني قد تأثر به، فالمذهبان قريب أحدهما من الآخر[(٣)].

وقد ذهب بعض المتكلمين إلى أن ديصان كان في زمن ماني وأن ديصان تتلمذ على يده، ولا شك أن هذا خطأ منهم، فإن ديصان كان قبل ماني بزمن، وقد كان ماني يذكره في كتبه، وقد أشار ابن حزم إلى هذا القول الذي ذهب إليه هؤلاء المتكلمون ورده بما ورد في كتب ماني من ذكر ديصان وآرائه فقال: «قال المتكلمون إن ديصان كان تلميذ ماني، وهذا خطأ، بل كان أقدم من ماني لأن ماني ذكره في كتبه وردّ عليه...»[(٤)].

وقد أثبت ديصان الأصلين اللذين يتفق عليهما جميع الثنوية من المانوية والمزدكية وغيرهما، إلّا أن بين الديصانية والمانوية اختلافاً في بعض صفات الظلمة والنور. فالمانوية ـ كما تقدم ـ[(٥)] يرون أن النور والظلمة حيّان، والديصانية يفرقون بينهما فيرون أن النور حيّ والظلمة ميتة، وفي ذلك يقول الرازي[(٦)] مبيناً الفرق بينهما في معرض كلامه على فرق الثنوية «الديصانية:

= إلى نهر البليخ وإنما يجري شهوراً وينقطع في القحط. انظر: التنبيه والأشراف ص١٣٠.

(١) وقيل: إن كلمة «ديصان» سريانية. معناها النهر، فلما ولد ديصان على النهر سمي باسمه، وقال بعضهم: إن اسمه «ابن ديصان» أي: ابن النهر، نسبة إلى النهر الذي ولد عليه، وقيل: إنه كان منبوذاً أصيب على شاطئ هذا النهر فأضيف إليه. انظر: التنبيه والأشراف ص١٣٠.

(٢) انظر: الفهرست لابن النديم ص٤١١.

(٣) انظر: الفصل في الملل والنحل لابن حزم (١/ ٣٧)، والفهرست ص٤١١ ـ ٤١٢.

(٤) الفصل في الملل والنحل (١/ ٣٧).

(٥) انظر: ص٧٠.

(٦) محمد بن عمر بن الحسن التيمي البكري، المعروف بفخر الدين الرازي، ويعرف أيضاً بابن خطيب الري، أحد أئمة الأشاعرة ومتكلميهم، صنف كتباً كثيرة أكثر فيها من الكلام في المعقولات وعلوم الأوائل، ولد في الري سنة ٥٤٤هـ، وتوفي في هراة =

وهم يقولون بالنور والظلمة أيضاً والفرق بينهم وبين المانوية: أن المانوية يقولون: إن النور والظلمة حيّان، والديصانية يقولون: إن النور حي والظلمة ميتة»[(١)].

فالديصانية ينسبون كل خير ونفع وحسن إلى النّور، وكل شر ونقص وعيب إلى الظلام. فالنور ـ عندهم ـ عالم، قادر، حساس، درّاك ومنه تكون الحركة والحياة. والظلام ميت، جاهل، عاجز، جماد، موات، لا فعل له ولا تمييز. والشر يقع من الظلام طبعاً واضطراراً، والخير يقع من النور قصداً واختياراً، وكلٌ من النور والظلام جنس واحد.

ويرى الديصانيون أن النور بياض كله، وأن الظلام سواد كله، وأن النور لا يزال يلقي الظلمة بأسفل صفحة منه، وأن الظلمة لم تزل تلقاه بأعلى صفحة منها[(٢)].

وقد اختلفت الديصانية في اختلاط النور بالظلمة، فزعم بعضهم أن النور داخل الظلمة، والظلمة تلقاه بخشونة وغلظ، فتأذى بها، وأحب أن يرققها ويلينها، ثم يتخلص منها، وليس ذلك لاختلاف جنسهما، ولكن كما أن المنشار جنسه حديد وصفحته لينة وأسنانه خشنة، فاللين في النور والخشونة في الظلمة وهما جنس واحد فتلطف النور بلينه حتى يدخل تلك الفرج، فما أمكنه إلّا بتلك الخشونة، فلا يتصور الوصول إلى كمال وجود إلّا بلين وخشونة.

(وقال بعضهم: بل الظلام لما احتال حتى تشبث بالنور من أسفل صفحته، فاجتهد النور حتى يتخلص منه ويدفعه عن نفسه، فاعتمد عليه

= سنة ٦٠٦هـ. انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٤/ ٢٨٣ ـ ٢٩٢)، والبداية والنهاية (١٣/ ٦٠ ـ ٦٢)، وشذرات الذهب (٥/ ٢٢)، والأعلام (٦/ ٣١٣).

(١) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص١٢٣ بتعليق محمد البغدادي، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، وانظر: الفصل في الملل والنحل (١/ ٣٧).

(٢) انظر: الملل والنحل (١/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧)، والحور العين لنشوان بن سعيد ص١٤٠ ـ ١٤١.

فلجج[١] فيه، وذلك بمنزلة الإنسان الذي يريد الخروج من محل وقع فيه، فيعتمد على رجله ليخرج فيزداد لجوجاً فيه، فاحتاج النور إلى زمان ليعالج التخلص منه والتفرد بعالمه.

وقال بعضهم: إن النور إنما دخل أجزاء الظلام اختياراً ليصلحها ويستخرج منها أجزاء صالحة لعالمه. فلما دخل تشبثت به زماناً فصار يفعل الجور والقبيح اضطراراً لا اختياراً، ولو انفرد في عالمه ما كان يحصل منه إلّا الخير المحض والحسن البحت، وفرق بين الفعل الاضطراري والفعل الاختياري»[٢].

وأما سبب إطلاق وصف الزندقة على الديصانية مع أن رئيسهم ديصان كان قبل زمن ماني الذي يعد أول من أُطلق عليه لقب الزنديق، فذلك راجع إلى اتفاق الديصانية والمانوية في إثبات الأصلين، ولذلك أُطلق لقب الزنادقة على الديصانية الذين جاؤوا بعد زمن ماني، وذلك لموافقتهم للمانوية في هذه المسألة وإن كان قولهم بالأصلين كان قبل زمن ماني. كما أطلق على غيرهم من فرق الثنوية كالمزدكية وغيرها.

فقد كان لقب الزنادقة يطلق على الديصانية في بلاد فارس وغيرها، بل عدّ بعض المحققين الديصانية من أصول الزندقة كما قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «والتحقيق ما ذكر من صنّف في الملل أن أصل الزنادقة أتباع ديصان ثم ماني ثم مزدك... وقام الإسلام والزنديق يطلق على من يعتقد مقالتهم...»[٣].

وقد خلّف ديصان كتباً احتوت على أقواله وآرائه تناقلها أتباعه فيما بينهم بل زاد رؤساء الديصانية بعده كتباً أخرى تبين مذاهبهم. وقد أشار إلى ذلك

---

(١) اللَجَة: الأصوات والجلبة، والتجّت الأصوات: اختلطت. واللُّجة: بالضم، جانب الوادي والمكان الحزن من الجبل. انظر: القاموس المحيط ص٢٦٠.

(٢) الملل والنحل (١/ ٢٩٧)، وانظر: الفهرست ص٤١٢.

(٣) فتح الباري لابن حجر (١٢/ ٢٧٠).

ابن النديم بقوله: «ولابن ديصان[١]: كتاب النور والظلمة، كتاب روحانية الحق، كتاب المتحرك والجماد، وله كتب كثيرة، ولرؤساء المذهب في ذلك أيضاً كتب، ولم تقع إلينا»[٢].

وقد كان الديصانية قديماً يتمركزون بنواحي البطائح[٣] وخراسان. قال ابن النديم: «وأصحاب ابن ديصان بنواحي البطائح وكانوا قديماً بالصين وخراسان أمم منهم متفرقون لا يعرف لهم مجمع ولا بيعة»[٤].

ومما تقدم تتضح أهم جذور الزندقة قبل الإسلام، وهي الجذور الفارسية من مانوية ومزدكية وديصانية، وقد ظهر أثر تلك الفرق الفارسية واضحاً عند فرق الزنادقة بعد ظهور الإسلام، حيث تأثر كثير من فرق الزنادقة ببعض عقائد تلك الفرق الفارسية كقولهم بتناسخ الأرواح بعد الموت، وادعائهم بنبوة من ليس بنبي كزرادشت وبولس وغيرهما، كما تأثرت فرق الزنادقة بمبدأ الإباحية التي قال بها مزدك، وسيأتي إن شاء الله تعالى بيان ذلك في موضعه من هذا البحث[٥].

---

(١) أطلق ابن النديم على اسم رئيس الديصانية ههنا بـ«ابن ديصان» وقد سماه في أول كلامه عن هذه الفرقة «ديصان» وبين سبب تسميته بذلك. وقد وافقه على الأول «ابن ديصان» المسعودي في مروج الذهب (٤/ ٣٥٥) ووافقه على الثاني «ديصان» الشهرستاني في الملل والنحل (١/ ٢٩٦)، والله أعلم.

(٢) الفهرست لابن النديم ص٤١٢.

(٣) البطائح جمع بطيحة والمراد بطائح واسط وهي أرض واسعة بين واسط والبصرة، وكانت قديماً قرى متصلة وأرضاً عامرة. فاتفق في أيام كسرى أن زادت دجلة وزاد الفرات بخلاف العادة فعجز عن سدِّها، فتبطح الماء في تلك الديار والعمارات والمزارع فطرد أهلها، ثم عمرت بعد ذلك وسكنها قوم وزرعوها. انظر: معجم البلدان (١/ ٥٣٤).

(٤) الفهرست لابن النديم ص٤١٢.

(٥) انظر: ص٥٥١ وما بعدها.

المبحث الثاني

جذور هندية

عُرفت بلاد الهند منذ زمن بعيد قبل الإسلام بكثرة المذاهب وتعدد الديانات واختلاف العقائد، ما بين ديانة البراهمة[١] والديانة البوذية[٢] والهندوسية[٣] وغير ذلك من الديانات الكثيرة التي كانت منتشرة بين الهنود.

قال الشهرستاني: «إن الهند أمة كبيرة، وملة عظيمة، وآراؤهم مختلفة فمنهم البراهمة... ومنهم من يميل إلى الدهر ومنهم من يميل إلى مذهب الثنوية...»[٤].

---

(١) البراهمة: هم أصحاب الديانة البرهمية، ونسبتهم إلى رجل اسمه «براهما» وقد عبدوا براهما واعتقدوا أنه الإله، كما اشتهر عنهم إنكار النبوات ولهم كتب يقدسونها ويتعلمون منها. انظر: الملل والنحل (٢/ ٦٠١ ـ ٦٠٢)، وتاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ص٨٦ ـ ٨٧، د. محمد أبو ريان، دار النهضة العربية، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.

(٢) البوذية: هي ديانة ظهرت بالهند بعد الديانة البرهمية في القرن الخامس قبل الميلاد، ونسبتهم إلى رجل اسمه «بوذا» مؤسس هذه الديانة، وقد عبده أتباعه، واعتقدوا أنه هو المخلص للبشرية ولما مات قال أتباعه أنه صعد إلى السماء بجسده وسيرجع إلى الأرض ثانية ليعيد إليها السلام. انظر: أديان الهند الكبرى، د. أحمد شلبي ص٣ وما بعدها، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، والموسوعة الميسرة ص١٠٧.

(٣) الهندوسية: هي ديانة وثنية يعتنقها معظم أهل الهند، وقد تكونت عبر مسيرة طويلة ولا تزال إلى وقتنا الحاضر، تعظم عدداً من الآلهة ولا يعرف لها مؤسس معين، ولها طقوس وعبادات متنوعة إلا أن أصحابها يلتقون على تقديس البقر. انظر: ديانات الهند ص٣٧ وما بعدها، والهندوسية، عرض ونقد لمحمد العلي (١/ ٣٤ ـ ٣٦)، رسالة ماجستير مقدمة لقسم العقيدة بكلية أصول الدين بالرياض ١٤٠٨هـ، والموسوعة الميسرة ص٥٣١.

(٤) الملل والنحل (٢/ ٦٠١).

والكلام على هذه الديانات وعقائدها وأصولها يطول، والذي يهمنا من ذلك هو عرض بعض عقائد تلك الديانات والمذاهب التي تأثر بها الزنادقة بعد ظهور الإسلام مما جعلنا نعدها من جذور الزندقة قبل الإسلام فمن تلك العقائد التي اشتهرت بها الديانات الهندية قبل الإسلام ما يلي:

١ ـ عقيدة «تناسخ الأرواح»:

تعد عقيدة «تناسخ الأرواح» من خواص الديانات الهندية التي تلقتها الأمم الأخرى عنهم وتأثروا بهم في ذلك.

يقول البيروني[(١)] في حديث له عن عقيدة التناسخ: «كما أن الشهادة بكلمة الإخلاص شعار إيمان المسلمين، والتثليث[(٢)] علامة النصرانية، والإسبات[(٣)] علامة اليهودية، كذلك التناسخ علم النحلة الهندية فمن لم ينتحله لم يكن منها ولم يعدّ من جملتها»[(٤)].

فالأرواح عند الهنود حسب نظريتهم في التناسخ لا تموت ولا تفنى، وإنما هي أبدية الوجود مترددة في الأبدان، فكلما فني بدن انتقلت إلى بدن آخر، وفي كل بدن تستفيد تجارب جديدة[(٥)].

وقد ربط الهنود عقيدتهم في التناسخ بالخير والشر والثواب والعقاب

---

(١) محمد بن أحمد، أبو الريحان البيروني الخوارزمي، أديب، فلكي، مؤرخ من أهل خوارزم، أقام في الهند بضع سنين، اطلع على تاريخهم وفلسفتهم، صنف كتباً كثيرة في التاريخ والهيئة، وقد كان مولده سنة ٣٦٢هـ، ومات في بلده خوارزم سنة ٤٤٠هـ. انظر: الأعلام (٥/ ٣١٤)، ومعجم المؤلفين (٨/ ٢٤١).

(٢) المراد بالتثليث هو قولهم بأن الله ثالث ثلاثة تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

(٣) الإسبات: هو قيام اليهود بأمر السبت، وأصل السّبت: الراحة. انظر: القاموس المحيط ص١٩٥.

(٤) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، لأبي ريحان البيروني ص٣٩، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

(٥) انظر: ضحى الإسلام (١/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠)، والهندوسية عرض ونقد (٢/ ٣٥٠)، وتناسخ الأرواح أصوله وآثاره، د. محمد الخطيب ص١٧، مكتبة الأقصى، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

فقالوا: «الأرواح الباقية تتردد لذلك في الأبدان البالية بحسب افتنان الأفعال إلى الخير والشر ليكون التردد في الثواب منبّهاً على الخير فتحرص على الاستكثار منه وفي العقاب على الشر والمكروه فتبالغ في التباعد عنه...»[١]، فالثواب والعقاب ـ عندهم ـ إنما يكون بحسب ما تنسخ فيه الروح، فإن كان محسناً قبل موته انتقلت روحه إلى جسد أحسن فيعيش في رغد وراحة، وإن كان شريراً قبل موته ترددت روحه في النبات وخشاش الطير ومرذول الهوامّ إلى أن تستحق الثواب فتنجو من الشدة وتتردد فيما هو أرقى[٢].

وعقيدة التناسخ في الأصل إنما اخترعها طائفة من أتباع الديانة الهندوسية ـ التي هي أصل الديانات الهندية ـ وذلك لقولهم بناموس العدل وأن الجزاء على الأعمال لا بد أن يقع سواء كان ذلك ثواباً أو عقاباً[٣]، إلا أنهم «لاحظوا من واقع الحياة أن الجزاء قد لا يقع، فالظالم قد ينتهي دون أن يقتص منه، والمحسن قد ينتهي دون أن يُحسن إليه، ولذلك لجؤوا إلى القول بتناسخ الأرواح... ليقع الجزاء في الحياة القادمة إذا لم يتم في الحياة الحاضرة»[٤].

وقد تسربت عقيدة «تناسخ الأرواح» عن الديانات الهندية إلى كثير من الديانات والمذاهب المختلفة سواء في ذلك الفلسفات اليونانية والديانات الفارسية وبعض المذاهب المنتسبة إلى الإسلام من زنادقة الرافضة وغيرهم.

فقد قال بـ«تناسخ الأرواح» كثير من فلاسفة اليونان[٥] ـ كما سيأتي ـ «ويرجح كثيرون من مؤرخي الفلسفة اليونانية أنها مأخوذة ـ في الأصل ـ من الفلسفة الهندية»[٦].

وقد انتقلت عقيدة «تناسخ الأرواح» إلى الديانات الفارسية وخاصة

---

(١) تحقيق: ما للهند من مقولة ص٣٩.
(٢) انظر: ضحى الإسلام (١/ ٢٥٠)، وتناسخ الأرواح أصوله وآثاره ص١٩.
(٣) انظر: أديان الهند الكبرى ص٦٠.
(٤) أديان الهند الكبرى ص٦٠.
(٥) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية ص٢٣ ـ ٢٤.
(٦) ضحى الإسلام (١/ ٢٥٠).

المانوية عن طريق «ماني» وذلك لما نفي إلى بلاد الهند كما قال البيروني: «كان «ماني» نُفي... فدخل أرض الهند ونقل التناسخ منهم إلى نحلته»[١].

وأما انتقال عقيدة «تناسخ الأرواح» إلى بعض فرق الزنادقة المنتسبة إلى الإسلام فقد كان ذلك عن طريق التقاء المسلمين مع الأديان والحضارات الأخرى سواء كان ذلك عن طريق الهنود مباشرة أو عن طريق بعض الديانات التي تأثرت بهم في هذه العقيدة من الفرس واليونان وغيرهم[٢].

وقد ظهرت عقيدة «التناسخ» عند كثير من فرق الزنادقة سواء في ذلك غلاة الرافضة أو الصوفية أو غيرهم على اختلاف فلسفتهم في ذلك. قال الشهرستاني: «الغلاة على أصنافهم كلهم متفقون على التناسخ... ولقد كان التناسخ مقالة لفرقة في كل أمة تلقوها من المجوس المزدكية والهند البرهمية ومن الفلاسفة والصابئة»[٣] وسيأتي إن شاء الله تعالى بيان عقائد الزنادقة في «تناسخ الأرواح» في الباب الثالث[٤].

٢ ـ عقيدة «وحدة الوجود»:

ظهرت خرافة «وحدة الوجود» وانتشرت عند الهنود كغيرها من الخرافات الكثيرة التي بنوا عليها عقائدهم، حيث اعتبروا جميع المخلوقات مظهراً للوجود المطلق، فأجازوا حلول الله ﷻ في جميع العالم، وأن العالم لا ينفصل عنه.

قال البيروني في سياق عقيدتهم: «وكذلك ذهبوا إلى أن الموجود شيء واحد وأن العلة الأولى تترايا فيه بصور مختلفة وتحل قوتها في أبعاضه بأحوال متباينة توجب التغير مع الاتحاد»[٥].

فجميع المخلوقات ـ عندهم ـ ما هي إلا مظهر من مظاهر الإلٰهية لا يمكن أن تتميز عن ذلك إلا بطريق الوهم.

---

(١) تحقيق: ما للهند من مقولة ص٤١.
(٢) انظر: تناسخ الأرواح أصوله وأثاره ص٣٢.
(٣) الملل والنحل (١ ـ ٢٠٥ ـ ٢٠٦).
(٤) انظر: ص٥٢٨ وما بعدها.
(٥) تحقيق: ما للهند من مقولة ص٢٨.

ومن أشهر الديانات الهندية في اعتقاد «وحدة الوجود» الديانة البرهمانية حيث «يعتقدون في إلـٰه واحد مطلق هو «براهما» فلا يوجد ـ عندهم ـ شيء خارجه وهذا الإلـٰه هو الحقيقة الكلية التي تنطوي على سائر الموجودات.

وأما العالم فهو تجل ظاهري لهذه الحقيقة ولا يتميز عن «براهما» إلا بطريق الوهم، وغاية الفرد ـ عندهم ـ الوصول إلى الاتحاد بالله...»[١]، فالإلـٰه عند البراهمة هو «براهما» وهو ـ عندهم ـ كل شيء فهو وحده «الوجود» بأكمله[٢].

وقد انتقلت هذه العقيدة الخرافية من الديانات الهندية إلى غيرها من الديانات والحضارات الأخرى كغيرها من عقائد الهنود سواء في ذلك عقيدة «التناسخ» أو غيرها[٣].

وقد ظهر أثر هذه العقيدة عند بعض فرق الزنادقة من غلاة الصوفية وغيرهم، كما سيأتي بيان ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى[٤].

٣ ـ إنكار النبوات:

اشتهر عن البراهمة الهنود القول بإنكار النبوات وجحدها، حيث زعموا أن إثبات النبوات مستحيل في العقول، وأن العقل يغني عن الأنبياء فلا يكون هناك فائدة من بعثتهم إلى الناس.

وقد ذكر الشهرستاني مقولتهم وبعض الوجوه التي استدلوا بها على مقولتهم فقال في معرض حديثه عنهم: «هؤلاء هم المخصوصون بنفي النبوات أصلاً ورأساً... وهؤلاء البراهمة إنما انتسبوا إلى رجل منهم يقال له «براهما»، وقد مهد لهم نفي النبوات، وقرر استحالة ذلك في العقول بوجوه

---

(١) تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ص٨٧ بتصرف يسير.
(٢) الجانب الإلـٰهي من التفكير الإسلامي د. محمد البهي ص٢٢٨، دار غريب القاهرة، الطبعة السادسة، ١٤٠٢هـ.
(٣) انظر: الهندوسية عرض ونقد (٢/ ٥٢٣ ـ ٥٢٤).
(٤) سيأتي بيان ذلك في الباب الثالث. انظر: ص٤٧١.

منها: أنه قال: إن الذي يأتي به الرسول لم يخل من أحد أمرين: إما أن يكون معقولاً، وإما ألا يكون معقولاً، فإن كان معقولاً فقد كفانا العقل التام بإدراكه والوصول إليه، فأي حاجة إلى الرسول؟ وإن لم يكن معقولاً، فلا يكون مقبولاً....

ومنها أنه قال: قد دل العقل على أن الله تعالى حكيم، والحكيم لا يتعبد الخلق إلا بما تدل عليه عقولهم... فما بالنا نتبع بشراً مثلنا؟...

ومنها أنه قال: إن أكبر الكبائر في الرسالة اتباع رجل هو مثلك في الصورة والنفس والعقل، يأكل مما تأكل، ويشرب مما تشرب، حتى تكون بالنسبة إليه كجماد يتصرف فيك رفعاً ووضعاً...»[1]. إلى آخر ما ذكره من الوجوه الواهية التي تدل على ضعف عقول أتباعه من البراهمة الذين صدقوه في زعمه ذلك مع مخالفته للواقع المشاهد من انحراف وتخبط من لم يستجب للرسل عليهم السلام حيث حرم أولئك النور والهدى فأصبحوا أضل من الأنعام التي لا عقول لها.

فهذا هو قول البراهمة الهنود في النبوة كما ذكره الشهرستاني، وقريبٌ من ذلك ما نقله ابن الجوزي في بيان مذهبهم[2].

وأما الباقلاني[3] فقد ذكر أن منهم من أقر بنبوة بعض الأنبياء فقال: «قد افترقت البراهمة على قولين:

فمنهم من جحد الرسل، وزعم أنه لا يجوز في حكمة الله سبحانه وصفته أن يبعث رسولاً إلى خلقه، وأنه لا وجه من ناحيته يصح تلقي الرسالة عن الخالق سبحانه.

وقال الفريق الآخر: إن الله تعالى ما أرسل رسولاً سوى آدم عليه السلام وكذّبوا كل مدع للنبوة سواه.

وقال قوم منهم: بل ما بعث الله تعالى غير إبراهيم وحده، وأنكروا نبوة

---

(١) الملل والنحل (٢/ ٦٠١ ـ ٦٠٢).

(٢) انظر: تلبيس إبليس ص٨٢ ـ ٨٥.

(٣) تقدمت ترجمته. انظر: ص٥٣.

من سواه، وهذا جملة قولهم»[١].

والمقصود أن القول بـ«إنكار النبوات» كان موجوداً عند البراهمة الهنود، وإن كان بعضهم قد يكون يعتقد نبوة بعض الأنبياء على قول الباقلاني.

وقد تأثر بهذه العقيدة بعض فرق الزنادقة بعد ظهور الإسلام، فأنكروا النبوة مطلقاً، ومنهم من أنكر نبوة بعض الأنبياء، كما سيتضح ذلك في موضعه من هذا البحث إن شاء الله تعالى[٢].

هذه هي أهم جذور الزندقة التي وجُدت عند الهنود قبل الإسلام، وقد ظهر أثرها واضحاً في عقائد الزنادقة المنتسبين إلى الإسلام، وذلك عن طريق احتكاك الحضارة الإسلامية بحضارة الهند وغيرها من الحضارات.

---

(١) التمهيد في الرّد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة لأبي بكر الباقلاني ص٩٦، دار الفكر العربي، بدون طبعة ولا تاريخ نشر.
(٢) سيأتي الكلام عن ذلك في الباب الثالث. انظر: ص٥٠٤ وما بعدها.

المبحث الثالث

جذور أخرى

أولاً: جذور يونانية:

اشتهرت بلاد اليونان قديماً بالعناية بجملة من العلوم المختلفة من علوم الطبيعة والطب والهندسة وغيرها من العلوم الأخرى، غير أنهم لم يقفوا عند تلك العلوم المفيدة[1]، وإنما أطلقوا عنان العقل في مجال الغيب الذي لا يمكن معرفته إلا عن طريق الوحي الإلـٰهي، ولذلك كثر تخبطهم في الأمور الغيبية، وتكلموا في الإلـٰهيات فخلطوا في ذلك واضطربت أقوالهم، مما أدى ببعضهم إلى إنكار الخالق، وتخبط آخرون فأثبتوا للعالم صانعاً لا يتصور وجوده حتى قال بعضهم: «الباري لما أتقن العالم تفرقت أجزاؤه فيه فكل قوته في العالم»[2].

قال ابن الجوزي: «إنما تمكن إبليس من التلبيس على الفلاسفة من جهة أنهم انفردوا بآرائهم وعقولهم، وتكلموا بمقتضى ظنونهم من غير التفات إلى الأنبياء...»[3].

ثم ذكر ابن الجوزي بعض كلامهم في الإلـٰهيات ثم قال: «وهؤلاء كانت لهم علوم هندسية ومنطقية وطبيعية، واستخرجوا بفطنهم أموراً خفية إلا أنهم لما تكلموا في الإلـٰهيات خلطوا ولذلك اختلفوا فيها ولم يختلفوا في الحسيات والهندسيات...»[4].

وقد بحث فلاسفة اليونان كثيراً من الأمور الغيبية ولم يقفوا عند

---

(١) انظر: ضحى الإسلام (١/٢٦٦).
(٢) انظر: تلبيس إبليس ص٦١.
(٣) المرجع السابق ص٥٩.
(٤) المرجع السابق ص٦٣.

الإلٰهيات فقط بل تعرضوا للكلام في الوجود وماهية النفس الإنسانية وعلاقتها بالجسم وغير ذلك من المسائل الكثيرة، وإن كانوا قد تأثروا في بعض ما ذكروه ببعض الديانات الأخرى كما تقدم.

وقد ظهر أثر فلاسفة اليونان وما قرروه من النظريات واضحاً في عقائد الزنادقة، حيث أخذ الزنادقة بالتلفيق بين تلك النظريات الإلحادية وبين عقائد الإسلام الصافية. ومن تلك النظريات التي أثرت في عقائد الزنادقة بعد ظهور الإسلام:

نظرية الفيض الأفلاطونية:

فقد قرر فلاسفة اليونان هذه النظرية لبيان أصل الموجودات وكيفية وجودها في هذا الكون وأنها إنما وجدت عن طريق الفيض بداية بالعقل الكلي، ثم استمرت بعد ذلك سلسلة من الفيوضات الكثيرة. ولعل ذلك يتضح بتلخيص تلك النظرية كما يراها أفلوطين[(١)]، حيث يرى أفلوطين أنه على قمة الوجود يوجد «الواحد» ـ أي الله ـ وهو الخير بالذات الذي تصدر عنه الموجودات صدوراً ضرورياً عن طريق الفيض أو الإشعاع النوراني. ولذلك سميت هذه المدرسة بمدرسة الفيض، وسمي ما يصدر عن الواحد بالفيوضات. وسلسلة الفيوضات تبدأ بالعقل الكلي حيث إن الواحد لا يفسر على أنه اتجاه عارف إلى موضوع للمعرفة بحيث تكون هناك اثنينية بين الواحد والعقل الكلي، بل إن عملية التعقل هنا إنما هو تعبير عن اتحاد العارف بموضوع معرفته.

وتستمر سلسلة الفيوضات، فالعقل الكلي باتجاهه إلى الواحد تصدر عنه

---

(١) أفلوطين: فيلسوف مصري، من أشهر فلاسفة القرن الثالث الميلادي، تأثر بالمذهب الإسكندري، وصنف رسائل كثيرة في الفلسفة منها «تاسوعات أفلوطين»، وقد كان مولده سنة ٢٠٥م، ومات سنة ٢٧٠م. انظر: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب لدوني إيلي (١/١٠٦ ـ ١٠٨)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، وتاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم ص٢٨٦ ـ ٢٨٧، دار القلم، بيروت، الطبعة الثالثة.

النفس الكلية، وباتجاهه إلى ذاته يصدر عنه العالم، وذلك من جهة غنى الواحد المطلق وفقر العقل الكلي بالنسبة إلى الواحد.

وعن النفس الكلية تصدر النفوس الجزئية في مطابقة مع المثل المحفوظة في العقل الكلي...[(١)].

وقد ظهر تأثر زنادقة الباطنية بهذه النظرية في كلامهم عن الرب ﷻ وكيفيه إيجاد العالم، حيث قرروا هذه النظرية الفلسفية إلا أنهم أبدلوا بكلمة «الفيض» كلمة «الإبداع» ومزجوا ذلك ببعض العبارات الشرعية ورمزوا لبعض تلك العقول بآيات من القرآن كما سيأتي بيان ذلك في موضعه من هذا المبحث[(٢)].

عقيدة التناسخ:

سبقت الإشارة إلى أن أصل القول بـ«تناسخ الأرواح» إنما أخذ عن الديانات الهندية. وأن هذه العقيدة قد قال بها بعض فلاسفة اليونان. من أمثال فيثاغوراس[(٣)] وأفلاطون[(٤)] وغيرهما.

---

(١) انظر: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام (١/ ١٨١)، وتاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم ص٢٩١ ـ ٢٩٤.

(٢) سيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى عند الحديث عن فرقة الإسماعيلية في الباب الثاني، انظر: ص٢٣٣ وما بعدها، وانظر: مذاهب الإسلاميين ص٩٧٦ ـ ٩٧٨.

(٣) فيثاغوراس: فيلسوف رياضي يوناني، ولد في ساموس وطوف في أنحاء الشرق، واستقر في إيطاليا الجنوبية وأسس فيها أول جمعية فلسفية سياسية دينية، وقد عرف أتباعه بالفيثاغوريون، ولم تكن له عناية بالتأليف وإنما كان يلقي دروسه على تلاميذه، نحلت إليه بعض الكتب كما حيكت حول شخصيته كثير من الأساطير العجيبة، وقد كان مولده سنة ٥٧٠ ق.م، وتوفي سنة ٥٠٠ ق.م. انظر: موسوعة أعلام الفلسفة (٢/ ١٩٤ ـ ١٩٦)، وتاريخ الفلسفة اليونانية ص٢٠ ـ ٢٥.

(٤) أفلاطون: فيلسوف رياضي يوناني، ولد في أثينا، وأظهر ميلاً خاصاً للرياضيات، واطلع على كتب الفلاسفة وتتلمذ على سقراط، وانفرد بمذهبه الفلسفي الخاص القائم على التنسيق بين المذاهب الفلسفية والرياضية، وصنف كتباً كثيرة، ويُعد أفلاطون من أشهر فلاسفة اليونان، وقد كان مولده سنة ٤٢٨ ق.م، وتوفي سنة ٣٤٧ ق.م. انظر: موسوعة أعلام الفلسفة (١/ ٩٧ ـ ١٠٠)، وتاريخ الفلسفة اليونانية ص٦٢ ـ ٦٥.

ففيثاغورس يرى أنه «بعد الموت تهبط النفس إلى الجحيم تتطهر بالعذاب، ثم تعود إلى الأرض تتقمص جسماً بشرياً أو حيوانياً أو نباتياً، ولا تزال مترددة بين الأرض والجحيم حتى يتم تطهيرها...»[(١)]، ويُروى عن فيثاغورس أنه كان يدعي أنه متجسد للمرة الخامسة. وأنه يذكر حيواته السابقة[(٢)].

وقد أكد أفلاطون هذه النظرية واختصها بقسط كبير من عنايته وذكر على ذلك بعض الأدلة والأمثلة ـ حسب زعمه ـ إلا أنه قصر التناسخ على الحيوان، فخالف فيثاغوراس في ذلك[(٣)].

كما ظهر عند فلاسفة اليونان القول بـ«وحدة الوجود» وخاصة عند متقدميهم كما يُذكر عن أكسانوفان[(٤)] أنه «نظر إلى جميع العالم وقال إن الأشياء جميعاً عالم واحد، ودعا هذا العالم «الله»...»[(٥)].

وظهر أيضاً عند فلاسفة اليونان القول بـ«شيوعية النساء» كما قرر ذلك أفلاطون في آرائه في المدينة الفاضلة[(٦)].

وقد اغتر بنظريات الفلاسفة وعقائدهم كثير من المنتسبين إلى الإسلام من زنادقة الفرق ظنّاً منهم أنهم على حق لما شاهدوه من دقة علومهم الهندسية والرياضية كما قال الغزالي: «قد رأيت طائفة يعتقدون في أنفسهم التميز عن الأتراب والنظراء بمزيد الفطنة والذكاء، قد رفضوا وظائف الإسلام واستحقروا

---

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية ص٢٤. (٢) انظر: المرجع السابق ص٢٤.

(٣) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية ص٨٦ ـ ٩٠، وأفلاطون، د. أحمد الأهواني ص٨٧ ـ ١٠٣، دار المعارف، الطبعة الرابعة.

(٤) أكسانوفان: فيلسوف شاعر يوناني، ولد بقرية من أعمال أيونيا باليونان، وطوف في أنحاء العالم اليوناني، واستقر في إيطاليا الجنوبية بمدينة إيليا، وأظهر مذهبه الفلسفي الذي يُعد هو أصل مذهب المدرسة الأيلية الذي أسسه بعد ذلك بارمنيدس، وقد ولد أكسونوفان سنة ٥٧٠ ق.م، وتوفي سنة ٤٨٠ ق.م. انظر: الملل والنحل (٢/٤١٧ ـ ٤١٨)، وتاريخ الفلسفة اليونانية ص٢٧ ـ ٢٨.

(٥) تاريخ الفلسفة اليونانية ص٢٨.

(٦) انظر: المرجع السابق ص١٠٠ ـ ١٠٨، وأفلاطون ص١٣٨.

شعائر الدين: من وظائف الصلوات والتوقي عن المحظورات، واستهانوا بتعبدات الشرع وحدوده، ولم يقفوا عند توقيفاته وقيوده، بل خلعوا بالكلية ربقة الدين... وإنما مصدر كفرهم سماعهم أسماء هائلة كسقراط[(١)] وبقراط[(٢)] وأفلاطون، وأرسطوطاليس[(٣)] وأمثالهم، وإطناب طوائف من متبعيهم وضلالهم في وصف عقولهم وحسن أصولهم، ودقة علومهم، الهندية والمنطقية، والطبيعية والإلاهية، واستبدادهم باستخراج تلك الأمور الخفية، وحكاياتهم عنهم أنهم مع رزانة عقولهم، وغزارة فضلهم منكرون للشرائع والنحل وجاحدون لتفاصيل الأديان والملل...»[(٤)].

وقد اعترف بعض زنادقة الباطنية بالانتساب إلى فلاسفة اليونان والتأثر بهم كما قال أحد الدروز المعاصرين[(٥)]: «الباطنية مذهب خفي اتخذه أصحابه وقاء من نقمة الخائفين والغوغاء، وطووه على معان خصت بها فئة مختارة من

---

(١) سقراط: فيلسوف يوناني، ولد في أثينا سنة ٤٧ ق.م، وبدأ حياته في الاشتغال بالنحت كأبيه، إلا أنه مال إلى الفلسفة بتأثير الفلاسفة الفيتاغورثية والسوفسطائية حتى كون لنفسه منهجاً خاصاً يقوم على الاستقراء ورد الجدل إلى الحد والماهية، وحصر فلسفته في دائرة الأخلاق باعتبارها أهم ما يهم الإنسان، وقد اتهم بالإلحاد وأنه ينكر آلهة المدينة وحُوكم على ذلك وقتل سنة ٣٣٩ ق.م. انظر: موسوعة أعلام الفلسفة (١/ ٥٥٩ ـ ٥٦٢)، وتاريخ الفلسفة اليونانية ص٥٠ ـ ٥٧.

(٢) بقراط: فيلسوف طبيب يوناني، ولد في جزيرة كوس اليونانية سنة ٤٦٠ ق.م، واشتهر بعلم الطب، وظهرت حكمته فيه، حتى قيل إنه هو الذي وضع علم الطب وله في ذلك عدة مصنفات، توفي سنة ٣٧٧ ق.م. انظر: الملل والنحل (٢/ ٤٣٢).

(٣) ارسطوطاليس بن نيقوماخوس: فيلسوف يوناني، ولد في مدينة اسطاغير سنة ٣٨٤ ق.م، ولما بلغ الثامنة عشرة قدم أثينا وتتلمذ على أفلاطون قريباً من عشرين عاماً، ولما توفي أفلاطون أنشأ مدرسة في أثينا في ملعب رياضي فكان يلقي دروس الفلسفة على تلاميذه وهم يسيرون، فلذلك لقب هو وأتباعه بالفلاسفة المشائين، وقد صنف في الفلسفة والأخلاق وغيرهما وتوفي سنة ٣٢٢ ق.م. انظر: موسوعة أعلام الفلسفة (١/ ٧٢ ـ ٧٥)، وتاريخ الفلسفة اليونانية ص١١٢ ـ ١١٣.

(٤) تهافت الفلاسفة للغزالي، تحقيق: د. سليمان دنيا ص٧٣، ٧٤ بتصرف، دار المعارف بمصر، الطبعة السابعة.

(٥) وهو عبد الله النجار الدرزي.

العارفين، شرعه اليونانيون القدماء وحصروا أسراره بالمطلعين من النبهاء، فهو منسوب إلى أرسطو وأفلاطون وأتباع فيثاغورس من هذه المصادر الثلاثة، انحدر المذهب إلى الدروز الذين يعتبرون هؤلاء الفلاسفة أسيادهم الروحيين...»[١].

هذه هي أهم جذور الزندقة التي أخذها الزنادقة عن فلاسفة اليونان قبل الإسلام، وقد ظهر أثر تلك النظريات والعقائد على فرق الزنادقة بعد ظهور الإسلام، كما سيتضح ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى[٢].

ثانياً: جذور يهودية:

تلوثت عقائد اليهود بعد ما حصل منهم التحريف والتبديل للتوراة التي جاء بها موسى عليه السلام، حيث عدلوا عن عقيدة التوحيد الصافية إلى بعض العقائد الوثنية والخرافات الشركية، من تنقص للرب تبارك وتعالى وعبادة غيره وتشبيهه بخلقه وغير ذلك من العقائد المنحرفة، فضلاً عما عندهم من الصفات القبيحة من المكر والبهت والغدر فهم «أخبث الأمم طوية، وأرداهم سجية، وأبعدهم من الرحمة، وأقربهم من النقمة، عادتهم البغضاء، وديدنهم العداوة والشحناء...»[٣].

والحديث عن اليهود وعقائدهم وصفاتهم الخبيثة قد جلاه القرآن الكريم كما قال تعالى في بيان عبادتهم للعجل: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ [الأعراف: ١٤٨]، وقال تعالى في بيان عنادهم وعصيانهم لموسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥] وقال تعالى في بيان تحريفهم للتوراه: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦] إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة والتي كشفت عن عقائدهم المنحرفة وصفاتهم القبيحة.

---

(١) مذهب الدروز والتوحيد لعبد الله النجار ص٢٨، دار المعارف ـ مصر ١٩٦٥م.
(٢) انظر: عقائد الزنادقة في الباب الثالث.
(٣) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم ص٨.

والذي يهمنا في هذا المقام هو ذكر بعض عقائد اليهود وأفكارهم التي ظهر أثرها على فرق الزنادقة بعد ظهور الإسلام فمن ذلك:

١ ـ عقيدة الوصية والإمامة:

يعتقد اليهود أن موسى عليه السلام جعل أخاه هارون وصياً له إلا أن هارون مات في حياة موسى عليه السلام فكانت الوصية لـ«يوشع بن نون» ليوصلها إلى أولاد هارون.

قال الشهرستاني: «قالوا ـ أي: اليهود ـ وكان موسى عليه السلام قد أفضى بأسرار التوراة والألواح إلى يوشع بن نون وصيه وفتاه القائم بالأمر من بعده ليفضي بها إلى أولاد هارون؛ لأن الأمر كان مشتركاً بينه وبين أخيه هارون عليهما السلام...»(١).

وقد ظهر أثر هذه العقيدة عند ابن سبأ الزنديق الذي أظهر الإسلام بقصد إفساد عقائد المسلمين كما قال النوبختي(٢): «حكى جماعة من أهل العلم من أصحاب علي عليه السلام أن عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأسلم، ووالى علياً عليه السلام وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون بعد موسى عليه السلام بهذه المقالة، فقال في إسلامه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم في علي عليه السلام بمثل ذلك، وهو أول من شهر القول بفرض إمامة علي عليه السلام، وأظهر البراءة من أعدائه، وكاشف مخالفيه، فمن هناك قال من خالف الشيعة: إن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية»(٣).

ففكرة الوصية والإمامة في أصلهما فكرة يهودية أظهرها ابن سبأ بعد دعواه الدخول في الإسلام، ثم ورثها بعد ذلك الزنادقة من غلاة الرافضة

---

(١) الملل والنحل (١/٢٥١).

(٢) الحسن بن موسى بن الحسن النوبختي أبو محمد البغدادي، الفارسي الأصل، متكلم فيلسوف فلكي، كانت المعتزلة تدعيه، والشيعة كذلك، إلا أنه إلى حيّز الشيعة أقرب، له عدة مصنفات في الفلسفة والديانات والفرق، توفي بعد سنة ٣٠٠هـ بقليل. انظر: الفهرست ص٢٢٠، ولسان الميزان (٢/٢٥٨)، والأعلام (٢/٢٢٤).

(٣) فرق الشيعة للنوبختي ص٢٢، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.

وغيرهم، كما قال الشهرستاني في معرض كلامه عن ابن سبأ: «كان في اليهودية يقول في يوشع بن نون وصي موسى عليه السلام مثل ما قال في علي رضي الله عنه وهو أول من أظهر القول بالنص بإمامة علي رضي الله عنه ومنه انشعبت أصناف الغلاة»(١) وسيأتي إن شاء الله تعالى في ثنايا هذا البحث ذكر بعض أقوال الغلاة في مسألة الوصية ودعوى كل فرقة الوصية لإمامهم(٢).

٢ ـ عقيدة التشبيه ووصف الله تعالى بالنقائص:

اشتهرت عقيدة التشبيه عند اليهود، حيث شبهوا الخالق سبحانه وتعالى بخلقه فنسبوا إليه النقائص حتى بلغ بهم ذلك إلى أن نسبوا الولد إلى الله ـ تعالى الله عن قولهم ـ حيث ادعوا أن عزيراً هو ابن الله كما حكى ذلك عنهم الله تعالى بقوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠].

فاليهود قد عرفوا بتشبيه الرب سبحانه وتعالى حتى قيل إنهم هم الأصل في عقيدة تشبيه الخالق بالمخلوق، كما قال الإسفراييني(٣): «اعلم أن جميع اليهود في أصول التوحيد فريقان: فريق منهم المشبهة، وهم الأصل في التشبيه...»(٤).

فقد وصف اليهود ربهم بالنقائص من الحزن والبكاء واللغوب وغير ذلك من صفات النقص التي هو منزه عنها والتي نفاها سبحانه وتعالى عن نفسه كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ۝٣٨﴾ [ق: ٣٨].

بل بلغ بهم التشبيه إلى القول بأن «الإلـٰه المعبود رجل من نور على كرسي من نور على رأسه تاج من نور وله أعضاء كما للآدميين»(٥) تعالى الله

---

(١) الملل والنحل (١/ ٢٠٤).

(٢) انظر: مباحث فرق الزنادقة في الباب الثاني.

(٣) شهفور بن طاهر بن محمد الإسفراييني، أبو المظفر الشافعي، فقيه أصولي مفسر، سافر في طلب العلم وحصل الكثير ودرس بطوس واستفاد الناس منه، توفي سنة ٤٧١هـ. انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٦٠)، وطبقات المفسرين (١/ ٢١٨)، والأعلام (٣/ ١٧٩).

(٤) التبصير في الدين ص١٢٧.

(٥) تلبيس إبليس ص٨٨.

عن قولهم علواً كبيراً، بل بلغ بهم ذلك إلى وصف الرب تعالى بما هو من صفات النقص بين الآدميين كقولهم فيما ذكره الله عنهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤] وقولهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١] وغير ذلك من الصفات التي نسبوها إلى الرب تعالى وهو منزه عنها، فهو سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وقد تأثر الزنادقة بعد ظهور الإسلام بهذه العقيدة، حتى ظهر ذلك في عقائد كثير منهم وخاصة غلاة الشيعة كما قال الإسفراييني: «إن المشبهة من غلاة الشيعة أخذوا تشبيههم من اليهود حين نسبوا إليه الولد وقالوا عزير ابن الله...»[(١)].

كما تأثرت فرق الزنادقة بعقائد اليهود الأخرى كقولهم بالرجعة حيث يعتقد اليهود رجعة بعض الأموات الذين ماتوا في زمن موسى عليه السلام، كما يعتقدون رجعة جميع اليهود عند خروج المسيح المنتظر[(٢)].

كما أن اليهود قد أثروا على فرق الزنادقة في عقيدة التعطيل، حيث إن أصل تلك العقيدة إنما جاء عن اليهود حيث أخذها الجعد بن درهم عن بعض اليهود، كما سيأتي بيان ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى[(٣)].

ثالثاً: جذور نصرانية:

لقد ظهر أثر التحريف والتبديل على عقائد النصارى كما ظهر ذلك عند إخوانهم اليهود، حيث عدلوا عن عقيدة التوحيد التي جاء بها عيسى عليه السلام وابتدعوا في دينهم ما ليس منه حتى أوصلهم ذلك إلى الغلو في نبيهم عليه السلام والخروج به عن حدود البشرية إلى الإلـٰهية، كما حصل منهم التحريف

---

(١) التبصرة في الدين ص٣٥ بتصرف يسير.

(٢) انظر: بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود لعبد الله الجميلي (١/٢٧٦ ـ ٣٠١)، مكتبة الغرباء ـ المدينة، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ، فقد نقل المؤلف نصوصاً كثيرة من كتب اليهود تدل على اعتقادهم بالرجعة.

(٣) انظر: ص٢٠٤.

والتبديل لكتابه «الإنجيل» فأدخلوا فيه كثيراً من الخرافات والعقائد الوثنية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وذلك أن دين النصارى الباطل إنما هو دين مبتدع، ابتدعوه بعد المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ وغيروا به دين المسيح، فضل منهم من عدل عن شريعة المسيح إلى ما ابتدعوه»[(١)].

ومن أعظم ما ابتدعه النصارى وخالفوا به عقيدة التوحيد التي جاء بها عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قولهم بعقيدة التثليث، والقول بالحلول والاتحاد بين اللاهوت والناسوت، وقولهم إن المسيح هو الله وابن الله، وما هم عليه من إنكار ما يجب الإيمان به من الإيمان باليوم الآخر وغيره من الأمور الغيبية[(٢)]، كما حرفوا وخالفوا ما جاء به نبيهم من تحليل ما حرمه الله ورسوله وتحريم ما أحله الله ورسوله وتركهم لكثير مما أوجبه الله عليهم من الطهارة وغيرها[(٣)].

وقد ظهر أثر تلك العقائد المنحرفة عند كثير من فرق الزنادقة بعد ظهور الإسلام، وخاصة عقيدة الحلول والاتحاد.

وقد كان أول من نادى بالغلو في عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وإخراجه عن حدود البشرية «بولس» الذي أفسد على النصارى دينهم، حيث وضع أساس عقيدة الحلول وتأليه البشر، وذلك حينما زعم بأن المسيح هو ابن الله ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ ثم تطورت تلك العقيدة بعد ذلك وتشعبت فنتج عن ذلك القول بحلول الإلٰه في جسد عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أو اتحاده به.

وقد اشتهرت عقيدة الحلول والاتحاد بعد ذلك بين فرق النصارى حتى أصبح ذلك هو المعروف في عقيدتهم وخاصة بعد تقرير ذلك في

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/١٠٨).

(٢) انظر: الجواب الصحيح (٢/١٠٨ ـ ١٨١).

(٣) ومن الأمثلة على ما ابتدعوه وحرفوه مما جاءت به شريعتهم «استحلالهم لحم الخنزير، وتعبدهم بالرهبانية، وامتناعهم عن الختان، وتركهم طهارة الحدث والخبث، فلا يوجبون غسل جنابة ولا وضوءاً، ولا يوجبون اجتناب شيء من الخبائث في صلاتهم...» الجواب الصحيح (١/٣٦١).

مجامعهم الرسمية[١].

وقد اختلفت النصارى في كيفية تجسد الإلٰه في عيسى عليه السلام: «فمنهم من قال: أشرق على الجسد إشراق النور على الجسم المشف، ومنهم من قال: انطبع فيه انطباع النقش في الشمع، ومنهم من قال: ظهر به ظهور الروحاني بالجسماني، ومنهم من قال: تدرّع[٢] اللاهوت بالناسوت، ومنهم من قال: مازجت الكلمة جسد المسيح ممازجة اللبن الماء والماء اللبن...»[٣] إلى غير ذلك من أقوالهم الكثيرة المتناقضة والتي تضمنت مسبة الخالق سبحانه وتعالى وتنقصه، وهم مع ذلك يزعمون أن هذا الإلٰه الذي تجسد في المسيح عليه السلام قد أخذ وضرب بالسياط وصلب ولذلك كان قولهم في الإلٰه هو أقبح أقوال أهل الملل في ذلك، حتى قيل: «ما قال قوم من أهل الملل قولاً في الله، إلا وقول النصارى أقبح منه»[٤].

قال ابن القيم رحمه الله: «إن هذه الأمة ـ أي: النصارى ـ ارتكبت محظورين عظيمين، لا يرضى بهما ذو عقل ولا معرفة:

أحدهما: الغلو في المخلوق، حتى جعلوه شريك الخالق، وجزءاً منه، وإلهاً آخر معه، وأنفوا أن يكون عبداً له.

والثاني: تنقص الخالق وسبُّه ورميه بالعظائم، حيث زعموا أنه ـ سبحانه وتعالى عن قولهم علواً كبيراً ـ نزل من العرش عن كرسي عظمته، ودخل في فرج امرأة... وبالجملة، فلا نعلم أمّة من الأمم سبَّت ربها معبودها وإلهها بما سبت به هذه الأمة كما قال عمر: «إنهم سبوا الله مسبة ما سبَّه إياها أحد من

---

(١) ومن أشهر تلك المجامع التي تقرر فيها القول بألوهية المسيح عليه السلام «مجمع نيقية سنة ٣٢٥م» الذي انعقد أساساً للقضاء على دعوة «آريوس» الذي أقام الدعوة إلى تجريد التوحيد، وأن عيسى عليه السلام عبد مخلوق لله تعالى.
انظر: الملل والنحل (١/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨)، والجواب الصحيح (٤/ ٢٢٠ ـ ٢٢٩).

(٢) تدرّع: أي: تجسد فيه.

(٣) الملل والنحل (١/ ٢٦٣).

(٤) الجواب الصحيح (٤/ ٤٥٧).

البشر»[١]»[٢].

وقد تأثرت كثير من فرق الزنادقة بعقيدة الحلول والاتحاد حتى اعتقدوا ذلك في أئمتهم ودعاتهم كما سيأتي بيان ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى[٣].

ومن عقائدهم الباطلة عقيدة التثليث حيث جعلوا الإلـٰهة ثلاثة: الأب والابن وروح القدس، فقالوا: «وحدة في تثليث وتثليث في وحدة»[٤] وقد عجزوا عن تقرير ذلك بعبارة مقبولة وقد أنكر عليهم الرب ﷻ هذه المقالة العظيمة وبيّن ضلالهم وكفرهم فقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [المائدة: ٧٣].

وقد أخذ ذلك عنهم بعض غلاة الرافضة كالنصيرية فإنهم قالوا بثالوث مقدس أشبه ما يكون بثالوث النصارى، كما سيأتي بيان ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى[٥].

كما تأثر بعض الزنادقة بعقائد النصارى الأخرى، حيث زعم بعض فرق الزنادقة أن المسيح عليه السلام هو الذي يحاسب الخلق في الآخرة، كما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى[٦].

---

(١) ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هذا الأثر أيضاً عن معاذ رضي الله عنه بلفظ: «**لا ترحموهم فلقد سبوا الله...**» الجواب الصحيح (٣/ ١٠٠ ـ ١٠١).

(٢) إغاثة اللهفان (٢/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣).

(٣) انظر: ص٤٥٩ وما بعدها.

(٤) إغاثة اللهفان (٢/ ٢٧٥).

(٥) انظر: ص٢٧٣.

(٦) القائل بذلك هم فرقة الخابطية من زنادقة المعتزلة، كما سيأتي بيان ذلك عند الكلام على عقائد الزنادقة.

الفصل الثالث

نشأة الزندقة
في تاريخ المسلمين وأسبابها

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: نشأة الزندقة في تاريخ المسلمين.

المبحث الثاني: أسباب ظهور الزندقة في بلاد المسلمين.

المبحث الأول

نشأة الزندقة في تاريخ المسلمين

تمهيد:

بعث الله نبيه محمداً ﷺ بالهُدى ودين الحقّ، فكان أول من تصدى لدعوته حينما صدع بالحق بين جبال مكة قومه وعشيرته الذِّين كانوا يعبدون الأصنام ويشركون بالله تعالى، فكذّبوه وآذوه، غير أنه ﷺ صبر على الأذى في سبيل نشر دعوته، حتى آمن به من آمن من السابقين الأولين من أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والزبير وغيرهم من السابقين ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ ولم يكن هناك زندقة ولا نفاق بل ليس ثمّ إلّا مؤمن أو كافر. وقد كان أشراف مكة وجمهورهم على الكفر وكان من أظهر الإسلام آذوه وعذّبوه(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «أما أهل مكة فكان أشرافهم وجمهورهم كفاراً فلم يكن يُظهر الإسلام إلّا من هو مؤمن ظاهراً وباطناً، فإنّه كان من أظهر الإسلام يؤذى ويهجر»(٢).

ثم إن الله تعالى أذن لنبيه ﷺ بالهجرة إلى المدينة فأمر ﷺ أصحابه بالهجرة، ثم هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة بصحبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فلما وصل ﷺ إلى المدينة وجد الإسلام قد دخل أكثر بيوتاتها، عن طريق أصحابه رضي الله عنهم الذّين أذن لهم في الهجرة، فقاموا بالدعوة إلى دين الله حتى لم يبق بيت في المدينة إلّا ودخله الإسلام، ولم يبق على كفره إلّا نزر قليل

---

(١) انظر: البداية والنهاية (٣/ ٢٤ وما بعدها).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٥/ ٦٣).

يتزعمهم عبد الله بن أُبَيّ ابن سلول[١]، فلما وقعت غزوة بدر وأعزّ الله دينه وظهرت قوة الإسلام، وقَوِيت شوكة المسلمين، وعلم بذلك ابن سلول ومن كان معه على الكفر، أعلنوا الدخول في الإسلام حماية لأنفسهم ولمصالحهم الدنيوية، فمن هنا نشأ النفاق[٢]، وصار النّاس ثلاثة أصناف: إمّا مؤمن مُظهر لإيمانه، وإمّا كافر مظهر للكفر، وإمّا منافق، بخلاف مكة فإنّه لم يكن بها منافق[٣]، ولهذا قال الإمام أحمد بن حنبل وغيره: «لم يكن من المهاجرين منافق، وإنما كان النفاق في قبائل الأنصار، فإن مكة كانت للكفار مستولين عليها، فلا يؤمن ويهاجر إلّا من هو مؤمن ليس هناك داع يدعو إلى النفاق، والمدينة آمن بها أهل الشوكة، فصار للمؤمنين بها عزّة ومنعة بالأنصار، فمن لم يظهر الإيمان آذوه، فاحتاج المنافقون إلى إظهار الإيمان، مع أن قلوبهم لم تؤمن»[٤].

فهذا هو سبب ظهور النفاق في الإسلام، وهذا النفاق الذي ظهر في المدينة لم يكن يعرف في صدر الإسلام بغير هذا الاسم، فلم يكن يطلق عليه اسم الزندقة ولا غير ذلك من الأسماء، ولم يكن المنافقون يسمَّون «زنادقة» في زمن الرسالة، وإن سُمّوا بذلك بعد زمن الرسالة كما تقدم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «لفظ الزندقة لا يوجد في كلام النبي ﷺ[٥] كما لا يوجد في القرآن، وهو لفظ أعجمي.........................

---

(١) عبد الله بن أبيّ بن مالك الخزرجي أبو الحباب المشهور بابن سلول رأس المنافقين بالمدينة، أظهر الإسلام بعد غزوة بدر تقية، وكان كلما نزل بالمسلمين نازلة شمت بهم وهو القائل: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذلّ. كان موته في ذي القعدة من السنة التاسعة للهجرة. انظر: البداية والنهاية (٥/ ٣١)، وشذرات الذهب (١/ ١٣)، والأعلام (٤/ ٦٥).

(٢) انظر: البداية والنهاية (٣/ ١٦٦ ـ ٣٢٠).

(٣) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٧/ ٢٠٠ ـ ٢٠١).

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٧/ ٢٠١).

(٥) يرد على كلام شيخ الإسلام رحمه الله ما رواه الإمام أحمد في مسنده (١٠/ ٣٤١) ح(٦٢٠٨) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: =

معرّب»[(١)].

وقال الإمام مالك: «النفاق على عهد رسول الله ﷺ هو الزندقة فينا اليوم»[(٢)].

وأمّا إطلاق مسمّى الزندقة وظهوره في تاريخ المسلمين، فقد كانت بداية ذلك الإطلاق في أواخر عهد الخلفاء الرّاشدين ﵃ ثم انتشر ذلك الإطلاق وشاع استعماله بعد ذلك، كما يتضح فيما يلي:

أولاً: عصر الخلفاء الراشدين ﵃:

ظهرت أول بذرة للزندقة في تاريخ المسلمين في أواخر خلافة عثمان بن عفان ﵁، وذلك حينما دخل في الإسلام بعض المغرضين الَّذين هدفهم إفساد عقائد المسلمين والقضاء على دين الإسلام، من أمثال عبد الله بن سبأ

= **«إنه سيكون في أمتي مسخ وقذف، وهو في الزنديقية والقدرية»**. ورواه أيضاً اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (٤/ ٧٠١) ح(١١٣٥)، تحقيق: د. أحمد سعد الغامدي، دار طيبة، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ، وقد أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٧/ ٢٠٣)، مكتبة المعارف، بيروت، ١٤٠٦هـ، لكن آخره «وهي في أهل الزندقة» بدل «وهو في الزنديقية...» غير أني لم أجده في شيء من الأصول، فلعله اختصره بعضهم عن اللفظ المتقدم. وفي إسناد أحمد واللالكائي حميد بن زياد، أبو صخر، وهو مختلف فيه، وقد أنكر عليه هذا الحديث كما قال ابن حجر في التهذيب (٣/ ٤١ ـ ٤٢) فيما نقله عن ابن عدي أنه قال: «إنما أنكر عليه هذان الحديثان المؤمن يألف، وفي القدرية...»، وقد ضعف الحديث شعيب الأرنؤوط في تحقيقه للمسند، وبذلك يزول هذا الإشكال حول إطلاق شيخ الإسلام ﵀ أن اللفظ لا يوجد في كلام النبي ﷺ؛ يعني: الصحيح عنه. وقد روى هذا الحديث الترمذي في كتاب القدر (٤/ ٤٥٦) ح(٢١٥٢) لكن لم يذكر في آخره لفظ «الزنديقية» وإنما ذكر «وأهل القدر» فقط ثم قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب» وهو من طريق أبي صخر أيضاً.

وأحاديث ذم القدرية لم يصح رفع شيء منها، وأكثرها إنما صح موقوفاً، كما نص على ذلك ابن أبي العز في شرحه للطحاوية (٢/ ٣٥٨) فقال ﵀: «كل أحاديث القدرية المرفوعة ضعيفة وإنما يصح الموقوف منها».

(١) بغية المرتاد لابن تيمية ص٣٣٨. (٢) تفسير القرطبي (١/ ١٩٩).

اليهودي الذي أظهر الإسلام وأراد بذلك «أن يفسد الإسلام بمكره وخبثه كما فعل بولص بدين النصارى، فأظهر ـ أي: ابن سبأ ـ النسك، ثم أظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى سعى في فتنة عثمان وقتله. ثم لما قدم على الكوفة أظهر الغلو في عليّ رضي الله عنه، والنصّ عليه، ليتمكن بذلك من أغراضه، وبلغ ذلك علياً، فطلب قتله فهرب»[(١)].

فابن سبأ هو الذي زين لعوام أهل مصر وأهل الكوفة الخروج على عثمان رضي الله عنه، وهو الذي زيّن لهم الغلو في علي رضي الله عنه، وأوحى إليهم ببعض العقائد المنحرفة التي أراد بنشرها بين المسلمين إفساد دينهم وعقيدتهم.

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله: «ذكر سيف بن عمر[(٢)]، أن سبب تألُّب الأحزاب على عثمان رضي الله عنه أن رجلاً يقال له عبد الله بن سبأ كان يهودياً، فأظهر الإسلام وصار إلى مصر فأوحى إلى طائفة من النّاس كلاماً اخترعه من عند نفسه، مضمونه أنه يقول للرجل: «أليس قد ثبت أن عيسى ابن مريم سيعود إلى الدنيا[(٣)] فيقول الرجل: نعم. فيقول له فرسول الله ﷺ أفضل منه فما تنكر أن يعود إلى هذه الدنيا، وهو أشرف من عيسى ابن مريم عليه السلام، ثم يقول: وقد كان أوصى إلى علي بن أبي طالب: فمحمد خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء، ثم يقول: فهو أحقّ بالإمارة من عثمان، وعثمان معتد في

---

(١) منهاج السُّنَّة النبوية لابن تيمية (٨/ ٤٧٩).

(٢) سيف بن عمر الضبي الأسدي التميمي الكوفي، كان أخبارياً عارفاً، له بعض المصنفات في السيرة، وهو ضعيف في رواية الأحاديث، مات في خلافة الرّشيد قريباً من سنة ٢٠٠هـ. انظر: ميزان الاعتدال (٢/ ٢٥٥)، وتقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني (١/ ٣٤٤) تحقيق: د. عبد الوهاب عبد اللطيف، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ، والأعلام (٣/ ١٥٠).

(٣) يعود عيسى ابن مريم عليه السلام إلى الدنيا في آخر الزمان بعد أن رفعه الله إليه، فيقتل الدجال ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويحكم بالعدل، كما روى البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى ابن مريم عليه السلام (٣/ ٣٢٤) ح(٢٤٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً وعدلاً، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الحرب**...».

ولايته ما ليس له، فأنكروا عليه وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فافتتن به بشر كثير من أهل مصر، وكتبوا إلى جماعات من عوام أهل الكوفة والبصرة، فتمالؤوا على ذلك وتكاتبوا فيه...»(١).

ثم إن ابن سبأ وأتباعه بالغوا في غلوّهم في علي رضي الله عنه حتى جاؤوا إليه وقالوا: «أنت أنت» يعني: أنت ربّنا وخالقنا ورازقنا، فقال: ويلكم إنما أنا عبد مثلكم آكل الطعام كما تأكلون وأشرب كما تشربون، إن أطعت الله أثابني وإن عصيته خشيت أن يعذِّبني، فاتّقوا الله وارجعوا، فأبوا، فلمّا كان اليوم الثالث قال: لئن قلتم ذلك لأقتلنّكم أخبث قتلة فأبوا إلّا ذلك فحفر لهم أخدوداً ثم حرّقهم بالنّار فيه(٢).

وقد أطلق السلف رحمهم الله على ابن سبأ وأصحابه لفظ الزنادقة كما ورد ذلك صريحاً فيما أخرج البخاري عن عكرمة قال: «أتي علي رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم...»(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والعلماء دائماً يذكرون أن الذي ابتدع الرفض كان زنديقاً ملحداً، مقصوده إفساد الإسلام»(٤).

وقال ابن القيّم رحمه الله: «وأما الرفض فإن الذي ابتدعه زنديق منافق وهو عبد الله بن سبأ الذي أظهر الإسلام وكان يُبطن الكفر»(٥).

وقال الذهبي رحمه الله: «عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة ضَال مُضِّل أحسب أن علياً أحرقه بالنّار(٦)...»(٧).

فهذا الزنديق اليهودي ومن تبعه هم أصل الزندقة في تاريخ المسلمين،

---

(١) البداية والنهاية (٤/ ١٧٤).
(٢) انظر: فتح الباري (١٢/ ٢٨٢).
(٣) تقدم تخريجه. انظر: ص٤٦.
(٤) منهاج السُّنَّة النبوية (٧/ ٢١٩).
(٥) الصواعق المرسلة في الردّ على الجهمية والمعطلة لابن القيم (٤/ ١٤٠٥).
(٦) الصحيح أن علياً رضي الله عنه إنما أحرق بعض أتباع ابن سبأ، وأما هو فقد نفاه علي رضي الله عنه إلى ساباط المدائن، ولذلك لما قُتل علي رضي الله عنه زعم هذا الزنديق أن المقتول لم يكن علياً. انظر: الفرق بين الفرق ص٢٣٣، والملل والنحل (١/ ٢٠٤).
(٧) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي (٢/ ٤٢٦).

وقد أثّرت تلك الأفكار والعقائد التي أحدثها ابن سبأ على كثير من أبناء المسلمين حتى بعد وفاته. ولم تزل تلك الأفكار والعقائد المنحرفة تنخر في جسد الأمة الإسلامية وتفسد عقائدها، حتى أفسدت عقائد كثير من الفرق الإسلامية، بل تأسست بعد ذلك فرقة كاملة، أخذت بأفكار ابن سبأ وأقواله، وأصبحت تنسب إليه، وهي فرقة السبئية كما سيأتي في الباب الثاني بإذن الله تعالى.

ثانياً: عهد بني أمية:

استتر الزنادقة فترة من الزمن بعد أن حرّقهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لتظهر آثارهم مرة ثانية في أواخر دولة بني أمية، وذلك بعد انتشار الموالي من الفرس وغيرهم في البلاد الإسلامية، غير أن تلك الآثار التي ظهرت في هذا العصر لم تكن شائعة في المجتمع الإسلامي وإنما كانت محدودة عند بعض الفرق المنحرفة إضافة إلى ظهورها عند بعض الأدباء والشعراء الذين اشتهروا في هذا العصر.

فقد بدأت بوادر الزندقة تظهر في هذا العصر، وخاصة في خلافة هشام بن عبد الملك[(١)]، بعد أن ترجمت بعض الكتب الفارسية وانتشرت في أوساط الأدباء ونحوهم، وفي ذلك يقول المسعودي في معرض حديثه عن الخليفة هشام بن عبد الملك: «على عهده ظهرت الفرق في الإسلام وانتشرت بعد ترجمة تصانيف ماني وبردستان[(٢)] التي نقلها من الفهلوية[(٣)] أو الفارسية،

---

(١) هشام بن عبد الملك بن مروان، الأموي، أحد خلفاء بني أمية، كان عاقلاً حازماً، حسن السياسة، يقظاً في أمره، ولد سنة ٧١هـ، وتوفي بالرصافة سنة ١٢٥هـ. انظر: تاريخ الطبري (٤/ ٢١٨ ـ ٢٢٠)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٣٥١ ـ ٣٥٣)، وتاريخ الخلفاء ص٢١٨ ـ ٢٢٠، وشذرات الذهب (١/ ١٦٣) والأعلام (٨/ ٨٦).

(٢) بردستان: لم أجد له ترجمة بعد البحث.

(٣) الفهلوية: هي إحدى اللغات الفارسية الخمس، وهي منسوبة إلى فهلة أحد أقاليم فارس ويجمع خمسة بلدان: أصبهان والري وهمذان وماه نهاوند وأذربيجان، والفهلوية هي التي كان يتخاطب بها ملوك فارس ويجرى بها الكلام في مجالسهم. انظر: الفهرست ص٢٣ ـ ٢٥، ومعجم البلدان (٤/ ٣١٨ ـ ٣١٩).

عبد الله بن المقفع[١] وغيره، وفي ذلك الوقت ظهرت كتب ابن أبي الأرجح[٢] وحمّاد عجرد ويحيى ابن زياد[٣] ومطيع بن إياس[٤]، وظهرت الزندقة وراجت»[٥].

وقد نشطت في هذا العصر فرقة السبئية فأثرت بأفكارها المنحرفة في كثير من الفرق الأخرى كالمغيرية[٦] والبيانية[٧] وغيرهما، كما ظهرت في هذا العصر فرقة من أخطر فرق الزنادقة فرقة الجهمية المعطلة والتي ظهر أثرها بعد ذلك لما تمكن دعاتها من التأثير على بعض الخلفاء العباسيين كما سيأتي.

---

(١) عبد الله بن المقفع الفارسي الأديب، الكاتب المفوه، كان مجوسياً ثم أسلم على يد عيسى بن علي عم السفاح، تولى كتابة الديوان للمنصور العباسي، وترجم كثيراً من الكتب الفارسية، وكان متهماً بالزندقة قتله أمير البصرة سفيان بن معاوية المهلبي بأمر من أبي جعفر المنصور سنة ١٤٥هـ، وقيل قبل ذلك. انظر: البداية والنهاية (١٠/٩٨ ـ ٩٩)، والسير (٦/٢٠٨)، وتاريخ الأدب العربي، د. عمر فروخ (٢/٥١ ـ ٥٩)، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السادسة، ١٩٩٧م، والأعلام (٤/١٤٠).

(٢) ابن أبي الأرجح: لم أجد له ترجمة بعد البحث.

(٣) يحيى بن زياد بن عبيد الله الحارثي، أبو الفضل، شاعر ماجن، أحد المتهمين بالزندقة، له مدائح في السفاح وفي المهدي، وهو ابن خال السفاح، وقد كان يحيى يعرف بالزنديق، واشتهر بذلك. توفي في أيام المهدي نحو سنة ١٦٠هـ. انظر: تاريخ بغداد (١٤/١١١ ـ ١١٢)، وتاريخ الأدب العربي (٢/١٠٣ ـ ١٠٤)، والأعلام (٨/١٤٥).

(٤) تقدمت ترجمته. انظر: ص٥٠.

(٥) الزندقة والزنادقة لعاطف شكري ص١١٨، دار الفكر، الأردن، نقلاً عن مروج الذهب للمسعودي وقد بحثت عن هذا النص فلم أهتد إلى موضعه، والله أعلم.

(٦) المغيرية: هو أتباع المغيرة بن سعيد البجلي الكوفي، الزنديق المنجم، كان يقول بتأليه علي رضي الله عنه، وقد ادعى النبوة لنفسه واستحل المحرمات. قتله خالد القسري سنة ١١٩هـ. انظر: الفرق بين الفرق ص٢٣٨ ـ ٢٤٢، والملل والنحل (١/٢٠٧ ـ ٢٠٩)، والأعلام (٧/٢٧٦).

(٧) البيانية: هم أتباع بيان بن سعيد التميمي زنديق ممخرق، ظهر بالعراق في أوائل القرن الثاني، قال بإلهية علي رضي الله عنه ثمّ ادعى بيان النبوة ثم الإلـٰهية عن طريق التناسخ، وأتباعه مختلفون فمنهم من يدعي نبوته، ومنهم من يدعي أنه إلـٰه ـ تعالى الله عن قولهم ـ، وقد قتله خالد القسري مع المغيرة سنة ١١٩هـ. انظر: الفرق بين الفرق ص٢٣٦ ـ ٢٣٨، والملل والنحل (١/١٧٦ ـ ١٧٧).

وقد اهتم الزنادقة في هذا العصر بترجمة كتبهم الفارسية والتي كان لها أعظم الأثر في نشر مبادئ الزندقة في المجتمع الإسلامي، وقد تولى ذلك بعض الأدباء من الموالي من أمثال ابن المقفع[١] وأبان اللاحقي[٢] وغيرهما.

فابن المقفع قد أكثر من ترجمة الكتب الفارسية، فترجم كثيراً من كتب زنادقة الفرس كماني ومزدك، بل إن غالب كتب الزندقة التي ترجمت إلى العربية هو الذي تولى ترجمتها، حتى قال الخليفة المهدي بعد ذلك: «ما وجدت كتاب زندقة إلّا وأصله ابن المقفع»[٣].

كما اهتم الزنادقة في هذا العصر بالوصول إلى بلاط الخلفاء والولاة، تحت ستار العلم والأدب، حتى نالوا بغيتهم بكسب ثقة بعض الخلفاء، مما جعلهم يعينونهم مؤدبين لأولادهم، كما حصل ذلك لعبد الصمد بن عبد الأعلى[٤]، الذي كان مؤدباً للوليد بن يزيد[٥]، والجعد بن درهم[٦] الذي كان مؤدباً لمروان بن محمد[٧].

---

(١) تقدمت ترجمته. انظر: ص١١٦.

(٢) أبان بن عبد الحميد بن لاحق الرقاشي مولاهم، كان شاعراً خليعاً ماجناً متهماً بالزندقة والإلحاد، وكان فيه ميل إلى الفرس، انتقل إلى بغداد واتصل بالبرامكة فأكثر مدحهم، عينه يحيى بن خالد رئيساً لديوان الشعر، ونظم للبرامكة كثيراً من الكتب الفارسية. توفي سنة ٢٠٠هـ. انظر: الفهرست ص١٩٨هـ، والأعلام (١/ ٢٧)، وتاريخ الأدب العربي للدكتور عمر فروخ (٢/ ١٦٧ ـ ١٦٩).

(٣) البداية والنهاية (١٠/ ٩٦).

(٤) عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدب الخليفة الأموي الوليد بن يزيد، كان يرمى بالزندقة وهو الذي حمل الوليد على الشراب والاستخفاف بالدين، وقد كتب الخليفة هشام بن عبد الملك إلى الوليد بطرد عبد الصمد وإخراجه من عنده ففعل. انظر: تاريخ الطبري (٤/ ٢٢٣)، والأغاني (٧/ ٧،١٥).

(٥) الوليد بن يزيد بن مروان أبو العبّاس الأموي، أحد خلفاء بني أمية، أسرف على نفسه في المجون والاستخفاف بالشعائر حتى اتهم بالزندقة، ولد سنة ٩٠هـ، وتوفي مقتولاً سنة ١٢٦هـ. انظر: تاريخ الطبري (٤/ ٢٢٢ ـ ٢٥١)، والبداية والنهاية (١٠/ ٧ ـ ٩)، والسير (٥/ ٣٧٠ ـ ٣٧٣)، وتاريخ الخلفاء ص٢٢٠ ـ ٢٢٢.

(٦) تقدمت ترجمته: انظر: ص٤٩.

(٧) مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الأموي، أبو عبد الملك آخر خلفاء بني أمية، =

وقد حرص أولئك الزنادقة على التأثير على أبناء الخلفاء وتزيين اللهو والشهوات في نفوسهم لصدهم عن التمسك بالدّين والالتزام بالشعائر الإسلامية، وهذا ما حصل مع الوليد ابن يزيد الأموي، حيث حمله مؤدبه عبد الصمد بن عبد الأعلى المتهم بالزندقة على الانغماس في اللهو والشراب والاستخفاف بشعائر الدّين، كما أشار إلى ذلك الأصفهاني بقوله: «كان عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدباً للوليد، وكان فيما يقال زنديقاً، فحمل الوليد على الشراب والاستخفاف بدينه، فاتخذ له الندماء فشرب وتهتك»[١].

وقد وصف ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ حال الوليد وكيف كان أثر هذا المؤدب عليه حتى بلغ به الأمر إلى المبالغة في الفجور فقال: «كان هذا الرجل ـ أي: الوليد ـ مجاهراً بالفواحش مصراً عليها منتهكاً محارم الله عَزَّ وَجَلَّ لا يتحاشى من معصية، وربما اتهمه بعضهم بالزندقة في الدين[٢]، والله أعلم، لكن الذي يظهر أنه كان عاصياً شاعراً ماجناً متعاطياً للمعاصي، لا يتحاشاها من أحد، ولا يستحيي من أحد...»[٣].

= يُعرف بمروان الجعدي نسبة إلى مؤدبه، كان بطلاً ذا هيبة جبّاراً، قتله العبّاسيون في ذي الحجة سنة ١٣٢هـ. انظر: تاريخ الطبري (٤/ ٢٨٠، ٣٥٦)، والبداية والنهاية (١٠/ ٤٨ ـ ٥٠)، والسير (٦/ ٧٤ ـ ٧٧)، وتاريخ الخلفاء ص٢٢٥.

(١) الأغاني (٢/ ٢٣٢)، وانظر: تاريخ الطبري (٤/ ٢٢٣).

(٢) اتُّهم الوليد بن يزيد بالزندقة نظراً لاستخفافه بأمور الشريعة، وانهماكه في فعل الفواحش وشرب الخمر حتى قال له عمه الخليفة هشام: «ويحك والله ما أدري أعلى الإسلام أنت أم لا، فإنك لم تدع شيئاً من المنكرات إلا أتيته غير متحاش ولا مستتر» البداية والنهاية (١٠/ ٣)، لكن الظاهر والله أعلم، أنه لم يكن زنديقاً وإنما كان فاسقاً ماجناً، وقد قال الخليفة المهدي لما ذكر عنده الوليد، فقال رجل: «كان زنديقاً»، قال المهدي: «مه، خلافة الله أجل من أن يجعلها في زنديق» السير (٥/ ٣٧٢). قال الذهبي: «مقت الناس الوليد لفسقه وتأثموا من السكوت عنه وخرجوا عليه... ولم يصح عنه كفر ولا زندقة، نعم اشتهر بالخمر والتلوط» تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للذهبي حوادث ١٢١ ـ ١٤٠ ص٢٩١ ـ ٢٩٤، تحقيق: د. عمر تدمري، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

(٣) البداية والنهاية (١٠/ ٧ ـ ٨).

وكذلك كان الحال مع مروان بن محمد حيث حرص مؤدبه الجعد بن درهم على التأثير عليه حتى تأثر بشيء من كلامه ورأيه الخبيث، بل بلغ ذلك به إلى أنه كان ينسب إليه، فيقال «مروان الجعدي»، وقد رجع شؤمه عليه فسقطت في خلافته الدولة الأموية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا الجعد إليه ينسب مروان بن محمد الجعدي آخر خلفاء بني أمية، وكان شؤمه عاد عليه حتى زالت الدولة...»[(١)].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في ترجمة مروان: «كان يقال له مروان الجعدي، نسبة إلى رأي الجعد بن درهم[(٢)]»[(٣)].

كما أن كثيراً من الذين اشتهروا بالزندقة والمجون في العصر العبّاسي، كانوا من المخضرمين الذين أدركوا أواخر دولة بني أمية، وأوائل دولة بني العبّاس من أمثال بشار بن برد وحمّاد عجرد ومطيع بن إياس وغيرهم، وسيأتي ذكرهم إن شاء الله تعالى فيما يلي.

ثالثاً: عصر بني العبّاس:

اشتهرت الزندقة في أوائل الدولة العباسية وكثر أتباعها، وخاصة من الموالي، بجميع طبقاتهم، من أدباء وشعراء ووزراء وغيرهم، وظهر ذلك صريحاً في الشِّعر والنثر.

وقد ذكر ابن النديم أسماء جملة من رؤساء الزنادقة في ذلك العصر فقال: «ومن رؤسائهم المتكلمين الذين يُظهرون الإسلام ويُبطنون الزندقة: ابن

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٣/ ١٧٧).

(٢) وقد ذكر ابن النديم أن الجعد بن درهم تمكن من إدخال مروان في الزندقة فقال: «كان الجعد بن درهم الذي ينسب إليه مروان بن محمد فيقال: مروان الجعدي، وكان مؤدباً له ولولده، فأدخله في الزندقة» الفهرست ٤١٠. قلت: ما ذكره ابن النديم لم يكن معروفاً عن مروان بن محمد، فلعله إنما تأثر ببعض أقوال الجعد، والرجل قد عرف واشتهر بشجاعته وانشغاله بالحروب، وقد فتح الله على يديه بلاداً كثيرة.

(٣) البداية والنهاية (١٠/ ٤٨).

طالوت[(١)]، أبو شاكر[(٢)]، ابن أخي أبي شاكر[(٣)]، ابن الأعدى الحريزي[(٤)]، نعمان بن أبي العوجاء[(٥)]، صالح بن عبد القدوس[(٦)]...»[(٧)].

وأما الشعراء الزنادقة الذين ظهروا في هذا العصر فهم كثر، وقد ذكر ابن النديم جملة منهم فقال في معرض تعداده للزنادقة في دولة بني العبّاس: «ومن الشعراء: بشّار بن برد، إسحاق بن خلف[(٨)]، ابن سيابة[(٩)]، سلم الخاسر[(١٠)]،

---

(١) لم أجد له ترجمة بعد البحث.

(٢) هو ميمون بن ديصان بن سعيد القداح، أبو شاكر مولى جعفر الصادق، وهو والد عبد الله بن ميمون، قيل: إن أصله يهودي، وهو الذي أنشأ المذهب الإسماعيلي بمساعدة ابنه عبد الله بقصد القضاء على الإسلام، تنقل ميمون مع إمامه محمد بن إسماعيل لنشر مذهبه، وقد قبض عليه المنصور في أواخر أيامه وسجنه، وبعد خروجه من السجن واصل جهوده لنشر مذهب الإسماعيلية، وهو صاحب كتاب «الميزان» في نصرة الزندقة ومات ميمون بعد عام ١٩٨هـ، أي: بعد وفاة محمد بن إسماعيل. انظر: السير (١٥/١٤٨)، ونشأة الفكر الفلسفي في الإسلام للنشار (١/ ٢٠٤).

(٣) لم أجد له ترجمة بعد البحث.

(٤) لم أجد له ترجمة بعد البحث.

(٥) هكذا في الفهرست «نعمان» ولم أجد ترجمته بهذا الاسم، والمشهور بالزندقة في هذا العصر هو عبد الكريم بن أبي العوجاء وستأتي ترجمته. انظر: ص١٥٦.

(٦) صالح بن عبد القدّوس بن عبد الله الأزدي مولاهم، أبو الفضل، شاعر متكلِّم، قال الذهبي: صاحب الفلسفة والزندقة، قتله المهدي على الزندقة ببغداد سنة ١٦٠هـ. انظر: معجم الأدباء (٣/ ٤١٩ ـ ٤٢٠)، وتاريخ بغداد (٩/ ٣٠٤)، وميزان الاعتدال (٢/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨)، والأعلام (٣/ ١٩٢).

(٧) الفهرست ص٤١١.

(٨) إسحاق بن خلف المعروف بابن الطيب، شاعر طنبوري، متهم بالزندقة، كان شأنه التصيد بالكلاب ومعاشرة الشطار، حبسه العباسيون، وقال الشعر في السجن وامتدح الملوك، توفي نحو ٢٣٠هـ. انظر: الأغاني (١١/ ٢٨٦)، والأعلام (١/ ٢٩٥).

(٩) إبراهيم بن سيابة مولى بني هاشم، يقال: إن جده حجّام أعتقه بعض الهاشميين، كان خليعاً ماجناً متهماً بالزندقة، عاش في أوائل العصر العباسي. انظر: الأغاني (١٢/ ١٠٨ ـ ١١١).

(١٠) سلم بن عمرو مولى بني تيم بن مرّة، كان ماجناً خليعاً متهماً بالزندقة وإنما سمي بالخاسر لكونه باع مصحفه واشترى بثمنه ديواناً. مات قبل هارون الرشيد. انظر: تاريخ بغداد (٩/ ١٣٨ ـ ١٤١)، والسير (٨/ ١٩٣ ـ ١٩٤).

علي بن الخليل[١]، علي بن ثابت[٢]...»[٣].

وقد ذكر أيضاً في تعداده للزنادقة فيهذا العصر جملة من الوزراء فقال: «قيل: إن البرامكة بأسرها، إلّا محمد بن خالد بن برمك[٤]، كانت زنادقة[٥]

---

(١) علي بن الخليل مولى معن بن زائدة الشيباني، كان ماجناً وكان ملازماً لصالح بن عبد القدوس فاتهم بالزندقة وحُبس معه في الزندقة. انظر: الأغاني (١٤/ ١٧٤ ـ ١٧٧).

(٢) لم أجد له ترجمة بعد البحث، إلا أن له ذكراً في الأغاني في عدة مواضع. انظر: فهارس الأغاني (٢٦/ ٣٤٠).

(٣) الفهرست ص٤١١.

(٤) محمد بن خالد البرمكي كان أحد حجبة الرشيد ثم عزله بالفضل بن الربيع، وقد كان يساعد أخاه يحيى على شؤون الدولة، ولم يكن محمد هذا كبقية البرامكة في التهمة عند الرشيد، ولذلك لما نادى الرشيد سنة ١٨٧هـ بعدم أمان البرامكة قال إلا محمد بن خالد وولده وحشمه وأهله، فاستثناهم الرشيد لما ظهر من نصيحة محمد له وبراءته مما دخل فيه غيره من البرامكة. انظر: كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري ص٢٣٣ ـ ٢٣٤، والبداية والنهاية (١٠/ ١٩٨).

(٥) اختلف في أمر البرامكة وسبب نكبتهم على يد الرشيد، فذهب كثير من المؤرخين إلى أنهم زنادقة أرادوا إفساد الدين وإبطال الخلافة، فتنبه لهم الرشيد وحصل لهم ما حصل من القتل والسجن.

قال ابن قتيبة في المعارف ص٣٨٢: «إن البرامكة كانوا يرمون بالزندقة».

وقال ابن العربي المالكي: «كانوا ـ أي: البرامكة ـ باطنية يعتقدون رأي الفلاسفة، فكادوا الدين وأحيوا المجوسية، واتخذوا البخور في المساجد، وإنما كانت تطيب بالخلوق، فزادوا التجمير ليعمروها بالنار منقولة... فتدارك الله الملة بأن سخر الملك لهدمهم فتقطعوا أيادي سبأ، وتفرقوا شذر مذر...» العواصم من القواصم لابن العربي بتحقيق: عمار الطالبي ص٦٢ ـ ٧١، دار الثقافة ـ الدوحة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

وقال عبد القاهر البغدادي في الفرق بين الفرق ص٢٨٥: «كانت البرامكة قد زينوا للرشيد أن يتخذ في جوف الكعبة مجمرة يتبخَّر عليها العود أبداً، فعلم الرشيد أنهم إنما أرادوا من ذلك عبادة النار في الكعبة، وأن تصير الكعبة بيت نار، فكان ذلك أحد أسباب قبض الرشيد على البرامكة».

وقال ابن كثير في البداية والنهاية (١٠/ ١٩٦): «يقال إن البرامكة كانوا يريدون إبطال خلافة الرشيد وإظهار الزندقة».

وهناك من ينفي تهمة الزندقة عنهم ويستدل ببعض أفعالهم، ويرى أن سبب نكبتهم =

وقيل في الفضل[١] وأخيه الحسن[٢] مثل ذلك، وكان محمد بن عبيد الله كاتب المهدي[٣] زنديقاً، واعترف بذلك فقتله المهدي... وقيل: كان محمد بن عبد الملك الزيات[٤] زنديقاً»[٥].

وقد اهتم الزنادقة في هذا العصر بتأليف الكتب في الزندقة، ونقض ردود العلماء الذين تصدوا لهم، علاوة على ترجمة كتب المتقدمين من الزنادقة من أمثال ماني ومزدك والتي بدأت في أواخر الدولة الأموية كما تقدم، وفي ذلك يقول ابن النديم بعد أن ذكر جملة من رؤساء الزنادقة الذين تقدم ذكرهم: «ولهؤلاء كتب مصنفة في نصرة الاثنين[٦] ومذاهب أهلها وقد نقضوا كتباً كثيرة

= هو أنهم حسدوا على ما هم عليه فوشي بهم، وألزقت بهم التهم حتى نكبهم الخليفة بعد أن كانوا هم أقرب الناس إليه، وقد تكلم الناس وأكثروا في سبب نكبتهم، وقد ذكر ابن الجوزي في المنتظم (٩/ ١٣٢) أن الرشيد سئل عن سبب قتله فقال: «لو علمت أن قميصي يعلم السبب الذي قتلت له جعفراً لأحرقته»، والله أعلم. انظر مع ما سبق: تاريخ الطبري (٤/ ٦٥٧ ـ ٦٦٤) وكتاب الوزراء والكتاب ص٢٣٤، ٢٥٤، والبرامكة سلبياتهم وإيجابياتهم، د. هولو جودت ص٥٤ ـ ٥٨، ٧٢ ـ ٩٩، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.

(١) الفضل بن سهل بن عبد الله أبو العبّاس استوزره المأمون وسمّاه ذا الرئاستين لتدبيره أمر السيف والقلم وبقي في الوزارة إلى أن قُتل سنة ٢٠٢هـ وكان عمره إحدى وأربعين سنة. انظر: تاريخ بغداد (١٢/ ٣٣٦ ـ ٣٣٩).

(٢) الحسن بن سهل بن عبد الله، أبو محمد، كان هو وأخوه الفضل من أهل بيت الرياسة في المجوس وأسلما، استوزره المأمون بعد مقتل أخيه وكان كريماً سمحاً، توفي سنة ٢٣٦هـ. انظر: تاريخ بغداد (٧/ ٣٣١ ـ ٣٣٤).

(٣) صوابه محمد بن أبي عبيد الله وهو ابن وزير المهدي المشهور أبي عبيد الله، وسيأتي إن شاء الله تعالى بيان قصته مع المهدي وقتله في الزندقة. انظر: ص٦٦٨.

(٤) محمد بن عبد الملك بن أبان، أبو جعفر الوزير المعروف بابن الزيات، كان أديباً عالماً باللغة، قتله المتوكل سنة ٢٣٣هـ. انظر: تاريخ الطبري (٥/ ٢٩٤ ـ ٢٩٦)، وتاريخ بغداد (٣/ ١٤٤ ـ ١٤٦)، والأعلام (٦/ ٢٤٨).

(٥) الفهرست ص٤١١.

(٦) وهو مذهب الثنوية الذين يقولون بأزلية النور والظلمة كالمانوية والمزدكية. انظر: الملل والنحل (١/ ٢٩٠).

صنّفها المتكلمون في ذلك»[١].

وقد كثرت هذه الكتب وانتشرت في زمن الخليفة المهدي العباسي، حتى ظهرت آراؤهم عند عوام النّاس مما حمل الخليفة المهدي رَحِمَهُ اللَّهُ على تتبع آثارهم والإمعان في قتلهم. وقد أشار إلى ذلك المسعودي في معرض حديثه عن الخليفة المهدي فقال: «أمعن ـ أي: المهدي ـ في قتل الملحدين والمداهنين عن الدين، لظهورهم في أيّامه وإعلانهم باعتقادهم في خلافته لما انتشر من كتب ماني وابن ديصان ومرقيون[٢]، مما نقله عبد الله بن المقفع وغيره، وترجمت من الفارسية والفهلوية إلى العربية، وما صنّف في ذلك ابن أبي العوجاء وحمّاد عجرد ويحيى بن زياد ومطيع بن إياس من تأييد المذاهب المانوية والديصانية والمرقيونية، فكثر بذلك الزنادقة وظهرت آراؤهم في النّاس»[٣].

وقد استغل الزنادقة في هذا العصر الشعر لإظهار زندقتهم وعقائدهم الباطلة والاستخفاف بالدّين وحرماته، كما سيتضح ذلك عند الكلام على أساليب الزنادقة[٤]، ولم يكتف الزنادقة في هذا العصر بذلك، وإنما أظهروا زندقتهم في صورة فرق منحرفة تنتسب إلى الإسلام لإفساد عقائد المسلمين كالراوندية[٥] والنصيرية والإسماعيلية وغير ذلك من الفرق.

كما أظهر الزنادقة زندقتهم في هذا العصر في صورة حركات مناهضة

---

(١) الفهرست ص٤١١.

(٢) مرقيون هو الذي تنسب إليه فرقة المرقيونية، وهم قبل الديصانية، يقولون بالأصلين القديمين وقد عدّهم الشهرستاني من فرق الثنوية، وقال ابن النديم: «وهم يتسترون بالنصرانية وهم بخراسان وأمرهم ظاهر كظهور أمر المنانية». الفهرست لابن النديم ص٤١٢، وانظر: الملل والنحل (١/ ٢٩٨).

(٣) مروج الذهب (٤/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥). (٤) انظر: ص١٥٥.

(٥) الراوندية: هي إحدى فرق زنادقة الرافضة، وهي منسوبة إلى قرية راوند إحدى قرى أصفهان. يقولون بالتناسخ ويستحلون المحرمات، وسيأتي لهم زيادة تعريف في الباب الثاني.

للدولة الإسلامية كحركة المقنعية[(١)] التي كانت في زمن الخليفة المهدي[(٢)]، وحركة الخرمية[(٣)] التي كانت في زمن المأمون[(٤)] والمعتصم[(٥)] وحركات القرامطة[(٦)] المتتابعة، وغير ذلك مما سيتّضح إن شاء الله تعالى.

(١) المقنعية نسبة إلى المقنع الخرساني، قيل: إن اسمه عطاء، وقد خرج سنة إحدى وستين ومائة وادعى الربوبية عن طريق التناسخ، وتبعه كثير من الطغام، فتابع عليه المهدي الجيوش حتى قضى عليه سنة ثلاث وستين ومائة. انظر: السير (٧/ ٣٠٦ ـ ٣٠٨)، والبداية والنهاية (١٠/ ١٣٦، ١٤٩)، والأعلام (٤/ ٢٣٥).

(٢) تقدمت ترجمته. انظر: ص٤٧.

(٣) الخرمية هم أتباع بابك الخرمي الذي خرج في خلافة المأمون العباسي سنة ٢٠١هـ، وجمع حوله أناساً كثيراً قاتل بهم جيوش السلطان وعظمت الفتنة بهم، وقد كان استغوى كثيراً منهم فصدقوه في دعواه الإلـٰهية، وأباح لهم المحرمات وتحلل من الشرائع، ولم يزل كذلك حتى تم القضاء عليه وعلى أتباعه في خلافة المعتصم سنة ٢٢٣هـ حيث قبض عليه وصلب بسامرا مع عدد من أتباعه. انظر: الفهرست ص٤١٦ ـ ٤١٨، والبداية والنهاية (١٠/ ٢٩٦ ـ ٢٩٨).

(٤) تقدمت ترجمته. انظر: ص٤٨.

(٥) محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي العبّاسي، أبو إسحاق، ثامن خلفاء بني العبّاس، وقد أطلق عليه لقب المثمن لذلك، كان شهماً ذا همة عالية في الحروب ومهابة عظيمة في القلوب، غير أنه تابع المأمون في القول بخلق القرآن وامتحان العلماء على ذلك. توفي سنة ٢٢٧هـ. انظر: تاريخ الطبري (٥/ ٢٧٠ ـ ٢٧٣)، والبداية والنهاية (١٠/ ٣٠٨ ـ ٣١٠)، وتاريخ الخلفاء ص٢٩١، وشذرات الذهب (٢/ ٦٣).

(٦) القرامطة: هم فرقة من زنادقة الإسماعيلية، كان أول خروجهم سنة ٢٧٨هـ، وهم ينتسبون إلى رجل يقال له «حمدان قرمط»، وسيأتي التعريف بهم في الباب الثاني.

المبحث الثاني

أسباب ظهور الزندقة في بلاد المسلمين

مما لا شك فيه أن ظهور الزندقة وانتشارها عند بعض فئات المجتمع الإسلامي لم يكن ليحصل لولا وجود بعض الأسباب التي هيأت ذلك، وهذه الأسباب منها ما هو أساسي في ذلك، ومنها ما هو فرعي، كما أن منها ما هو عام ومنها ما هو خاصّ بزمن من الأزمان، وسوف أذكر فيما يلي أهم تلك الأسباب التي هيأت ظهور الزندقة وانتشارها في بلاد المسلمين فمن ذلك:

أولاً: الحقد والعداوة على الإسلام وأهله:

لمّا كثرت الفتوحات الإسلامية، وسقطت دولتا كسرى وقيصر، وطُرد اليهود من خيبر في زمن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه بعد طردهم من المدينة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وزالت أمجاد تلك الأمم على يد المسلمين، حَقَدَ بعض تلك الأمم على الإسلام وأهله إذ لم يستطيعوا مقاومة الإسلام بالسّلاح الحسّي، فلم يجدوا إلّا أن يكيدوا للإسلام وأهله بالسّلاح الفكري، وذلك عن طريق إفساد عقائد المسلمين وتشتيت شملهم وتفريق جماعتهم، فعملوا على نشر أفكار الزندقة والإلحاد بين صفوف المسلمين. وقد رشّحوا للقيام بهذا الدور جماعة من الحاقدين الذين دخلوا في الإسلام ظاهراً بهدف الكيد له وإفساد عقائد أهله، من أمثال عبد الله بن سبأ اليهودي الذي أوقع الفتنة بين الصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ بعد أن بثّ دعاته المفسدين لنشر بذور الزندقة والفساد التي أدّت إلى قتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه. ثم قام بإشعال الحرب بين الصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ حتى قُتل منهم من قتل، ثم أظهر هذا الزنديق الغلو في علي رضي الله عنه حتى فُتن كثير من المسلمين

وفي ذلك يقول عبد القاهر البغدادي[١]: «قال المحقّقون من أهل السُّنَّة: إن ابن السوداء كان على هوى دين اليهود وأراد أن يفسد على المسلمين دينهم بتأويلاته في علي وأولاده لكي يعتقدوا فيه ما اعتقدت النصارى في عيسى عليه السلام»[٢].

وقد تحقق لهذا الزنديق اليهودي ما أراد، حتى أصبح كثير ممن يدعي الإسلام من غلاة الروافض ونحوهم يعتقدون أن علياً هو الإلٰه كما اعتقد النصارى ذلك في عيسى عليه السلام، وقد تقدم بعض ما يدل على ذلك، وسيأتي إن شاء الله تعالى لذلك مزيد بيان عند الكلام على فِرقة السبئية[٣] وغيرها من فرق الزنادقة[٤].

ولم يكن حقد اليهود على الإسلام بأقل من حقد الفرس الذين اشتعلت نار العداوة للإسلام في صدورهم مما حملهم على السعي لإفساد عقائد المسلمين بنشر أفكار الزندقة بين أبناء المسلمين وخاصة في أواخر دولة بني أمية وأوائل دولة بني العبّاس حتى كثر الزنادقة وانتشرت أفكارهم الخبيثة بين الناس كما تقدم بيان ذلك.

وفي ذلك يقول ابن حزم[٥]: «إن الفرس كانوا من سعة المُلك وعلو اليد على جميع الأمم وجلالة الخطر في أنفسهم حتى إنهم كانوا يُسمون أنفسهم الأحرار والأبناء، وكانوا يعدُّون سائر النّاس عبيداً لهم، فلما امتُحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب، وكانت العرب أقل الأمم عند الفرس خطراً،

---

(١) عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي أبو منصور البغدادي الأسفرائيني الشافعي، المتكلم المفسر الأصولي، كان ماهراً في فنون كثيرة، وله تصانيف عدة، ولد في بغداد وتوفي في أسفرائين سنة ٤٢٩هـ. انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ١٤٢ ـ ١٤٨)، والبداية والنهاية (١٢/ ٤٨)، وطبقات المفسرين للداودي (٢/ ٣٣٢ ـ ٣٣٦)، ووفيات الأعيان (١/ ٢٩٨)، والأعلام (٤/ ٤٨).

(٢) الفرق بين الفرق ص٢٥٣.

(٣) سيأتي التعريف بهذه الفرقة. انظر: ص١٩٧.

(٤) انظر: مباحث فرق الزنادقة في الباب الثاني.

(٥) تقدمت ترجمته. انظر: ص٧٧.

تعاظمهم الأمر وتضاعفت لديهم المصيبة وراموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتّى ففي كل ذلك يُظهر الله ﷻ الحق... فرأوا أن كيده على الحيلة أنجع فأظهر قوم منهم الإسلام واستمالوا أهل التشيُّع بإظهار محبة أهل بيت رسول الله ﷺ واستشناع ظلم علي رضي الله عنه ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم من الإسلام»[١].

ثانياً: حركة الترجمة وانتشار علوم الأوائل:

بدأت حركة ترجمة العلوم في الدولة الأموية[٢] بعد أن فتحت بلاد الفرس واليونان وغيرهم من الأمم السابقة، إلا أن تلك الترجمة كانت محدودة لم تنتشر، ويظهر أثرها إلا بعد ذلك في بداية الدولة العباسية.

قال السيوطي رحمه الله: «إن علوم الأوائل دخلت إلى المسلمين في القرن الأول لما فتحوا بلاد الأعاجم، لكنها لم تكثر فيهم، ولم تشتهر بينهم، لما كان السلف يمنعون من الخوض فيها.

ثم اشتهرت في زمن البرمكي[٣]، ثم قوي انتشارها في زمن المأمون لما

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/ ٩١).

(٢) كان أول من اعتنى بالترجمة من اللغات المختلفة إلى اللغة العربية خالد بن يزيد الأموي، حيث كانت له عناية ببعض علوم الصنعة فأمر بنقل بعض كتب اليونان وغيرهم إلى اللغة العربية لينظر فيما عندهم من تلك العلوم.
قال ابن النديم في ترجمته لخالد بن يزيد، الفهرست ص٣٠٠: «أمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر وقد تفصح بالعربية، وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي، وهذا أول نقل كان في الإسلام من لغة إلى لغة».
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢٩/ ٣٧٤): «وأقدم من رأينا، ويحكى عنه شيء في الكيمياء خالد بن يزيد بن معاوية، وليس هو ممن يقتدي به المسلمون في دينهم، ولا يرجعون إلى رأيه».

(٣) هو يحيى بن خالد بن برمك، أبو الفضل البرمكي، كان هو وأبناؤه وزراء هارون الرشيد وأهل مشورته ثم أبعدهم هارون ونكبهم فقتل جعفر بن يحيى وسجن يحيى مع بقية البرامكة، وقد عرف يحيى بكرمه وحسن تدبيره، بقي في سجن الرشيد حتى مات سنة ١٩٠هـ. انظر: البداية والنهاية (١٠/ ٢١٢ ـ ٢١٣)، والأعلام (٩/ ١٧٥ ـ ١٧٦).

أثاره من البدع وحث عليه من الاشتغال بعلوم الأوائل، وإخماد السُّنَّة»[١].

فقد كانت بداية الترجمة مقصورة على بعض علوم الصنعة وغيرها من العلوم المفيدة، ثم تطور ذلك فشمل علوم الفلاسفة والزنادقة من الفرس والروم واليونان حتى كثر ذلك وانتشرت تلك العلوم بين المسلمين.

وقد اشتهرت الترجمة في دولة بني العبّاس وكثرت الكتب المترجمة من اللّغات المختلة وخاصة اللغة الفارسية، واشتهر عدد كثير من الموالي بالترجمة، وقد ذكر ابن النديم جملة من الموالي الذين اشتهروا بالترجمة من الفارسية إلى العربية فقال: «أسماء النقلة من الفارسي إلى العربي: ابن المقفع... آل نوبخت[٢] أكثرهم... موسى ويوسف ابنا خالد[٣]، وكانا يخدمان في دواوين عبد الله بن حميد بن قحطبة[٤] وينقلان له من الفارسية إلى العربية، التميمي واسمه علي بن زياد[٥]، ويكنى أبا الحسن نقل من الفارسي إلى العربي،...»[٦].

وهؤلاء الذّين ذكرهم ابن النديم ترجموا ترجمة عامة من كتب الطب والهندسة وسير الملوك وغيرها، لكن اشتهر ابن المقفع وأبان اللاحقي بترجمة كتب الزندقة فترجما كتب ماني ومزدك وغير ذلك من كتب الزندقة، بل كان

---

(١) صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام للسيوطي ص١٢، مكتبة الباز، مكة المكرمة.

(٢) أل نوبخت، نسبة إلى أحد أجدادهم، اشتغل أكثرهم بالترجمة من الفارسية والفهلوية إلى العربية، وقد اشتهر منهم الحسن ابن موسى النوبختي صاحب كتاب «فرق الشيعة»، والحسن بن الحسين النوبختي الكاتب المشهور ببغداد وقد جمع هذا الكاتب بين الاعتزال والتشيع. انظر: تاريخ بغداد (٧/ ٣٠٩ ـ ٣١٠)، والأنساب للسمعاني (٤/ ٤٤٣).

(٣) لم أجد لهما ترجمة بعد البحث.

(٤) عبد الله بن حميد بن قحطبة، أحد ولاة الأمين وقواده، وقد وجهه الأمين قائداً في عشرين ألفاً لمحاربة جيوش أخيه المأمون، ثم إنه لما حاصرت جيوش المأمون بغداد استسلم وبايع للمأمون مع عدد من القواد. انظر: المنتظم (١٠/ ٢٣)، والكامل (٥/ ٣٨٣، ٣٩٤).

(٥) لم أجد له ترجمة بعد البحث.

(٦) الفهرست ص٣٠٣

ابن المقفع مرجعاً في ذلك كله، قال الخليفة المهدي: «ما وجدتُ كتاب زندقة إلّا وأصله ابن المقفع...»[١].

وقد نشطت الترجمة وتنوعت الكتب المترجمة مع انتشار الدولة العبّاسية واتّساع رقعتها، وتنوع لغات الداخلين في الإسلام، مما تسبب في كثرة الزنادقة، الذين تأثروا بالكتب المترجمة، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «لما انتشرت الدولة العبّاسية وكان من أنصارها من أهل المشرق والأعاجم طوائف... ظهرت حينئذ كثير من البدع، وعُرِّبت أيضاً إذ ذاك طائفة من كتب التراجم من المجوس الفرس، والصابئين[٢] الروم، والمشركين الهند، وكان المهدي من خيار خلفاء بني العبّاس، وأحسنهم إيماناً وعدلاً وجوداً، فصار يتتبع المنافقين الزنادقة...»[٣].

وقد ازداد الأمر خطورة في زمن المأمون، حيث أمر بتعريب كتب الفلسفة والمنطق وأرسل إلى بلد الروم ليجلب ما فيها من تلك العلوم، وكان سبب ذلك هو طلب يحيى بن خالد تلك الكتب من ملك الروم كما نقل ذلك السيوطي[٤] عن ابن أبي زيد القيرواني[٥] أنه قال: «كان ملك الروم خائف

---

(١) البداية والنهاية (١٠/ ٩٦).

(٢) الصابئة هم قوم إبراهيم الخليل عليه السلام الذين بعث إليهم، وقد كانوا بحرَّان، يعبدون النجوم وقد كانوا قد صنعوا لها أصناماً، فلما بعث إليهم إبراهيم عليه السلام آمن به بعضهم وبقي الكثير منهم على عبادة الكواكب. انظر: الملل والنحل (٢/ ٣٠٧ ـ ٣٢٥)، وتلبيس إبليس لابن الجوزي ص٩٢ ـ ٩٤، تحقيق: د. السيد الجميلي، دار الريان ـ مصر ١٤٠٥هـ، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص١٢٥ ـ ١٢٦، والبرهان في معرفة أهل الأديان ص٥٩.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤/ ٢٠).

(٤) عبد الرحمٰن بن أبي بكر بن محمد الخضيري السيوطي، جلال الدين، أبو الفضل الشافعي، مفسرٌ، مؤرخٌ، أديبٌ، انقطع للتصنيف في آخر حياته فصنف كتباً كثيرة في علوم مختلفة، توفي سنة ٩١١هـ. انظر: الكواكب السائرة (١/ ٢٢٧ ـ ٢٣٢)، وشذرات الذهب (٨/ ٥١ ـ ٥٢)، والأعلام (٣/ ٣٠١).

(٥) عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمٰن النفري القيرواني، أبو محمد أحد أعيان المالكية، كان واسع العلم كثير الحفظ مشارك في كثير من العلوم، ولد بالقيروان سنة ٣١٠هـ، =

على الروم إن نظروا في كتب اليونانية أن يتركوا دين النصرانية، ويرجعوا إلى دين اليونانية، وتتشتت كلمتهم وتتفرق جماعتهم.

فجمع الكتب في موضع، وبنى عليها بناء مطمساً بالحجر والجص، حتى لا يوصل إليها.

فلما أفضت رياسة دولة بني العباس إلى يحيى بن خالد، وكان زنديقاً بلغه خبر الكتب التي في البناء ببلد الروم، فصانع ملك الروم الذي كان في وقته بالهدايا، ولا يلتمس منه حاجة...، فلما جاءه رسول يحيى قال له: قل لصاحبك إن كانت له حاجة فليذكرها، فلما أخبر الرسول يحيى رده إليه وقال له: حاجتي الكتب التي تحت البناء، يرسلها إلي، أُخرج منها بعض ما أحتاج وأردها إليه، فلما قرأ الرومي كتابه استطار فرحاً، وجمع البطارقة والأساقفة والرهبان، وقال لهم: قد كنت ذكرت لكم عن خادم العربي أنه لا يخلو من حاجة، وقد أفصح بحاجته، وهي أخف الحوائج عليّ، وقد رأيت رأياً فاسمعوه، فإن رضيتموه أمضيته، وإن رأيتم خلافه تشاورنا في ذلك حتى تتفق كلمتنا، فقالوا: وما هو؟ قال: حاجته الكتب اليونانية، يستخرج منها ما أحب، ويردها، قالوا: فما رأيك؟ قال: قد علمت أنه ما بنى عليها من كان قبلنا إلا أنه خاف إن وقعت في أيدي النصارى وقرأوها كان سبباً لهلاك دينهم، وتبديد جماعتهم، وأنا أرى أن أبعث بها إليه، وأسأله أنه لا يردها، يبتلون بها، ونسلم نحن من شرّها، فإني لا آمن أن يكون بعدي من يجترئ على إخراجها إلى الناس فيقعوا فيما خيف عليهم، فقالوا: نعم الرأي رأيت أيها الملك فامضه، فبعث بالكتب إلى يحيى بن خالد، فلما وصلت إليه جمع عليها كل زنديق وفيلسوف...»[(١)].

وذكر ابن النديم: «أن المأمون رأى في منامه كأن رجلاً أبيض اللون متشرباً بحمرة واسع الجبهة، مقرون الحاجب، أجلح الرأس، أشهل العينين،

= وتوفي سنة ٣٨٦هـ. انظر: الديباج المذهب ص٢٢٢ ـ ٢٢٣، والسير (١١/ ٣)، ومعجم المؤلفين (٦/ ٧٣).

(١) صون المنطق ص٧ ـ ٨.

حسن الشمائل جالساً على سريره، قال المأمون: وكأني بين يديه قد ملئت له هيبة. فقلت: من أنت، قال: أنا أرسطاليس[١]، فسُررت به... فكان هذا المنام من أوْكد الأسباب في إخراج الكتب[٢]، فإن المأمون كان بينه وبين ملك الروم مراسلات، وقد استظهر عليه المأمون، فكتب إلى ملك الروم يسأله الإذن في إنفاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة المدخرة ببلد الروم، فأجاب إلى ذلك بعد امتناع فأخرج المأمون لذلك جماعة، فأخذوا مما وجدوا ما اختاروا فلمّا حملوه إليه أمرهم بنقله فنقل ـ أي: إلى العربية ـ...»[٣].

ولا شك أن ترجمة مثل هذه الكتب التي جلبها المأمون من بلاد الروم كان لها أثر بالغ في انتشار الزندقة، وكثرة الزنادقة، وتمكن فرقهم في زمنه، واستيلائهم على كثير من شؤون الدولة كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وفي دولة أبي العبّاس المأمون ظهر الخرمية ونحوهم من المنافقين، وعُرِّب من كتب الأوائل المجلوبة من بلاد الروم، ما انتشر بسببه مقالات الصابئين، وراسل ملوك المشركين من الهند ونحوهم حتى صار بينه وبينهم مودة، فلمّا ظهر ما ظهر من الكفر والنفاق في المسلمين، وقوي ما قوي من حال المشركين وأهل الكتاب، كان من أثر ذلك: ما ظهر من استيلاء الجهمية والرافضة وغيرهم من أهل الضلال، وتقريب الصابئة ونحوهم من المتفلسفة...»[٤].

والمقصود أن ترجمة كتب الأوائل من زنادقة الفرس واليونان قد تسببت في ظهور الزندقة وانتشارها في بلاد المسلمين حتى أفسدت عقائد كثير من المسلمين.

---

(١) تقدمت ترجمته. انظر: ص١٠٠.

(٢) لعل ما ذكره السيوطي هو الأقرب، وما ذكر ابن النديم هو مجرد رؤيا، ومثل ذلك لا يعوّل عليه.

(٣) الفهرست لابن النديم ص٣٠٤.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤/ ٢١). وانظر أيضاً: (٢/ ٨٤).

ثالثاً: البحث في علم الكلام والجدل وترك الأثر:

لقد كان التسليم للنصوص والانقياد للأثر هو المنهج الذي سار عليه السلف ـ رحمهم الله ـ بعيداً عن الجدل في الدّين أو الأخذ بعلم الكلام، وإنما يقفون مع النصوص ويعظمونها ويحذرون من ردِّها أو التساهل بها، بل ويتهمون كل من يتردد في العمل بشيء من نصوص الشرع، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

وقد درج على ذلك أئمة السلف وعلماء الإسلام في القرن الأول وأوائل الثاني حتى كانت دولة بني العبّاس، وتُرجمت كتب الأعاجم، وخاصة كتب الفلسفة التي عرِّبت في زمن المأمون ـ كما تقدم ـ فإن تلك الكتب الفلسفية قد أثّرت بأفكارها المنحرفة على عقائد كثير من الفرق الإسلامية لما طالعوها ونظروا في أفكارها وما تحويه من الفلسفات التي لا طائل تحتها بل هي مخالفة لنصوص الكتاب والسُّنَّة، ولذلك ظهر أثر تلك الفلسفات واضحاً عند بعض الفرق ونشأ بذلك علم الكلام كما قال الشهرستاني في معرض كلامه على المعتزلة: «ثم طالع بعد شيوخ المعتزلة كتب الفلاسفة حين انتشرت أيام المأمون فخلطت مناهجها بمناهج الكلام، وأفردتها فناً من فنون العلم، وسمتها علم الكلام»(١).

وهكذا نشأ هذا العلم في الإسلام وتطور شيئاً فشيئاً وانتشر بين كثير من الفرق المنحرفة من المعتزلة والأشاعرة(٢) وغيرهم.

---

(١) الملل والنحل (١/ ٤١).

(٢) الأشاعرة هم المنتسبون إلى أبي الحسن الأشعري في مذهبه الثاني بعد رجوعه عن الاعتزال وانتسابه إلى ابن كلاب، وقد نشأت هذه الفرقة في القرن الثالث الهجري، وعامة الأشاعرة يخالفون أهل السُّنَّة في جملة أمور منها: تأويل صفات الله تعالى سوى سبع صفات، والقول بأن الإيمان هو مجرد التصديق، والقول بالكسب في القدر، وقد انتشر هذا المذهب رغم مخالفته لمذهب السلف في كثير من البلاد الإسلامية. انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤/ ٧٢)، والملل والنحل =

وقد سبب هذا العلم لكثير من علمائه الذين أخذوا به الحيرة والشك، بل الزندقة والإلحاد، حتى صرح كثير من أئمتهم بالحيرة والشك، وقد وصف هذه الحيرة أحد أئمتهم وهو الشهرستاني[(١)] بقوله:

لقد طفت في تلك المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعاً كف حائرٍ على ذقنٍ أو قارعاً سن نادم[(٢)]

وقال أبو المعالي الجويني[(٣)] وهو من أكابر أئمتهم: «يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلت به»[(٤)].

بل قد صرح بعض المتكلمين بأنه لا يدري ما يعتقد[(٥)]، نعوذ بالله من الزيغ والضلال.

وقد أدرك علماء السلف ـ رحمهم الله ـ خطورة هذا العلم وحذروا منه

= (١/ ١٠٦ ـ ١١٨)، ومذاهب الإسلاميين لعبد الرحمٰن بدوي ص٤٨٧ ـ ٧٤٨، دار العلم للملايين، الطبعة الثانية، ١٩٩٧هـ.

(١) تقدمت ترجمته. انظر: ص٤٣.

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ١٥٩)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (١/ ٢٤٥)، تحقيق: د. عبد الله التركي وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، عشرة، ١٤١٩هـ.

(٣) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، أبو المعالي الشافعي الملقب بإمام الحرمين، أحد أعلام الأشاعرة ومتكلميهم، ولد سنة ٤١٩هـ، وتوفي سنة ٤٧٨هـ. انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ١٥٩)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٣٦٨ ـ ٤٧٧)، وشذرات الذهب (٣/ ٣٥٨).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (١/ ٢٤٥)، وانظر: درء التعارض (١/ ١٥٨).

(٥) وهذا الذي صرح بذلك هو شمس الدين الخسروشاهي، أحد تلاميذ الرازي، وقد قال ذلك عندما دخل عليه بعض الفضلاء فقال له الخسروشاهي: ما تعتقده؟ قال: ما يعتقده المسلمون فقال: وأنت منشرح الصدر لذلك مستيقن به، فقال: نعم، فقال: اشكر الله على هذه النعمة لكني والله ما أدري ما أعتقد، والله ما أدري ما أعتقد والله ما أدري ما أعتقد، وبكى حتى أخضل لحيته. انظر: شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦).

وعدوه سبباً من أسباب الزندقة، كما قال أبو يوسف[(١)] رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا تطلب ثلاثاً إلا بثلاث: لا تطلب العلم بالكلام فإنه من طلب العلم بالكلام تزندق، ولا تطلب غريب الحديث فإنه من طلب غريب الحديث كذب، ولا تطلب الغنى بالكيمياء[(٢)] فإنه من يطلب الغني بالكيمياء افتقر»[(٣)].

وقال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «آخر صاحب الكلام الزندقة»[(٤)].

وقال قوام السُّنَّة الأصبهاني[(٥)] «وهل كانت الزندقة والإلحاد وسائر أنواع الكفر والضلال والبدع منشؤها وابتداؤها إلا من النظر[(٦)]، فلو أنهم أعرضوا عن ذلك، وسلكوا طريق الاتباع ما أداهم إلى شيء من ذلك فما من هالك في العالم إلا وبدء هلاكه من النظر»[(٧)].

---

(١) يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري أبو يوسف الكوفي اشتهر بكنيته، تلميذ الإمام أبي حنيفة وصاحبه، كان صاحب حديث، فلما صحب أبا حنيفة غلب عليه الرأي، وهو الذي نشر فقه أبي حنيفة وأول من وضع الكتب في مذهبه، ولد سنة ١١٣هـ، وتوفي سنة ١٨٦هـ، انظر: الفوائد البهية في تراجم الحنفية ص٣٧٢ ـ ٣٧٣، والسير (٨/ ٥٣٥ ـ ٥٣٩)، وشذرات الذهب (١/ ٢٩٨).

(٢) الكيمياء: اسم صنعة، قال الجوهري: هو عربي، وقال ابن سيده: أحسبها أعجمية، والمحققون لهذه الصنعة يسمونها: الحكمة، وبعضهم يسميها الصنعة، ولهم آلات كثيرة يستخدمونها في صنعتهم معروفة عند الصاغة، وقد كره السلف تعلم الكيمياء لما فيها من الغش والتلبيس على الناس. انظر: مفاتيح العلوم للخوارزمي ص٢٧٧ ـ ٢٧٨، ولسان العرب (١٥/ ٢٣٢)، ومجموع الفتاوى (٢٩/ ٣٦٨).

(٣) أخرجه ابن بطة في الإبانة، كتاب الإيمان (٢/ ٥٣٨).

(٤) أخرجه أبو القاسم الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السُّنَّة (١/ ٢٠٨) تحقيق: محمد ربيع المدخلي، دار الراية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

(٥) إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني، أبو القاسم، القرشي التيمي، الملقب بقوام السُّنَّة الحافظ القدوة، إمام في التفسير والحديث واللغة والأدب، ولد بأصبهان سنة ٤٥٧هـ، وتوفي سنة ٥٣٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٨٠ ـ ٨٨)، وطبقات المفسرين للداودي (١/ ١١٤ ـ ١١٥)، ومعجم المؤلفين (٢/ ٢٩٣).

(٦) أي النظر في علم الكلام أو ما هو أخص من ذلك وهو النظر الذي هو أول واجب على المكلف عند المتكلمين.

(٧) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (٢/ ١٢١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ بعد كلام له على خطورة هذا العلم: «ولهذا قال من قال من الأئمة: قل أحد نظر في الكلام إلّا تزندق وكان في قلبه غل على أهل الإسلام، بل قالوا: علماء الكلام زنادقة»[(١)].

وبهذا يتضح خطر علم الكلام وأثره في ظهور الزندقة وتفشيها بين المشتغلين به من أئمة الفرق الإسلامية وغيرهم.

رابعاً: الانغماس في اللهو والمجون:

لم يكن اللهو والمجون معروفاً في القرن الأول وإنما حدث بعد ذلك في أواخر الدولة الأموية وانتشر ذلك في دولة بني العباس، حيث ظهرت في ذلك العصر ألوان من الخلاعة والمجون وضروب من الفحش والفجور، وإن كان ذلك إنما وقع وانتشر في مجتمع الأدباء والشعراء، وعامتهم من الموالي ونحوهم.

وقد أدى الانغماس في ذلك إلى الاستخفاف بالدين وتعاليمه والاستهزاء بالشريعة وقيمها بل وصل الأمر بكثير ممن عرفوا بذلك إلى التحرر من الشريعة والوقوع في الزندقة[(٢)].

فقد اشتهر الوليد بن يزيد في أواخر الدولة الأموية بالانغماس في اللهو والمجون ـ كما تقدم[(٣)] ـ حتى قال له عمه الخليفة هشام بن عبد الملك: «ما تدع شيئاً من المنكر إلا أتيته وارتكبته غير متحاش ولا مستتر...»[(٤)].

وأما في دولة بني العبّاس فقد اشتهر عدد من الشعراء بالمجون والخلاعة، مما أدى إلى كثرة المتّهمين بالزندقة وإن كان بعض أولئك المجان

---

(١) درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/٢٠٦).

(٢) انظر: الثقافات الأجنبية في العصر العباسي وصداها في الأدب للدكتور صالح آدم ص٢٤١ ـ ٢٤٣، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، والعصر العباسي الأول للدكتور شوقي ضيف ص٧١، دار المعارف، الطبعة الثامنة.

(٣) انظر: ص١١٨.

(٤) البداية والنهاية (١٠/٣)، والأغاني (٧/٨).

إنما رمي بالزندقة لأمر آخر ـ كما تقدم ـ، وممن اتهم بالزندقة لمجونه وخلاعته آدم بن عبد العزيز[١] حيث كان يكثر من ذكر الخمر والفحش في أشعاره، كقوله في مدح الخمر:

اسقني واسق خليلي ... في مدى الليل الطويل
قهوة صهباء صرفاً ... سبيت من نهر بيل[٢]
قل لمن يلحاك فيها ... من فقيه أو نبيل
أنت دعها وارج أخرى ... من رحيق السلسبيل[٣][٤]

وهذه الأبيات مع ما فيها من مدح للخمر المحرمة فقد استخف فيها هذا الشاعر الماجن بخمر الجنّة الذي أعدّه الله لأوليائه المتقين في الجنّة، ولعل ذلك هو أحد الأسباب التي رمي لأجلها بالزندقة.

ومن ذلك قول مطيع بن إياس[٥] في جارية يحبها يقال لها سعاد مبيِّناً مدى حبه لها، حتى إنها لو أمرته أن يصلي لها جعلها قبلة له فيقول:

قبليني سعاد بالله قبله ... واسأليني لها فديتك نحله
فورب السماء لو قلت لي صـ ... ـلّ لوجهي جعلته الدهر قبله[٦]

إلى غير ذلك من أشعار أهل المجون والخلاعة والتي اشتملت على

---

(١) آدم بن عبد العزيز الأموي، حفيد عمر بن عبد العزيز رحمه الله وبه تكنى، كان آدم خليعاً ماجناً منهمكاً في الشراب، فضربه المهدي على ذلك، فقيل: إنه تاب من ذلك وتنسك، وترك ما كان عليه من الخلاعة والمجون فقربه المهدي إليه، ولم أقف على تاريخ وفاته. انظر: تاريخ بغداد (٧/٢٨ ـ ٢٩)، والأغاني (١٥/٢٧٦ ـ ٢٨٩)، وتاريخ الأدب العربي لعمر فروخ (٢/١٠٦ ـ ١٠٨).

(٢) نهر بيل: بكسر الباء وهو لغة في «نهر بين» ناحية من سواد بغداد متصل بنهر بوق. انظر: معجم البلدان (٥/٣٦٧).

(٣) أورد هذه الأبيات الدكتور عمر فروخ في ترجمة آدم بن عبد العزيز في كتابه، تاريخ الأدب العربي (٢/١٠٨) وعلق على البيت الأخير بقوله: «لا ريب في أن هذا البيت مع أبيات أخرى له تدل على زندقة ظاهرة...».

(٤) الأغاني (١٥/٢٧٧)، وانظر: تاريخ الأدب العربي (٢/١٠٨).

(٥) تقدمت ترجمته. انظر: ص٥٠.

(٦) الأغاني (١٤/٣٤٦).

الدعوة الصريحة إلى الفجور والفحش، وقد أعرضت عن كثير منها لقبحه وخلاعته.

قال أحمد أمين: «الواقع أن كثيراً من الشعراء في ذلك العصر أفرطوا في دعوة الناس إلى الفجور والإباحة، وحملهم على الاستهتار، ولم يكتفوا أن يدعوا إلى ما يدعون إليه من غير تعرض للدين، بل تعرضوا له أحياناً وأخذوا يجهرون بأقوال فيها تهكم، وفيها سخرية...»(١).

وبهذا يتضح مدى تأثر هؤلاء الشعراء باللهو والمجون، مما تسبب في استهانتهم بالشريعة وحرماتها حتى وقع كثير منهم في الزندقة والإلحاد.

خامساً: الاعتماد على الموالي في مهام الدولة الأساسية:

لقد كان لاعتماد بعض الدول الإسلامية على الموالي في المناصب الحساسة أثر بالغ في انتشار الزندقة وتفشّيها بين فئات المجتمع الإسلامي، حيث إن كثيراً من الموالي من الفرس وغيرهم لم يدخلوا في دين الإسلام عن قناعة وإيمان وإنما كان ذلك خشية القتل وحفاظاً على مصالحهم الدنيوية ـ كما تقدم ـ. وقد ظهر هذا الأثر واضحاً في الدولة العبّاسية التي اعتمدت على الموالي في أهم المناصب في الدولة من الوزارة والقيادة ونحوهما، حيث كان معظم وزراء الدولة العبّاسية وقوادها من العنصر الفارسي من أمثال أبي مسلم الخراساني(٢) وأبي سلمة الخلال(٣) والبرامكة والفضل ....

---

(١) ضحى الإسلام لأحمد أمين (١/ ١٥٤).

(٢) هو عبد الرحمٰن بن مسلم، أبو مسلم الخراساني، صاحب الدعوة العباسية، كان فاتكاً سفاكاً للدماء ذا رأي وعقل وتدبير وحزم، قيل: إنه قتل تحت سيفه ستمائة ألف أو يزيدون، ثم إن الخليفة المنصور اتهمه فقتله سنة ١٣٧هـ، وقد أفرط فيه قوم فزعموا أنه صار إلهاً عن طريق الحلول وهؤلاء هم «الأبو مسلمية» وزعموا أيضاً أنه حي لم يمت وإنما قتل أبو جعفر شيطاناً في صورة أبي مسلم. انظر: البداية والنهاية (١٠/ ٦٩ ـ ٧١)، وميزان الاعتدال (٢/ ٥٨٩ ـ ٥٩٠)، والأعلام (٣/ ٣٣٧)، وانظر أيضاً في شأن فرقة الأبو مسلمية: الفرق بين الفرق ص٢٥٧، والملل والنحل (١/ ١٧٨).

(٣) حفص بن سليمان الخلال، أبو سلمة، أول من وزر لآل العبّاس، كان فاضلاً حسن =

ابن سهل[(١)] وغيرهم.

وقد حرص أولئك الوزراء والقادة على جلب أبناء جنسهم، ومن كان على شاكلتهم وتوليتهم بعض الوظائف من كتاب وندماء ومؤدبين[(٢)] وغير ذلك من الوظائف المهمة، وقد كان من بين أولئك الوزراء والكتاب وغيرهم بعض الزنادقة الذين يخفون زندقتهم ويدعون إليها سراً، وقد ذكر ابن النديم ـ كما تقدم[(٣)] ـ جملة من أولئك الوزراء وغيرهم ممن كان يرمى بالزندقة كالبرامكة والفضل بن سهل وغيرهم[(٤)].

وقد تسبب ذلك في انتشار الزندقة في دولة بني العبّاس، حيث كان لهؤلاء الوزراء والكتاب الذين اتهموا بالزندقة دور كبير في ذلك، حتى كثر الزنادقة في الدولة العبّاسية وأظهروا زندقتهم بعد أن كانوا يسرون بها، ولا يجترئون على إظهارها بين النّاس.

وقد بلغ الأمر ببعض أولئك الوزراء إلى التأثير على بعض الخلفاء حتى أظهروا بعض مقالات الزنادقة وجلبوا كتبهم مما تسبب في انتشار الزندقة في عصرهم كما قال ابن العربي رحمه الله: إن «المأمون كان يقول بخلق القرآن وكذلك الواثق[(٥)] وأظهروا بدعتهم... كما مكنوا من قراءة كتب الفلاسفة في

= المفاكهة وكان يقال له وزير آل محمد. قتله أبو مسلم بأمر السفاح سنة ١٣٢هـ. انظر: تاريخ الطبري (٤/ ٣٦٠)، والبداية والنهاية (١٠/ ٥٧ ـ ٥٨).

(١) تقدمت ترجمته. انظر: ص١٢٢.

(٢) انظر: كتاب الوزراء والكتاب لأبي عبد الله الجهشياري ص٨٩، ٣٠٥.

(٣) انظر: ص١١٩ ـ ١٢٠.

(٤) انظر: الفهرست لابن النديم ص٤١١.

(٥) هارون الواثق بالله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد العباسي، أبو جعفر، من خلفاء الدولة العباسية بالعراق، ولي الخلافة بعد وفاة أبيه المعتصم فامتحن الناس في خلق القرآن، وسجن جماعة العلماء على ذلك، وقتل أحمد بن نصر الخزاعي بيده. ولد سنة ٢٠٠هـ، وتوفي بسامرا سنة ٢٣٢هـ. انظر: البداية والنهاية (١٠/ ٣٢١ ـ ٣٢٢)، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص٢٩٦ ـ ٣٠٠، تحقيق: طه عبد الرزاق وآخر، المكتبة التوفيقية ـ مصر، والأعلام (٨/ ٦٢ ـ ٦٣).

إنكار الصانع وإبطال الشرائع لما لوزرائهم وخواصهم في ذلك من الأغراض الفاسدة والمقاصد الباطلة»(١).

وهذا هو الذي جعل بعض خلفاء بني العبّاس يتنبهون لخطورة ذلك الأمر، ويجتهدون في القضاء على الزنادقة من غير فرق بين الوزراء والكتاب وغيرهم، كما فعل الخليفة المهدي(٢) وابنه الخليفة هارون الرشيد(٣) وغيرهما من خلفاء بني العبّاس، كما سيأتي في الباب الرابع إن شاء الله تعالى.

سادساً: تعدد الفرق الإسلامية وتناقضها:

استغلّ الزنادقة الفرق الإسلامية على اختلاف عقائدها وأفكارها لنشر زندقتهم، حيث تسلل كثير من دعاة الزندقة إلى تلك الفرق المختلفة فانتحلوا أفكارها وعقائدها، ثم لم يلبثوا أن مالوا بكثير من تلك الفرق إلى الغلو والانحراف ومن ثم إلى الزندقة والإلحاد.

فالباطنية مثلاً إنما نشروا زندقتهم تحت مسمى التشيع ومحبة آل البيت، فتستروا بذلك المذهب لنشر أفكارهم الخبيثة ضد الإسلام وأهله كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن الرافضة: «وبهم تسترت الزنادقة كالغالية من النصيرية وغيرهم من القرامطة الباطنية والإسماعيلية وغيرهم»(٤).

وكذلك فعل زنادقة الاتحادية من الحلاج(٥) وابن عربي(٦) وغيرهما،

---

(١) العواصم من القواصم ص٣٥٤ ـ ٣٥٥.

(٢) تقدمت ترجمته. انظر: ص٤٧.

(٣) هارون الرشيد بن محمد المهدي العباسي، أبو محمد خامس خلفاء الدولة العباسية. ولد بالري، بويع له بالخلافة بعد وفاة أخيه الهادي سنة ١٧٠هـ. كان من أحسن الناس سيرة وأكثرهم غزواً وحجاً، وكان محباً للعلماء يجلهم ويقدمهم وقد عرف بحزمه وكرمه، ولد سنة ١٤٩هـ، وتوفي بطوس سنة ١٩٣هـ. انظر: البداية والنهاية (١٠/٢٢٢ ـ ٢٣٢)، وتاريخ الخلفاء ص٢٤٩ ـ ٢٦٠، والأعلام (٨/٦٢).

(٤) منهاج السُّنَّة (٥/ ٣٧٠).

(٥) الحسين بن منصور الحلاج، أبو مغيث، ستأتي ترجمته في الباب الثاني. انظر: ص٣٥١.

(٦) محمد بن علي الحاتمي الطائي، المشهور بـ«ابن عربي»، ستأتي ترجمته في الباب الثاني. انظر: ص٣٥٤.

حيث نشروا زندقتهم تحت مسمى الزهد التصوف، حتى انحرفوا بأفكار هذه الفرقة إلى الغلو والزندقة، وتبعهم في ذلك الكثير من جهلة الصوفية.

وكذلك حصل لبقية الفرق الإسلامية من المعتزلة والخوارج وغيرهم، عندما تمكن أولئك الزنادقة من اختراق صفوفهم والانحراف بأفكارهم، وسيأتي الكلام على ذلك بإذن الله تعالى في الباب الثاني عند الكلام على فرق الزنادقة ومدى تأثر الفرق الإسلامية بالزندقة.

سابعاً: بعض الأسباب الأخرى كالفقر ونحوه:

فقد أدّى الفقر والفاقة ببعض ضعاف الإيمان إلى الزندقة، بحيث اعترضوا على حكم الله تعالى، ولم يرضوا بما كتبه الله لهم حتى أدّى بهم ذلك إلى الانسلاخ من الدّين والوقوع في الزندقة، كما حصل ذلك لابن الراوندي(١) الزنديق الذي كان يعيش عيشة الفقراء مما جعله يتبرم من ذلك ويتسخط ويعترض على حكمة الله تعالى، حيث لم يجعله من الأغنياء مع عقله وعلمه، ثم يعترف بعد ذلك بأن فقره هو السبب الذي أوقعه في الزندقة، فيقول في أبيات له:

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه ... وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذي ترك الأوهام حائرة ... وصيّر العالِم النحرير(٢) زنديقا(٣)

وقد ذكر بعض العلماء أن سبب قوله هذه الأبيات أنه رأى خادماً خرج من دار الخليفة بجنائب(٤) تقاد بين يديه، وبجماعة تركض حواليه فرفع رأسه

---

(١) تقدمت ترجمته. انظر: ص٦١.

(٢) النحرير بالكسر هو الحاذق الماهر العاقل المجرب، المتقن الفطن، البصير بكل شيء لأنه ينحر العلم نحراً. انظر: القاموس المحيط ص٦١٨.

(٣) تاريخ ابن الريوندي الملحد، د. عبد الأمير الأعسم ص٢٤٥، الطبعة الأولى، ١٣٩٥هـ، وقد رجح المؤلف أن النسبة (ابن الريوندي) وليس (ابن الراوندي)، وقد سبقه إلى ذلك ابن الجوزي. انظر: المنتظم (١٣/١٠٨).

(٤) الجنائب، جمع جنبية، ومنه الجنابة كسحابة، وهي الناقة تعطيها القوم ليميروك عليها، والمراد هنا أنها إبل محملة. انظر: القاموس المحيط ص٨٨ ـ ٨٩.

إلى السماء وقال: أوحدك بلغات وألسنة وأدعو إليك بحجج وأدلة، وأنصر دينك بكل شاهد وبينة، ثم أمشي هكذا عارياً جائعاً ومثل هذا الأسود ـ أي: الخادم ـ ينقلب في الخز والوشي(١) والخدم والحشم والحاشية والغاشية(٢)(٣).

والظاهر والله أعلم أن فقر ابن الراوندي وفاقته لم يكنا هما السبب الوحيد في زندقته، وإنما اجتمعت فيه جملة من الأسباب، منها: جهله بالله تعالى، وغروره بنفسه وإعجابه بعمله، وضعف إيمانه، هذا مع ما كان يعيش من الفقر والحاجة ولذلك اعترض على حكمة الله تعالى وانسلخ من الدين والعياذ بالله.

قال ابن القيم رحمه الله بعد ذكره لبعض أقوال المعترضين على حكمة الله تعالى: «وهذه الأقوال والظنون الكاذبة الحائدة عن الصواب مبنية على مقدمتين:

إحداهما: حسن ظنِّ العبد بنفسه وبدينه، واعتقاده أنه قائم بما يجب عليه، وتارك ما نُهي عنه، واعتقادهُ في خصمه وعدوِّه خلاف ذلك، وأنه تارك للمأمور، مرتكب للمحظور، وأنه نفسُه أولى بالله ورسوله ودينه منه.

والمقدمة الثانية: اعتقاده أن الله تبارك وتعالى قد لا يُؤيد صاحب الدين الحق وينصُره، وقد لا يجعل له العاقبة في الدنيا بوجهٍ من الوجوه، بل يعيش عمره مظلوماً مقهوراً مستضاماً، مع قيامه بما أُمر به ظاهراً وباطناً، وانتهائه عما نُهي عنه باطناً وظاهراً، فهو عند نفسه قائمٌ بشرائع الإسلام، وحقائق الإيمان، وهو تحت قهر أهل الظلم والفجور والعدوان، فلا إلٰه إلا الله كم فسد بهذا الاغترار من عابد جاهل، ومتديِّن لا بصيرة له ومنتسب إلى العلم لا معرفة له بحقائق الدين»(٤).

---

(١) الوشي: نقش الثوب، ويكون من كل لون. انظر: القاموس المحيط ص١٧٣٠.

(٢) الغاشية: الزوار والأصدقاء ينتابونك، ويطلق على القيامة والنار وقميص القلب وغير ذلك، والمراد به هنا الأول، والله أعلم. انظر: القاموس المحيط ص١٦٩٩.

(٣) انظر: تاريخ ابن الريوندي الملحد ص٨٢.

(٤) إغاثة اللهفان (٢/١٧٨).

وكما أن الفقر قد يكون سبباً في الوقوع في الزندقة كما هو حال ابن الراوندي، فقد يستغل الفقر أيضاً في نشر أفكار الزنادقة وخاصة الأفكار الإباحية والاشتراكية، التي نادت بها كثير من فرق الزنادقة قديماً وتنادي بها بعض فرقهم وأتباعهم في العصر الحاضر كما سيأتي[١].

هذه هي أهم الأسباب التي هيأت لظهور الزندقة وانتشارها في بعض المجتمعات الإسلامية، ولا شك أن هذه الأسباب وغيرها من الأسباب الأخرى قد كان لها أثر بالغ في انتشار الزندقة حيث استغلها دعاة الزندقة لنشر زندقتهم وتحقيق أهدافهم الخبيثة.

(١) انظر: ص٤٢١، ٤٤٩.

الفصل الرابع

أهداف الزنادقة وأساليبهم

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أهداف الزنادقة.

المبحث الثاني: أساليب الزنادقة.

المبحث الأول

أهداف الزنادقة

تمهيد:

عرفنا فيما سبق الأسباب التي أدت إلى ظهور الزندقة في المجتمع الإسلامي، وكيف أن تلك الأسباب ساعدت على كثرة الزنادقة وانتشار كتبهم وعقائدهم الباطلة بين بعض فئات المجتمع من متكلمين وأدباء وشعراء ونحوهم[(١)]، غير أن هاهنا أمراً لا بد من معرفته وهو أن هناك من يرسم أهدافاً وراء تلك الأسباب يطمع في تحقيقها، ويستغل كل سبب من هذه الأسباب ليصل إلى أهدافه التي خطط لها، وهؤلاء هم كبار الزنادقة الذين نصبوا العداوة للإسلام وأهله.

فقد حمل أولئك الزنادقة حقدهم على الإسلام وبغضهم للمسلمين على التخطيط لبعض الأهداف الخطيرة التي تتعلق بأعز شيء على الأمة الإسلامية والذي به نالت قوتها ومكانتها، ألا وهو إفساد عقيدتها وتدمير شريعتها ثم بعد ذلك الإطاحة بخلافتها الإسلامية ذات الطابع الديني، الذي لا يمكن أن يتفق مع مبادئ الزندقة وأفكارها المنحرفة، ولعلي أذكر أهم تلك الأهداف التي رسمها أولئك الزنادقة وما بذلوه في سبيل تحقيقها من الجهود العظيمة، فمن ذلك:

أولاً: هدم الشريعة الإسلامية والقضاء على الإسلام وأهله:

تتفق جهود الزنادقة قديماً وحديثاً على اختلاف فرقهم، وتفاوت

---

(١) انظر: ص١٢٧ وما بعدها.

عصورهم على هدف واحد، طالما طمعوا في تحقيقه، وبذلوا الغالي والنفيس في سبيل الوصول إليه، ألا وهو القضاء على دين الإسلام والتحلل من تعاليمه وشعائره، وذلك بالقدح فيه، وتشكيك الناس في تعاليمه، وإظهارها بمظهر التناقض والتعارض، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ مبيناً حرص الزنادقة على هذا الهدف في كلام له على بعض الأحاديث الموضوعة التي تطعن في دين الإسلام: «من الأحاديث ما يكون التصديق به طعناً في دين الإسلام... فمنهم من كان صاحب هوى... ومنهم من كان له نظر فتدبرها فوجدها تقدح في الإسلام فقال بموجبها، وقدح بها في دين الإسلام... ولهذا دخلت عامة الزنادقة من هذا الباب»[١]. فهؤلاء الزنادقة إنما يريدون هدم الشريعة بأي وسيلة كانت. ولذلك وضعوا الأحاديث لخدمة هذا الهدف ـ كما سيأتي ـ[٢] وأولوا النصوص والآيات تأويلاً باطلاً فأثبتوا لها ظاهراً وباطناً لكي يلغوا مدلولها الأصلي الذي جاءت به، حتى لا يعمل بها كما فعل زنادقة الباطنية، ومن صور هدم الزنادقة للشريعة ومحاولة القضاء على الشعائر الإسلامية زَعْمُ بعض زنادقة الصوفية أن الأحكام الشرعية إنما تختص بالعامة والأغبياء، وأما الأولياء فلا حاجة لهم بذلك وإنما يستغنون عن ذلك بما يقع في قلوبهم من الحقائق الربانية والأسرار الإلـٰهية. وفي ذلك يقول الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في كلام له عن قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع الخضر[٣]: «ذهب قوم من الزنادقة إلى سلوك طريقة تستلزم هدم أحكام الشريعة فقالوا: إنه يستفاد من

---

(١) منهاج السُّنَّة النبوية (٣/ ٤). (٢) انظر: ص١٦٤.

(٣) ذكر بعض العلماء أن الخضر لقب لهذا العبد الصالح وأن اسم الخضر بليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ قالوا: وكان يكنى أبا العباس، وكان من أبناء الملوك وقد اختلف هل كان نبياً، والذي عليه أكثر العلماء أنه لم يكن نبياً وإنما كان ولياً لله. واختلفوا أيضاً في كونه باقياً إلى الآن أم مات قبل بعثة النبي ﷺ، والذي تدل عليه النصوص أنه مات قبل ذلك، إذ لو كان حياً لكان من أتباع النبي ﷺ وأصحابه، ولم ينقل أنه جاء إلى رسول الله ﷺ ولا حضر عنده ولا قاتل معه. انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ١١١)، والمعارف لابن قتيبة ص٤٢.

قصة موسى والخضر[١] أن الأحكام الشرعية العامة تختص بالعامة والأغبياء، وأما الأولياء والخواص فلا حاجة بهم إلى تلك النصوص، بل إنما يراد منهم ما يقع في قلوبهم، ويحكم عليهم بما يغلب على خواطرهم، لصفاء قلوبهم عن الأكدار وخلوها عن الأغبار، فتنجلي لهم العلوم الإلـٰهية والحقائق الربانية، فيقفون على أسرار الكائنات ويعلمون أحكام الجزئيات فيستغنون بها عن أحكام الشرائع الكليات، كما اتفق للخضر، فإنه استغنى بما يتجلى له من تلك العلوم عما كان عند موسى»[٢].

ولا شك أن هذا هدم للشريعة، وإلغاء للأحكام الشرعية التي وردت بها نصوص الكتاب والسُّنَّة، ولذلك صرح العلماء ـ رحمهم الله ـ بأن ذلك لا يمكن أن يصدر عن مسلم، وإنما هو من أقوال الزنادقة التي أرادوا بها هدم الشريعة كما تقدم في كلام الحافظ ابن حجر رحمه الله وكما قال القرطبي رحمه الله بعد سياقه لهذا القول، فقد نقل عن شيخه أبي العباس[٣] أنه قال: «وهذا القول زندقة وكفر يقتل صاحبه ولا يستتاب لأنه إنكار لما علم من الشرائع»[٤].

وسيأتي في الفصول التالية زيادة بيان لهذا الهدف الذي يسعى إليه الزنادقة وذلك بذكر بعض أساليبهم وفرقهم التي خططوا من خلالها للوصول إلى أهدافهم التي أرادوا من تحقيقها القضاء على الإسلام والمسلمين.

فالزنادقة إنما أرادوا بذلك القضاء على الشريعة الإسلامية والاستغناء عنها بهذه الأمور الخرافية التي لا حقيقة لها البتة. إذ لا يمكن للإنسان معرفة الأحكام والوقوف على الشرائع إلا من جهة نصوص الكتاب والسُّنَّة. ولا شك

---

(١) هذه القصة هي المذكورة في سورة الكهف من آية ٨٢.

(٢) فتح الباري (١/ ٢٢١).

(٣) هو أحمد بن عمر بن إبراهيم، الأنصاري، القرطبي، المالكي، أبو العباس، محدث فقيه، ولد سنة ٥٧٨هـ بقرطبة ورحل إلى المشرق، وتوفي سنة ٦٥٦هـ بالإسكندرية، وهو صاحب كتاب: «المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم». انظر: الديباج المذهب ص١٣٠ ـ ١٣١، والبداية والنهاية (١٣/ ٢٢٦)، ومعجم المؤلفين (٢/ ٢٧).

(٤) تفسير القرطبي (١١/ ٢٨).

أن كثيراً من الزنادقة قد أدرك أن ذلك الذي زعموه لا يمكن أن يقع لأحد إلا عن طريق الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، وإنما أرادوا هدم معاقل الإسلام والقضاء على مصادر الشريعة ومواردها الأصلية بأي وسيلة كانت، وما أحسن ما ذكره ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان عداوة الزنادقة للإسلام وحرصهم على القضاء على الشريعة حيث قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلله كم من معقل للإسلام قد هدموه؟! وكم من حصن له قد قلعوا أساسه وخربوه؟! وكم من علم قد طمسوه؟! وكم من لواء له مرفوع قد وضعوه؟! وكم ضربوا بمعاول[1] الشبه في أصول غراسه ليقلعوه؟! وكم عموا عيون موارده بآرائهم ليدفنوها ويقطعوها؟! فلا يزال الإسلام وأهله منهم في محنة وبلية ولا يزال يطرقه من شبههم سرية سرية، ويزعمون أنهم بذلك مصلحون ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة: ١٢]. . .»[2].

ثانياً: بعث النحل القديمة:

اندثر كثير من النحل القديمة بعد ظهور الإسلام واتساع الفتوحات الإسلامية، حيث قل أتباع تلك الديانات مع كثرة من يدخل في الإسلام من مختلف الأجناس والديانات، مما أورث الحقد والعداوة على الإسلام من بعض أتباع تلك الديانات من الفرس وغيرهم. فما كان من أولئك الحاقدين إلا أن دخلوا في الإسلام ظاهراً لتحقيق مصالحهم وأهدافهم مع البقاء على دياناتهم القديمة باطناً والاجتماع على ذلك فيما بينهم للتخطيط لبعث دياناتهم القديمة والدعوة إلى تجديدها.

ولم يكن هذا الهدف الذي يرمي إليه أولئك الزنادقة ليتحقق في العصر الأموي وما قبله من عصر الخلفاء الراشدين، والتي بقيت فيها الزندقة مستترة

---

(١) المعاول: جمع معول بالكسر وهو الفأس العظيمة التي ينقر بها الصخر، والميم زائدة وهي ميم الآلة. انظر: لسان العرب (١١/ ٤٨٧).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن قيم الجوزية (١/ ٣٧٦)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

لم تظهر مبادئها وأفكارها، وإن كانت جذورها موجودة في تلك العصور ـ كما تقدم ـ[(١)]، فلما انتهى عصر بني أمية وخلفهم بنو العباس، قربوا الموالي الفرس، نظراً لما قاموا به من الدور الفعال في إسقاط دولة بني أمية وقيام دولة بني العباس، فاستغل ذلك أولئك الزنادقة في الدعوة إلى دياناتهم الفارسية وبعثها من جديد، وفي ذلك يقول أحمد أمين: «لما أتت الدولة العباسية انتعش الموالي وخاصة الفرس، وأصبح أكثر السلطان في أيديهم، وغلبوا على العرب، وقد كانت لهم ديانات سابقة لم ينسوها جميعها لما اعتنقوا الإسلام، وكانوا لا يجرؤون في الحكم الأموي أن ينبسوا[(٢)] بكلمة وكان همهم الأول أن يتحرروا سياسياً لا دينياً، فكانت دعوتهم السرية واجتماعاتهم وتدابيرهم للسياسة لا للدين، والزندقة إنما هي في الدين لا في السياسة فلما نجحوا واطمأنوا وغلبوا بدأت تلعب في رؤوسهم الديانات القديمة والجديدة فكانت الزندقة»[(٣)].

وقد ظهر ذلك واضحاً في أشعارهم وذلك بذكر بعض عقائدهم وأفكارهم المجوسية من الافتخار بالنار التي كان يعبدها المجوس، والإشارة إلى النور والظلمة اللذين قام عليهما دين الثنوية كما في أشعار بشار بن برد[(٤)]، وغيره من زنادقة الفرس[(٥)]، كما ظهر ذلك في إباحتهم للفواحش من اللواط ونكاح المحارم، وحرصهم على بعث الكتب الفارسية القديمة التي تدعو إلى ذلك وترجمتها إلى العربية كما فعل ابن المقفع وأبان اللاحقي وغيرهما، حتى انتشرت الكتب المجوسية بمختلف فرقها من زرادشتية ومانوية ومزدكية وغيرها، مما كان له أثر بالغ في انتشار الزندقة، وكثرة من تدين

---

(١) انظر: ص١١٢، ١١٥.

(٢) ينبسوا: مأخوذة من النبس بالضم ومعناه: تكلم فأسرع وتحرك، وأكثر ما يستعمل في النفي. انظر: القاموس المحيط ص٧٤٣.

(٣) ضحى الإسلام لأحمد أمين (١/ ١٤٥).

(٤) انظر: على سبيل المثال بعض ما تقدم من أشعاره ص٦٤.

(٥) انظر: الثقافات الأجنبية في العصر العباسي الأول ص٢١٧ ـ ٢٢٢.

بتلك الديانات الفارسية، وإن كان غالب أولئك كانوا من الموالي الفرس، وقد تقدم ذكر جملة ممن اعتنق المانوية في زمن العباسيين وذلك في الفصل السابق(١).

ثالثاً: الوصول إلى الخلافة الإسلامية:

لقد أدرك الزنادقة ما للخلافة الإسلامية من المكانة العظمى والأثر الكبير عند المسلمين، إذ هي مركز قيادتهم وسر قوتهم، فعملوا على التخطيط للإطاحة بالخلافة الإسلامية أو إضعاف دورها، وذلك عن طريق التسلل إلى بلاط الخلفاء تحت ستار إظهار الإسلام والنصح للدولة حتى يتحقق لهم ما خططوا له من الكيد للإسلام وأهله.

غير أن هذا الهدف الذي خطط له أولئك الزنادقة لم يكن ليتحقق مع قوة الخلافة الإسلامية، ويقظة علمائها ورجالها المخلصين الذين كشفوا أهداف أولئك الزنادقة، ولم ينخدعوا بما كانوا يتظاهرون به من النصح والإخلاص للدولة الإسلامية.

حيث فطن الخلفاء الأقوياء لهذا الهدف الذي خطط له الزنادقة مما جعلهم يبطشون بكثير منهم قبل أن يتحقق لهم ذلك الهدف، كما فعل أبو جعفر المنصور حينما قضى على أبي مسلم الخراساني(٢) بعد أن تخوفه على الخلافة، وقد كان أبو جعفر قد حذر أخاه الخليفة السفاح(٣) من خطورة أبي مسلم وأشار إليه أن يقتله وقال له كما ذكر ابن كثير: «إنك إن لم تتعش به تغدى بك هو»، فأذن له في قتله ثم ندم ونهاه عن ذلك، فلما أفضت الخلافة

---

(١) انظر: ص١١٩. (٢) تقدمت ترجمته. انظر: ص١٣٧.

(٣) هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس القرشي الهاشمي أبو العباس السفاح، أول خلفاء بني العباس، كان أحد الجبارين الدهاة من ملوك العرب مهيباً شديد الانتقام، وكان يوصف بالفصاحة والعلم والأدب، توفي شاباً بالجدري سنة ١٣٦هـ بالأنبار وكان عمره يوم توفي ثلاثاً وثلاثين سنة، وقيل: أصغر من ذلك. انظر: تاريخ الخلفاء ص٢٢٦ ـ ٢٢٩، والبداية والنهاية (١٠/ ٦٠ ـ ٦١)، والسير (٦/ ٧٧ ـ ٨٠)، والأعلام (٤/ ١١٦).

إلى المنصور قتل أبا مسلم[١].

وكذلك فعل الخليفة العباسي هارون الرشيد مع وزرائه البرامكة في نكبتهم المشهورة، وقد كانوا يتهمون بالزندقة وإبطال خلافة الرشيد، كما قال ابن النديم: «قيل إن البرامكة بأسرها إلا محمد بن خالد بن برمك، كانت زنادقة»[٢]، وقال ابن كثير: «يقال إن البرامكة كانوا يريدون إبطال خلافة الرشيد وإظهار الزندقة»[٣] ولذلك قضى عليهم الخليفة الرشيد في نكبتهم المشهورة[٤].

ثم إنّه لما ضعفت الخلافة العباسية في خلافة المقتدر[٥] ومن بعده، بدأ أمر الدولة الإسلامية يتشتت حتى استولى الزنادقة على بعض الأقطار الإسلامية، فظهر العبيديون في مصر وما حولها، وظهر القرامطة في البحرين واستولوا عليها، وسيطر بنو بويه[٦] على أمور الدولة في بغداد، فتحقق لهؤلاء الزنادقة الوصول إلى هذا الهدف الذي طالما خططوا له فعاثوا في بلاد الإسلام، ونشروا زندقتهم وإلحادهم، واستهتروا بشعائر الدين، وانتهبوا

---

(١) انظر: البداية والنهاية (١٠/ ٦٠، ٦١).

(٢) الفهرست ص٤٠١.

(٣) البداية والنهاية (١٠/ ١٩٦)، وانظر: المنتظم لابن الجوزي (٩/ ١٣٣).

(٤) انظر: ص١٢١، وانظر أيضاً: البرامكة سلبياتهم وإيجابياتهم ص٧٢ ـ ٩٩.

(٥) جعفر بن أحمد بن طلحة، أبو الفضل المقتدر العباسي، بويع له بالخلافة بعد وفاة أخيه المكتفي، طالت أيامه وكثرت فيها الفتن، وقد كان ضعيفاً مبذراً استولى على الملك خدمه ونساؤه، وفي أيامه اقتلع الحجر الأسود وقوي القرامطة وكثرت الرزايا والفجائع بهم، قتل في فتنة مؤنس الخادم سنة ٣٢٠هـ. انظر: تاريخ الخلفاء ص٣٢٨ ـ ٣٣٤، والبداية والنهاية (١١/ ١٨١ ـ ١٨٢)، وتاريخ ابن خلدون (٣/ ٤٧٨)، والأعلام (٢/ ١٢١).

(٦) هم أولاد أبي شجاع بويه بن قبا خسروا بن سيسان الفارسي، ويقال لهم الديالمة لأنهم جاوروا الديلم، وقد كان ابتداء دولتهم في أيام القاهر العباسي سنة ٣٢١هـ، وهم ثلاثة إخوة: عماد الدولة علي أبو الحسن، ومعز الدولة أحمد أبو الحسن، وركن الدولة الحسن أبو علي، وقد كانوا جميعاً على مذهب الرافضة ولذلك ظهر في أيامهم سب الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وقوي بهم الرافضة فجاهروا بمذهبهم وظهرت الزندقة في دولتهم. انظر: البداية والنهاية (١١/ ١٨٥، ٢٣٨).

الحجر الأسود من البيت الحرام، وقتلوا الحجيج، كما سيأتي بيان ذلك عند الكلام على فرق الزنادقة في الباب الثاني بإذن الله تعالى.

رابعاً: التشكيك في الدين الإسلامي وتشويه الشريعة:

لما عجز الزنادقة عن تحقيق هدفهم الأكبر الذي يسعون إليه وهو هدم الشريعة والقضاء على دين الإسلام، ورأوا أن ذلك قد لا يحصل لهم بسبب تمسك المسلمين بدينهم وحرصهم على شريعتهم التي هي مصدر عزهم ورفعتهم، أرادوا تشكيك المسلمين في دينهم فراحوا يدسون الأباطيل الكاذبة والأقوال السخيفة بقصد تشويه الشريعة الإسلامية في نفوس العامة والرعاع[1] من الناس، لكي يبقى المسلم حائراً متردداً لا يطمئن إلى عقيدة، ولا يسلم بشريعة، وبذلك يسهل على أولئك الزنادقة اجتذاب العامة وإدخالهم في الزندقة، وكما أن هذا الهدف الذي خطط له الزنادقة أحد طرق الزندقة، فهو أيضاً أداة صد لمن أراد الدخول في الإسلام من أصحاب الديانات الأخرى.

وقد كان أولئك الزنادقة يدخلون المدن ويتشبهون بأهل العلم، ثم يجلسون للعوام فيقصون عليهم بعض الغرائب حتى يجذبوهم إلى مجالسهم، ثم يدسون في كلامهم وقصصهم بعض الأمور المكذوبة مما يتعلق بالقرآن والسُّنَّة حتى يشككوا الناس في دينهم.

قال ابن حبان[2] رَحِمَهُ اللهُ في بيان واقع أولئك الزنادقة: «يعتقدون الكفر ولا يؤمنون بالله واليوم الآخر، فكانوا يدخلون المدن ويتشبهون بأهل العلم ويضعون الحديث على العلماء، ويروون عنهم ليوقعوا الشك والريب في قلوبهم يَضِلون ويُضِلون، فيسمع الثقات منهم ما يروون ويؤدونها إلى من

---

(١) الرعاع كسحاب الأحداث الطغام. انظر: القاموس المحيط ص٩٣٣.

(٢) محمد بن حبان بن أحمد التميمي، أبو حاتم البستي الشافعي، كان من أئمة زمانه في الحديث والفقه واللغة. صنف تصانيف لم يسبق إلى مثلها، ولد ببست سنة ٢٧٠هـ، وتوفي بها سنة ٣٥٤هـ. انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٢/ ١٠٠)، وسير أعلام النبلاء (١٦/ ٩٢ ـ ١٠٤)، ولسان الميزان (٦/ ١٨٤)، وشذرات الذهب (٣/ ١٦).

بعدهم حتى تداولوها فيما بينهم»[١].

فهؤلاء الزنادقة إنما أرادوا بذلك الفعل القبيح تشويه الإسلام وتشكيك الناس في دينهم فلذلك اختلقوا تلك الحكايات المكذوبة، وهؤلاء هم الذين عناهم شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: «وآخرون من الزنادقة والملاحدة كذبوا أحاديث مخالفة لصريح العقل ليهجنوا[٢] بها الإسلام، ويجعلوها قادحة فيه»[٣].

وقد كان جل تركيز الزنادقة في تشكيك الناس في الدين وتشويه الشريعة من جهة السُّنَّة المطهرة بوضع الأحاديث المكذوبة، وإظهار تعارضها مع النصوص الأخرى ـ كما تقدم ـ غير أن القرآن لم يسلم من كيدهم وخبثهم أيضاً، فقد حرصوا على تشكيك الناس في صحته وطعنوا في بعض آياته، بل صنف بعضهم في معارضته كما فعل ابن الراوندي الزنديق، فقد صنف كتاباً سماه الدامغ زعم أنه يدمغ به آيات القرآن، يقول ابن الجوزي في كلام له عن ابن الراوندي: «صنف كتاباً سمّاه الدامغ زعم أنه يدمغ به هذه الشريعة، فسبحان من دمغه فأخذه في شرخ[٤] الشباب، وكان يعترض على القرآن ويدعي عليه التناقض...»[٥].

وكذلك فعل ابن المقفع، فقد ذكر ابن القيم أنه عارض القرآن، إلا أنه لما وصل إلى بعض الآيات عجز عن ذلك وترك معارضته، يقول ابن القيم رحمه الله: «ومن الآيات التي لم ينسج على منوالها، ولا سمحت قريحة بمثلها، قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ إلى قوله: ﴿وَقِيلَ بُعۡدًا

---

(١) المجروحين من المحدثين لابن حبان (١/ ٥٨)، تحقيق: حمدي السلفي، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

(٢) الهجنة بالضم من الكلام ما يعيبه. والتهجين: التقبيح، وأنا أستهجن فعلك وهذا مما يستهجن؛ أي: يستقبح، والمراد ليقبحوا الإسلام. انظر: القاموس المحيط ص١٥٩٩ ـ ١٧٠٠.

(٣) درء التعارض (٧/ ٩٢).

(٤) الشرخ: الأصل والعرق، وأول الشباب، انظر: القاموس المحيط ص٣٢٤.

(٥) تلبيس إبليس ص١٣٥.

﴿لِلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ٤٠ ـ ٤٤] ولهذا، فإن ابن المقفع لما عارض القرآن ووصل إلى هذه الآية قال: هذا ما لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله، وترك المعارضة، وأحرق ما كان اختلقه»(١).

ومن الاعتراضات التي ذكرها ابن الراوندي لتشكيك الناس في القرآن الكريم ما ذكره الإمام الشوكاني عند قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ...﴾ [النحل: ١١٢] قال الشوكاني: «إن ابن الراوندي الزنديق قال لابن الأعرابي(٢) إمام اللغة والأدب، وهل يذاق اللباس، فقال له ابن الأعرابي: لا بأس أيها النسناس(٣)، هب أن محمداً لم يكن نبياً أما كان عربياً، كأنه طعن في الآية بأن المناسب أن يقال فكساها الله لباس الجوع أو فأذاقها الله طعم الجوع»(٤).

وهكذا كانت زنادقة الباطنية يشككون المسلمين في دينهم وذلك بالطعن في القرآن الكريم ورميه بالتناقض كما نقل ذلك عنهم الغزالي(٥) بقوله: «قالت الباطنية: وجدنا هذا الكتاب الناطق بين الخلق من الحق يخبر في موضع بآية ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣] ويخبر في موضع آخر بأنه يسأل ويقتضي الجواب في قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ

---

(١) الفوائد لابن القيم ص١٧٨.

(٢) محمد بن زياد بن الأعرابي، أبو عبد الله الهاشمي مولاهم، إمام اللغة كان صالحاً زاهداً ورعاً. ولد سنة ١٥٠هـ بالكوفة، وتوفي بسامرا سنة ٢٣١هـ. انظر: بغية الوعاة (١/ ١٠٥)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٨٧ ـ ٦٨٨)، وتاريخ بغداد (٥/ ٢٨٢)، وشذرات الذهب (٢/ ٧٠).

(٣) النسناس: قيل هي دابة في عداد الوحش تشبه الإنسان، وقيل: خلق على صورة بني آدم أشبهوهم في شيء وخالفوهم في شيء، وليس من بني آدم، وقيل: من بني آدم، وفي حديث أبي هريرة: «ذهب الناس وبقي النسناس، قيل: من النسناس؟ قال: الذين يتشبهون بالناس وليسوا من الناس» وقال ابن الأعرابي: النسنس: الأصول الرديئة. انظر: لسان العرب (٦/ ٢٣١ ـ ٢٣٢)، والقاموس المحيط ص٧٣٣.

(٤) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٠٠).

(٥) تقدمت ترجمته. انظر: ص٥٣.

رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٤ ـ ١٢٦] فأي سؤال أتم من هذا السؤال الذي اقتضى هذا الجواب، وفي القول مثل هذا كثير والتناقض في مثل هذه الآيات ظاهر موجود إذا لم يعبر عنه ببيان يقبله العقل»[١] إلى غير ذلك من شبه الزنادقة، وتشكيكهم في دين الإسلام، ورميهم الكتاب والسُّنَّة بالتناقض والتعارض، فكم من مسلم مطمئن بإسلامه أفسدوا عليه عقيدته بشبههم الداحضة وأقوالهم الكاذبة، فقد عجزوا عن مقارعته بالحرب والقوة والبرهان والحجة، فلجؤوا إلى تشكيك المسلمين في دينهم بوضع الروايات الباطلة وادعاء التعارض في نصوص الكتاب والسُّنَّة، حتى يصلوا إلى أغراضهم السيئة ومقاصدهم الخبيثة[٢].

(١) جواب المسائل الأربع التي سألها الباطنية لأبي حامد الغزالي بهمدان، ضمن مجلة المنار المصرية (١١/٦٠٢)، عدد ١٣١٥، شعبان ١٣٢٦هـ.

(٢) انظر: التفسير والمفسرون، د. محمود الذهبي (١/١٥٨ ـ ١٥٩)، دار إحياء التراث، بيروت.

المبحث الثاني

أساليب الزنادقة

تمهيد:

لقد سلك الزنادقة في سبيل تحقيق أهدافهم الخبيثة التي رسموها، وطمعوا في الوصول إليها أساليب عدة تدل على حقدهم على الإسلام وأهله. فقد سخروا كثيراً من الجهود بمختلف أشكالها وألوانها للوصول إلى تلك الأهداف، واستفادوا من جميع المجالات التي يمكن أن تخدمهم في ذلك، بل لم يترددوا في استخدام بعض الأساليب المستقبحة ما دام أنها تخدم أهدافهم وغاياتهم الخبيثة.

ولم يفرقوا في ذلك بين الأساليب التي قد تبدو في ظاهرها نافعة ومفيدة للمجتمع، وبين الأساليب المكشوفة الواضحة في خبثها وقبحها ما دام أنها جميعاً تخدم أهدافهم، غير أن تلك الأساليب التي سلكها أولئك الزنادقة لم تكن متماثلة في جميع العصور، وإنما تختلف تلك الأساليب من عصر إلى عصر بحسب الظروف المحيطة بها. كما أنها قد تبدو نشيطة واضحة في عصر دون عصر أو في قطر دون قطر. ولذلك نجد نشاطهم واضحاً في العصر العباسي بخلاف عصر الخلافة الراشدة. وفي خراسان والعراق دون الحجاز. ويزداد نشاطهم ويتضح خبثهم عندما تكون الدولة لهم، كما ظهر ذلك واضحاً عندما حكم العبيديون مصر وغيرها، والقرامطة بلاد البحرين وما جاورها[(١)].

ولا يزال الزنادقة إلى وقتنا هذا يستغلون كل أسلوب لتحقيق مآربهم وأهدافهم، ويبحثون عن كل جديد في هذا العصر الذي تعددت فيه الوسائل

---

(١) انظر: ٢٢١، ٢٥٧.

وتنوعت فيه المكتشفات[١].

وسأذكر فيما يلي أهم تلك الأساليب التي سلكها أولئك الزنادقة لتحقيق ما يريدونه من الأهداف الخبيثة فمن ذلك:

أولاً: التستر بحب آل البيت[٢] والدفاع عنهم:

لقد حرص الزنادقة في سبيل تحقيق أهدافهم الخبيثة على الاعتماد على كل ما من شأنه احتواء أكثر عدد من المسلمين للتلبيس عليهم وإفساد عقائدهم ولو كان ذلك باسم الإسلام، ومن ذلك تركيز كثير من الزنادقة في دعوتهم المنحرفة على ادعاء محبة آل البيت والدفاع عنهم، نظراً لما لهذا الأمر في نفوس المسلمين من منزلة عالية وذلك لعلاقته برسول الله ﷺ إذ هم قرابته وأحفاده كعلي رضي الله عنه وابنيه الحسن والحسين رضي الله عنهم وأبنائهما من بعدهما، خاصة وأن الكثير من آل البيت قد قتل ظلماً وعدواناً[٣] فأظهر أولئك الزنادقة محبتهم والدفاع عنهم، وذلك لكسب قلوب المسلمين ومن ثم إفساد دينهم وعقيدتهم.

ولعل أقدم الزنادقة استغلالاً لهذا الأسلوب رأس الزندقة وإمام الزنادقة ابن سبأ اليهودي، الذي كان في زمن عثمان رضي الله عنه ـ كما تقدم ـ فقد دخل هذا الزنديق على المسلمين من هذا الباب، حيث أظهر محبة علي رضي الله عنه والانتصار له، حتى تحقق له مراده ببث الخلاف بين المسلمين وإفساد عقائدهم، حتى

---

(١) انظر: ٣٦٢.

(٢) المقصود بآل البيت هنا هم: علي بن أبي طالب وزوجه فاطمة والحسن والحسين وما تناسل من أبنائهما رضي الله عنهم أجمعين. انظر: حقوق آل البيت لشيخ الإسلام ابن تيمية ص٢٥ بتحقيق: د. عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.

(٣) كما حصل ذلك للخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه عندما قتله أحد الخوارج وكذلك حصل لابنه الحسين رضي الله عنه عندما قتله أهل العراق وقتل معه كثيرٌ من أولاده وآل بيته، وقتل زيد بن الحسين لما خرج بالكوفة على هشام بن عبد الملك وأحرقت جثته، ثم خرج يحيى بن زيد فقتل في زمن الوليد بن يزيد. انظر: مقالات الإسلاميين ص٧٥ ـ ٨٥.

وصل الحال ببعضهم إلى الاعتقاد بأن علياً رضي الله عنه هو الرب ـ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ـ كما سيتضح ذلك إن شاء الله تعالى عند الكلام على فرقة السبئية[١]، وقد درج على ذلك غالب الزنادقة الذين جاؤوا بعد ابن سبأ من الباطنية والقرامطة والنصيرية وغيرهم.

فإن أولئك الزنادقة لما رأوا ميل الرافضة إلى آل البيت وغلوّهم فيهم دخلوا من بابهم تلبيساً على الناس بحب آل البيت، وإلا فهم يبغضون آل البيت كما يبغضون غيرهم من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وأئمة السلف، وإنما حملهم على ذلك التستر بهذه الدعوى لنشر زندقتهم وأفكارهم المنحرفة.

وقد صرح بعض أولئك الزنادقة بالأسباب التي حملتهم على انتحال الرفض وادعاء حب آل البيت، كما روى ذلك الإمام أبو سعيد الدارمي[٢] فقال: «حدثنا الزهراني أبو الربيع[٣] قال: كان من هؤلاء الجهمية رجل، وكان الذي يظهر من رأيه الترفض وانتحال علي رضي الله عنه، فقال رجل ممن يخالطه ويعرف مذهبه: قد علمت أنكم لا ترجعون إلى دين الإسلام ولا تعتقدونه، فما الذي حملكم على الترفض وانتحال حب علي؟ قال: إذاً أصدقك، إنا إن أظهرنا رأينا الذي نعتقده رمينا بالكفر والزندقة، وقد وجدنا أقواماً ينتحلون حب علي ويظهرونه، ثم يقعون بما شاؤوا، ويعتقدون ما شاؤوا، ويقولون ما شاؤوا، فنسبوا بذلك إلى الترفض والتشيع، فلم نر لمذهبنا أمراً ألطف من انتحال حب هذا الرجل، ثم نقول ما شئنا ونعتقد ما شئنا، ونقع بمن شئنا، فلأن يقال لنا: رافضة أو شيعة أحب إلينا من أن يقال زنادقة كفار، وما علي عندنا أحسن حالاً من غيره ممن نقع بهم». ثم قال أبو سعيد رحمه الله: «وصدق

---

(١) انظر: ص١٩٧.

(٢) تقدمت ترجمته. انظر: ص٤٩.

(٣) سليمان بن داود العتكي، أبو الربيع الزهراني البصري، ثقة حافظ محدث، سكن بغداد وحدث بها، وله مصنف في الحديث، توفي في رمضان سنة ٢٣٤هـ. انظر: الجرح والتعديل (٤/ ١١٣)، وتهذيب التهذيب (٤/ ١٩٠ ـ ١٩١)، والأعلام (٣/ ١٢٥).

هذا الرجل فيما عبر به عن نفسه ولم يراوغ[١]، وقد استبان ذلك من بعض كبرائهم وبصرائهم أنهم يستترون بالتشيع، ويجعلونه تثبيتاً لكلامهم وخطبهم، وسلماً وذريعة لاصطياد الضعفاء وأهل الغفلة، ثم يبذرون بين ظهراني خطبهم بذر كفرهم وزندقتهم ليكون أنجع[٢] في قلوب الجهال، وأبلغ فيهم، ولئن كان أهل الجهل في شك من أمرهم، إن أهل العلم منهم على يقين ولا حول ولا قوة إلا بالله»[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد سياقه لكلام أبي سعيد الدارمي رحمه الله قال: «وهذا الذي حكاه عثمان بن سعيد عن هذا الرجل هو لسان حال أئمة الجهمية المتشيعة كالقرامطة الباطنية من الإسماعيلية والنصيرية ونحوهم، وهم رؤوس الملاحدة وأئمتهم»[٤].

فالزنادقة يستترون بانتحال الرفض وادعاء محبة آل البيت لبث سمومهم ونشر زندقتهم، وقد أشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في موضع آخر، فقال في كلام له عن الرافضة: «وبهم تسترت الزنادقة كالغالية من النصيرية وغيرهم من القرامطة الباطنية والإسماعيلية وغيرهم»[٥].

هكذا يستغل الزنادقة هذا الأسلوب لبذر زندقتهم ولاصطياد أهل الغفلة من المسلمين وحقيقة أمرهم هو بغض الإسلام وعداوة الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ من غير فرق بين علي رضي الله عنه وغيره من الصحابة الكرام.

ثانياً: انتحال النسب النبوي:

لم تتوقف دعوى الزنادقة وكذبهم وخداعهم على ادعاء محبة آل البيت

---

(١) الروغان هو الحياد عن الشيء والميل عنه، ومنه راغ الرجل والثعلب روغاً وروغاناً. انظر: القاموس المحيط ص١٠١١. والمراد أنه لم يحد عن الحقيقة، وإنما صدق في كلامه.

(٢) أنجع نجوعاً: أي: أكثر أثراً في قلوبهم. انظر: القاموس ص٩٨٩.

(٣) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية ص١٧٩ ـ ١٨٠. وانظر: درء التعارض (٥/ ٣٠٦ ـ ٣٠٧).

(٤) درء التعارض (٥/ ٣٠٧).

(٥) منهاج السُّنَّة (٦/ ٣٧٠).

ونصرتهم، بل تطور الأمر ببعضهم إلى انتحال النسب النبوي الشريف، حيث ألزق كثير من دعاتهم نفسه بنسب العلويين أو العباسيين ـ مع أن أصل هؤلاء في الغالب ليس عربياً، وإنما هم من أصل فارسي أو يهودي أو غير ذلك ـ ما دام أن ذلك يخدم أهدافهم الخبيثة، ومن تتبع التاريخ، وسير الزنادقة، وأخبارهم عبر العصور، وجد الأمثلة على ذلك كثيرة، ولعل ذلك يتضح بذكر بعض الأمثلة على كذب الزنادقة وخداعهم للجهلة بادعاء هذا النسب وذلك كما يلي:

١ ـ صاحب الزنج[١] الذي خرج في سنة (٢٥٥هـ)، وادعى أنه علوي من آل البيت، وزعم أن اسمه علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ، فقد استغل هذا الزنديق محبة المسلمين للعلويين، وذلك لقرابة رسول الله ﷺ، فانتحل هذا النسب العلوي، وأخذ يتنقل بين الأمصار ينشر فجوره وزندقته تحت ستار هذا النسب الشريف، حتى اجتمع حوله جموع كثيرة من الزنج وغيرهم، فخرج بهم وأخذ يقتل المسلمين في ديارهم، وفي ذلك يقول ابن الأثير رحمه الله في حوادث سنة (٢٥٥هـ) قال: «وفي شوال خرج في فرات البصرة رجل زعم أنه علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام[٢]، وجمع الزنج الذين كانوا يسكنون السباخ[٣] وعبر دجلة[٤] فنزل

---

(١) هو علي بن محمد بن عبد الرحمٰن، وقيل: ابن عبد الرحيم العبدي من عبد قيس، كان منجماً حرورياً زنديقاً، زعم أنه من ولد علي رضي الله عنه، وجمع حوله جموعاً كثيرة من الزنج، وتنقل في الأمصار ينشر زندقته ويحارب أهل الإسلام، إلى أن قتل سنة ٢٧٠هـ. انظر: الكامل في التاريخ (٦/ ٢٠٦)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ١٢٩ ـ ١٣٤).

(٢) هكذا قال ابن الأثير، والأصل أن أهل السُّنَّة لا يفرقون بين علي رضي الله عنه ولا غيره من الصحابة في الترضي عنهم، بل إذا ذكر أحدهم يترضى عنه، من غير أن يخص أحد من الصحابة رضي الله عنهم بالصلاة والسلام عليه دون غيره، والله أعلم.

(٣) السباخ جمع سبخة، وهي الأرض الملحة، النازّة، موضع في البصرة، والسبخة أيضاً من قرى البحرين، وموضع بالمدينة النبوية. انظر: معجم البلدان (٣/ ٢٠٦).

(٤) دجلة: النهر العظيم الذي يشق بغداد، ومخرجه من عين تسمى عين دجلة، على =

الديناري[١]... وكان اسمه فيما ذكر علي بن محمد بن عبد الرحيم ونسبه في عبد القيس، وأمه ابنة علي بن رحيب... من بني أسد بن خزيمة من قرى الري[٢]...»[٣].

وقال الذهبي رَحِمَهُ اللهُ في ترجمته لهذا الزنديق: «الخبيث، هو طاغية الزنج، علي ابن محمد بن عبد الرحمٰن العبدي، من عبد قيس، افترى وزعم أنه من ولد زيد بن علي العلوي، وكان منجماً، طرقياً، ذكياً، حرورياً ماكراً، داهية، منحلاً على رأي فجرة الخوارج، يتستر بالانتماء إليهم، وإلا فالرجل دهري فيلسوف زنديق»[٤].

وقد زعم هذا الزنديق: «أنه هو عبد الله المذكور في: ﴿قُلْ أُوحِيَ﴾[٥] وزعم أن النبي ﷺ ما يمتاز عليه إلا بالنبوة، وزعم أنه تكلم في المهد، صيح به: يا علي! فقال: يا لبيك، وكان يجمع اليهود والنصارى، يسألهم عما في التوراة والإنجيل من ذكره، وهم يسخرون منه، ويقرؤون له فصولاً فيدعي أنها فيه...»[٦].

ثم إن هذا الزنديق لم يزل ينشر زندقته وفجوره، ويحارب الإسلام وأهله، حتى قتل سنة (٢٧٠هـ) كما سيأتي في الباب الرابع إن شاء الله تعالى[٧].

= يومين ونصف من آمد، وينصب إليه كثير من الوديان المنحدرة من الجبال، وهذا النهر يمر على المدائن ثم واسط ثم يصب في البطائح. انظر: معجم البلدان (٢/٥٠٢ ـ ٥٠٤)، ومراصد الاطلاع (٢/٥١٥).

(١) دينار: سكة بالري، ودرب دينار ببغداد، ودينور: مدينة من أعمال الجبل قرب قرميسين وينسب إليها خلق كثير من المحدثين وغيرهم. انظر: معجم البلدان (٢/٦١٦).

(٢) الري: مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن، بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخاً، وهي كثيرة الخيرات والثمار. انظر: مراصد الاطلاع (٢/٦٥١).

(٣) الكامل في التاريخ (٦/٢٠٦).

(٤) سير أعلام النبلاء (١٣/١٢٩ ـ ١٣٠).

(٥) أي في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا ١٩﴾ [الجن: ١٩].

(٦) سير أعلام النبلاء (١٣/١٣٤).

(٧) انظر: ص٦٨٧.

٢ ـ بنو عبيد القداح[١] الذين ملكوا مصر وادعوا أنهم علويون، وقد زعموا أنهم من ذرية فاطمة رضي الله عنها. ولذلك أطلقوا على أنفسهم لقب «الفاطميين» نسبة إلى فاطمة رضي الله عنها. وقد كذبوا في ذلك كما قال ابن كثير رحمه الله في حوادث سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، قال: «فيها كان موت المهدي صاحب إفريقية أول خلفاء الفاطميين الأدعياء الكذبة، وهو أبو محمد عبيد الله المدعي أنه علوي، وتلقب بالمهدي»[٢].

وقد كانوا ينتسبون إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد اختلف النقلة في هذا النسب الذي ادعوه، فقيل إنهم كانوا يزعمون أنهم من ذرية موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وقيل: بل كانوا يدعون أنهم من ذرية إسماعيل بن جعفر الصادق[٣].

قال ابن خلكان[٤]: «وقد اختلف في نسب المهدي... فقيل: هو عبيد الله بن الحسن بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وقيل: هو عبيد الله بن التقي وهو الحسين بن الوفي بن أحمد بن الرضا، وهو عبد الله هذا، وهو ابن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وقيل غير ذلك في نسبه... والمحققون ينكرون دعواه في النسب»[٥].

---

(١) تقدم التعريف بهم. انظر: ص٥٢. (٢) البداية والنهاية (١١/ ١٩١).

(٣) موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر، أبو الحسن الهاشمي، سابع الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، ولد في الأبواء وسكن المدينة إلى أن أقدمه المنصور وسجنه ببغداد حتى توفي سنة ١٨٣هـ وقد كان كثير العبادة والمروءة رحمه الله. انظر: البداية والنهاية (١٠/ ١٨٩ ـ ١٩٠)، وتاريخ بغداد (١٣/ ٢٧)، والأعلام (٧/ ٣٢١).

(٤) أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان البرمكي، أبو العباس الإربلي الشافعي، مؤرخ أديب مشهور، ولي القضاء في بلاد مصر ثم في بلاد الشام، ولد سنة ٦٠٨هـ بالقرب من الموصل وتوفي بدمشق سنة ٦٨١هـ. انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٤/ ٢٥٥)، والبداية والنهاية (١٣/ ٣١٨)، وشذرات الذهب (٥/ ٣٧١ ـ ٣٧٢)، والأعلام (١/ ٢٢٠).

(٥) وفيات الأعيان (٣/ ١١٧ ـ ١١٨)، وانظر: البداية والنهاية (١١/ ١٩١ ـ ١٩٢).

وقد قيل: إن بني عبيد من أولاد المجوس الفرس، وقيل: إن أصلهم يرجع إلى اليهود، وقيل غير ذلك في نسبهم[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في معرض كلامه عن بني عبيد القداح بعد أن ذكر رَحِمَهُ اللهُ شهادة العلماء على أنهم زنادقة منافقون، قال: «وكذلك «النسب» قد علم أن جمهور الأمة تطعن في نسبهم ويذكرون أنهم من أولاد المجوس، أو اليهود، هذا مشهور من شهادة علماء الطوائف: من الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة، وأهل الحديث، وأهل الكلام، وعلماء النسب، والعامة، وغيرهم.

وهذا أمر قد ذكره عامة المصنفين لأخبار الناس وأيامهم، حتى بعض من قد يتوقف في أمرهم كابن الأثير الموصلي في تاريخه[٢] ونحوه، فإنه ذكر ما كتبه علماء المسلمين بخطوطهم في القدح في نسبهم. وأما جمهور المصنفين من المتقدمين والمتأخرين حتى القاضي ابن خلكان في تاريخه[٣] فإنهم ذكروا بطلان نسبهم، وكذلك ابن الجوزي[٤]، وأبو شامة[٥][٦] وغيرهما من أهل العلم بذلك، حتى صنف العلماء في كشف أسرارهم وهتك أستارهم، كما صنف القاضي أبو بكر الباقلاني كتابه المشهور في كشف أسرارهم وهتك أستارهم، وذكر أنهم من ذرية المجوس»[٧].

---

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٥/ ١٢٨).
(٢) انظر: الكامل في التاريخ (٦/ ٤٤٦ ـ ٤٤٨).
(٣) انظر: وفيات الأعيان (٣/ ١١٧ ـ ١١٩).
(٤) انظر: المنتظم لابن الجوزي (١٥/ ٨٢ ـ ٨٣).
(٥) كتاب الروضتين في أخبار الدولتين لأبي شامة (١/ ٢٠٠ ـ ٢٠١)، دار الجيل، بيروت.
(٦) عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي أبو القاسم الدمشقي الشافعي، المعروف بأبي شامة، الإمام الحافظ المحدث الفقيه المؤرخ، أصله من القدس ومولده بدمشق، له عدة تصانيف نافعة، وقد كانت وفاته بسبب جماعة ألبوا عليه فأرسلوا إليه من اغتاله في منزله سنة ٦٦٥هـ. انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٤/ ٣٢٩)، والبداية والنهاية (١٣/ ٢٦٤)، والأعلام (٣/ ٢٩٩).
(٧) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٥/ ١٢٨ ـ ١٢٩).

ومما يدل على بطلان نسبهم ما ذكره ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حوادث سنة اثنتين وأربعمائة من إجماع علماء بغداد وأئمتها على الطعن في نسب بني عبيد، وأنه كتب بذلك محضر بشهادة العلماء والقضاة والأشراف والعدول، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي ربيع منها كتب هؤلاء ـ أي: العلماء والقضاة ـ ببغداد محاضر تتضمن الطعن والقدح في نسب المصريين الذين يدّعون أنهم فاطميون وليسوا كذلك، وإنما نسبتهم إلى ديصان بن سعيد الخرَّميِّ[1]، وكتب في ذلك جماعة من العلماء والقضاة والفقهاء والأشراف والأماثل والمعدِّلين والصالحين شهدوا جميعاً أن الناجم بمصر وهو منصور ابن نزار الملقب بالحاكم[2]، حكم الله عليه بالبوار والخزي والدمار والنكال والاستئصال، ابن معد بن إسماعيل بن عبد الرحمٰن بن سعيد، لا أسعده الله، فإنه لما صار إلى بلاد المغرب تسمى بعبيد الله، وتلقب بالمهدي، ومن تقدم من سلفه الأنجاس والأرجاس عليه وعليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين أدعياء خوارج لا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب، ولا يتعلقون بسبب، وأنه منزه عن باطلهم، وأن الذي ادعوه من الانتساب إليه باطل وزور، وأنهم لا يعلمون أحداً من أهل بيوتات الطالبيين توقف عن إطلاق القول في هؤلاء الخوارج أنهم أدعياء، وقد كان هذا الإنكار لباطلهم شائعاً في الحرمين وفي أول أمرهم بالمغرب منتشراً...»[3].

---

(١) ديصان بن سعيد بن غضبان الخرمي قيل: إن أصله مجوسي، وقيل: يهودي، وهو والد ميمون بن ديصان مولى جعفر الصادق وهو الذي أسس مذهب الإسماعيلية. انظر: السير (١٥/ ١٤٨)، ونشأة الفكر الفلسفي (١/ ٢٠٤).

(٢) منصور بن نزار بن معد العبيدي الملقب بالحاكم بأمر الله، أحد ملوك العبيديين، كان جبّاراً عنيداً وشيطاناً مريداً متلوناً في أفعاله وأقواله، وكان يروم أن يدعي الألوهية، وكان شره وظلمه قد تعدى إلى الناس كلهم حتى إلى أخته فعملت أخته على قتله فقتل سنة ٤١١هـ، ففرح بذلك أهل الإسلام فرحاً شديداً. انظر: البداية والنهاية (١٢/ ١٠ ـ ١١)، وتاريخ الخلفاء ص٤٥٠، والأعلام (٧/ ٣٠٥).

(٣) البداية والنهاية (١١/ ٣٦٩)، وانظر: المنتظم (١٥/ ٨٢ ـ ٨٣).

ثالثاً: الوضع في الحديث النبوي:

أدرك الزنادقة من خلال وجودهم بين المسلمين اهتمام المسلمين بدينهم، وحرصهم على تطبيق ما جاءت به الشريعة الغراء. وأن المسلمين ينطلقون في تطبيق شريعتهم من مصدرين عظيمين هما كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ [آل عمران: ٣٢] وأنه لا ضلال للمسلمين ما داموا متمسكين بهذين المصدرين، فلجأ الزنادقة إلى أسلوب خطير يهدف إلى هدم الشريعة باسم الإسلام، وذلك بالتحريف في هذين المصدرين بما يتفق مع أهدافهم الخبيثة. فجاؤوا إلى القرآن الكريم فوجدوه محروساً محفوظاً، لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩] فلا يمكن الزيادة فيه ولا النقصان منه، وإن كان القرآن لم يسلم من شرهم من جهة التشكيك فيه ـ كما تقدم(١) ـ غير أنهم لم يستطيعوا أن يبدلوا في آياته أو يزيدوا فيها. ولذلك ركزوا جهودهم على المصدر الثاني وهو السُّنَّة المطهرة باختلاق الأحاديث المخالفة للشرع بقصد تشويه صورة الإسلام في عقائده وأحكامه، فأدخلوا على الأمة الإسلامية بسبب ذلك شراً عظيماً لم يزل أثره موجوداً يتناقله سلفهم من الزنادقة وجهلة المسلمين، وإن كان جهابذة العلماء قد بينوا ذلك وميزوا صحيح السُّنَّة من سقيمها، كما سيأتي في الباب الرابع(٢) إن شاء الله تعالى.

ومما يدل على كثرة ما وضعه أولئك الزنادقة من الأحاديث المكذوبة على رسول الله ﷺ ما رواه الخطيب البغدادي(٣) بسنده عن حماد بن زيد(٤)

---

(١) انظر: ص١٥١. (٢) انظر: ص٧٧٩.

(٣) أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، أبو بكر الشافعي، الشهير بالخطيب البغدادي، الإمام الحافظ المحدث صاحب التصانيف النافعة. ولد سنة ٣٩٢هـ، وتوفي سنة ٤٦٣هـ. انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٢/ ٣٦٢)، وسير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٧٠ ـ ٢٩٦)، وشذرات الذهب (٣/ ٣١١ ـ ٣١٢)، والأعلام (١/ ١٧٢).

(٤) حماد بن زيد بن درهم، أبو إسماعيل الأزدي مولاهم البصري، أبو إسماعيل، يعرف بالأزرق، العلامة الحافظ، محدث زمانه وإمام عصره، كان يحفظ أربعة آلاف =

أنه قال: «وضعت الزنادقة على رسول الله ﷺ اثني عشر ألف حديث»[١]، بل أقر بعض الزنادقة بوضعه للأحاديث، كما قال الخليفة المهدي العباسي: «أقر عندي رجل من الزنادقة أنه وضع أربعمائة حديث فهي تجول في أيدي الناس»[٢].

ومن ذلك ما ذكره ابن لهيعة[٣] قال: «دخلت على شيخ وهو يبكي فقلت له: ما يبكيك قال: وضعت أربع مائة حديث أدخلتها في برنامج الناس فلا أدري كيف أصنع»[٤].

وقال ابن أبي العوجاء[٥] الزنديق لما جيء به إلى أمير الكوفة ليقتله: «والله لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديث أحرم فيها الحلال وأحل فيها الحرام، ولقد فطرتكم في يوم صومكم، وصومتكم في يوم فطركم»[٦].

هكذا فعل الزنادقة بوضع تلك الأحاديث المختلقة وإلزاقها برسول الله ﷺ حتى يهدموا بها الإسلام، إذ جمعوا من الأحاديث المختلقة ما لا يقبله العقل فضلاً عن مصادمتها لنصوص القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة الثابتة.

= حديث. ولد سنة ٩٨هـ، وتوفي بالبصرة سنة ١٧٩هـ. انظر: الجرح والتعديل (٣/ ١٣٧ ـ ١٣٨)، والسير (٧/ ٤٥٦ ـ ٤٦٦)، وتهذيب التهذيب (٣/ ٩)، والأعلام (٢/ ٢٧١).

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في الكفاية في علم الرواية ص٤٧١، تحقيق: د. أحمد هاشم، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

(٢) أخرجه الخطيب في الكفاية ص٤٧١.

(٣) عبد الله بن لهيعة بن عقبة الحضرمي، أبو عبد الرحمٰن المصري، القاضي، المحدث، صدوق اختلط بعد احتراق كتبه، مات سنة ١٧٤هـ. انظر: الجرح والتعديل (٥/ ١٤٥ ـ ١٤٨)، وميزان الاعتدال (٢/ ٤٧٥ ـ ٤٨٣)، وتهذيب التهذيب (٥/ ٣٧٣ ـ ٣٧٩)، وتقريب التهذيب (١/ ٤٤٤).

(٤) أخرجه ابن حبان في المجروحين (١/ ٥٨).

(٥) عبد الكريم بن أبي العوجاء، خال معن بن زائدة، زنديق كذاب، جمع بين أربع ضلالات: إبطان المانوية، والقول بالتناسخ، والميل إلى الرافضة، والانحراف في القدر، وكان مع ذلك يضع الأحاديث على النبي ﷺ، قتله محمد بن سليمان العباسي الأمير بالكوفة. انظر: الفرق بين الفرق ص٢٧٣ ـ ٢٧٤، وميزان الاعتدال (٢/ ٦٤٤).

(٦) ميزان الاعتدال (٢/ ٦٤٤). وانظر: الوضع في الحديث لعمر فلاتة (٣/ ٣٤).

ومن أمثلة ما وضعه أولئك الزنادقة ليفسدوا به الدين ويشوهوا عقيدة المسلمين قولهم الذي ألزقوه برسول الله ﷺ ـ كذباً وزوراً ـ: «ينزل ربنا عشية عرفة على جمل أورق يصافح الركبان ويعانق المشاة» وقولهم: «خلق الله الملائكة من شعر ذراعيه وصدره» وقولهم: «إن الله لما أراد أن يخلق نفسه خلق الخيل وأجراها فعرقت فخلق نفسه منها» إلى غير ذلك من الأحاديث التي وضعها الزنادقة ليشنعوا بها على دين الإسلام[١].

قال ابن قتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والحديث يدخله الشوب والفساد من وجوه ثلاثة، منها: الزنادقة واجتيالهم[٢] للإسلام، وتهجينه بدس الأحاديث المستشنعة والمستحيلة، كالأحاديث التي قدمنا ذكرها[٣] من عرق الخيل[٤]، وعيادة الملائكة[٥]، وقفص الذهب على جمل أورق[٦]، وزغب الصدر[٧]، ونور

---

(١) انظر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص٥٣، ٤٠٤، تحقيق: محمد الأصفر، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ، واللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي (١/ ٢٧ ـ ٢٩)، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠١هـ.

(٢) أي: حربهم للإسلام وتكرار كرهم عليه مرة بعد مرة. يقال: جال القوم جولة: انكشفوا ثم كروا، وتجاولوا: جال بعضهم على بعض في الحرب، وبينهم محاولات. ويوم أجول: كثير التراب والغبار. انظر: القاموس المحيط ص١٢٦٧.

(٣) انظر: تأويل مختلف الحديث ص٥٣.

(٤) عرق الخيل إشارة إلى الحديث الذي وضعه الزنادقة وهو قولهم: «إن الله لما أراد أن يخلق نفسه خلق الخيل وأجراها فعرقت فخلق نفسه منها» تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

(٥) عيادة الملائكة إشارة إلى الحديث الذي وضعه الزنادقة وهو قولهم: «إن الله بكى على طوفان نوح حتى عادته الملائكة» تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

(٦) الجمل الأورق إشارة إلى الحديث الذي وضعه الزنادقة وهو قولهم: «ينزل ربنا عشية عرفة على جمل أورق يصافح الركبان ويعانق المشاة» تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

(٧) الزغب: صغار الشعر والريش ولينه، أو أول ما يبدو منهما. انظر: القاموس المحيط ص١٢١. وهو مع قوله: «ونور ذراعيه» إشارة إلى الحديث الذي وضعه الزنادقة وهو قولهم: «خلق الله تبارك وتعالى الملائكة من شعر ذراعيه وصدره أو من نورهما» وفي بعض ألفاظه «من زغب صدره». تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

الذراعين، مع أشياء كثيرة ليست تخفى على أهل الحديث، منهم: ابن أبي العوجاء الزنديق وصالح بن عبد القدوس الدهري...»(١).

فقد أراد الزنادقة من وضع مثل هذه الأحاديث ورواياتها المستشنعة تهجين الشريعة الإسلامية بمثل تلك الأحاديث الباطلة وإيقاع الشك والريب في نفوس الجهلة والرعاع من المسلمين.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: «التنبيه على أحاديث وضعت في فضل سور القرآن وغير ذلك من فضائل الأعمال قد ارتكبها جماعة كثيرة اختلفت أغراضهم ومقاصدهم في ارتكابها، فمنهم: قوم زنادقة مثل المغيرة بن سعيد الكوفي(٢) ومحمد بن سعيد الشامي(٣) المصلوب في الزندقة وغيرهما وضعوا أحاديث وحدثوا بها ليوقعوا بذلك الشك في قلوب الناس»(٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وآخرون من الزنادقة والملاحدة كذبوا أحاديث مخالفة لصريح العقل ليهجنوا بها الإسلام ويجعلوها قادحة فيه مثل حديث عرق الخيل...»(٥).

فالزنادقة إنما سلكوا هذا المسلك للوصول إلى أهدافهم الخبيثة من تشويه الإسلام والتشكيك في السُّنَّة الشريفة وغير ذلك من مقاصدهم السيئة والتي نبه عليها الأئمة ـ رحمهم الله ـ كما تقدم.

(١) تأويل مختلف الحديث ص٤٠٤. (٢) تقدمت ترجمته. انظر: ص١١٦.
(٣) محمد بن سعيد بن حسان الأسدي الشامي المصلوب، وقد ينسب لجده، أحد الزنادقة الذين عرفوا بوضع الحديث. قيل: إنهم قلبوا اسمه على مائة وجه ليخفى، قتله أبو جعفر المنصور في الزندقة وصلبه. انظر: الجرح والتعديل (٧/ ٢٦٢ ـ ٢٦٤)، وميزان الاعتدال (٣/ ٥٦٤)، وتهذيب التهذيب (٩/ ١٨٤ ـ ١٨٦)، وتقريب التهذيب (٢/ ١٦٤).
(٤) تفسير القرطبي (١/ ٧٨).
(٥) درء التعارض لشيخ الإسلام ابن تيمية (٧/ ٩٢).

رابعاً: استمالة العوام ونحوهم بالحيل والخداع والشعوذة:

من أساليب الزنادقة التي سلكوها للوصول إلى أهدافهم ومآربهم الخبيثة، استمالتهم للعوام ونحوهم بالحيل والخداع والشعوذة، للتمويه عليهم حتى يجتمعوا حولهم ويعتقدوا ولايتهم، ظناً منهم أن ما يظهرونه من الحيل والشعوذة إنما هو من باب كرامات الأولياء. فإذا حصل ذلك الاعتقاد من أولئك العوام استطاع الزنادقة بعد ذلك تحقيق أهدافهم بنشر أفكار الزندقة والإلحاد بين الناس حتى ينسلخوا من دينهم وعقيدتهم، وهذا ما حصل من الحلاج الذي قتل على الزندقة بعد أن أفسد عقائد كثير من المسلمين بخداعه وشعوذته.

فقد كان هذا الزنديق يخدع الناس ببعض حيله الشيطانية حتى يصدقوه فيما يقول حتى اعتقدوا فيه الاعتقادات الباطلة من ادعاء النبوة له، وأنه يعلم الغيب، بل وصل الحال ببعض أتباعه إلى الاعتقاد بألوهيته تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان شعوذة الحلاج وخداعه: «روينا عن الحلاج أنه كان يدفن شيئاً من الخبز والشواء والحلوى في موضع من البرية، ويطلع بعض أصحابه على ذلك، فإذا أصبح قال لأصحابه: إن رأيتم أن نخرج على وجه السياحة فيقوم ويمشي والناس معه، فإذا جاؤوا إلى ذلك المكان قال له صاحبه الذي اطلعه على ذلك نشتهي الآن كذا وكذا فيتركهم الحلاج وينزوي عنهم إلى ذلك المكان فيصلي ركعتين ويأتيهم بذلك. وكان يمد يده إلى الهواء ويطرح الذهب في أيدي الناس ويمخرق. وقد قال له بعض الحاضرين يوماً، هذه الدراهم معروفة ولكن أؤمن بك إذا أعطيتني درهماً عليه اسمك واسم أبيك وما زال يمخرق إلى وقت صلبه»[(١)].

فقد لبس هذا الزنديق على الناس حتى التبس أمره على كثير منهم وظنوه من أهل العبادة والتصوف. غير أن من تدبر حاله وخداعه علم أنه زنديق

---

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص٤٦٤.

احتال على الناس لترويج زندقته وإلحاده، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في كلام له عن الحلاج: «وعند جماهير المشايخ الصوفية وأهل العلم أن الحلاج لم يكن من المشايخ الصالحين، بل كان زنديقاً»[(١)]، فهذا الزنديق استطاع بخداعه ومكره أن يحتال على الناس حتى اجتمع حوله الكثير ممن صدقوه واعتقدوا ولايته بل أصبح بعضهم يحميه ويدافع عنه ويتقرب إليه بالخدمة وغيرها.

وقد روى الخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللهُ بسنده عن إسماعيل الخطبي[(٢)] قال: «ظهر أمر رجل يعرف بالحلاج يقال له: الحسين بن منصور، وكان في حبس السلطان بسعاية وقعت به في وزارة علي بن عيسى[(٣)] الأولى، وذكر عنه ضروب من الزندقة، ووضع الحيل على تضليل الناس من جهات تشبه الشعوذة والسحر، وادعاء النبوة، فكشفه علي بن عيسى عند قبضه عليه، وأنهى خبره إلى السلطان ـ يعني: المقتدر بالله[(٤)] ـ فلم يقر بما رمي به من ذلك، وعاقبه وصلبه حياً أياماً متوالية في رحبة الجسر في كل يوم غدوة، ينادي عليه بما ذكر عنه، ثم ينزل به ثم يحبس، فأقام في الحبس سنين كثيرة ينتقل من حبس إلى حبس حتى حبس بآخرة في دار السلطان، فاستغوى جماعة من غلمان السلطان، وموه عليهم، واستمالهم بضروب من حيله، حتى صاروا يحمونه ويدافعون عنه، ثم راسل جماعة من الكتاب وغيرهم ببغداد وغيرها،

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٨/ ٣١٨).

(٢) إسماعيل بن علي بن إسماعيل البغدادي، أبو محمد الخُطبيُّ، الخطيب الأديب المؤرخ، كان عاقلاً وقوراً ثقة، عُرف بالخُطبي لفصاحته وخطبه وقد كان عارفاً بأخبار الخلفاء، ولد سنة ٢٦٩هـ، وتوفي سنة ٣٥٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٢٢ ـ ٥٢٣)، وشذرات الذهب (٣/ ٣)، والأعلام (١/ ٣١٩).

(٣) علي بن عيسى بن داود بن الجراح البغدادي الكاتب، وُزر غير مرة للمقتدر وللقاهر، كان غنياً شاكراً كثير الصدقات محباً للعلماء، من بلغاء زمانه، وكان يجلس للمظالم وينصف الناس، توفي سنة ٣٣٤هـ. انظر: السير (١٥/ ٢٩٨ ـ ٣٠١)، والبداية والنهاية (١١/ ٢٣١)، وشذرات الذهب (٢/ ٣٣٦).

(٤) تقدمت ترجمته. انظر: ص١٥٠.

فاستجابوا له، وتراقى به الأمر حتى ذكر أنه ادعى الربوبية...»[(١)].

ولم يزل الحلاج ينشر زندقته عن طريق هذا الأسلوب من الخداع والشعوذة حتى قتل مصلوباً في خلافة المقتدر بالله العباسي رحمه الله كما سيأتي إن شاء الله تعالى في الباب الرابع[(٢)].

وكذلك استغل أسلوب الخداع والشعوذة المغيرة بن سعيد[(٣)] أحد الزنادقة الذين قتلهم خالد القسري[(٤)]، وقد كان هذا الزنديق ساحراً فاجراً موه على الناس واستمالهم بسحره وشعوذته، حتى تبعه كثير من العوام فأفسد عليهم عقائدهم.

قال ابن جرير رحمه الله فيما رواه بسنده عن الأعمش[(٥)] قال: «سمعت المغيرة بن سعيد يقول: لو أراد أن يحيي عاداً وثموداً وقروناً بين ذلك لأحياهم ـ يعني: نفسه ـ قال الأعمش: وكان المغيرة هذا يخرج إلى المقبرة فيتكلم فيرى مثل الجراد على القبور، أو نحو ذلك من الكلام...»[(٦)].

وكذلك كان يفعل الزنديق الباطني ابن الصباح[(٧)] في بداية أمره، فقد

---

(١) تاريخ بغداد (٨/ ١٢٤).
(٢) انظر: ص٦٩٨.
(٣) تقدمت ترجمته. انظر: ص١١٦.
(٤) خالد بن عبد الله بن يزيد القسري، أبو الهيثم الدمشقي أمير العراقين، أحد خطباء العرب وأجودهم، طالت مدة إمارته حتى عزله هشام سنة ١٢٠هـ وولى مكانه يوسف الثقفي فحاسبه، ثم انتقل بعد ذلك إلى الشام إلى أن قتله الوليد بن يزيد سنة ١٢٦هـ. انظر: السير (٥/ ٤٢٥ ـ ٤٣٢)، والبداية والنهاية (٩/ ١٩ ـ ٢٠)، وشذرات الذهب (١/ ١٦٩)، والأعلام (٢/ ٢٩٧).
(٥) سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي مولاهم، أبو محمد الكوفي الأعمش، يقال: إن أصله من طبرستان ومولده بالكوفة، ثقة حافظ، عارف بالقراءة، من مشاهير المحدثين، كان محدث أهل الكوفة في زمانه وقد روى له الجماعة، ولد سنة ٦١هـ، ومات سنة ١٤٥هـ. انظر: الجرح والتعديل (٤/ ١٤٦)، وميزان الاعتدال (٢/ ٢٢٤)، وتهذيب التهذيب (٤/ ٢٢٢ ـ ٢٢٦).
(٦) تاريخ الطبري (٤/ ١٧٤). وانظر: البداية والنهاية (٩/ ٣٣٦).
(٧) الحسن بن الصباح بن علي الإسماعيلي، من كبار الزنادقة ودهاتهم، طاف البلاد للدعوة إلى إمامة العبيديين ثم استولى على قلعة الموت من نواحي قزوين وضم إليها =

كان يظهر بعض الحيل والمخرقة، حتى التف حوله خلق كثير ممن صدقوه، واغتروا بحيله وخداعه، مما مكنه من نشر أفكاره الخبيثة، والدعوة الصريحة إلى الزندقة وإلغاء الشريعة ـ كما سيأتي[١] ـ.

يقول ابن كثير رحمه الله في معرض كلامه على هذا الزنديق الخبيث: «دخل مصر وتعلم من الزنادقة... وكان لا يدعو من الناس إلا غبياً جاهلاً لا يعرف يمينه من شماله، ثم يطعمه العسل بالجوز والشونيز[٢] حتى يحرق مزاجه ويفسد دماغه... ولا يزال يسقيه العسل وأمثاله ويرضيه حتى يستجيب له، ويصير أطوع له من أمه وأبيه ويظهر له أشياء من المخرقة والنيرنجيات[٣] والحيل التي لا تروج إلا على الجهال، حتى التف عليه بشر كثير وجم غفير...»[٤].

ومن أمثلة ذلك أيضاً ما ذكره ابن الأثير رحمه الله في حوادث سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة عن أحد الزنادقة الذين استمالوا الناس بحيلهم وشعوذتهم حتى تمكنوا من تحقيق أهدافهم ونشر زندقتهم. وفي ذلك يقول ابن الأثير رحمه الله: «في هذه السَّنَةِ ظهر بباسند من أعمال الصغانيات[٥] رجل ادعى النبوة، فقصده فوج بعد فوج، واتبعه خلق كثير، وحارب من خالفه، فقتل

= عدة قلاع، واستقر بها إلى أن توفي، وبقي حكمها في أولاده من بعده، ولد سنة ٤٢٨هـ، وتوفي سنة ٥١٨هـ. انظر: البداية والنهاية (١٢/ ١٧٠)، والأعلام (٢/ ١٩٣).

(١) انظر: ص٢٣١.

(٢) الشونيز: بضم الشين، فارسي معرب كالشونوز، الحبة السوداء. انظر: القاموس المحيط ص٦٦١، وقصد السبيل فيما في اللغة من الدخيل (٢/ ٢٠٩).

(٣) النيرنجيات: جمع ومفردها نيرنج بالكسر وهو أخذٌ كالسحر وليس بسحر وإنما هو تشبيه وتلبيس. انظر: القاموس المحيط ص٢٦٥، والمعرب من الكلام الأعجمي ص٣٣٧.

(٤) البداية والنهاية (١٢/ ١٧٠).

(٥) الصغانيات: ولاية عظيمة واسعة بما وراء النهر، أعمالها متصلة بترمذ. انظر: مراصد الاطلاع (٢/ ٨٤٢).

خلقا كثيراً ممن كذبه، فكثر أتباعه من أهل الشاش[١] خصوصاً، وكان صاحب حيل ومخاريق، وكان يدخل يده في حوض ملآن ماء فيخرجها مملوءة دنانير إلى غير ذلك من المخاريق فكثر جمعه، فأنفذ إليه السلطان جيشاً فحاربوه وضيقوا عليه ـ وهو فوق جبل عال ـ حتى ضيقوا عليه وقتلوه...»[٢] إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة التي تدل على تلبيس الزنادقة وخداعهم لعوام الناس حتى يصلوا بذلك إلى تحقيق أهدافهم الخبيثة.

خامساً: التظاهر بالإصلاح وادعاء الغيرة على الدين:

يعد هذا الأسلوب الذي أخذ به الزنادقة وهو التظاهر بالإصلاح من أقدم أساليبهم الخبيثة لنشر زندقتهم، فقد حرص الزنادقة منذ بداية ظهورهم في الإسلام على الأخذ بهذا الأسلوب، وذلك لعلمهم بما لذلك من الأثر في استمالة الناس ومحبتهم لهم، ومن ثم استغلال ذلك لتحقيق أهدافهم الخبيثة، وقد ذكر الله تعالى ذلك الأسلوب الماكر عن المنافقين كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ [البقرة: ١١]. ولعل أقدم الزنادقة في تاريخ الإسلام استغلالاً لهذا الأسلوب عبد الله بن سبأ الزنديق اليهودي، الذي أشعل نار الفتنة بين الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وبث من أفكار الزندقة ما كان سبباً لانحراف كثير من العوام الذين اتبعوه ولم يتفطنوا لخبثه وكيده للإسلام والمسلمين ـ كما تقدم الكلام على ذلك[٣] ـ. والذي يهمنا هنا أن هذا الزنديق قد استغل الدخول في الإسلام وإظهار الغيرة على الدين لتحقيق أهدافه الخبيثة من إفساد عقائد المسلمين وتفريق كلمتهم والقضاء على قوتهم، وفي ذلك يقول الطبري رحمه الله فيما رواه بسنده عن يزيد الفقعسي[٤] قال:

---

(١) الشاش: بلدة بما وراء النهر متاخمة لبلاد الترك وهي من أنزه بلاد ما وراء النهر. انظر: مراصد الاطلاع (٢/ ٧٧٤).

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير (٧/ ١٠٢) بتصرف يسير.

(٣) انظر: ص١١٢.

(٤) يزيد الفقعسي روى عنه عطية بن الحارث، وقد ورد ذكره في كتب التاريخ، فالظاهر =

«كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء، أمه سوداء، فأسلم في زمان عثمان، ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم...»(١) ثم إن هذا الزنديق لما اجتمع حوله بعض العوام الذين أضلهم، اتخذهم دعاة له وأمرهم أن يظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى يستميلوا الناس إلى دعوتهم، يقول الطبري رَحِمَهُ اللهُ في معرض كلامه على هذا الزنديق: «فبث دعاته، وكاتب من كان استفسد في الأمصار وكاتبوه، ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...»(٢).

وبهذا الأسلوب استطاع هذا الزنديق وأتباعه تحقيق أهدافهم الخبيثة من إيقاع الفتنة بين الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وقتل الخليفة عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وغير ذلك من الرزايا العظيمة.

وكذلك كان ابن الصباح(٣) الزنديق الباطني، فقد كان هذا الأسلوب أحد الأساليب التي سلكها في تحقيق أهدافه ونشر زندقته، كما ذكر ذلك ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ في ترجمته لهذا الزنديق حيث قال: «الحسن بن الصباح الإسماعيلي... أصله من مرو، وقد أكثر الطواف ما بين مصر إلى بلد كاشغر(٤)، يغوي الخلق، ويضل الجهلة، إلى أن صار منه ما صار... قال أبو حامد الغزالي: شاهدت قصة الحسن بن الصباح لما تزهد تحت حصن آلموت، فكان أهل حمص يتمنون صعوده إليهم ويمتنع، ويقول: أما ترون المنكر قد فشا، وفسد الناس فتبعه خلق...»(٥).

= من رواياته أنه إخباري، توفي ما بين سنة ١٩٥ ـ ٢١٠هـ، والفقعسي نسبة إلى فقعس بن طريف من بني أسد بن خزيمة جدٌ جاهلي. انظر: الأعلام (٥/ ١٥٤).

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٦٤٧). (٢) المرجع السابق (٢/ ٦٤٧).

(٣) تقدمت ترجمته. انظر: ص١٧٠.

(٤) كاشغر: بالتقاء الساكنين والشين معجمة والغين أيضاً وراء. مدينة وقرى ورساتق يسافر إليها من سمرقند، وهي وسط بلاد الترك، وأهلها مسلمون. انظر: معجم البلدان (٤/ ٤٨٨).

(٥) لسان الميزان (٣/ ٣٧).

ومن الأمثلة على ذلك أيضاً، ما ذكره ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ عن أحد الزنادقة الذي كان منجماً، ثم تظاهر بالغيرة على الدين، ثم ادعى أنه المهدي المنتظر، ثم أفسد في الأرض حتى أحرق البصرة، يقول ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في حوادث سنة أربع وثمانين وأربعمائة: «في المحرم منها كتب المنجم الذي أحرق البصرة إلى أهل واسط[١] يدعوهم إلى طاعته ويذكر في كتابه أنه المهدي صاحب الزمان الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويهدي الخلق إلى الحق. . .»[٢] إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة التي تدل على استغلال الزنادقة لهذا الأسلوب لنشر زندقتهم وتحقيق أهدافهم الخبيثة.

سادساً: إشاعة الإباحية ونشر المغريات:

نادى الزنادقة بالإباحية والدعوة إلى التحلل من قيود الشريعة الإسلامية، وحثوا دعاتهم على نشر المغريات والشهوات بين المسلمين، من أجل استمالة أصحاب الشهوات عن طريق هذا الأسلوب ثم إخراجهم من دين الإسلام وإدخالهم في الزندقة.

فقد استباح الزنادقة الكثير من الفواحش كالزنى واللواط وإتيان البنات والأخوات، وأسقطوا عن أتباعهم بعض العبادات كالصلاة والصيام وغير ذلك من أركان الإسلام، بل صرح بعضهم برفع الشريعة جميعاً وسقوط التكاليف عن بعض دعاتهم كما سيتضح ذلك في الأمثلة التالية:

١ ـ ما وقع من بعض شعراء الزنادقة في العهد العباسي وغيره من الدعوة الصريحة إلى الفواحش والافتخار بفعل اللواط وشرب الخمر وغير ذلك من المحرمات ـ نسأل الله العافية ـ كقول أبي نواس في غلامٍ اسمه أحمد كان يعشقه:

---

(١) واسط: عدة مواضع منها واسط الحجاج وهي أشهرها وأعظمها وسميت بذلك لأنها متوسطة بين البصرة والكوفة، وهناك واسط اليمامة وواسط الحجاز. انظر: معجم البلدان (٥/ ٤٠٠ ـ ٤٠٦).

(٢) البداية والنهاية (١٢/ ١٤٦).

يا أحمد المرتجى في كل نائية   قم سيدي نعص جبَّار السمٰوات[١]

قال المرزباني[٢]: «هذه أعظم جرأة وأقبح مجاهرة، وأشد تبغض إلى العزيز الجبار ﷻ أن يقول: «نعص جبَّار السمٰوات» فذكر المعصية مع ذكر الجبَّار عز اسمه وأنه إياه بقصد بالعصيان»[٣].

وقول مطيع بن زياد داعياً إلى الانحلال والفجور من فعل اللواط وشرب الخمر:

نعم لنا نبيذ وعندنا حماد
وكلنا من طرب يطير أو يكاد
ولهونا لذيذ لم يلهه العباد
إن تشتهي فساداً فعندنا فساد
أو تشتهي غلاماً فعندنا زياد[٤]

وهذا كثير في أشعارهم وقد تقدم ذكر بعض ذلك[٥].

٢ ـ ومن الأمثلة على استغلال الزنادقة لهذا الأسلوب، ما ذكره عبد القاهر البغدادي[٦] عن أحد دعاة الزندقة ويُدعى المقنع، وقد كان خرج في أيام المهدي، من إباحته للمحرمات وإسقاطه للواجبات، وفي ذلك يقول البغدادي:

«وكان المقنع قد أباح لأتباعه المحرمات، وحرم عليهم القول بالتحريم، وأسقط عنهم الصلاة والصيام وسائر العبادات»[٧].

---

(١) انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة ص٥٥٢، والموشح للمرزباني ص٣٣٥ بتحقيق: علي البجادي، دار الفكر العربي، القاهرة.

(٢) محمد بن عمران المرزباني، أبو عبيد الله، البغدادي، الكاتب، إخباري مؤرخ أديب، أصله من خراسان، وقد كان مائلاً إلى مذهب الاعتزال، ولد سنة ٢٩٧هـ، وتوفي سنة ٣٨٤هـ. انظر: معجم الأدباء (٥/ ٣٨٦ ـ ٣٨٨)، وميزان الاعتدال (٣/ ١١٤)، والأعلام (٦/ ٣١٩)، وتاريخ الأدب العربي (٢/ ٥٥٤ ـ ٥٥٥).

(٣) الموشح ص٣٣٥.

(٤) انظر: الأغاني للأصفهاني (١٣/ ٢٩٧).

(٥) انظر: ص١٣٦.

(٦) تقدمت ترجمته. انظر: ص١٢٦.

(٧) الفرق بين الفرق ص٢٥٨.

٣ ـ ومن ذلك ما ذكره البغدادي أيضاً عن أحد الزنادقة واسمه محمد بن علي الشلمغاني[١] من إباحته اللواط وتصريحه برفع الشريعة، وفي ذلك يقول البغدادي: «صرح برفع الشريعة وأباح اللواط، وزعم أنه إيلاج الفاضل نوره في المفضول، وأباح أتباعه له حرمهم طمعاً في إيلاج نوره فيهن...»[٢].

٤ ـ ومن ذلك ما فعله الباطنية الزنادقة من الإباحية التي لا حد لها وإسقاط الفرائض والعبادات والتلاعب بالشريعة، وفي ذلك يقول الأسفراييني: «الباطنية يحتالون في اختداع أتباعهم، واستمالة قلوبهم، فأباحوا لهم جملة اللذات والشهوات وأباحوا لهم نكاح البنات والأخوات، وأسقطوا عنهم فرائض العبادات وتأولوا أركان الشريعة فقالوا: معنى الفرائض موالاة زعمائهم وأئمتهم، ومعنى المحرمات: تحريم موالاة أبي بكر وعمر وكل من خالف مذهب الباطنية»[٣] إلى غير ذلك من الإباحية التي دعا إليها الزنادقة وطبقوها فيما بينهم، وسيأتي لذلك مزيد بيان عند الكلام على عقائد الزنادقة في الباب الثالث إن شاء الله تعالى.

---

(١) محمد بن علي الشلمغاني، أبو جعفر المشهور بابن أبي العزاقر، زنديق رافضي، قال بالتناسخ والحلول والإباحية وادعى الربوبية وتأثر به أناس، قتله الراضي بفتوى العلماء وأحرقت جثته وكان ذلك سنة ٣٢٢هـ. انظر: السير (١٤/٥٦٦)، والبداية والنهاية (١١/١٩١)، وشذرات الذهب (٢/٢٩٣).

(٢) الفرق بين الفرق ص٢٦٤.

(٣) التبصير في الدين ص١٢٠.

الفصل الخامس

صلة الزندقة بالشعوبية

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الشعوبية.

المبحث الثاني: نشأة الشعوبية وتطورها.

المبحث الثالث: علاقة الشعوبية بالزندقة.

المبحث الأول

تعريف الشعوبية

الشُّعوبية بالضم نسبة إلى الشُّعوبي وهو مفرد، وجمعه شُعوب، وأضيف «الشُّعوبي» إلى الجمع لغلبته على الجيل الواحد، كقولهم اليهود والمجوس في جمع اليهودي والمجوسي(١).

والشُعوب في الأصل جمع شَعب بفتح الشين وهو الحي العظيم أو القبيلة العظيمة مثل مضر وربيعة وغيرهما(٢).

قال الجوهري: «الشَعب: ما تشعب من قبائل العرب والعجم، والجمع شُعوب، والشعب: القبيلة العظيمة، وهو أبو القبائل الذي ينتسبون إليه؛ أي: يجمعهم ويضمهم»(٣)، وكذلك قال الأزهري(٤)(٥). ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

وقد يطلق لفظ «الشعوب» على العجم خاصة، كما ورد في أثر مسروق(٦) «أن رجلاً من الشعوب أسلم، فكانت تؤخذ منه الجزية، فأمر عمر

---

(١) انظر: لسان العرب (٧/ ١٢٧)، وتاج العروس (٣/ ١٤٤)، والنهاية في غريب الحديث (٢/ ٤٧٨).

(٢) انظر: فتح القدير (٥/ ٦٧).

(٣) الصحاح للجوهري (١/ ١٥٥).

(٤) محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي أبو منصور الشافعي اللغوي المشهور، كان رأساً في اللغة والفقه ثقة ثبتاً ديناً، عني بالفقه فاشتهر به أولاً ثم غلب عليه التبحر في العربية، ولد في هراة بخراسان سنة ٢٨٢هـ، وتوفي بها سنة ٣٧٠هـ. انظر: السير (١٦/ ٣١٥ ـ ٣١٧)، وشذرات الذهب (٣/ ٧٢ ـ ٧٣)، والأعلام (٥/ ٣١١).

(٥) انظر: تهذيب اللغة (١/ ٤٤٢).

(٦) مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني أبو عائشة الوادعي، من كبار التابعين، أسلم في حياة النبي ﷺ وقدم المدينة في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، وكان ثقة من أعلم الناس بالفتيا، سكن الكوفة ومات سنة ٦٣هـ. انظر: السير (٤/ ٦٣ ـ ٦٩)، وتاريخ بغداد (١٣/ ٢٣٢)، والأعلام (٧/ ٢١٥).

أن لا تؤخذ منه»[١].

قال ابن الأثير: «الشعوب ههنا العجم، ووجهه أن الشعب ما تشعب من قبائل العرب أو العجم، فخص بأحدهما»[٢].

وأما تعريف الشعوبية في اصطلاح العلماء فقد عرفها الجوهري بقوله: «الشعوبية فرقة لا تفضل العرب على العجم»[٣].

وقال الأزهري: «قال الليث[٤]: الشعوبي: الذي يصغر شأن العرب، ولا يرى لهم فضلاً على غيرهم»[٥].

فالشعوبية بهذا التعريف هم الذين ينادون بأن الشعوب كلها سواء، ولذلك أطلق عليهم «أهل التسوية» لقولهم بتسوية الشعوب سواء كانوا عرباً أو عجماً، كما أطلق عليهم «شعوبيون» لعدم تفضيلهم بين الشعوب.

قال ابن عبد ربه[٦] في تعريفه للشعوبية (هم أهل التسوية)[٧] يعني: بين

---

(١) لسان العرب (١/ ٥٠٠)، وقد روى هذا الأثر عبد الرزاق بنحوه عن أيوب من غير ذكر لفظ «الشعوب»، المصنف لعبد الرزاق بتحقيق: حبيب الرحمٰن الأعظمي (٦/ ٩٤) رقم (١٠١١١)، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٤٧٨).

(٣) الصحاح للجوهري (١/ ١٥٥).

(٤) الليث بن المظفر بن نصر بن سيار الخراساني صاحب الخليل بن أحمد، كان بارعاً في الأدب بصيراً في الشعر والغريب والنحو، وكان رجلاً صالحاً، ألف كتاب «العين» في العربية ونحله الخليل بن أحمد لينفق كتابه، وقيل: بل هو من تأليف الخليل نفسه، وإنما أدخل عليه بعض الزيادات، توفي الليث بعد الخليل بن أحمد. انظر: معجم الأدباء لياقوت الحموي (٥/ ٣٠ ـ ٣٦)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، وبغية الوعاة (٢/ ٢٧٠).

(٥) تهذيب اللغة (١/ ٤٤٢).

(٦) أحمد بن محمد بن عبد ربه، أبو عمر القرطبي مولى هشام بن عبد الرحمٰن الأموي، أديب شاعر مؤرخ، وقد كان يميل إلى التشيع مع أنه من موالي بني أمية، ولد سنة ٢٤٦هـ، وتوفي سنة ٣٢٨هـ بقرطبة. انظر: معجم الأدباء (١/ ٦٠٩ ـ ٦١٧)، وفيات الأعيان (١/ ٣٩)، والبداية والنهاية (١١/ ٢٠٦)، ومعجم المؤلفين (٢/ ١١٥).

(٧) العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي (٣/ ٣٦٩)، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

شعوب العرب والعجم، وقريباً من ذلك قال الجاحظ[١] في كتابه «البيان والتبيين»[٢].

فهذا هو مفهوم الشعوبية في الأصل، غير أن الشعوبيين لم يقفوا عند هذا الحد وهو المطالبة بالتسوية بين الشعوب، بل ذهب كثير منهم إلى إظهار الكراهية للعرب وتفضيل العجم عليهم، ولذلك أطلقها بعض العلماء على من يفضل العجم على العرب أو يبغض العرب، وقد أشار الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ إلى هذا المعنى فقال فيما رواه عنه أبو العباس الأصطخري[٣]: «ويعرف للعرب حقها وفضلها وسابقتها ويحبهم... ولا يقول بقول الشعوبية وأراذل الموالي الذين لا يحبون العرب ولا يقرون لهم بفضل، فإن لهم بدعة ونفاقاً وخلافاً»[٤]، وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «الشعوبية هم الذين يفضلون العجم على العرب»[٥].

وقال ابن نباتة[٦]: «الشعوبية فرقة تبغض العرب وتتعصب عليها للفرس»[٧].

---

(١) عمرو بن بحر بن محبوب الكناني مولاهم، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، أحد أئمة الأدب، وكان شنيع المنظر سيء الاعتقاد، معتزلي، وإليه تنسب فرقة الجاحظية من المعتزلة، ولد بالبصرة سنة ١٦٣هـ، وتوفي بها سنة ٢٥٥هـ. انظر: طبقات المعتزلة ص٣٨ ـ ٣٩، ومعجم الأدباء (٤/ ٤٧٢ ـ ٤٩٨)، والبداية والنهاية (١١/ ٢٢)، والأعلام (٥/ ٧٤).

(٢) انظر: البيان والتبيين (٣/ ٢)، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.

(٣) أحمد بن جعفر بن يعقوب بن عبد الله أبو العباس الفارسي الأصطخري، روى عن الإمام أحمد أشياء ولم أجد له ترجمة مفصلة فيما اطلعت عليه من المصادر. انظر: طبقات الحنابلة (١/ ٢٨)، والمقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد لابن مفلح (١/ ٨٤)، تحقيق: د. عبد الرحمٰن العثيمين، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

(٤) طبقات الحنابلة (١/ ٣٣ ـ ٣٤).

(٥) تهذيب التهذيب (١/ ١٩)، وانظر: ميزان الاعتدال (١/ ٨٥).

(٦) محمد بن محمد بن الحسن الجذامي، أبو بكر المصري جمال الدين، المشهور بابن نباتة، أديب شاعر مؤرخ، ولد بالقاهرة سنة ٦٨٦هـ، وتوفي بها سنة ٧٦٨هـ، وقيل قبل ذلك. انظر: البداية والنهاية (١٤/ ٣٣٧)، وشذرات الذهب (٦/ ٢١٢)، والأعلام (٧/ ٣٨).

(٧) سرح العيون ص٢٤٤.

ولا شك أن تفضيل العجم على العرب أعظم من القول بالتسوية بينهما، فهو داخل في الشعوبية من باب أولى، وقد أشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ حيث ذكر المعنيين جميعاً، وبين رَحِمَهُ اللهُ أن تفضيل العجم على العرب أعظم من التسوية بينهما، وفي ذلك يقول: «وذهبت فرقة من الناس إلى أن لا فضل لجنس العرب على جنس العجم وهؤلاء يسمون الشعوبية، لانتصارهم للشعوب، التي هي مغايرة للقبائل... ومن الناس من قد يفضل بعض أنواع العجم على العرب، والغالب أن مثل هذا الكلام لا يصدر إلا عن نوع نفاق...»[(١)].

ويمكن أن يجمع بين ما تقدم من التعريفات بأن يقال: الشعوبية: فرقة تسوي بين العرب والعجم في الفضل، أو تكره العرب وتفضل العجم عليهم.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٣٧٢)، وانظر: منهاج السُّنَّة (٤/ ٦٠٠).

المبحث الثاني

نشأة الشعوبية وتطورها

بدأت الحركة الشعوبية تبرز في أواخر الدولة الأموية، حيث ظهرت تلك الحركة وانتشرت في صفوف الموالي، وخاصة في بلاد العراق وخراسان والأندلس، وقد نادت تلك الحركة في بداية ظهورها ببعض المبادئ الإسلامية من المساواة بين الشعوب، وعدم تفضيل بعضها على بعض، سواء في ذلك الشعوب العربية أو غيرها من شعوب العجم من الفرس والبربر وغيرهم، وكان معظم الذين قاموا بهذه الحركة ودعوا إليها هم من الموالي الفرس، ولذلك انتشرت في بلاد خراسان وغيرها من البلاد التي كانت لفارس بها أمجاد وحضارات قديمة[١].

فقد استغل دعاة الشعوبية تلك المبادئ التي جاء بها الإسلام، للتمهيد لحركة شعوبية ضد العرب الذين أزالوا ملك آبائهم، وسيادة قومهم، ووتروهم في بلادهم، فرفعوا تلك الشعارات البراقة للتمويه على الناس، وأبطنوا دعوتهم الخبيثة بالحط من شأن العرب وبغضهم والنيل منهم، وفي ذلك يقول أبو حامد الغزالي: إن «طائفة انقطعت الدولة عن أسلافهم بدولة الإسلام، كأبناء الأكاسرة والدهاقين[٢] وأولاد المجوس، فهؤلاء موتورون، قد استكن الحقد في صدورهم كالداء الدفين فإن حركته تخاييل المبطلين، اشتعلت نيرانه

---

(١) انظر: الجذور التاريخية للشعوبية د. عبد العزيز الدوري ص٩ ـ ١٤، دار الطليعة، الطبعة الرابعة، ١٩٨٦م، والزندقة والشعوبية وانتصار الإسلام لسميرة مختار ص٧٨ ـ ٧٩، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٨م.

(٢) الدهاقين: جمع دهقان بالكسر والفتح فارسي معرب ومعناه: رئيس القرية ومقدّم أصحاب الزراعة. انظر: القاموس المحيط ص١٥٤٦، وقصد السبيل (٢/ ٤٠).

في صدورهم، فأذعنوا لقبول كل محال، تشوقاً إلى درك ثأرهم وتلافي أمورهم»[١].

وقد بدأت ملامح تلك الدعوة الخبيثة تبرز في أشعارهم التي كانوا يفخرون فيها بملوك فارس من كسرى وسابور وغيرهما وينبذون فيها العرب وملوكهم بأسلوب ماكر خفي.

كما في أشعار إسماعيل بن يسار[٢] الشعوبي، الذي كان شديد التعصب للعجم، فقد كان هذا الشعوبي يفاخر بملوك الفرس في مجلس الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، فيقول في أبيات له:

إني وجدك ما عودي بذي خور ... عند الحفاظ ولا حوضي بمهدومِ
أصلي كريم ومجدي لا يقاس به ... ولي لسان كحد السيف مسمومِ
أحمي به مجد أقوام ذوي حسب ... من كل قرم بتاج الملك معمومِ
من مثل كسرى وسابور الجنود ... معاً والهرمزان لفخر أو لتعظيم
هناك إن تسألي تنبي بأن لنا ... جرثومة[٣] قهرت عز الجراثيمِ[٤][٥]

وكذلك كان يزيد بن ضبة[٦] يفاخر بالفرس في دولة بني أمية فيقول:

---

(١) فضائح الباطنية ص٣٤.

(٢) إسماعيل بن يسار النسائي مولى بني تيم بن مرة يكنى بأبي فائد، أصله من سبي فارس شاعر شعوبي، متعصب للعجم، يفتخر بهم على العرب، طال عمره إلى أن أدرك آخر دولة بني أمية ولم يدرك الدولة العباسية، وتوفي حوالي سنة ١٣٠هـ. انظر: الأغاني (٤/ ٤٠٠ ـ ٤٠٥)، والأعلام (١/ ٣٢٩)، وتاريخ الأدب العربي (١/ ٦٤٣ ـ ٦٤٥).

(٣) جرثومة الشيء بالضم أصله، أو هي التراب المجتمع في أصول الشجر وتجرثم الشيء: أخذ معظمه. انظر: القاموس المحيط ص١٤٠٥.

(٤) الأغاني (٤/ ٤١٤ ـ ٤١٥).

(٥) ذكر الأصفهاني في الأغاني (٤/ ٤١٥): «أن هشام بن عبد الملك غضب لما سمع هذه الأبيات منه وقال له: يا عاض بظر أمه! أعلي تفخر، وإياي تنشد قصيدة تمدح بها نفسك وأعلاج قومك!!...».

(٦) يزيد بن ضبة مولى ثقيف، وضبة أمه، واسم أبيه مقسم، نسب إلى أمه لأن أباه مات وهو صغير، اشتهر بذلك حتى أصبح الكثير من الناس لا يعرف اسم أبيه، وهو شاعر شعوبي متعصب للعجم، سكن الطائف وتوفي بها حوالي سنة ١٣٠هـ. انظر: الأغاني =

ألم تر أننا لما ولينا ... أموراً خرقت فدهت سددنا
ولينا الناس أزماناً طوالاً ... وسسناهم ودسناهم وقدنا
ألم تر من ولدنا كيف أشبى[١] ... وأشبينا وما بهم قعدنا[٢]

وأما في الدولة العباسية فقد ظهرت أهداف أولئك الشعوبيين، حينما صرحوا بسب العرب وتنقصهم، علاوة على الافتخار بالعجم، وقد مثل ذلك بعض الشعراء الذين سخَّروا كثيراً من أشعارهم لهذا الهدف، فهذا أبو نواس يفتخر بالفرس ويسميهم أبناء الملوك، ويتنقص العرب ويصفهم بأكلة الضب فيقول:

إذا ما تميمي أتاك مفاخراً فقل ... عدِّ عن ذا كيف أكلك للضبِّ
تفاخر أبناء الملوك سفاهة وبولك ... يجري فوق ساقك والكعبِ[٣]

ويقول في قصيدة أخرى بعد أن مدح الفرس وعيشهم الرقيق، منتقصاً العرب في شربهم اللبن وسكناهم الخيام، ومفتخراً بإيوان[٤] كسرى:

فهذا العيش لا خيم البوادي ... وهذا العيش لا اللبن الحليبُ
فأين البدو من إيوان كسرى ... وأين من الميادين الزروبُ[٥][٦]

= (٧/ ١٠٩ ـ ١١٧)، والأعلام (٨/ ١٨٩)، وتاريخ الأدب العربي (١/ ٧٠٧ ـ ٧١٢).

(١) أشبى: أعطى وأشبا، وأشبى الرجل: ولد له ولد كيس زكي، انظر: القاموس المحيط ص١٦٧٤.

(٢) انظر: الأغاني (٧/ ١١٠ ـ ١١١)، وتيارات ثقافية بين العرب والفرس للدكتور أحمد الحوفي ص١٥٠، دار نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٣٩٨هـ.

(٣) ديوان أبي نواس، تحقيق: أحمد الغزالي ص٥١٠، دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٧٢هـ.

(٤) الإيوان بالكسر: الصفة العظيمة، وهو أعجمي، وهو ضرب من الأبنية، غير مسدود الوجه، وجمع الإيوان أواوين وإيوانات. انظر: لسان العرب (١٣/ ٤٠)، وقصد السبيل فيما في اللغة من الدخيل (١/ ٢٣٠).

(٥) الزروب: جمع زريبة وهي موضع الغنم الذي تكون فيه. انظر: القاموس المحيط ص١٢٠.

(٦) ديوان أبي نواس ص٢٤٥.

وهذا شاعر آخر من شعراء الشعوبية، يُدعى المتوكلي[١] يفتخر بالفرس، ويتنقص بني هاشم ـ الذين هم أشرف العرب ـ فيقول:

أنا ابن الأكارم من نسل جمْ[٢] وحائز إرث ملوك العجمْ
ومحيي الذي باد من عزهمْ وعفّى عليه طوال القدمْ
. . . .
فقل لبني هاشم أجمعين هلموا إلى الخلع قبل الندمْ
ملكناكم عنوة بالرماح طعناً وضرباً بسيف خَذِمْ
وأولاكم الملك آباؤنا فما إن وفيتم بشكر النعمْ
فعودوا إلى أرضكم بالحجاز لأكل الضباب ورعي الغنمْ[٣]

وقد ظهرت الشعوبية صريحة في شعر بشار بن برد، الذي كان يكثر فيه من الافتخار بالفرس ويسميهم «بني الأحرار» ويصفهم «بالكرام» ويحط من شأن العرب وعيشهم في البادية ورعيهم للغنم، فيقول:

أنا ابن الأكرمين أباً وأماً تنازعني المرازب[٤] من صخارِ[٥]
نغاذي الدّرمك المنفوط[٦] عزاً ونشرب في اللجين وفي النضارِ
. . . .
أحين كسيت بعد العري خزاً ونادمت الكرام على العقارِ

---

(١) إبراهيم بن ممشاد الأصبهاني أبو إسحاق المتوكلي نسبة إلى الخليفة المتوكل العباسي حيث نسب إليه لمنادمته له، كان أحد البلغاء في زمانه إلا أنه كان يتعصب للعجم ويتنقص العرب، قتله يعقوب بن الليث ولم أقف على تاريخ وفاته. انظر: معجم الأدباء (١/ ١٧٩).

(٢) جم نسبة إلى أحد ملوك الفرس وهو جمشيد بن نوبهجان، قيل: إن مدة ملكه تسعمائة سنة، وقد أحدث في الأرض أنواعاً من الصناعات والأبنية. انظر: مروج الذهب (١/ ٢٣٠)، وتيارات ثقافية ص١٥٤.

(٣) معجم الأدباء (١/ ١٨٠).

(٤) المرازب: جمع مرزبان وهو رئيس الفرس. انظر: الثقافات الأجنبية ص١٩٠.

(٥) صخار: هي صخارستان مدينة معروفة بفارس.

(٦) أي: نطعم الدقيق من خشب الحواري المطبوخ.

ونلت من الشبارق[١] والقلايا[٢] وأعطيت البنفسج في الخمارِ
تفاخر يا ابن راعية وراع بني الأحرار حسبك من خسارِ
لعمر أبي لقد بدلت عيشاً بعيشك والأمور إلى مجاري
وكنت إذا ظمئت إلى قراح شركت الكلب في ولغ الإطارِ[٣]

إلى غير ذلك من الأشعار الكثيرة التي تبدو فيها الشعوبية الحاقدة على العرب والتي تحمل في طيّاتها الشتم والنقيصة لهم ولبلادهم والسخرية بهم وبمعيشتهم في مقابل الافتخار بالعجم وملوكهم وعيشهم الرغيد[٤].

ولم يكتف الشعوبيون بمجال الشعر في نشر الشعوبية والتهجم على العرب، بل سلكوا في ذلك مجالات أخرى من تأليف الكتب في الافتخار بالعجم وذكر مناقبهم، والتهجم على العرب وذكر مثالبهم. واختلاق القصص والأحاديث التي تحتوي على مدح العجم وذم العرب، فمن أمثلة تأليفهم للكتب:

كتاب فضائل الفرس لأبي عبيدة معمر بن المثنى[٥]، وكتاب انتصاف العجم من العرب، وكتاب فضل العجم على العرب لسعيد بن حميد البختكان[٦]، ومن ذلك كتاب المثالب لعلّان الفارسي[٧]، وكتاب مثالب

---

(١) الشبارق: القطع من الثياب، والشبرقة قَطْع الثوب، يقال: ثوب مشبرق إذا أفسد نسجاً. انظر: القاموس المحيط ص١١٥٧.

(٢) القلايا: جمع قلية، وهو اللحم المقلي. انظر: القاموس المحيط ص١٧٠٩.

(٣) ديوان بشار بن برد (٣/ ٢٢٩ ـ ٢٣١).

(٤) انظر: الثقافات الأجنبية في العصر العباسي ص١٨٥ ـ ١٩٨، واتجاهات الشعر العربي ص٤٣٤ ـ ٤٤١، والجذور التاريخية للشعوبية ص٦٣.

(٥) معمر بن المثنى التيمي مولاهم أبو عبيدة البصري من أئمة العلم بالأدب واللغة، كان إباضياً شعوبياً يبغض العرب ويصنف في مثالبهم كتباً. ولد في البصرة سنة ١١٠هـ، وتوفي بها سنة ٢٠٩هـ. انظر: معجم الأدباء (٥/ ٥٠٩ ـ ٥١٣)، والسير (٩/ ٤٤٥ ـ ٤٤٧)، وميزان الاعتدال (٤/ ١٥٥)، والأعلام (٧/ ٢٧٢).

(٦) سعيد بن حميد بن البختكان: ويكنى أبا عثمان الفارسي، كان متكلماً فصيحاً، وكان شديد العصبية على العرب، وله كتب في ذلك. انظر: الفهرست ص١٥٦.

(٧) علّان الشعوبي أصله من الفرس كان راوية عارفاً بالأنساب والمثالب والمنافرات =

العرب والإسلام ليونس بن أبي فروة[١]، إلى غير ذلك من الكتب الكثيرة التي تدل على حقد أولئك الشعوبيين على العرب حملة الإسلام[٢].

وأما اختلاق القصص والأحاديث في ذم العرب ومدح العجم، فقد شحنوا كثيراً من كتب الأدب والتواريخ بالقصص المختلقة والتي تبدو فيها الشعوبية واضحة لكل من نظر فيها، لما تحتوي عليه من الحط من قيمة العرب، واعتبارهم أمة همجية لا هم لهم سوى التمدح بالعيش في الصحراء ورعي الغنم وأكل الضباب[٣].

وليت أولئك الشعوبيين اكتفوا باختلاق القصص ولم يتعرضوا لوضع الأحاديث على رسول الله ﷺ، إذاً لكان أخف ضرراً. إلا أنهم لم يكتفوا بذلك، بل وضعوا الأحاديث الكثيرة في مدح العجم وذم العرب، فمما وضعوه في ذلك:

زعمهم أن الرسول ﷺ قال: «**سيأتي ملك من ملوك العجم فيظهر على المدائن كلها إلا دمشق**» وزعمهم أن العجم ذكرت عند رسول الله ﷺ فقال: «**لأنا بهم أوثق مني بكم**» وزعمهم أنه ﷺ قال: «**لا تسبوا فارساً، فما سبه أحد إلا انتقم منه عاجلاً أو آجلاً**»[٤].

= منقطعاً إلى البرامكة، وهو أحد نساخ بيت الحكمة، فقد نسخ للرشيد والمأمون، وقد شحن هذا الشعوبي كتابه بمثالب قبائل العرب وتتبعها قبيلة قبيلة. انظر: الفهرست لابن النديم ص١٣٥ ـ ١٣٦.

(١) يونس بن محمد بن كيسان، الملقب بأبي فروة، كان جده أبو فروة مولى للخليفة عثمان رضي الله عنه وقد كان يونس متزندقاً خبيثاً خالط ابن المقفع وبشار بن برد وحماد عجرد وغيرهم ممن اتهموا بالزندقة، عمل يونس كتابه في مثالب العرب وعيوب الإسلام بزعمه، وأهداه إلى ملك الروم فأخذ عليه مالاً، وتوفي هذا الزنديق نحو سنة ١٥٠هـ. انظر: الوزراء والكتاب ص١٣٠، والأعلام (٨/ ٢٦٣).

(٢) انظر: تيارات ثقافية ص١٥٧ وما بعدها، واتجاهات الشعر العربي ص٤٤٢.

(٣) انظر: ضحى الإسلام (١/ ٧٢).

(٤) انظر: ضحى الإسلام (١/ ٧٧ ـ ٧٨)، وتيارات ثقافية ص١٥٩، والجذور التاريخية للشعوبية ص٨٢.

المبحث الثالث

علاقة الشعوبية بالزندقة

ارتبطت الشعوبية بالزندقة ارتباطاً وثيقاً منذ نشأتها في بلاد الإسلام، وأثّرت كل واحدة منهما في الأخرى، حتى إن البعض لا يكاد يفصل بين الزندقة والشعوبية، وذلك أن غالب من اتهم بالزندقة كان من الشعوبيين الموالي[(١)].

فالشعوبية تؤدي إلى الزندقة، إذ إن من أبغض العرب أبغض دينهم، ولغتهم التي هي لغة القرآن الكريم؛ ثم تنتهي الشعوبية بأصحابها إلى الهجوم على الإسلام، والكفر به باطناً وإن كانوا في الظاهر يدّعون الإسلام، وقد أدرك الجاحظ تلك العلاقة القوية بين الشعوبية والزندقة، وأن منتهى الشعوبيين هو الزندقة، كما أن بداية الزنادقة هي الشعوبية، وفي ذلك يقول: «فإنما عامة من ارتاب بالإسلام إنما جاءه هذا عن طريق الشعوبية، فإذا أبغض شيئاً أبغض أهله، وإن أبغض تلك اللغة أبغض تلك الجزيرة، فلا تزال الحالات تنتقل به حتى ينسلخ من الإسلام، إذ كانت العرب هي التي جاءت به وكانوا السلف والقدوة»[(٢)].

فالرابطة بين الشعوبية والزندقة رابطة قوية، حتى إن أهداف الزنادقة وأهداف الشعوبيين يصعب التفريق بينها، فالشعوبية تدفع أصحابها إلى الزندقة، والزندقة تتخذ الشعوبية وسيلة من وسائلها، يقول ابن قتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كلام له عن الشعوبية: «تكاد تكفر ثم يمنعها خوف السيف، وتغص من النبي ﷺ إذا

---

(١) انظر: الزندقة والشعوبية لسميرة مختار ص٢٤٠ والشعوبية عدو العرب الأول، لخير الله طلفاح ص١١٥ ـ ١١٧، دار الحرية للطباعة ـ بغداد، الطبعة الثالثة، ١٩٧٩م.

(٢) البيان والتبيين للجاحظ (٣/ ١٤)، وانظر: الثقافات الأجنبية ص١٨.

ذُكر بالشجا، وتطرق منه على القذى، وتبعد عن الله بعدها ممن قرب واصطفى»(١).

إذن فالصّلة وثيقة بين الشعوبية والزندقة، وتتضح هذه الصلة بذكر بعض الأمثلة، فمن ذلك قول الأصمعي(٢) في البرامكة حماة الشعوبية:

إذا ذكر الشرك في مجلس أضاءت وجوه بني برمكِ
وإن ذكرت عندهم آية أتوا بالأحاديث عن مزدكِ(٣)

وقد سبقت الإشارة إلى كلام ابن النّديم حول البرامكة واتهامهم بالزندقة(٤)، غير أنهم لم يكونوا ليظهروا شعوبيتهم وزندقتهم وذلك لمكانتهم عند الخليفة، وإن كان ذلك قد يظهر في تصرفاتهم وأقوالهم، كما حصل ذلك ليحيى بن خالد البرمكي(٥)، حينما تكلم فارسي بحضرته على أحد العرب فقال الفارسي: «ما احتجنا إليكم قط في عمل ولا تسمية، ولقد ملكتم فما استغنيتم عنّا في أعمالكم ولا لغتكم، حتى إن طبيخكم وأشربتكم ودواوينكم وما فيها على ما سميناه وما غيرتموه، فسكت عنه العربي، فقال له: يحيى بن خالد في خبث شديد يكشف عن شعوبيته، وبغضه للعرب وافتخاره بالفرس، قل له: اصبر لنا نملك كما ملكتم ألف سنة بعد ألف سنة كانت قبلها، لا نحتاج إليكم ولا إلى شيء لكم»(٦).

ومن الأمثلة على ذلك أيضاً قول أحد شعرائهم مفتخراً بانتساب الفرس

---

(١) كتاب العرب أو الرد على الشعوبية لابن قتيبة، ضمن رسائل البلغاء لمحمد كرد ص٣٤٤، الطبعة الثالثة، ١٣٦٥هـ.

(٢) عبد الملك بن قريب بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي، راوية العرب، واحد أئمة اللغة والأدب، كان من أعلم أهل زمانه بالشعر وأحضرهم حفظاً، قال عن نفسه إنه يحفظ عشرة آلاف أرجوزة، وكان كثير التطواف في البوادي يقتبس من علومهم وينقل أخبارهم، ولد في البصرة سنة ١٢٢هـ، وتوفي بها سنة ٢١٦هـ. انظر: بغية الوعاة (٢/ ١١٢ ـ ١١٣)، والبداية والنهاية (١٠/ ٢٨٣)، والأعلام (٤/ ١٦٢).

(٣) انظر: المعارف لابن قتيبة ص٣٨٢.

(٤) انظر: ص١٢١.

(٥) تقدمت ترجمته. انظر: ص١٢٧.

(٦) انظر: الثقافات الأجنبية ص١٧٨.

إلى [ويزك] أي: إسحاق بن إبراهيم عليه السلام وكأنه يريد أن يتنقص من نبينا محمد ﷺ ويلزمه بعدم الزهادة فيقول:

أبونا ويزك وبه أسامي إذا ... افتخر المفاخر بالولاده
أبونا ويزك عبد رسول له ... شرف الرسالة والزهاده
فمن مثلي إذا افتخرت قروم ... وبيتي مثل واسطة القلاده[1]

فالشعوبية طريق يؤدي إلى الزندقة، ولذلك فإن كثيراً ممن عرفوا بالشعوبية والنيل من العرب هم من المتهمين بالزندقة كبشار بن برد وأبي نواس وابن المقفع وغيرهم.

والشعوبيون لم يقفوا عند افتخارهم بالعجم وبغض العرب وتنقصهم، بل ذهب الكثير منهم إلى تنقص الإسلام والسخرية بشعائره كما ظهر ذلك واضحاً في أشعار بشار بن برد وأبي نواس ـ كما تقدم ـ[2] وإن كان ذلك إنما يحصل منهم في مجالسهم وعند خاصتهم، وأما عند العامة ومجالس الخلفاء فقد اكتفوا بإظهار شعوبيتهم وفخرهم بالعجم.

وكذلك فعل بعض زنادقة الشعوبية الذين صنفوا الكتب في النيل من العرب والفخر عليهم، حيث لم يقفوا عند هذا الحد، وإنما دفعهم الحقد على الإسلام والعداوة للمسلمين على تأليف الكتب في تنقص الإسلام والنيل منه، كما حصل ذلك من الزنديق يونس بن أبي فروة ـ كما تقدم ـ[3] حيث ألف كتاباً في ذكر مثالب العرب والإسلام ـ بزعمه ـ وأهداه إلى ملك الروم.

وهذا بلا شك يدل على الصلة القوية بين الشعوبية والزندقة حيث أقام هذا الزنديق كتابه على الجانبين جميعاً تأكيداً على حقيقة الارتباط الوثيق بينهما[4].

---

(١) التنبيه والأشراف ص١١٠ ولم أقف على اسم قائل تلك الأبيات.
(٢) انظر: ص٥٨٥ وما بعدها. (٣) انظر: ص١٨٧.
(٤) انظر: الشعوبية والزندقة وأثرهما في ظهور العقائد والفرق المنحرفة، د. محمد الخطيب ص١٥، مكتبة الأقصى، الأردن.

الباب الثاني

فرق الزنادقة وآثارهم

الفصل الأول: فرق الزنادقة.

الفصل الثاني: أثر الزندقة في الفرق الإسلامية.

الفصل الثالث: أهم مظاهر الزندقة في العصر الحديث.

الفصل الأول

فرق الزنادقة

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: السبئية.

المبحث الثاني: الجهمية.

المبحث الثالث: الراوندية.

المبحث الرابع: الإسماعيلية.

المبحث الخامس: القرامطة.

المبحث السادس: فرق أخرى (النصيرية، الدروز).

تمهيد

تبين فيما سبق أن الزنادقة سلكوا طرقاً عدة وأساليب متنوعة لمحاربة الإسلام والقضاء على العقيدة الصافية، وإن من أهم الأساليب التي سلكوها في ذلك استغلالهم للفرق الإسلامية وانتحالهم للمذاهب المختلفة(١) لتحقيق أهدافهم الخبيثة.

ولذا نجد أن فرق الزنادقة ليست كغيرها من أصناف فرق الملل والنحل الأخرى وإنما هي فرق شتى تجمعها العداوة للإسلام والسعي للقضاء على العقيدة، فمنهم من يظهر الانتماء إلى الشيعة وينتحل محبة آل البيت والدفاع عنهم وهؤلاء هم أكثر فرق الزنادقة، ومنهم المعطلة الذين يدَّعون تنزيه الرب سبحانه وتعالى، ومنهم من يتظاهر بالزهد والورع وينتحل مذهب الصوفية ثم ينشر الإلحاد والزندقة، وهكذا يدخلون على المسلمين من أبواب متعددة وهدفهم واحد وإن تعددت فرقهم وتنوعت مذاهبهم، كما صرح بذلك بعض زنادقة الباطنية حيث قال: «معشر الناس إنا كنا ندخل عليكم بحسب أهوائكم مرة بمحمد ومرة بعلي ومرة بإسماعيل بن جعفر، ومرة بمحمد بن إسماعيل وبالمهدي...»(٢).

ففرق الزنادقة وإن تعددت فهي تجتمع على كل ما من شأنه تشويه الإسلام وإضعاف المسلمين، وإفساد عقيدتهم، والقضاء على دولتهم.

وقد ذكر الإمام أبو الحسين الملطي خمس فرق من فرق الزنادقة فقال رحمه الله: «اعلموا رحمكم الله أن أول من افترق من هذه المذاهب الزنادقة

---

(١) انظر: ص١٥٥.

(٢) أخبار القرامطة، د. سهيل زكار ص١٥٣، دار الكوثر، الرياض.

وهم خمس فرق...»[١] ثم ذكر المعطلة والمانوية والمزدكية والعبدكية[٢] والروحانية[٣]، فذكر كل فرقة من هذه الفرق وشرح أقوالها وعقائدها غير أنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أهمل كثيراً من أمهات فرق الزنادقة، كما أنه ذكر فرقتي المانوية والمزدكية ضمن فرق الزنادقة في الإسلام وهما من فرق زنادقة الفرس ـ كما تقدم ـ[٤] وإن كان هناك من انتمى إليها بعد الإسلام إلا أن ذلك لم يشتهر كما اشتهرت فرق الزنادقة الأخرى، كما أن بعض العلماء قد أشار إلى أن للزنادقة فرقاً متعددة كما قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن القرامطة في حوادث سنة ثمان وسبعين ومائتين قال: «وفيها تحركت القرامطة وهم فرقة من الزنادقة الملاحدة»[٥].

وقال المقريزي[٦] في معرض تعداده للفرق المخالفة لملة الإسلام: «الطائفة التاسعة الزنادقة وهو طوائف منهم القرامطة»[٧].

كما ذكر بعض الباحثين عدداً من فرق الزنادقة[٨] إلا أنه غلَّب جانب الفرق الثورية من المقنعية[٩] والخرمية[١٠] وغيرهما، وأهمل بعض الفرق

---

(١) التنبيه والرد ص١٠٦.

(٢) العبدكية: ذكر الإمام الملطي أنهم ينتسبون إلى رجل اسمه عبدك، وأنهم يزعمون أن الدنيا كلها حرام لا يجوز الأخذ منها إلا القوت، ولا تحل الدنيا إلا بإمام عادل، وإلا فهي حرام ومعاملة أهلها حرام. انظر: التنبيه والرد ص١٠٧ ـ ١٠٨.

(٣) الروحانية: وهم أصناف متعددة، وإنما أطلق عليهم هذا الاسم لقولهم: إن أرواحهم تنظر إلى ملكوت السمٰوات وبها يعاينون الجنان، وكثير منهم ينكر طاعة الأنبياء ويزعمون أنهم بشر مثلنا لا تصح طاعتهم. انظر: التنبيه والرد ص١٠٨ ـ ١١٠، والملل والنحل (٢/ ٣٠٨ ـ ٣١١).

(٤) انظر: ص٦٥، ٧٩.

(٥) البداية والنهاية (١١/ ٦٥).

(٦) أحمد بن علي المقريزي، أبو العباس الحنفي، مؤرخ الديار المصرية ولي الحسبة والإمامة في القاهرة، وكان منقطعاً في داره للعبادة، توفي سنة ٨٤٥هـ. انظر: شذرات الذهب (٧/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥)، والبدر الطالع ص٩٥ ـ ٩٧، والأعلام (١/ ١٧٧ ـ ١٧٨).

(٧) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بخطط المقريزي، لأبي العباس المقريزي (٤/ ١٦٨)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

(٨) ذكر ذلك عاطف شكري في كتابه الزندقة والزنادقة ص١٢٣ ـ ١٥٥.

(٩) سبق التعريف بهذه الفرقة. انظر: ص١٢٤.

(١٠) سبق التعريف بهذه الفرقة. انظر: ص١٢٤.

المهمة كالسبئية التي هي أول فرق الزنادقة، والجهمية وغير ذلك من الفرق المهمة، ولا شك أن حصر فرق الزنادقة من الصعوبة بمكان، وذلك لكثرتها واختلاف مشاربها، ولذا فسأذكر في هذا الفصل أهم تلك الفرق حسب ما ظهر لي مع أن بعضها قد يكون متشعباً عن بعض. وإن كان هناك من فرق الزنادقة ما لم أذكره ضمن هذه الفرق اكتفاء بما ورد عنه من خلال سياق البحث.

المبحث الأول

السبئية

السبئية فرقة تنسب إلى عبد الله بن سبأ[١] اليهودي الأصل[٢]، الذي أظهر إسلامه في خلافة عثمان رضي الله عنه ثم تنقل بين بلدان المسلمين من قطر إلى قطر سعياً في الإفساد بينهم[٣].

يقول الطبري رحمه الله فيما رواه عن الفقعسي[٤] قال: «كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء[٥] أمه سوداء، فأسلم زمان عثمان، ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم، فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام فأخرجوه حتى أتى مصر فاعتمر[٦]

(١) اشتهر ابن سبأ بهذا الاسم، والصحيح أن اسم والده وهب، وكثيراً ما ينسب أيضاً إلى أمه فيقال: «ابن السوداء» وقد كانت أمه حبشية سوداء، ولما كان ابن سبأ قد اشتهر بهاتين النسبتين «ابن سبأ» و«ابن السوداء» ظن بعض العلماء أنهما شخصيتان كل واحدة مستقلة عن الأخرى، كما يفهم ذلك من كلام البغدادي والإسفراييني. انظر: الفرق بين الفرق ص٢٥٣٠ والتبصير في الدين ص١٠٤.

(٢) هذا هو المشهور في أكثر المصادر، وذهب ابن كثير رحمه الله إلى أن أصله رومي، فقال: «... وكان أصله رومياً فأظهر الإسلام وأحدث بدعاً قولية وفعلية»، البداية والنهاية (٧/ ١٩٠)، وانظر: تاريخ الطبري (٢/ ٦٤٧)، والفرق بين الفرق ص٢٥٣ والملل والنحل (١/ ٢٠٤).

(٣) انظر: تاريخ الطبري (٢/ ٦٤٧) والتبصير في الدين ص١٠٤.

(٤) تقدمت ترجمته. انظر: ص١٧٢.

(٥) صنعاء: مدينة مشهورة باليمن، يقال: إن اسمها قديماً أزال، فلما دخلها الحبشة وجدوها حصينة فقالوا هذه صنعة؛ أي: صينة فسميت بذلك. وقد وصفت بطيب الهواء وكثرة الماء. انظر: معجم البلدان (٣/ ٤٨٣ ـ ٤٨٦).

(٦) اعتمر: يقال أعمره المكان واستعمره فيه جعله يعمره. وأعمره جعله أهلاً، والمعنى أنه تمكن من دعوتهم إلى ما يريد. انظر: القاموس المحيط ص٥٧١.

فيهم...»[١].

وقد أظهر ابن سبأ للناس القول بالوصية، فزعم أن النبي ﷺ كان قد أوصى إلى علي بن أبي طالب، فمحمد خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء، وقد افتتن بهذا الزنديق بشر كثير، وذلك أنه أظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودعا إلى الإنكار على الخليفة عثمان رضي الله عنه في ولايته، وكتب أتباعه بذلك إلى عوام الأمصار حتى كثر أتباعه، واجتمعوا على الإنكار على عثمان رضي الله عنه حتى انتهى الأمر بقتل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ووقوع الفتنة بين الصحابة رضي الله عنهم[٢].

ثم إن ابن سبأ أظهر بعد ذلك الغلو في علي رضي الله عنه، وزاد في ذلك حتى زعم أنه نبيٌّ، بل بلغ به الغلو في علي رضي الله عنه إلى أن ادعى أن علياً هو الإلٰه ـ تعالى الله عن قوله علواً كبيراً[٣].

وقد تبع ابن سبأ في تأليه علي رضي الله عنه كثير من أتباعه من غواة أهل الكوفة وغيرها، ووافقوه على هذه المقولة العظيمة، حتى إنهم صرحوا بذلك أمام علي رضي الله عنه وقالوا له: «أنت أنت» قال ومن أنا، قالوا: «الخالق البارئ» فاستتابهم علي رضي الله عنه فلم يرجعوا، فأوقد لهم ناراً في حفرتين، وأمر بإحراقهم فيها، وأخذ رضي الله عنه يرتجز ويقول:

لما رأيت الأمر أمراً منكراً أججت ناري ودعوت قنبرا[٤][٥]

ثم إن علياً رضي الله عنه لما أحرق جملة منهم خاف من إحراق بقيتهم اختلاف

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٦٤٧).

(٢) انظر: تاريخ الطبري (٢/ ٦٤١) و(٣/ ٣٢)، والبداية والنهاية (٧/ ١٧٤)، والفرق بين الفرق ص٢٣٥.

(٣) انظر: الملل والنحل (١/ ٢٠٤)، والتبصير في الدين ص١٠٣.

(٤) قنبر مولى علي بن أبي طالب رضي الله عنه شارك مع علي رضي الله عنه في عدة معارك وعقد عليٌّ لقنبر لواءً يوم صفين، ولم يثبت لقنبر حديث، قيل: إن قنبراً كبر حتى كان لا يدري ما يقول. انظر: الكامل لابن الأثير (٣/ ١٦٣)، ولسان الميزان (٦/ ٥٧).

(٥) انظر: فتح الباري (١٢/ ٢٧٠)، والتنبيه والرد ص٢٩، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص٧١.

أصحابه، ففرق من بقي منهم في البلدان، فنفى ابن سبأ إلى المدائن[(١)(٢)].

«فلما قتل علي رضي الله عنه زعم ابن سبأ أن المقتول لم يكن علياً، وإنما كان شيطاناً تصوّر للناس في صورة عليّ، وتوهمت الناس أنه قتل ـ كما توهم اليهود والنصارى أن المسيح قتل ـ وأن علياً رضي الله عنه صعد إلى السماء كما صعد إليها عيسى ابن مريم عليه السلام وقال: كذبت اليهود والنصارى في دعواها قتل عيسى، كذلك كذبت النواصب[(٣)] والخوارج في دعواها قتل علي، وإنما رأت اليهود والنصارى شخصاً مصلوباً شبهوه بعيسى، كذلك القائلون بقتل عليّ رأوا قتيلاً يشبه علياً فظنوا أنه عليّ»[(٤)].

فالسبئية يكذّبون بموت علي رضي الله عنه، ولذلك لما جاءهم خبر وفاته قالوا: «لو أتيتمونا بدماغه في سبعين قارورة لم نصدق بموته»[(٥)].

وقد زعمت السبئية أن علياً رضي الله عنه سينزل إلى الدنيا قبل يوم القيامة فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، وسينتقم من أعدائه[(٦)].

ويعتقد بعض السبئية أن علياً في السحاب، وأن الرعد صوته والبرق سوطه، ومن سمع من هؤلاء صوت الرعد قال: عليك السلام يا أمير المؤمنين[(٧)].

---

(١) المدائن: جمع مدينة، كانت مسكن ملوك الفرس، وهي سبع مدن بين كل واحدة والأخرى مسافة قريبة، وهي بين دجلة والفرات، فتحت في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ١٦هـ. انظر: معجم البلدان (٥/ ٨٩).

(٢) انظر: الفرق بين الفرق ص٢٣٥، وفرق الشيعة ص٢٢.

(٣) النواصب: هم الذين ينصبون العداوة لأهل البيت، ويؤذونهم بقول أو عمل. انظر: لسان العرب (١/ ٧٦٢)، والعقيدة الواسطية مع شرحها للشيخ صالح الفوزان ص٢٠١ ـ ٢٠٢، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ.

(٤) الفرق بين الفرق ص٢٣٤، وانظر: التبصير في الدين ص١٠٣.

(٥) انظر: فرق الشيعة للنوبختي ص٢٣، والحور العين ص١٥٤، والتنبيه والردص٢٩.

(٦) انظر: فرق الشيعة ص٢٣، والفرق بين الفرق ص٢٣٤.

(٧) انظر: الملل والنحل (١/ ٢٠٤).

وهذه الفرقة من السبئية هم الذين وصفهم إسحاق بن سويد العدوي[(١)] بقوله:

برئت من الخوارج لست منـ ـهم من الغزال[(٢)] منهم وابن باب[(٣)(٤)]
ومن قوم إذا ذكروا علياً يردون السلام على السحاب
ولكني أحب بكل قلبي وأعلم أن ذاك من الصواب
رسول الله والصديق حباً به أرجو غداً حسن الثواب[(٥)]

قال أبو الحسين الملطي[(٦)] في بيان عقائد السبئية: «يقولون إن علياً لم يمت وإنه في السحاب، وإذا نشأت سحابة بيضاء صافية منيرة مبرقة مرعدة، قاموا إليها يبتهلون ويتضرعون ويقولون: قد مرّ علي بنا في السحاب»[(٧)].

---

(١) إسحاق بن سويد بن هبيرة العدوي التميمي البصري، أحد التابعين، حدث عن ابن عمر وابن الزبير رضي الله عنهم، وكان يرمى بالنصب والتحامل على عليّ رضي الله عنه، مات في الطاعون أول خلافة السفاح سنة ١٣١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٧/٤٧) وتهذيب التهذيب (١/٢٣٦).

(٢) واصل بن عطاء الغزال، أحد رؤوس المعتزلة ودعاتهم، وإليه تنسب فرقة الواصلية منهم، كان تلميذاً للحسن البصري ثم اعتزله وأظهر بدعته، وكان أحد المشهورين بالبلاغة إلا أنه كان يلثغ بالراء فيجعلها عيناً، ولد سنة ٨٠هـ، وتوفي سنة ١٣١هـ. انظر: طبقات المعتزلة ص١٧ ـ ٢١، والملل والنحل (١/٥٩)، والفرق بين الفرق ص١١٧، والأعلام (٨/١٠٨ ـ ١٠٩).

(٣) ابن باب هو عمرو بن عبيد بن باب مولى بني تميم، أحد رؤوس المعتزلة وأحد الزهاد والمشهورين، شارك واصلاً في بدعته ودخل معه في الاعتزال ومخالفة الحسن البصري، تنسب إليه فرقة العمرية من المعتزلة. ولد سنة ٨٠هـ، وتوفي سنة ١٤٤هـ. انظر: طبقات المعتزلة ص٢٢ ـ ٢٤، والفرق بين الفرق ص١٢٠، والأعلام (٥/٨١).

(٤) نسب إسحاق بن سويد، الغزال وعمرو بن عبيد إلى الخوارج لموافقتهم لهم في تأبيد عقاب صاحب الكبيرة، قال البغدادي: «إن واصلاً وعمراً وافقا الخوارج في تأبيد عقاب صاحب الكبيرة... ولهذا نسب إسحاق بن سويد واصلاً وعمرو بن عبيد إلى الخوارج». الفرق بين الفرق ص١١٩.

(٥) انظر: الفرق بين الفرق ص٢٣٤ ـ ٢٣٥، والكامل في اللغة والأدب للمبرد (٢/١٤٢ ـ ١٤٣)، مؤسسة المعارف، بيروت.

(٦) تقدمت ترجمته. انظر: ص٧٠.

(٧) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص٣٠.

ومن عقائد السبئية: القول بالحلول والتناسخ، فيرون أن علياً حل فيه روح الإلٰه، وأن فيه الجزء الإلٰهي، وأن هذا الجزء الإلٰهي يتناسخ في الأئمة بعد علي رضي الله عنه. قال البغدادي: «أما السبئية فإنما دخلت في جملة الحلولية لقولها بأن علياً صار إلٰهاً بحلول روح الإلٰه فيه»(١) وقال الشهرستاني في معرض كلامه عن عقائد السبئية: «وقالت يتناسخ الجزء الإلٰهي في الأئمة بعد علي رضي الله عنه»(٢).

ومن عقائد السبئية القول بالرجعة؛ أي: رجعة محمد صلى الله عليه وسلم ورجعة علي رضي الله عنه قبل يوم القيامة كما يرجع عيسى عليه السلام.

وقد كان ابن سبأ يقول: «العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذّب بأن محمداً يرجع، وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ﴾ [القصص: ٨٥] فمحمد أحق بالرجوع من عيسى...»(٣)، وكذلك قالوا في علي رضي الله عنه أنه يرجع إلى الدنيا قبل يوم القيامة فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً(٤)، وهؤلاء هم الذين أقروا بموت علي رضي الله عنه وهم بعض فرق السبئية.

يقول الإمام الملطي في معرض كلامه على السبئية ومقالاتهم وغلوهم في علي رضي الله عنه وأن منهم فرقة «يقولون: إن علياً قد مات، ولكن يبعث قبل القيامة، ويبعث معه أهل القبور، حتى يقاتل الدجال ويقيم العدل والقسط في العباد والبلاد، وهؤلاء لا يقولون، إن علياً هو الله، ولكن يقولون بالرجعة»(٥).

هذه هي أهم عقائد السبئية، ولا شك أن ما قالوه واعتقدوه بعيد كل البعد عن عقيدة الإسلام الصافية، بل هو زندقة وكفر، ولذلك أخرجهم الأئمة من فرق الإسلام. قال عبد القاهر البغدادي في معرض كلامه على السبئية

---

(١) الفرق بين الفرق ص٢٥٥.
(٢) الملل والنحل (١/ ٢٠٥).
(٣) تاريخ الطبري (٤/ ٣٤٠).
(٤) انظر: مقالات الإسلاميين ص١٥، والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص٤٧.
(٥) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص٤٧.

وعقائدهم: «كيف يكون من فرق الإسلام قوم يزعمون أن عليا كان إلٰهاً ونبياً؟ ولئن جاز إدخال هؤلاء في جملة فرق الإسلام جاز إدخال الذين ادعوا نبوة مسيلمة(١) الكذاب في فرق الإسلام»(٢).

ولأجل ذلك أطلق عليهم السلف لقب «الزنادقة» كما ورد ذلك عن عكرمة في قصة تحريق عليٍّ رضي الله عنه لهم، قال عكرمة: «أتي علي رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم...»(٣). وهولاء الذين أحرقهم علي رضي الله عنه هم السبئية.

وقال الذهبي رحمه الله في ترجمة ابن سبأ: «عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة ضال مضل، أحسب أن علياً حرّقه بالنار...»(٤). وقد تقدم الكلام على إطلاق السلف هذا اللقب على السبئية ونقل بعض أقوال العلماء في ذلك(٥).

ومما تقدم تتضح عقيدة السبئية والسبب الذي جعل الأئمة يُدخِلونهم ضمن فرق الزنادقة، ويمكن تلخيص ذلك فيما يلي:

١ ـ قولهم إن علياً رضي الله عنه هو الإلٰه ـ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ـ.

٢ ـ قولهم بالحلول والتناسخ وأن روح الإلٰه تحل في الأئمة وتتناسخ فيهم.

٣ ـ قولهم بنبوة علي رضي الله عنه.

٤ ـ قولهم بأن علياً رضي الله عنه في السحاب.

٥ ـ قولهم بالوصية لعلي رضي الله عنه وأنه خاتم الأوصياء.

٦ ـ قولهم بالرجعة؛ أي: رجعة محمد ﷺ ورجعة علي رضي الله عنه قبل يوم القيامة.

---

(١) هو مسيلمة بن ثمامة الحنفي، وفد على النبي ﷺ مع وفد بني حنيفة، ولما رجع إلى اليمامة ارتد وتنبأ وزعم أنه أشرك مع النبي ﷺ في النبوة، وقد كان يسجع لأتباعه من بني حنيفة، ويدّعي أنه ينزل عليه الوحي، وقد أرسل إليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه جيشاً بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه، فانتصر على بني حنيفة، وقتل مسيلمة على يد وحشي بن حرب رضي الله عنه قاتل حمزة رضي الله عنه، وذلك سنة ١١هـ. انظر: تاريخ الطبري (٢/ ٢٧٥)، والبداية والنهاية (٥/ ٣٤٥، ٣٤٦).

(٢) الفرق بين الفرق ص٢٣٦.

(٣) تقدم تخريجه، انظر: ص٤٧.

(٤) ميزان الاعتدال (٢/ ٤٢٦).

(٥) انظر: ص٤٧.

٧ ـ تكذيبهم بموت علي رضي الله عنه، وزعمهم أنه حيٌ لم يمت.

والخلاصة:

أن السبئية فرقة من فرق الزنادقة كما صرح بذلك أئمة السلف، بل هي أول فرقة من فرق الزنادقة ظهرت في الإسلام، وذلك في أواخر عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم على يد عبد الله بن سبأ الزنديق اليهودي الذي أراد إفساد دين المسلمين وتشويه عقيدتهم الصافية كما فعل سلفه بولس في إفساده لدين النصارى ـ كما تقدم ـ.

المبحث الثاني

الجهمية

الجهمية هي فرقة من فرق الزنادقة المعطلة، ونسبتهم إلى جهم بن صفوان الترمذي مولى بني راسب، الذي أظهر زندقته وتعطيله في آخر دولة بني أمية في إقليم خراسان(١). وكان جهم قد أخذ ذلك عن الجعد بن درهم الذي ضحّى به خالد بن عبد الله القسري بواسط، كما قال أبو سعيد الدارمي رَحِمَهُ اللهُ: «كان أول من أظهر شيئاً منه ـ أي: الكفر ـ بعد كفار قريش: الجعد بن درهم بالبصرة، وجهم بخراسان، اقتداءً بكفار قريش، فقتل الله جهماً شرّ قتلة، وأما الجعد فأخذه خالد بن عبد الله القسري فذبحه ذبحاً بواسط، في يوم الأضحى على رؤوس من شهد العيد من المسلمين...»(٢)، وذلك بعد أن خطب الناس وقال في خطبته: «أيها الناس! ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً، تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً...»(٣) وقد كان ذلك بفتوى أهل زمانه من التابعين(٤)، وقد استحسن الأئمة فعله ومدحوه على ذلك، وقد أشار إلى ذلك ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في نونيته(٥) فقال:

ولأجل ذا ضحّى بجعد خالد الـ ... ـقسري يوم ذبائح القربان

إذ قال إبراهيم ليس خليله ... كلا ولا موسى الكليم الداني

---

(١) انظر: الفرق بين الفرق ص٢١١، والملل والنحل (١/٩٧).

(٢) الرد على الجهمية لعثمان بن سعيد الدارمي ص١٧.

(٣) الرد على الجهمية ص١٧.

(٤) المرجع السابق ص١٧.

(٥) قصيدة الإمام ابن القيم بشرح أحمد بن عيسى (١/٥٠ ـ ٥١)، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ.

شكر الضحية كل صاحب سنة ... لله درك من أخي قربان

وهذه البدعة القديمة القبيحة التي أظهرها الجعد بن درهم وقتل عليها، لم تكن وليدة فكره وإنما أخذها عن تلاميذ اليهود والمشركين، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «أصل هذه المقالة ـ مقالة التعطيل للصفات ـ إنما هو مأخوذ عن تلاميذ اليهود والمشركين وضلال الصابئين... وقد قيل: إن الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان، وأخذها أبان عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم، وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي ﷺ»[(١)].

وقد كان جهم صاحب خصومات وجدل، وكان أكثر كلامه في الله[(٢)]، وكان قد لقي قوماً من الفلاسفة يقال لهم السمنية[(٣)]، وناظرهم في الله تعالى، ثم أظهر بعد ذلك نفي الصفات واتصل بالجعد بن درهم.

وقد حكى تلك المناظرة الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ في ردّه على الجهمية[(٤)]، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان مما بلغنا من أمر الجهم أنه كان صاحب خصومات وكلام، وكان أكثر كلامه في الله، فلقي أناساً من المشركين يقال لهم السمنية، فعرفوا الجهم، فقالوا له نكلمك فإن ظهرت حجتنا عليك دخلت في ديننا وإن ظهرت حجتك علينا دخلنا في دينك. فكان مما كلموا به الجهم أن قالوا: ألست تزعم أن لك إلـٰهاً؟ قال الجهم: نعم، فقالوا له: فهل رأيت إلـٰهك؟ قال: لا، قالوا: فهل سمعت كلامه؟ قال: لا، قالوا: فشممت له رائحة؟ قال: لا،

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥/ ٢٠).

(٢) انظر: الردّ على الجهمية للإمام أحمد بن حنبل ص١٦.

(٣) السمنية: نسبة إلى سمني، وهم قوم من أهل الهند دهرية مشركون، قالوا بقدم العالم، وأبطلوا النظر والاستدلال، وزعموا أن لا معلوم إلا من جهة الحواس الخمس، وأنكر أكثرهم المعاد والبعث، وقال بعضهم بتناسخ الأرواح في الصور المختلفة. انظر: الفرق بين الفرق ص٢٧٠، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٥/ ٢٢)، وشرح الطحاوية (٢/ ٧٩٥).

(٤) الردّ على الجهمية ص١٧ ـ ١٧، وانظر: درء التعارض (٥/ ١٧٥)، وشرح الطحاوية (٢/ ٧٩٥).

قالوا: فوجدت له حساً؟ قال: لا، قالوا: فوجدت له مجساً؟ قال: لا، قالوا: فما يدريك أنه إله؟ قال: فتحير الجهم، فلم يدر من يعبد أربعين يوماً، ثم إنه استدرك حجة مثل حجة زنادقة النصارى، وذلك أن زنادقة النصارى يزعمون أن الروح الذي في عيسى هو روح الله من ذات الله، فإذا أراد أن يحدث أمراً دخل في بعض خلقه فتكلم على لسان خلقه فيأمر بما شاء وينهى عما يشاء، وهو روح غائبة عن الأبصار. فاستدرك الجهم حجة مثل هذه الحجة، فقال للسمني: ألست تزعم أن فيك روحاً؟ قال: نعم، قال: فهل رأيت روحك؟ قال: لا، قال: فسمعت كلامه؟ قال: لا، قال: فوجدت له حساً أو مجساً؟ قال: لا، قال: فكذلك الله، لا يُرى له وجه، ولا يُسمع له صوت، ولا يُشم له رائحة وهو غائب عن الأبصار، ولا يكون في مكان دون مكان...»[(١)].

ثم إن جهماً لم يزل يجادل ويناظر في إظهار بدعته وزندقته، وقد كان مقيماً ببلخ[(٢)]، وكان يصلي مع مقاتل بن سليمان[(٣)] في مسجده ويتناظران حتى نفي إلى تِرمِذ[(٤)(٥)]، فاستقر بها وأظهر مقالته فيها، واستمال أهلها ومن

---

(١) الردّ على الجهمية ص١٦ ـ ١٧.

(٢) بلخ: مدينة مشهورة بخراسان، بينها وبين تِرمِذ اثنا عشر فرسخاً، افتتحها الأحنف بن قيس في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه وينسب إليها خلق كثير من العلماء، انظر: معجم البلدان (١/ ٥٦٨).

(٣) مقاتل بن سليمان بن كثير الأزدي الخراساني، أبو الحسن البلخي، المفسر المشهور، كان من أوعية العلم إلا أنه متروك الحديث، وقد رمي بالتجسيم، توفي سنة ١٥٠هـ. انظر: طبقات المفسرين للداودي (٢/ ٣٣٠ ـ ٣٣١)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٢٠١ ـ ٢٠٢)، وشذرات الذهب (١/ ٢٢٧).

(٤) ترمذ: بفتح التاء وكسر الميم، وقيل: بكسرهما جميعاً، مدينة مشهورة من أمهات المدن، راكبة على نهر جيحون من جانبه الشرقي، يحيط بها سور، وينسب إليها جملة من العلماء منهم محمد بن عيسى الضرير صاحب كتاب الجامع. انظر: معجم البلدان (٢/ ٣١).

(٥) انظر: البداية والنهاية (٧/ ٣٦٤).

جاورها من أهل سرخس[١] ونهاوند[٢] إلى بدعته، فتبعه على ذلك خلق كثير من أهل هذه الأمصار[٣].

ثم إنه خرج بعد ذلك مع الحارث بن سريج[٤] على أميرها نصر بن سيار[٥]، فكان واعظاً وخطيباً لجيش الحارث[٦]، إلى أن قبض عليه سلم بن أحوز[٧] ـ وكان على شرطة نصر ـ وقتله، وذلك سنة (١٢٨هـ)، وقد حكى ذلك ابن كثير في سياق خبر خروج الحارث وهزيمته فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فقتل منهم طائفة كثيرة، منهم الجهم بن صفوان، طعنه رجل في فيه فقتله، ويقال بل أُسِر فأوقف بين يدي سلم بن أحوز فأمر بقتله، فقال: إن لي أماناً من أبيك، فقال: ما كان له أن يُؤَمِّنك، ولو فعل ما أَمَّنْتك، ولو ملأت هذه الملاءة

---

(١) سرخس: بفتح أوله وسكون ثانيه: مدينة قديمة من نواحي خراسان، كبيرة واسعة بين نيسابور ومرو، ينسب إليه كثير من الفقهاء والمحدثين. انظر: معجم البلدان (٣/ ٢٣٥).

(٢) نهاوند: هي مدينة عظيمة قرب أصبهان ببلاد فارس بينها وبين همذان ثلاثة أيام، افتتحها المسلمون في خلافة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة ١٩هـ، وفيها آثار للفرس، وبها قبور جماعة من شهداء المسلمين. انظر: معجم البلدان (٥/ ٣٦١ ـ ٣٦٢).

(٣) انظر: الفرق بين الفرق ص٢١٢، والمرجئة والجهمية بخراسان، د. حسين عطوان ص٦٠، دار الجيل، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

(٤) الحارث بن سريج التميمي، خرج على هشام بن عبد الملك سنة ١١٦هـ فحاربه عصام بن عبد الله فهزمه عصام وهرب إلى بلاد الترك، ثم رجع بعد ذلك في إمارة نصر بن سيار على خراسان فقاتله نصر إلى أن قتل سنة ١٢٨هـ. انظر: البداية والنهاية (٩/ ٣٢٥)، (١٠/ ٢٨ ـ ٢٩)، والأعلام للزركلي (٢/ ١٥٤).

(٥) نصر بن سيار الكناني، والي خراسان، ولّاه عليها هشام بن عبد الملك، وبقي فيها إلى أن دخلها أبو مسلم الخراساني واستفحل أمره ونزل دار الإمارة، وطرد نصراً فهرب نصر إلى سرخس، وتوفي سنة ١٣١هـ. انظر: المنتظم (٧/ ٢٦٧)، والأعلام (٨/ ٢٣).

(٦) انظر: تاريخ الطبري (٤/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣) والكامل لابن الأثير (٥/ ١٧).

(٧) سلم بن أحوز المازني، كان على شرطة خراسان، وكان قائداً من قواد نصر بن سيار في حروبه مع الحارث بن سريج في أواخر دولة بني أمية، توفي في حدود سنة ١٣٢هـ. انظر: تاريخ الطبري (٤/ ٢٩٤)، والفرق بين الفرق ص٣٧، ٢١٢، والتبصير في الدين ص٢٦.

كواكب، وأنزلت عيسى ابن مريم ما نجوت، والله لو كنت في بطني لشققت بطني حتى أقتلك. وأمر به فقتل...»(١).

وقد بقيت بدعة الجهمية مقموعة مرذولة بعد مقتل الجهم بن صفوان إلى أن ظهرت بعد ذلك وانتشرت في حدود المائة الثالثة على يد بشر المريسي(٢) وطبقته(٣).

وقد كان جهم وأصحابه يذهبون إلى التعطيل، ونفي أسماء الله وصفاته، والقول بخلق القرآن، كما حكى ذلك عنهم غير واحد من أئمة السلف الذين عاصروا جهماً وأصحابه(٤)، يقول الإمام أحمد رحمه الله في بيان مقولة هؤلاء الجهمية: «يقولون: ليس كمثله شيء من الأشياء، وهو تحت الأرض السابعة، كما هو على العرش، لا يخلو منه مكان، ولا يكون في مكان دون مكان، ولم يتكلم ولا يتكلم، ولا ينظر إليه أحد في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يوصف ولا يعرف بصفة، ولا له غاية ولا له منتهى، ولا يدرك بعقل، وهو وجه كله، وهو علم كله، وهو سمع كله، وهو نور كله، وهو قدرة كله، ولا يكون فيه شيئان، ولا يوصف بوصفين مختلفين، وليس له أعلى ولا أسفل، ولا نواحي ولا جوانب، ولا يمين ولا شمال... فعند ذلك تبيّن للناس أنهم لا يثبتون شيئاً ولكنهم يدفعون عن أنفسهم الشنعة بما يقررون من العلانية...»(٥).

وقال أبو الحسين الملطي رحمه الله في بيان مقولتهم في ربهم: «يقولون: إن الله لا شيء وما من شيء، ولا في شيء، لا يقع عليه صفة شيء، ولا

(١) البداية والنهاية (١٠/ ٢٨)، وانظر: تاريخ الطبري (٤/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥)، والكامل لابن الأثير (٥/ ١٨).
(٢) تقدمت ترجمته. انظر: ص٤٩.
(٣) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٥/ ٢٢).
(٤) انظر: الردّ على الجهمية لعثمان بن سعيد ص١٦ وما بعدها، والردّ على الجهمية للإمام أحمد ص١٥ وما بعدها، والنقض على المرِّيسي لعثمان بن سعيد (١/ ١٣٧) والإبانة لابن بطة (الردّ على الجهمية (١/ ٢١٣).
(٥) الردّ على الجهمية للإمام أحمد ص١٧ ـ ١٨.

معرفة شيء، ولا توهم شيء، ولا يعرفون الله فيما زعموا إلا بالتخمين، فوقَّعوا عليه اسم الألوهية، ولا يصفونه بصفة يقع عليه الألوهية»[(١)].

فهذا هو مذهب جهم في أسماء الله وصفاته، وهو مذهب المتكلمين من أصحابه، بل ذهب الكثير منهم إلى نفي الوصفين المتقابلين اللذين لا يخلو موجود عن أحدهما.

وأما عبّاد الجهمية وعوامهم فقد قالوا بالحلول والاتحاد، فمذهبهم أنه بذاته في كل مكان. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن الحلول أغلب على عبّاد الجهمية وصوفيتهم وعامتهم، والنفي والتعطيل أغلب على نظارهم ومتكلميهم، كما قيل: متكلمة الجهمية لا يعبدون شيئاً، ومتصوفة الجهمية كل شيء»[(٢)].

وأما مذهبهم في الإيمان فقد ذهبوا إلى أن الإيمان هو المعرفة بالله فقط، والكفر هو الجهل به فقط، فمن أتى بالمعرفة ـ عنده ـ ثم جحد بلسانه لم يكفر بجحده؛ لأن العلم والمعرفة لا يزولان ـ عنده ـ بالجحد[(٣)].

قال أبو الحسن الأشعري في سياقه لأقوال الجهمية: «يزعمون أن الإيمان بالله هو المعرفة بالله وبرسله وبجميع ما جاء من عند الله فقط، وأن ما سوى المعرفة من الإقرار باللسان والخضوع بالقلب والمحبة لله ولرسوله والتعظيم لهما والخوف منهما والعمل بالجوارح فليس بإيمان، وزعموا أن الكفر بالله هو الجهل به...»[(٤)].

ولم يكتف جهم وأتباعه بذلك القول، بل ذهب إلى أن من آمن بقلبه ثم أعلن الشرك أو أظهر اليهودية أو النصرانية لم يخرجه ذلك من الإيمان بل هو مؤمن كامل الإيمان.

يقول ابن حزم في سياق بيان أقوال الجهمية وعقائدهم: «يقولون: إن

---

(١) التنبيه والردّ على أهل الأهواء والبدع لأبي الحسين الملطي ص١١٠.
(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢/ ٢٩٨).
(٣) انظر: الفرق بين الفرق ص٢١١، والملل والنحل (١/ ٩٩)، وشرح الطحاوية (٢/ ٧٩٦).
(٤) مقالات الإسلاميين ص١٣٢.

الإيمان عقد بالقلب وإن أعلن الكفر بلسانه بلا تقية، وعبد الأوثان، أو لزم اليهودية أو النصرانية في دار الإسلام، وعبد الصليب، وأعلن التثليث في دار الإسلام، ومات على ذلك، فهو مؤمن كامل الإيمان عند الله ﷻ، وليٌّ لله ﷻ ومن أهل الجنة»[(١)].

ولازِمُ هذا القول أن فرعون وقومه كانوا مؤمنين فإنهم عرفوا صدق موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام ولم يؤمنوا بهما. وكذلك اليهود فإنهم كانوا يعرفون النبي محمد ﷺ ولم يكونوا مؤمنين به وكذلك أبو طالب وأمثالهم[(٢)]، بل «إبليس يكون عند الجهم مؤمناً كامل الإيمان، فإنه لم يجهل ربه بل هو عارف به، ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝٣٦﴾ [الحجر: ٣٦]»[(٣)].

وللجهم وأتباعه أقوال أخرى يخالفون بها أهل الإسلام، فمن ذلك:

● قولهم بالجبر وأنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلّا لله وحده، والإنسان مجبور في أفعاله لا قدرة له ولا إرادة، وإنما تنسب إليه الأفعال مجازاً كما تنسب إلى الجمادات، كما يقال: أثمرت الشجرة، وتحرك الحجر، وطلعت الشمس[(٤)].

قال البغدادي في سياق مقولة جهم: «وقال: لا فعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى، وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز، كما يقال: زالت الشمس، ودارت الرحى...»[(٥)].

● قولهم بأن الجنة والنار تفنيان بعد دخول أهلهما فيهما، وأن حركات أهلهما تنقطع.

قال الشهرستاني في سياق مقولة جهم: «ومنها قوله: إن حركات أهل

---

(١) الفصل في الملل والنحل لابن حزم (٤/ ١٥٥).

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٧/ ٥٠٨ ـ ٥٠٩)، وشرح الطحاوية (٢/ ٣٦٠ ـ ٣٦١).

(٣) شرح الطحاوية (٢/ ٣٦١).

(٤) انظر: مقالات الإسلاميين ص٢٧٩، والفرق بين الفرق ص٢١١، والملل والنحل (١/ ٩٨).

(٥) انظر: الفرق بين الفرق ص٢١١.

الخلد تنقطع، والجنة والنار تفنيان بعد دخول أهلهما فيهما، وتلذذ أهل الجنة بنعيمها، وتألم أهل النار بجحيمها...»[١].

• قولهم بإنكار الميزان والصراط والشفاعة وعذاب القبر وغير ذلك من الأمور الغيبية التي دلّت عليها نصوص الكتاب والسُّنَّة، وقد أشار إلى ذلك الإمام أبو الحسن الملطي في معرض كلامه على عقائد الجهمية وأصنافهم، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومنهم صنف أنكروا الميزان، أنكروا أن يكون لله ميزان يزن فيه الخلق أعمالهم، وأنكروا الصراط أن يكون الله عَزَّ وَجَلَّ يجيز على الصراط أحداً، وأنكروا الكرام الكاتبين... وأنكروا الشفاعة أن يشفع رسول الله لأحد من أمته، وأن يخرج الناس من النار بعد ما دخلوها، وأنكروا عذاب القبر...»[٢].

هذه هي أهم أقوال الجهمية في مسائل العقيدة، ولا شك أنها بعيدة كل البعد عن نصوص الشرع، بل هي مخالفة للنصوص الواردة في الكتاب والسُّنَّة، ولذلك عدّ أئمة السلف الجهمية زنادقة كما قال أبو سعيد الدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالجهمية عندنا زنادقة من أخبث الزنادقة نرى أن يستتابوا من كفرهم...»[٣]. وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في موطن آخر: «وما يعرف في الإسلام زنادقة غير هؤلاء الجهمية، وأي زندقة بأظهر ممن ينتحل الإسلام في الظاهر، وفي الباطن يضاهي قوله في القرآن قول مشركي قريش...»[٤]، وقال رَحِمَهُ اللَّهُ بعد ذكره لأثر علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قتل الزنادقة: «فرأينا هؤلاء الجهمية أفحش زندقة، وأظهر كفراً، وأقبح تأويلاً لكتاب الله وردّ صفاته فيما بلغنا عن هؤلاء الزنادقة الذّين قتلهم علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وحرّقهم»[٥]، وقال عبد الله بن المبارك[٦] «الجهمية

---

(١) الملل والنحل (١/ ٩٩).
(٢) التنبيه والردّ على أهل الأهواء والبدع ص١١٣.
(٣) الردّ على الجهمية لأبي الحسين الدارمي ص١٨١.
(٤) المرجع السابق ص١٨٥.
(٥) المرجع السابق ص١٧٣.
(٦) تقدمت ترجمته. انظر: ص٥٧.

كفّار زنادقة»[١]. وقال عبد الوهاب الورّاق[٢]: «الجهمية كفّار زنادقة مشركون»[٣]، وقال يزيد بن هارون[٤] «هم والله زنادقة عليهم لعنة الله»[٥].

وقد ذكرهم أبو الحسين الملطي ضمن فرق الزنادقة فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «افترقت الزنادقة على خمس فرق...» وذكر من هذه الفرق الجهمية، فقال: «ومنهم الجهمية وهم ثماني فرق...»[٦] ثم ذكر أقوال هذه الفرق من غير أن يذكر لها أسماء.

قلت: وكلام السلف في رمي الجهمية بالزندقة وذكرهم ضمن الزنادقة كثير جداً[٧]، وقد تقدم ذكر بعض ذلك في الباب الأول[٨].

ومما تقدم تتضح عقيدة الجهمية والسبب الذي جعل الأئمة يدخلونهم ضمن فرق الزنادقة، وهي كما يلي:

١ ـ قولهم بالتعطيل ونفي أسماء الله وصفاته.

٢ ـ قولهم بالحلول والاتحاد.

٣ ـ قولهم إن الإيمان هو المعرفة بالله فقط، والكفر هو الجهل به فقط.

٤ ـ قولهم بالجبر وأنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلا لله وحده.

٥ ـ قولهم بفناء الجنة والنار.

٦ ـ قولهم بإنكار الميزان والصراط والشفاعة وعذاب القبر.

---

(١) الإبانة لابن بطة «الردّ على الجهمية» (٢/ ١٠١).

(٢) عبد الوهاب بن عبد الحكم بن نافع الوراق، أبو الحكم البغدادي، من رواة الحديث، كان ثقة صالحاً ورعاً، روى له الأربعة إلا ابن ماجه، توفي سنة ٢٥٠هـ. انظر: تهذيب التهذيب (٦/ ٤٤٨)، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٢٣)، وطبقات الحنابلة (١/ ٢٠٠ ـ ٢٠٢).

(٣) الإبانة لابن بطة «الرد على الجهمية» (٢/ ٨٣).

(٤) تقدمت ترجمته. انظر: ص٥٠.

(٥) الإبانة لابن بطة (٢/ ١٠٠).

(٦) التنبيه والردّ على أهل الأهواء والبدع ص١٠٦، ١١٠.

(٧) انظر: الصواعق المرسلة (٤/ ١٣٩٦ ـ ١٤١١).

(٨) انظر: ص٥٠، ٥١.

والخلاصة:

أن الجهمية فرقة من فرق الزنادقة الذين تستروا بإظهار الإسلام، وأرادوا إفساد عقائد المسلمين بما نشروه من الزندقة والإلحاد، إلا أن الأئمة ـ رحمهم الله ـ تفطنوا لقصدهم فحذروا منهم وبينوا كفرهم وزندقتهم ـ كما تقدم ـ وقد أشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في كلام له عن الجهم فقال: «كان الجهم يقول أولاً: «إن الله لا كلام له» ثم احتاج أن يطلق أن له كلاماً لأجل المسلمين فيقول: «هو المجاز» ولهذا كان الإمام أحمد وغيره من الأئمة ـ رحمهم الله ـ يعلمون مقصودهم، وأن غرضهم التعطيل، وأنهم زنادقة والزنديق منافق، ولهذا نجد مصنفات الأئمة يصفونهم فيها بالزندقة كما صنف الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ الرد على الزنادقة والجهمية...»[(١)].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣/ ٣٥٣).

المبحث الثالث

الراوندية

الراوندية هي إحدى فرق الزنادقة التي خرجت في أواخر دولة بني أمية[١]، وكان مهد دعوتهم قرية راوند[٢] إحدى قرى أصبهان[٣]، فنسبوا إليها[٤]. وقيل: بل نسبتهم إلى رجل يقال له أبو هريرة الراوندي[٥]، وقيل: إن نسبتهم إلى رجل آخر يقال له أبو القاسم بن راوند[٦]، وقيل غير ذلك[٧].

وقد انتشرت هذه الفرقة في بلاد خراسان وما جاورها، قال ابن جرير فيما نقله عن المدائني[٨]: «والراوندية قوم... كانوا من أهل خراسان»[٩].

وكان أول خروج هذه الفرقة في آخر دولة بني أمية في ولاية أسد بن

(١) انظر: تاريخ الطبري (٤/ ٥٢٩).

(٢) راوند: بفتح الواو ونون ساكنة: بليدة قرب قاشان بنواحي أصبهان. انظر: معجم البلدان (٣/ ٢٢).

(٣) أصبهان: مدينة عظيمة، سميت بأصبهان بن فلوج، وأصبهان اسم للإقليم بأسره، وقد فتحت سنة ٢٣هـ في خلافة عمر رضي الله عنه. انظر: معجم البلدان (٣/ ٢٤٤ ـ ٢٤٩).

(٤) انظر: معجم الفرق الإسلامية لشريف يحيى ص١٢٠، دار الأضواء، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

(٥) انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٧٩.

(٦) انظر: مفاتيح العلوم للخوارزمي ص٢٢.

(٧) انظر: معجم الفرق الإسلامية ص١٢٠، وفرق الشيعة ص٣٣ حاشية(٢).

(٨) علي بن محمد بن عبد الله المدائني، أبو الحسن المؤرخ المشهور، له ما يزيد على مائتي كتاب في المغازي والتاريخ، وقد أخذ الناس عنه التواريخ، سكن المدائن ثم انتقل إلى بغداد، ولد سنة ١٣٥هـ، وتوفي ببغداد سنة ٢٢٥هـ. انظر: الفهرست لابن النديم ص١٣٠ ـ ١٣٤، وتاريخ بغداد (٢/ ٢٥٤)، والأعلام (٤/ ٣٢٣).

(٩) تاريخ الطبري (٤/ ٣٩٥)، وانظر: البداية والنهاية (١٠/ ٧٨).

عبد الله القسري[١] على خراسان، فأظهروا الغلو، واستحلوا الحرمات، فحاربهم أسد بن عبد الله وقتلهم، وقد كان خروجهم تبعاً لرجل منهم يقال له الأبلق، وفي ذلك يقول ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن رجلاً من الراوندية كان يقال له الأبلق، وكان أبرص فتكلم بالغلو، ودعا بالراوندية إليه، فزعم أن الروح التي كانت في عيسى ابن مريم صارت في علي بن أبي طالب، ثم في الأئمة في واحد بعد واحد إلى إبراهيم بن محمد[٢]، وأنهم آلهة، واستحلوا الحرمات، فكان الرجل منهم يدعو الجماعة منهم إلى منزله فيطعمهم ويسقيهم ويحملهم على امرأته، فبلغ ذلك أسد بن عبد الله، فقتلهم وصلبهم...»[٣].

قلت: وهذا الخبر الذي ذكره ابن جرير يدل على أن الراوندية كانت موجودة قبل خروج الأبلق فيهم، وإنما نقلهم هذا الرجل إلى الغلو وتأليه الأئمة واستحلال المحرمات، ولذلك قال ابن جرير: «فتكلم بالغلو ودعا بالراوندية».

والظاهر ـ والله أعلم ـ أن الراوندية لم يكن عندهم مثل هذا الغلو الذي أدخلهم ضمن فرق الزنادقة قبل خروج ذلك الرجل، وإنما كانوا يقولون بالنص على إمامة العباس بن عبد المطلب وأبنائه من بعده كما قال أبو سعيد الحميري[٤]: «قالت الراوندية: إن أولى الناس بالإمامة بعد رسول الله ﷺ عمه

---

(١) أسد بن عبد الله القسري البجلي، أحد الأمراء الشجعان، ولاه أخوه خالد خراسان سنة ١٠٨هـ فكانت له مع الترك وقائع انتهت بهزيمتهم. توفي في بلخ سنة ١٢٠هـ. انظر: تاريخ الطبري (٤/ ١٨١)، والبداية والنهاية (٩/ ٣٣٧)، والأعلام (١/ ٢٩٨).

(٢) إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الهاشمي القرشي، المعروف بإبراهيم الإمام، زعيم الدعوة العباسية قبل ظهورها، كان يسكن الحميمة وكان الدعاة يكاتبونه من خراسان وغيرها، قبض عليه مروان بن محمد ثم قتله سنة ١٣١هـ. انظر: تاريخ الطبري (٤/ ٣٤٤ ـ ٣٤٥)، والكامل لابن الأثير (٥/ ٦٣)، والأعلام (١/ ٥٩).

(٣) تاريخ الطبري (٤/ ٥٢٩)، وانظر: تلبيس إبليس ص١٢٥.

(٤) نشوان بن سعيد الحميري، أبو سعيد، أحد علماء الزيدية باليمن، وفيه ميل إلى الاعتزال، استولى على بعض حصون اليمن حتى صار ملكاً من ملوكها، له عدة مؤلفات في فنون مختلفة. توفي سنة ٥٧٣هـ. انظر: الأعلام (٨/ ٢٠)، ومعجم البلدان (٣/ ٤٤٥)، ومقدمة كتاب الحور العين ص١٦ ـ ٢٤.

العباس بن عبد المطلب...»[١]، وقال ابن حزم في معرض حديثه عن الإمامة: «وقالت طائفة: لا تجوز الخلافة إلا في ولد العباس بن عبد المطلب، وهو قول الراوندية»[٢].

وهذه الفرقة ـ أي: الراوندية ـ ترجع في أصلها إلى فرقة الكيسانية[٣] من الرافضة، فهي إحدى فرق الكيسانية، كما أشار إلى ذلك أبو الحسن الأشعري بقوله: «الفرقة التاسعة من الرافضة وهي الثامنة من الكيسانية يزعمون أن الإمام بعد أبي هشام[٤] محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، قالوا: وذلك أن أبا هشام مات بأرض الشراة[٥] منصرفه من الشام، فأوصى هناك إلى محمد بن علي... وأوصى محمد بن علي إلى ابنه إبراهيم بن محمد، ثم أوصى إبراهيم بن محمد إلى أبي العباس، ثم أفضت الخلافة إلى أبي جعفر المنصور بوصية بعضهم إلى بعض، ثم رجع بعض هؤلاء عن هذا القول، وزعموا أن النبي ﷺ نصّ على العباس بن عبد المطلب ونصبه إماماً، ثم نص العباس على إمامة ابنه عبد الله، ونص عبد الله على إمامة ابنه علي بن عبد الله، ثم ساقوا الإمامة إلى أن انتهوا بها إلى أبي جعفر المنصور، وهؤلاء هم الراوندية»[٦].

---

(١) الحور العين ص١٥٣.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ٧٥).

(٣) الكيسانية: نسبة إلى كيسان مولى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وقيل: هو تلميذ محمد بن الحنفية، والكيسانية من فرق الرافضة، يعتقدون في كيسان اعتقاداً فوق حدِّه، من إحاطته بالعلوم كلها واقتباسه من الحسن والحسين رضي الله عنهما، ولهذه الفرقة فرق عدة. انظر: مقالات الإسلاميين ص١٨ ـ ٣٣، والملل والنحل (١/ ١٧٠)، ومعجم الفرق ص٢٠٢.

(٤) عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه الهاشمي، أبو هاشم، أحد زعماء العلويين في العصر الأموي، كان عالماً بكثير من المذاهب والمقالات، ثقة في رواية الحديث، وإليه تنسب فرقة الهاشمية. توفي مسموماً سنة ٩٩هـ. انظر: الكامل في التاريخ (٤/ ٣١٦)، وتهذيب التهذيب (٦/ ١٦)، وفرق الشيعة ص٣٠، والأعلام (٤/ ١١٦).

(٥) الشراة: صقع بالشام بين دمشق ومدينة الرسول ﷺ، ومن بعض نواحيه القرية المعروفة بالحميمة. انظر: معجم البلدان (٣/ ٣٧٦).

(٦) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ص٢١، وانظر: منهاج السُّنَّة (٣/ ٤٧٧).

وقد ذكر هذه الفرقة أيضاً ضمن فرق الكيسانية النوبختي[(١)(٢)] والرازي[(٣)(٤)] وغيرهما[(٥)].

وأما اعتقاداتهم فقد دخلت باب الزندقة عن طريق قولهم بالنص على الأئمة، ثم توصلوا بذلك إلى القول بألوهيتهم وعبدوهم من دون الله تعالى. وهذه الطريقة هي طريقة كثير من فرق الزنادقة، وخاصة تلك الفرق التي تنتمي إلى التشيع وتدخل عن طريق محبة الأئمة وآل بيت النبي ﷺ كالسبئية والباطنية وغيرهما.

فقد أظهرت هذه الفرقة في بداية أمرها القول بالنص على إمامة العباس رضي الله عنه، وأنه أولى الناس بالخلافة لقرابته من رسول الله ﷺ نسباً، فقالوا هو أولى بميراثه من غيره. واحتجوا بقوله تعالى: ﴿وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥]، وقد أشار إلى ذلك المسعودي بقوله عن الراوندية: «هم شيعة ولد العباس بن عبد المطلب من أهل خراسان وغيرهم قالوا إن رسول الله ﷺ قبض، وإن أحق الناس بالإمامة بعده العباس بن عبد المطلب لأنه عمه ووارثه وعصبته، لقول الله ﷻ: ﴿وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾، وإن الناس اغتصبوه حقه، وظلموه أمره، إلى أن رده الله إليهم.

وتبرؤوا من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وأجازوا بيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه بإجازته لها، وذلك لقوله: يابن أخي، هلمّ إلي أبايعك فلا يختلف عليك اثنان...»[(٦)].

وقد اختلفت الراوندية في مسألة النص على العباس رضي الله عنه، فمنهم من خص النص بالعباس رضي الله عنه دون غيره، ومنهم من قال إن النص عام للعباس وولده إلى أن تقوم الساعة.

---

(١) تقدمت ترجمته. انظر: ص١٠٢.
(٢) انظر: فرق الشيعة ص٣٣.
(٣) تقدمت ترجمته. انظر: ص٨٥.
(٤) انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٧٩.
(٥) انظر: التبصير في الدين ص٢٧، وانظر: اتجاهات الشعر العربي ص٣٦٢.
(٦) مروج الذهب (٣/ ٢٨٧).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال القاضي أبو يعلى[(١)] وغيره: واختلفت الراوندية؛ فذهب جماعة منهم إلى أن النبي ﷺ نص على العباس بعينه واسمه، وأعلن ذلك، وكشفه وصرّح به، وأن الأمة جحدت هذا النص، وارتدت وخالفت أمر النبي ﷺ عناداً. ومنهم من قال: إن النص على العباس وولده من بعده إلى أن تقوم الساعة؛ يعني: هو نص خفي. فهذان قولان للراوندية...»[(٢)].

فهذا هو قول الراوندية في الإمامة، غير أن الأمر لم يتوقف بهم عند هذا القول، بل بلغ بهم الغلو إلى الوقوع في الزندقة فقالوا بالحلول والتناسخ، وادعوا الألوهية لأئمتهم، واستحلوا المحرمات قال البغدادي: «والراوندية من الروافض... قالت بتناسخ روح الإلٰه في الأئمة بزعمهم»[(٣)] ولعل أول من أظهر ذلك فيهم هو الأبلق الراوندي في أواخر دولة بني أمية، وقد كان أبو مسلم الخراساني[(٤)] ـ صاحب دعوة بني هاشم ـ يقول بقولهم فيؤمن بتناسخ الأرواح، فلما قتل أبو مسلم الخرساني، أظهر الراوندية قولهم ذلك، وجاؤوا إلى أبي جعفر المنصور فادعوا أنه ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم فكانوا يقولون له: أنت أنت؛ يعني: أنت ربنا، وزعموا أن روح آدم حلت في عثمان بن نهيك[(٥)]، وأن الهيثم بن معاوية[(٦)] هو جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ[(٧)].

وهذا القول الذي أظهره الراوندية في خلافة المنصور هو امتداد لما

---

(١) تقدمت ترجمته. انظر: ص٥٣.

(٢) منهاج السُّنَّة (١/ ٥٠٠).

(٣) الفرق بين الفرق ص٢٧٢.

(٤) تقدمت ترجمته. انظر: ص١٣٧.

(٥) عثمان بن نهيك، قائد حرس أبي جعفر المنصور، قتل في وقعة الراوندية، رموه بين كتفيه، فمرض أياماً، ثم مات، وذلك سنة ١٤١هـ، وصلى عليه أبو جعفر المنصور. انظر: تاريخ الطبري (٤/ ٣٩٥)، والبداية والنهاية (١٠/ ٧٨).

(٦) الهيثم بن معاوية العتكي من أهل خراسان، ومن كبار رجال الدولة عند أبي جعفر المنصور، كان والياً على مكة والطائف زمن خروج الراوندية على المنصور، ثم ولي البصرة بعد ذلك وتوفي ببغداد فجأة سنة ١٥٦هـ. انظر: تاريخ الطبري (٤/ ٣٩٨)، والمنتظم لابن الجوزي (٨/ ١٩٢).

(٧) انظر: تاريخ الطبري (٤/ ٣٩٥)، والمنتظم (٨/ ٢٩)، والبداية والنهاية (١٠/ ٧٨).

أدخله عليهم الأبلق الراوندي من الغلو والزندقة، وقد أشار إلى ذلك ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ذكر قصة خروج الراوندية مع الأبلق وقولهم بالتناسخ بين روح عيسى ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأئمتهم، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلم يزل ذلك فيهم إلى اليوم، فعبدوا أبا جعفر المنصور وصعدوا الخضراء، فألقوا أنفسهم، كأنهم يطيرون، وخرج جماعتهم على الناس بالسلاح، فأقبلوا يصيحون بأبي جعفر: أنت أنت! فخرج إليهم بنفسه فقاتلهم فأقبلوا يقولون وهم يقاتلون: أنت أنت...»[(١)] ثم إنهم جاؤوا إلى قصر أبي جعفر المنصور وجعلوا يطوفون به، ويقولون هذا قصر ربنا إلى أن قاتلهم المنصور وقتلهم.

يقول ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قصة خروجهم على المنصور: «وأتوا قصر المنصور، فجعلوا يطوفون به، ويقولون: هذا قصر ربنا، فأرسل المنصور إلى رؤسائهم، فحبس منهم مائتين، فغضب أصحابهم وقالوا: علام حُبسوا! وأمر المنصور ألا يجتمعوا، فأعدّوا نعشاً وحملوا السرير ـ وليس في النعش أحد ـ ثم مرُّوا في المدينة، حتى صاروا على باب السجن، فرموا بالنعش، وشدوا على الناس ودخلوا السجن، فأخرجوا أصحابهم، وقصدوا نحو المنصور وهم يومئذ ستمائة رجل، فتنادى الناس، وغُلقت أبواب المدينة فلم يدخل أحد، فخرج المنصور من القصر ماشياً، ولم يكن في القصر دابة... ونودي في أهل السوق فرموهم وقاتلوهم حتى أثخنوهم، وفتح باب المدينة فدخل الناس...»[(٢)].

فهذه الحادثة التي حصلت لهم مع الخليفة المنصور تدل دلالة واضحة على غلوهم وزندقتهم. حيث جعلوه أحد أئمتهم السبعة الذين يعتقدون تناسخ روح الإلٰه فيهم ولذلك قالوا له: «أنت أنت» فاعتقدوا أن الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حل فيه ـ تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ـ. وهؤلاء الأئمة السبعة الذين يعتقد الراوندية التناسخ فيهم واحداً تلو الآخر هم: العباس، ثم ابنه عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا،

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٥٢٩).

(٢) تاريخ الطبري (٤/ ٣٩٥). وانظر: الكامل لابن الأثير (٥/ ١٢٩)، والبداية والنهاية (١٠/ ٧٨).

ثم ابنه علي بن عبد الله، ثم ابنه محمد بن علي، ثم أخوه إبراهيم بن علي، ثم السفاح، ثم المنصور، ولقولهم بالأئمة السبعة سموا «السبعية»[1]. قال ابن الجوزي في معرض كلامه على الراوندية: «وهؤلاء طائفة من الباطنية يسمون السبعية يقولون: الأرضون سبع، والسمٰوات سبع، والأسبوع سبعة، يدل على أن دور الأئمة يتم بسبعة، فعدوا العباس، ثم ابنه عبد الله، ثم ابنه علياً، ثم محمد بن علي، ثم إبراهيم، ثم السفاح ثم المنصور، فقالوا: هو السابع، وكانوا يطوفون حول قصر المنصور ويقولون: هذا قصر ربنا»[2].

ومما تقدم تتضح عقيدة الراوندية التي دخلوا بسببها ضمن فرق الزنادقة، وأنها تتلخص فيما يلي:

١ ـ قولهم بربوبية أبي جعفر المنصور، وعبادتهم له.

٢ ـ قولهم بتناسخ روح الإلٰه في أئمتهم السبعة.

٣ ـ قولهم بحلول أرواح بعض الأنبياء في أناس معينين كعثمان بن نهيك وغيره.

٤ ـ استحلالهم للمحرمات وقولهم بالإباحية.

والخلاصة:

أن الراوندية فرقة من فرق الزنادقة، وذلك لقولهم بالحلول، والتناسخ، والإباحية، وعبادتهم للخليفة المنصور، وغير ذلك من عقائدهم التي تدل على زندقتهم، وقد عدّهم بعض العلماء ضمن فرق زنادقة الباطنية كما تقدم في كلام ابن الجوزي.

---

(١) انظر: تلبيس إبليس ص١٢٥.

(٢) المنتظم لابن الجوزي (٨/ ٢٩ ـ ٣٠).

المبحث الرابع

الإسماعيلية

الإسماعيلية فرقة باطنية، ظاهرها التشيع لآل البيت، وحقيقتها هدم عقائد الإسلام، والدعوة إلى الزندقة والإلحاد(١).

وسميت الإسماعيلية بهذا الاسم نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق(٢)، وذلك لقولهم بإمامة إسماعيل بن جعفر بعد أبيه، وأن ذلك كان بنص من أبيه، ولما كان إسماعيل بن جعفر قد مات في حياة أبيه فقد أعملوا النص في ذريته، فقالوا بإمامة محمد بن إسماعيل(٣)(٤).

والإسماعيلية يتفقون مع الاثني عشرية في سياق الإمامة إلى جعفر الصادق، وإنما اختلفوا بعد ذلك في الإمام بعد جعفر الصادق، فالاثنا عشرية أثبتوا الإمامة لابنه موسى الكاظم(٥).

---

(١) انظر: فضائح الباطنية ص٣٧، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني (١/ ٨٣)، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص٤٥.

(٢) إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الطالبي القرشي، اختلف الشيعة في إمامته بعد أبيه، فأثبت ذلك الإسماعيلية وانتسبوا إليه، وتميزوا بذلك عن الاثني عشرية، مات في حياة أبيه سنة ١٤٣هـ. انظر: فرق الشيعة ص٦٧، والأعلام (١/ ٣١١).

(٣) محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق الطالبي القرشي، أول الأئمة المكتومين عند الإسماعيلية، ولد بالمدينة سنة ١٣١هـ، وتوفي ببغداد نحو سنة ١٩٨هـ. انظر: فرق الشيعة ص٦٨ ـ ٧٣، وتلبيس إبليس ص١٢٥، والأعلام (٦/ ٣٤).

(٤) انظر: فضائح الباطنية للغزالي ص١٦، وبيان مذهب الباطنية وبطلانه لمحمد بن الحسن الديلمي ص٢٣، مكتبة دار ابن قتيبة، ومذاهب الإسلاميين، د. عبد الرحمٰن بدوي ص٨٣١.

(٥) موسى بن جعفر الصادق بن محمد الطالبي القرشي، أبو الحسن، سابع الأئمة الاثني عشر، =

وأما الإسماعيلية فخالفوهم وأثبتوا الإمامة لابنه إسماعيل، وبذلك فارقت الإسماعيلية الاثني عشرية(١).

وقد اختلفت الإسماعيلية في موت إسماعيل بن جعفر في حياة أبيه هل وقع ذلك حقيقة أم كان ذلك من أبيه تقية، حيث أظهر موته خوفاً عليه من خلفاء بني العباس.

قال الشهرستاني: «الإسماعيلية الواقفة: قالوا إن الإمام بعد جعفر إسماعيل نصاً عليه باتفاق من أولاده، إلا أنهم اختلفوا في موته في حال حياة أبيه.

فمنهم من قال: لم يمت إلا أنه أظهر موته تقية من خلفاء بني العباس، وأنه عقد محضراً وأشهد عليه عامل المنصور بالمدينة.

ومنهم من قال: موته صحيح، والنص لا يرجع قهقرى، والفائدة في النص بقاء الإمامة في أولاده المنصوص عليه دون غيرهم، فالإمام بعد إسماعيل: محمد بن إسماعيل...»(٢).

وقد انضم إلى الإسماعيلية بعض أتباع أبي الخطاب بعد مقتل زعيمهم، ونقلوا معهم كثيراً من أقوال الخطابية وعقائدها المنحرفة كالقول بالباطن، وإسقاط العبادات، والإباحية، وغير ذلك من عقائدهم الباطلة.

قال النويري(٣): «إن أول من قام بالدعوة الإسماعيلية أبو شاكر

= عند الإمامية، والمعروف عندهم بالكاظم، كان كثير العبادة والمروءة، توفي ببغداد سنة ١٨٣هـ. انظر: تاريخ الطبري (٤/ ٦٤٧)، والبداية والنهاية (١٠/ ١٨٩ ـ ١٩٠)، وميزان الاعتدال (٣/ ٢٠٩)، والأعلام (٧/ ٣٢١).

(١) انظر: الملل والنحل (١/ ١٩٦)، وتاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة ص٥٢ ـ ٥٣، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٩٦م، ومذاهب الإسلاميين ص٨٣١.

(٢) الملل والنحل (١/ ١٩٦ ـ ١٩٧)، وانظر: الفرق بين الفرق ص٦٢ ـ ٦٣.

(٣) أحمد بن عبد الوهاب بن محمد التيمي القرشي، أبو العباس النويري، العالم المؤرخ الأديب، اتصل بالسلطان الناصر، ووكله السلطان في أمور الديوان، وكان حسن المنطق، ذكيّ الفطرة، ظريفاً. ولد سنة ٦٧٧هـ، وتوفي سنة ٧٣٣هـ. انظر: البداية والنهاية (١٤/ ١٧٢)، والدرر الكامنة (١/ ٢٠٩ ـ ٢١٠)، والأعلام (١/ ١٦٥).

ميمون[١]، وكان ممن صحب أبا الخطاب محمد بن أبي زينب مولى بني أسد، فألقوا إلى كل من اختصوا به أن لكل شيءٍ من العبادات باطناً، وأن الله تعالى ما أوجب على أوليائه صلاةً ولا زكاةً ولا صوماً ولا حجاً، ولا حرم عليهم شيئاً من المحرمات، وأباح لهم نكاح البنات والأخوات، وإنما هذه العبادات عذاب على الأمة، وأهل الظاهر، وهي ساقطة عن الخاصة، يقولون ذلك لمن يثقون به ويسكنون إليه»[٢].

وقد عدّ الإسماعيلية محمد بن إسماعيل أول الأئمة المكتومين أو المستورين، ولذلك يطلقون عليه «محمداً الكاتم» إذ الإمام عندهم يصح أن يكون مستوراً وتجب طاعته، ولا يمنع ذلك من إمامته، والأئمة المستورون ـ عندهم ـ يسيرون في البلاد سراً، ولكل إمام منهم حجة ودعاة ظاهرون، وقد تلا الإمام محمد بن إسماعيل عدد من الأئمة المستورين[٣] ـ كما يزعمون ـ، واستمر ذلك حتى ظهور أول أئمة الظهور وقيام دولتهم.

قال الشهرستاني في سياق كلام الإسماعيلية في أئمتهم: «قالوا: وبعد إسماعيل محمد ابن إسماعيل... ثم ابتدئ منه بالأئمة المستورين الذين كانوا يسيرون في البلاد سراً، ويظهرون الدعاة جهراً.

قالوا: ولن تخلو الأرض قط من إمام حي قائم، إما ظاهر مكشوف، وإما باطن مستور، فإذا كان ظاهراً جاز أن يكون حجته مستوراً، وإذا كان الإمام مستوراً فلا بد أن يكون حجته ودعاته ظاهرين»[٤].

ويعدّ الإسماعيلية أول أئمة الظهور عبيد الله المهدي، مؤسس الدولة العبيدية، الذي نقل الدعوة الإسماعيلية من دور الستر إلى دور الجهر، ودعا

(١) تقدمت ترجمته. انظر: ص١٢٠.

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري، تحقيق: د. محمد أمين ومحمد حلمي (٢٨/ ٦٦ ـ ٦٧)، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٤١٢هـ.

(٣) انظر: أخبار القرامطة، د. سهيل زكار ص٦١ ـ ٦٢.

(٤) الملل والنحل (١/ ٢٢٧).

الناس إلى الدخول في مذهبه[(١)]، بل سلك هو ودعاته بعض الأساليب العنيفة لإرغام الناس على الدخول في مذهبهم الباطل[(٢)].

والإسماعيلية لهم ألقاب كثيرة ذكرها العلماء، منها ما يتعلق ببعض معتقداتهم وأقوالهم، ومنها ما اشتهرت به بعض فرقهم، فمن ألقابهم: (الباطنية، والقرامطة، والمزدكية، والتعليمية، والملحدة، والإسماعيلية)، فهذه ستة ألقاب ذكرها الشهرستاني[(٣)].

وقد زاد الغزالي فذكر لهم عشرة ألقاب، فقال: «ألقابهم التي تداولها الألسنة على اختلاف الأعصار والأزمنة وهي عشرة ألقاب: الباطنية والقرامطة والقرمطية والخرمية والخرمدينية والإسماعيلية والسبعية والبابكية والمحمرة والتعليمية»[(٤)] وقد زاد على ذلك محمد بن الحسن الديلمي[(٥)] فأوصلها إلى خمسة عشر لقباً فذكر الألقاب التي ذكرها الغزالي وزاد عليها خمسة ألقاب وهي: المباركية والإباحية والزنادقة والمزدكية والملاحدة[(٦)].

وهذه الألقاب تختلف أيضاً باختلاف البلدان والأزمان، فقد يطلق عليهم بعض تلك الألقاب في بلد دون آخر وفي زمن دون زمان، كما قال

---

(١) انظر: تاريخ الدعوة الإسماعيلية لمصطفى غالب ص١٥٨ ـ ١٦٢، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الثانية، بدون تاريخ، والإسماعيلية بين الحقائق والأباطيل لهاشم عثمان ص١٩٤، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

(٢) ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره ابن الأثير من إرغام المهدي ودعاته لأهل رقادة والقيروان على الدخول في مذهب الإسماعيلية وقتل من لم يجب إلى ذلك، يقول ابن الأثير في الكامل في التاريخ (٦/ ٤٦١)، في قصة دخول المهدي رقادة قال: «وجلس بعد الجمعة رجل يعرف بالشريف ومعه الدعاة وأحضروا الناس بالعنف والشدة، ودعوهم إلى مذهبهم فمن أجاب أحسن إليه، ومن أبى حُبس، فلم يدخل في مذهبهم إلا بعض الناس وهم قليل، وقتل كثير ممن لم يوافقهم على قولهم».

(٣) انظر: الملل والنحل (١/ ٢٢٩). (٤) فضائح الباطنية ص١١.

(٥) محمد بن الحسن الديلمي، فقيه زيدي أصله من الديلم، انتقل إلى اليمن وأقام بصنعاء، وتوفي بوادي مرو في رجوعه إلى بلاده سنة ٧١١هـ. انظر: معجم المؤلفين (٩/ ١٩٠).

(٦) انظر: بيان مذهب الباطنية وبطلانه ص٢١.

الشهرستاني في معرض ذكر ألقابهم (فبالعراق يسمون الباطنية والقرامطة والمزدكية، وبخراسان: التعليمية، والملحدة...)[1].

والإسماعيلية يفتخرون بهذا الاسم دون غيره من ألقابهم، ويرون في ذلك تميزاً عن غيرهم من فرق الشيعة، كما قال الشهرستاني: «وهم يقولون نحن الإسماعيلية، لأنا تميزنا عن فرق الشيعة بهذا الاسم وهذا الشخص...»[2] ومرادهم بالشخص إسماعيل بن جعفر الذي ينتسبون إليه.

وقال الداعي علي بن الوليد الإسماعيلي[3] في معرض رده على الغزالي في تعداده لألقاب الإسماعيلية وفرقهم: «إن هذه الفرق التي حكاها ـ أي: الغزالي ـ... إنما يلزمنا منها اسم فرقة واحدة، وهي الإسماعيلية، وهم المعتزون إلى مولانا إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين التقي بن علي المرتضى، الوصي ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ فهذه التسمية لازمة لنا، وبها على سائر فرق الإسلام شرفنا، وفخرنا لاستقامتنا على طريقة الحق في اتباع أئمة الهدى...»[4].

والإسماعيلية وإن افتخروا بهذا الاسم الذي تميزوا به عن غيرهم من فرق الشيعة إلا أنهم ـ أيضاً ـ قد اعترفوا ببعض الألقاب التي لقبهم بها أصحاب المقالات والفرق، ومن ذلك لقب «الباطنية»، فقد قال الداعي الإسماعيلي علي بن الوليد في رده على الغزالي: «واسم الباطنية إن كان أوقعه علينا بقولنا: إن لكل ظاهر من الكتاب الكريم باطناً، هو معناه، فتلك عقيدتنا

---

(١) الملل والنحل (١/ ٢٢٩). (٢) المرجع السابق (١/ ٢٢٩).

(٣) علي بن محمد بن الوليد الأنف العبشي، أحد دعاة الإسماعيلية في اليمن، تقلد رئاسة الدعوة الإسماعيلية في اليمن بعد وفاة الداعي الحامدي، صنف عدة رسائل في نصرة مذهب الإسماعيلية، وكان يقيم في حراز، ولد سنة ٥٢٢هـ، وتوفي سنة ٦١٢هـ. انظر: دامغ الباطل وحتف المناضل (١/ ١٩ ـ ٢٢)، تحقيق: د. مصطفى غالب، مؤسسة عز الدين، بيروت، ١٤٠٣هـ، وأعلام الإسماعيلية لمصطفى غالب ص٤٠٨ ـ ٤١١، دار اليقظة، بيروت، ١٩٦٤م، ومذاهب الإسلاميين ص٩٥٦ ـ ٩٥٧.

(٤) دامغ الباطل وحتف المناضل للداعي المطلق علي بن الوليد (١/ ٦٣).

التي بها ندين الله، وعليها دل كتاب الله...»[١].

فرق الإسماعيلية:

كان أول انقسام حدث في فرقة الإسماعيلية هو انقسام القرامطة في بداية دور الظهور، حيث خلع القرامطة طاعة إمام الإسماعيلية عبيد الله المهدي[٢]، ولم يكتفوا بذلك بل هاجموا بلدة سلمية[٣]، معقل الإسماعيلية، وقتلوا الكثير من أولاده وأتباعه وسلبوا أموالهم، وأما إمامهم فقد فر هارباً خوفاً من بطش القرامطة الذين أدركوا خداع أئمة الإسماعيلية وكذبهم في انتسابهم إلى آل البيت ودعواهم أنهم من ذرية فاطمة رضي الله عنها.

وقد بقي القرامطة بعد ذلك فرقة مستقلة عن الإسماعيلية بعد أن كانوا دعاة لأئمة الإسماعيلية ـ كما سيأتي ـ[٤].

وقد تلا هذا الانقسام انقسام آخر حدث بعد قيام الدولة العبيدية في ولاية الحاكم بأمر الله العبيدي[٥]، حيث ظهرت في عصره دعوة صريحة إلى تأليهه وعبادته، وقد أُطلق على أتباع تلك الدعوة اسم «الدروز» نسبة إلى أحد دعاة هذه الفرقة وهو «محمد بن إسماعيل الدرزي»[٦] وبذلك أصبحت فرقة

---

(١) دامغ الباطل وحتف المناضل (١/ ٦٣).

(٢) انظر: إسلام بلا مذاهب، د. مصطفى الشكعة ص٢٢٨، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الخامسة، ١٣٩٦هـ.

(٣) سلمية: بلدة بالشام في ناحية البرية من أعمال حماة بينهما مسيرة يومين، وكانت تعد من أعمال حمص، وقد سكنها الإسماعيلية واتخذوها مقراً لهم. انظر: معجم البلدان (٣/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣).

(٤) انظر: ص٢٤٧.

(٥) الحاكم بأمر الله، منصور بن نزار بن معد العبيدي، من خلفاء الدولة العبيدية، ومن أعظم زنادقتها، كان شيطاناً رجيماً، ادعى الألوهية، وقتل العلماء، وفي سيرته عجائب ومتناقضات تدل على خبثه مكره، ولد سنة ٣٧٥هـ، وقتل سنة ٤١١هـ. انظر: البداية والنهاية (١٢/ ١٠ ـ ١١)، والأعلام (٧/ ٣٠٥).

(٦) ستأتي ترجمته عند الحديث عن فرقة الدروز. انظر: ص٢٧٩.

الدروز مستقلة عن بقية الإسماعيلية، واتخذت لها مبادئ وعقائد مخالفة في ظاهرها لمبادئ الإسماعيلية.

ولما كانت هاتان الفرقتان قد فارقتا فرقة الإسماعيلية، واتخذت كل واحدة منهما مبادئ وعقائد تختلف عن غيرها، فسيكون الحديث عن كل فرقة منهما على حدة، وذلك في المباحث الآتية بإذن الله تعالى(١).

وقد تلا ذلك أيضاً انقسام آخر في فرقة الإسماعيلية، وذلك بعد وفاة المستنصر بالله العبيدي(٢)، إذ إن دعاة الإسماعيلية اختلفوا في الإمام بعد المستنصر، مع أن المستنصر قد نص على إمامة أكبر أبنائه وهو نزار(٣)، إلا أن أحد وزرائه أنكر ذلك بعد وفاة المستنصر، وادعى إمامة أخيه الأصغر وهو المستعلي(٤)، واشتد النزاع بين الأخوين في الإمامة، وصار لكل واحد منهما أتباع، وجرت بينهما حروب عظيمة قتل فيها نزار مع بعض أتباعه، إلا أن بقية أتباعه استمروا في اعتقادهم بإمامة نزار وأولاده من بعده(٥).

---

(١) انظر: مبحث فرقة القرامطة ص٢٢٩، ومبحث فرقة الدروز ص٢٥٩.

(٢) المستنصر بالله معد بن علي العبيدي، من ملوك الدولة العبيدية بمصر، بويع له وهو طفل بعد موت أبيه، وتغلبت أمه على أمور الدولة، وكان كالمحجور عليه، ولد سنة ٤٢٠هـ، وتوفي سنة ٤٨٧هـ. انظر: تاريخ الخلفاء ص٤٥٠، والبداية والنهاية (١٢/ ١٥٨)، والأعلام (٧/ ٢٦٦).

(٣) نزار بن معد العبيدي، رأس فرقة النزارية من الإسماعيلية، ولد في القاهرة، وولي العهد بالإمامة إلا أنه بعد وفاة أبيه أبعد عن ذلك، وجعل الحكم لأخيه المستعلي، وجرت بينه وبين أخيه حروب إلى أن قبض عليه وقتل سنة ٤٩٠هـ. انظر: أعلام الإسماعيلية ص٥٨٣ ـ ٥٨٦، والبداية والنهاية (١٢/ ١٥٨)، والأعلام (٨/ ١٦).

(٤) المستعلي بالله، أحمد بن معد العبيدي، أحد ملوك بني عبيد بمصر، بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه، وجرت بينه وبين أخيه نزار حروب، وبقي في الخلافة سبع سنوات وتوفي سنة ٤٩٥هـ. انظر: تاريخ الخلفاء ص٤٥٠، والبداية والنهاية (١٢/ ١٧٣)، والأعلام (١/ ٢٥٩).

(٥) انظر: إسلام بلا مذاهب ص٢٢٥، والإسماعيلية لإحسان إلٰهي ص٧٣٥، إدارة ترجمان السُنَّة، لاهور، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، وأصول الإسماعيلية، د. سليمان السلومي (١/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠)، دار الفضيلة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

قال المقريزي رحمه الله في معرض حديثه عن المستعلي العبيدي: «وفي أيامه افترقت الإسماعيلية فصاروا فرقتين:

نزارية: تعتقد إمامة نزار وتطعن في إمامة المستعلي، وترى أن ولد نزار هم الأئمة من بعده يتوارثونها بالنص.

والفرقة المستعلوية[١]: ويرون صحة إمامة المستعلي ومن قام بعده من الخلفاء بمصر، وبسبب ذلك حدثت فتن...»[٢].

١ ـ الإسماعيلية المستعلية:

الإسماعيلية المستعلية هم أنصار المستعلي بن المنتصر العبيدي، وهم إسماعيلية مصر واليمن والهند، وهؤلاء الإسماعيلية هم الذين استمروا في إمامة الدولة العبيدية حتى سقوطها، فقد خلف المستعلي على الإمامة ابنه الآمر بأحكام الله[٣]، فتولى إمامة الدولة العبيدية وعمره خمس سنوات، غير أنه قتل بعد عدة سنوات على يد بعض أنصار الإسماعيلية النزارية سنة (٥٢٤هـ)، ولما كان لم ينجب ولداً عين عمه الحافظ عبد المجيد بن المستنصر[٤] إماماً مستودعاً، ولكن سرعان ما دعا إلى نفسه بالإمامة الكاملة، وقد خلفه على إمامة بلاد مصر عدد من الأئمة إلى أن انتهت الدولة العبيدية سنة (٥٦٧هـ)

---

(١) هكذا نسبها المقريزي والصواب في نسبتها (المستعليَّة).

(٢) اتعاظ الحنفاء للمقريزي، تحقيق: د. جمال الدين الشيال (٣/٢٧)، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤١٦هـ.

(٣) الآمر بأحكام الله، منصور بن أحمد المنصوري، أحد ملوك بني عبيد بمصر، بويع له بعد وفاة أخيه وعمره خمس سنوات، وبقي في الخلافة ٢٩ سنة، وكان ظالماً مرتكباً للمحرمات، قتله بعض الباطنية سنة ٥٢٤هـ. انظر: تاريخ الخلفاء ص٤٥٠، والبداية والنهاية (١٢/٢١٥)، والأعلام (٧/٢٩٧).

(٤) عبد المجيد بن محمد بن المستنصر بالله، الملقب بالحافظ، أحد ملوك بني عبيد بمصر، تولى الخلافة بعد موت الآمر بأحكام الله، وكان كثير الفتك بوزرائه، ولد سنة ٤٦٧هـ، وتوفي سنة ٥٤٤هـ. انظر: تاريخ الخلفاء ص٤٥١، وشذرات الذهب (٤/١٣٨)، والأعلام (٤/١٥٠).

على يد صلاح الدين الأيوبي[(١)] رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)].

وقد حصل انشقاق في فرقة المستعلية بعدما أعلن الحافظ عبد المجيد نفسه إماماً كاملاً، حيث لم يعترف الإسماعيلية المستعلية بإمامته، وادعوا أن الآمر بأحكام الله لما قتل كانت إحدى زوجاته حاملاً، وأنها وضعت ذكراً سمي بـ«الطيب»، فيكون هذا الطفل أحق بالإمامة من الحافظ عبد المجيد، وادعوا أن هذا الطفل قد أخفاه أحد الدعاة، وبعث به إلى اليمن حيث عاش في كفالة الملكة الحرة الصليحية[(٣)]، وبقي إماماً مستوراً ثم توالى بعد ذلك الأئمة المستورون من نسله، إلا أن أسماء هؤلاء الأئمة غير معروفة.

وقد أطلق على إسماعيلية اليمن لقب «الطيبية» نسبة إلى ما ادعوه من أمر هذا الغلام الذي أطلقوا عليه اسم «الطيب» وادعوا أنه ابن للآمر بأحكام الله الذي قتله النزارية[(٤)].

ثم إن هذه الدعوة الإسماعيلية الطيبية انتقلت من بلاد اليمن إلى بلاد الهند عن طريق بعض التجار، حيث دخل في هذه الدعوة أعداد كثيرة من الهندوس، وعرف أتباع تلك الدعوة في بلاد الهند باسم «البهرة» وهي كلمة هندية بمعنى التاجر، وذلك لأن انتشار تلك الدعوة كان عن طريق تجار

---

(١) يوسف بن أيوب بن شاذي الدويني الأصل، أبو المظفر صلاح الدين الأيوبي السلطان الملك الناصر، كان ذا عبادة وتقوى محباً للعلم والعلماء، وكان شديد الهيبة عالي الهمة، لا تأخذه في الله لومة لائم، جواداً شجاعاً، قضى على دولة العبيدين، وانتصر على الأفرنج وافتتح القدس ودانت له البلاد. توفي بقلعة دمشق سنة ٥٨٩هـ. انظر: وفيات الأعيان (٧/ ١٣٩)، والسير (٢١/ ٢٧٨)، وطبقات الشافعية الكبرى (٤/ ٢١٧ ـ ٢٣٧)، وشذرات الذهب (٤/ ٢٩٨).

(٢) انظر: الإسماعيلية لإحسان ص٧٣٥، وأصول الإسماعيلية (١/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠).

(٣) أروى بنت أحمد بن جعفر الصليحي، المعروفة بالملكة الحرة، قامت بتدبير مملكة الإسماعيلية في اليمن، وكان يدعى لها على المنابر، وتعد من زعماء الإسماعيلية باليمن، ومن أواخر ملوك الصليحيين، توفيت سنة ٥٣٢هـ. انظر: أعلام الإسماعيلية ص١٤٣، والأعلام (١/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠).

(٤) انظر: مذاهب الإسلاميين ص١٠٩٦ ـ ١١٠١، وأصول الإسماعيلية (١/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧).

إسماعيلية اليمن[١].

وفي القرن العاشر انقسمت فرقة البهرة إلى فرقتين:

ـ **فرقة البهرة الداودية**: نسبة إلى «قطب شاه داود»[٢] الداعي المطلق وهؤلاء هم إسماعيلية الهند وباكستان، ومركزهم إلى اليوم بمدينة بومباي ببلاد الهند.

ـ **فرقة البهرة السليمانية**: نسبة إلى «سليمان بن حسن»[٣] الذي لم يرض أتباعه بالاعتراف بـ«داود» داعياً مطلقاً، واختاروا «سليمان» داعياً مطلقاً لهم، وهؤلاء هم إسماعيلية اليمن، ومركزهم إلى اليوم ببلاد اليمن[٤].

٢ ـ الإسماعيلية النزارية:

الإسماعيلية النزارية هم أنصار نزار بن المستنصر العبيدي، وهم إسماعيلية الشام وفارس وبلاد المشرق، وقد نشأت هذه الفرقة ـ كما تقدم ـ بعد موت المستنصر، ويرجع تأسيس فرقة النزارية إلى «الحسن بن الصباح»[٥] أحد دعاة الإسماعيلية، والذي كان قد زار الإمام المستنصر وسأله عن الإمام بعده، فأشار إلى ابنه نزار، فلما توفي المستنصر وحُرم نزار من الإمامة وجُعلت للمستعلي، لم يعترف ابن صباح بهذا الإمام، وإنما أخذ بوصية

---

(١) انظر: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، د. محمد الخطيب ص٧٢، مكتبة الأقصى، الأردن، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ، والموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب ص٤٨.

(٢) لم أجد له ترجمة.

(٣) سليمان بن الحسن اليمني، رئيس الإسماعيلية البهرة وعالمهم ببلاد اليمن، كان مقيماً في مدينة تعز، وكان يتحدث بالمغيبات والمستقبلات فقبض عليه السلطان عامر بن عبد الوهاب وسجنه، وأمر بإحضار كتبه وإتلافها وذلك سنة ٩٠٢هـ. انظر: شذرات الذهب (٨/ ١٢ ـ ١٣)، والأعلام (٣/ ١٢٣).

(٤) انظر: الإسماعيلية لإحسان ص٧٣٦، والحركات الباطنية ص٧٢، وغلاة الشيعة ص٢٢٨ ـ ٢٢٩.

(٥) تقدمت ترجمته. انظر: ص١٧٣.

المستنصر، فنادى بإمامة نزار بن المستنصر، وانتصر له في بلاد فارس حتى كثر أتباعه، وادعى أنه نائب عن هذا الإمام الذي يدعو إليه.

وقد استطاع ابن الصباح الاستيلاء على قلعة «آلموت»(١) ببلاد فارس وتأسيس دولة إسماعيلية نزارية شرقية في أماكن حصينة، حيث استولى بعد ذلك على كثير من القلاع والحصون، مما جعل تلك الدولة تبقى بعد وفاة ابن الصباح قريباً من قرنين من الزمان، ولم تسقط تلك الدولة حتى جاء هولاكو(٢) على رأس جيوش المغول فاجتاح قلاع وحصون النزارية وعلى رأسها قلعة «آلموت» وذلك سنة (٦٥٤هـ)(٣).

وبذلك انتهت دولة النزارية في بلاد فارس، وتفرق أتباع تلك الدولة الإسماعيلية، وتشتت شملهم، وهاجر كثير منهم إلى بلاد الهند، ودخلت فرقة الإسماعيلية النزارية في دور الستر حيث ظلوا فترة طويلة لم يسمع لهم صوت، حتى ظهرت هذه الفرقة مرة ثانية في أوائل القرن الثالث عشر تحت مسمى «الأغاخانية»، وذلك عندما ظهر في إيران أحد أئمة الإسماعيلية وهو «حسن شاه»(٤) وأعلن الثورة على حكومة إيران بالتعاون مع الإنجليز، فجمع حوله

---

(١) قلعة آلموت: قلعة على جبل شاهق من حدود الديلم، كانت لجشم بن مالك الديلمي، فاستولى عليها الحسن بن الصباح الإسماعيلي سنة ٤٨٣هـ وأقام بها دولته، وقد بقيت تلك الدولة حتى أسقطها التتار سنة ٦٥٤هـ. انظر: الكامل (٧/ ٣١٦)، والبداية والنهاية (١٢/ ١٧٠).

(٢) هولاكو خان بن تولي خان بن جنكيز خان، ملك التتار، كان ملكاً جباراً فاجراً، قتل من المسلمين ما لا يعلم عددهم إلا الله، وكان لا يتقيد بدين من الأديان، أهلكه الله سنة ٦٦٤هـ. انظر: البداية والنهاية (١٣/ ٢٦٢).

(٣) انظر: مذاهب الإسلاميين ص١١٠٥ ـ ١١٣٠، وأصول الإسماعيلية (١/ ٢٩٨).

(٤) حسن علي شاه الإيراني، النزاري الإسماعيلي، ثار في إيران، وجمع حوله الإسماعيلية، ثم قبض عليه ونفى إلى أفغانستان، ثم انتقل إلى الهند، واتخذ مدينة بومباي مقراً لدعوته الإسماعيلية، خلع عليه الإنجليز لقب (آغاخان) ومنحوه السلطة المطلقة على الإسماعيلية النزارية، وتوفي سنة ١٢٩٨هـ ودفن في مدينة مجكاؤن. انظر: أعلام الإسماعيلية ص٢١٤ ـ ٢١٩، والموسوعة الميسرة ص٤٩، وغلاة الشيعة ص٢٣٩ ـ ٢٤٠.

أعداداً كثيرة من الإسماعيلية، وذاع صيته، وقويت شوكته، إلا أنه لم يلبث أن قبض عليه ونفي إلى أفغانستان ومنها إلى الهند، فأسس دعوته هناك، وخلع عليه الإنجليز لقب «أغاخان»(١).

وبذلك ظهرت فرقة النزارية من دور الستر إلى دور الظهور مرة ثانية، وتتابع أبناء هذا الإمام الإسماعيلي على إمامة هذه الفرقة ببلاد الهند، وعرف أتباعهم بـ«الأغاخانية»، ولا يزال أئمة هذه الفرقة على صلة وثيقة بالإنجليز الذين خلعوا عليهم هذا اللقب، ومكنوا لهم من نشر أفكارهم والدعاية لمذهبهم الباطل(٢).

أهم عقائد الإسماعيلية:

ارتبطت عقائد الإسماعيلية ارتباطاً وثيقاً بما يدّعونه من علم الباطن، وأن للشريعة ظاهراً وباطناً، وعلى ذلك بنى هؤلاء الزنادقة عقائدهم، ولذلك قال الغزالي في إجماله لمذهبهم وعقيدتهم: «إنه مذهب ظاهره الرفض، وباطنه الكفر المحض»(٣).

فهم يظهرون الرفض ومحبة آل البيت وحقيقة مذهبهم «تعطيل الصانع، وإبطال النبوة والعبادات، وإنكار البعث، ولكنهم لا يظهرون هذا في أول أمرهم، بل يزعمون أن الله حق، وأن محمداً رسول الله، والدين صحيح لكنهم يقولون: لذلك سر غير ظاهر»(٤)، وفيما يلي بيان لأهم عقائد الإسماعيلية بشيء من التفصيل:

---

(١) لفظ «أغا» يعني في اللغة الفارسية «السيد» ولفظ «خان» يعني «الرئيس والزعيم» فلقب «أغاخان» يعني في الفارسية «السيد الزعيم والرئيس»، أو «سيد السادات». انظر: أعلام الإسماعيلية ص٢١٤ حاشية ٣٣، والإسماعيلية المعاصرة لمحمد الجوير ص٤٨، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

(٢) انظر: تاريخ الدعوة الإسماعيلية ص٣٢١ ـ ٣٢٤، وإسلام بلا مذاهب ص٢٤١، وغلاة الشيعة ص٢٣٩ ـ ٢٤٣، والحركات الباطنية ص٧٩ ـ ٨٠.

(٣) فضائح الباطنية ص٣٧.

(٤) تلبيس إبليس ص١٢٤.

١ ـ عقيدتهم في الألوهية:

يرى الإسماعيلية أن التوحيد لا يكون إلا بنفي الصفات عن الله ﷻ، وتجريده عن جميع الأوصاف حتى لا يشتبه بالموجودات ويشترك معها في الصفات، فقالوا في وصفهم لله: «لا يقال عليه حياً، ولا قادراً، ولا عالماً، ولا عاقلاً، ولا كاملاً، ولا تاماً، ولا فاعلاً[١] لأنه مبدع الحي القادر»[٢]، وكذلك فعلوا في بقية صفات الله تعالى، وكذلك أسماء الله تعالى، فجردوا الرب ﷻ من جميع أسمائه وصفاته زعماً منهم أن الأسماء والصفات لا تليق بالله تعالى.

يقول الداعي إبراهيم الحامدي[٣] فيما نقله عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال في وصفه لله: «لا تجاسره الخواطر، ولا تحويه المشاعر، ولا تدركه البصائر، المنزه عن الأسماء والصفات، البريء عن الأشباه في جميع المحالات، والمتعالي عن مشاكلة أهل الأرضين والسمٰوات»[٤].

فالإسماعيلية يرون إثبات الصفات لله تعالى غير جائز لأن ذلك يؤدي ـ عندهم ـ إلى الشرك بالله بتشبيهه بالموجودات، ولم يكتفوا بذلك حتى نفوا عن الله تعالى النقيضين جميعاً فقالوا: «لا يوصف بوجود ولا عدم فإن العدم نفي والوجود تشبيه، ولا هو موجود ولا هو معدوم، ولا هو معلوم ولا هو مجهول»[٥].

يقول الداعي علي بن الوليد: «القول بالموجب نفي الصفات عن الباري

---

(١) هكذا في الأصل وصوابها جميعا هو الرفع.

(٢) كنز الولد للداعي إبراهيم الحامدي ص١٣، بتحقيق: مصطفى غالب، دار صادر، بيروت، ١٣٩١هـ.

(٣) إبراهيم بن الحسين الهمداني الحامدي من دعاة الإسماعيلية وعلمائهم في اليمن، وهو من سلالة المستعلي العبيدي، جعل مقره صنعاء، ونشر دعاته في اليمن والهند، وتوفي بهمدان من بلاد اليمن سنة ٥٥٢هـ، وقيل: سنة ٥٥٧هـ. انظر: أعلام الإسماعيلية ص٨٧، والأعلام (٣٦/١)، ومذاهب الإسلاميين ص٩٥٨.

(٤) كنز الولد ص١، وانظر: الإسماعيلية لإحسان ص٢٨٠.

(٥) فضائح الباطنية ص٣٩.

تعالى، توحيد اعتقاده على من له أدنى مسكة من عقل فرض؛ لأن صفة الوجود يعم الموجودات على تباينها، والعدم نفي لها عن كيانها، فإن وُصف باري البرايا تعالى بما هو صفة ما أوجده من الموجودات كان ذلك شركاً بيناً، وإن نعت بالعدم كان ذلك تعطيلاً متعيناً، فكلا القولين عنه منتفٍ لما يوحيانه من الشرك والتعطيل، ويقضيان لقائل ذلك في باري البرايا بالإلحاد والتضليل، والنافي إذا بالحقيقة من أوقع صفات عبيده عليه، لأنه وجه نفي الإلـٰهية بإيجاب المشاركة بينه وبين بريته إليه...»[1].

وقد حمل الإسماعيلية جميع الأسماء والصفات على ما يسمى ـ عندهم ـ بـ«العقل الأول» وهو أول مبدع أبدعه الله ـ حسب نظريتهم في الإبداع ـ التي تأثروا فيها تأثراً ظاهراً بنظرية الفيض الأفلاطونية الفلسفية[2].

يقول الكرماني[3] في وصفه للعقل الأول: «إن الإبداع، الذي هو المبدع الأول، لما كان حياً بذاته وقادراً بذاته وعالماً بذاته، وكاملاً وإزالياً وعقلاً وعاقلاً...»[4].

فالإسماعيلية جردوا الرب ﷻ من جميع أسمائه وصفاته، وأضافوها إلى «العقل الأول»، حتى صارت جميع الأسماء والصفات إذا أطلقت ـ عندهم ـ إنما تنصرف إلى هذا العقل دون الرب ﷻ، حتى أطلقوا عليه أخص أسماء الإلـٰه وهو اسم «الله» الذي لا يمكن أن ينصرف إلا إلى الرب ـ تعالى ـ كما

---

(١) دامغ الباطل وحتف المناضل (١/ ١٣٤ ـ ١٣٥).

(٢) انظر: مذاهب الإسلاميين ص٩٧٦، والحركات الباطنية ص٨٦.

(٣) حميد الدين أحمد بن عبد الله الكرماني، الملقب بـ«حجة العراقين» أحد دعاة الإسماعيلية ببلاد العراق، يعد من علماء الإسماعيلية الذين صاغوا دعوتها في قالب الفلسفة، يقال: إنه كان أحد «إخوان الصفا» أصحاب الرسائل، استدعي إلى القاهرة سنة ٤٠٨هـ لحل بعض الخلافات الإسماعيلية، وتوفي ما بين ٤٠٨ ـ ٤١٢هـ. انظر: أعلام الإسماعيلية ص٩٩ ـ ١٠٢، والإسماعيلية لإحسان ص٧١٠ ـ ٧١٤، ومذاهب الإسلاميين ص٩٤١ ـ ٩٤٥.

(٤) راحة العقل للداعي أحمد الكرماني تحقيق: مصطفى غالب ص٢٠٧، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م، وانظر: مذاهب الإسلاميين ص٩٩٣.

قال الداعي علي بن الوليد: «إن الله في قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ...﴾ [آل عمران: ١٨] اسم واقع على العقل الأول السابق في عالم الإبداع...»(١).

ويزعم الإسماعيلية أن العقل الأول هو الذي رمز إليه بـ«القلم» في قوله تعالى: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾ [القلم: ١]، والعقل الأول هو الذي أبدع ما يسمى ـ عندهم ـ بـ«النفس الكلية»، وهي التي رمز إليها في القرآن بـ«اللوح المحفوظ»، ويطلق الإسماعيلية على العقل الأول اسم «السابق» وعلى النفس الكلية اسم «التالي»، وبواسطة العقل والنفس ـ عندهم ـ وجدت جميع المبدعات الروحانية والمخلوقات الجسمانية، من جماد وحيوان ونبات وإنسان، وما في السمٰوات من نجوم وكواكب(٢).

فالإسماعيلية ينفون خلق الكائنات كلها عن الرب ﷻ ويجعلون ذلك كله عن طريق العقل الأول والنفس الكلية، فالرب ـ عندهم ـ ليس هو خالق الكون ولا مدبره، كما أنه ـ عندهم ـ معطل من جميع الأسماء والصفات.

٢ ـ عقيدتهم في النبوة:

ارتبطت النبوة عند الإسماعيلية بـ«العقل الأول» الذي هو ـ عندهم ـ الخالق المدبر لهذا الكون، ولذا فقد زعموا أن العقل هو الذي أرسل الوحي إلى الأنبياء، وأن ذلك صدر عنه عن طريق الفيض بعد اتصاف الشخص الذي سيكون نبياً ببعض الصفات من صفاء النفس وكريم الأخلاق وغير ذلك من الصفات الفاضلة(٣).

فالنبي ـ عندهم ـ «عبارة عن شخص فاضت عليه من السابق ـ بواسطة

---

(١) رسالة المبدأ والمعاد ص١١٣ نقلاً عن أصول الإسماعيلية (٢/ ٥٢٢).

(٢) انظر: أصول الإسماعيلية (٢/ ٥١٨).

(٣) انظر: تاج العقائد ومعدن الفوائد لعلي بن الوليد، تحقيق: د. عارف تامر ص٤٧، مؤسسة عز الدين، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ، وأصول الإسماعيلية (٢/ ٥٧٧)، والحركات الباطنية ص٩٦.

التالي ـ قوة قدسية صافية»[١].

ويزعم الإسماعيلية أن النبوة لا تحدث كاملة مرة واحدة، وإنما تحدث تلك القوة القدسية الفائضة على النبي شيئاً فشيئاً حتى تستكمل حلولها وكمالها.

يقول السجستاني[٢] في ذلك: «النبوة لا تحدث بغتة في قلب النبي، بل جزءاً وعملاً بعد عمل، وزيادة بعد نقصان، ونقصاناً بعد زيادة إلى أن يكمل كونها فتظهر مصورة محلاة، فلا تزال في ارتفاع إلى أن تبلغ منتهاه في الرفعة»[٣].

ولا بد للنبي عند الإسماعيلية قبل أن يصل إلى مرتبة النبي المرسل أن يمر بمرتبة الولي، فيجمع بين الصفات الثلاث: الولاية والنبوة والرسالة[٤].

ويعتقد الإسماعيلية أن للنبوة أدواراً سبعة لا بد أنها مرت بها، وكل دور منها يمثله نبي من الأنبياء أطلقوا عليه اسم «الناطق»، وكل ناطق ـ عندهم ـ له أساس، يسمى «الصامت» وبين كل دور وآخر سبعة أئمة كل منهم يسمى «صامتاً»، وهذه الأدوار السبعة تبتدئ بدور آدم عليه السلام، وتنتهي بدور الناطق السابع محمد بن إسماعيل.

يقول الداعي السجستاني: «إن أدوار النطقاء سبعة، وتبدأ من آدم صاحب الدور الأول، وتنتهي بالقائم صاحب الدور السابع... فآدم هو الناطق الأول للدور الأول وأساسه الصامت شيث وبعده ستة أئمة، وبعده نوح

---

(١) فضائح الباطنية ص٤٠.

(٢) إسحاق بن أحمد السجستاني أو السجزي من دعاة الإسماعيلية المشهورين، كان يلقب بدندان، أصله من اليمن، وقد نشر الدعوة الإسماعيلية ببلاد سجستان وما وراء النهر، ولد سنة ٢٧١هـ، وقتل بتركستان سنة ٣٣١هـ، وقيل بعد ذلك. انظر: أعلام الإسماعيلية ١٥٤ ـ ١٥٦هـ، والأعلام (١/ ٢٩٣)، والإسماعيلية لإحسان ص٧١٩.

(٣) إثبات النبوات للداعي السجستاني، تحقيق: عارف تامر ص١١١، دار المشرق، بيروت، الطبعة الثانية، بدون تاريخ، وانظر: الإسماعيلية لإحسان ص٣٢٥.

(٤) انظر: أصول الإسماعيلية (٢/ ٥٨٧).

صاحب الدور الثاني وأساسه الصامت سام وبعده ستة أئمة، وبعده إبراهيم صاحب الدور الثالث وأساسه الصامت إسماعيل وبعده ستة أئمة، وبعده موسى صاحب الدور الرابع وأساسه الصامت هارون وبعده ستة أئمة، وبعده عيسى صاحب الدور الخامس وأساسه شمعون الصفا ومن بعده ستة أئمة، ومن بعده محمد صاحب الدور السادس وأساسه علي ومن بعده أئمة كثيرون حتى القائم الذي هو صاحب الدور السابع وصاحب الكشف والظهور»[(١)].

وعلى هذا فالإسماعيلية يعتقدون صراحة بنبوة محمد بن إسماعيل صاحب الدور السابع ـ عندهم ـ ويرون أنه ناسخ لشريعة محمد ﷺ، كما أن محمداً ﷺ ناسخ لشريعة من قبله من الأنبياء، وقد ورد ذلك صريحاً في قول الداعي السجستاني: «أن القائم هو نهاية الكل من الرسل، وهو يجمع النواميس المختلفة المتفرقة المتباينة بالكشف عن حقائقها فتصير مجموعة كأنها شريعة واحدة وكأن أممها أمة واحدة»[(٢)].

فالإسماعيلية إذاً لا يرون ختم النبوة بنبينا محمد ﷺ، ولذلك قالوا بنبوة قائمهم محمد بن إسماعيل بل وجعلوه من أولي العزم ـ عندهم ـ الذين تتمثل فيهم الأدوار السبعة كما يزعمون.

وللإسماعيلية أقوال كثيرة وفلسفة باطنية عجيبة في مسألة النبوة تدل على زندقتهم وإنكارهم للنبوة الشرعية التي جاءت بها نصوص الكتاب والسُّنَّة، ولذا فقد أدرك العلماء حقيقة مقولتهم حينما وصفوهم «بإنكار الشريعة وجحد النبوات» كما قال محمد بن الحسن الديلمي: «مما يدل على كفرهم اعتقادهم في الأنبياء والرسل على غير وجه الشرع، وذلك لأنهم يجحدون النبوات وينكرون المعجزات...»[(٣)].

---

(١) إثبات النبوات للسجستاني ص١٩٢ ـ ١٩٣، وانظر: أصول الإسماعيلية (٢/ ٥٨٧).
(٢) إثبات النبوات للسجستاني ص١٦٧.
(٣) بيان مذهب الباطنية وبطلانه ص٧٤، وانظر: الفرق بين الفرق ص٢٩٤.

٣ ـ معتقداتهم في الإمامة:

تعد الإمامة عند الإسماعيلية من الأصول الهامة التي بنوا عليها مذهبهم، بل هي ـ عندهم ـ المحور الأساس لجميع أركان الدين إذ الإيمان ـ عندهم ـ لا يصح إلا بولاية أئمتهم المنصوص عليهم عندهم من ذرية علي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله ﷺ، يقول الداعي علي بن الوليد في معرض حديثه عن الإمامة هي «فرض من الله سبحانه، أكمل به الدين، فلا يتم الدين إلا به، ولا يصح الإيمان بالله وبالرسول إلا بالإيمان بالإمام والحجة، ويدل على فرض الإمامة إجماع الأمة على أن الدين والشريعة لا يقومان ولا يصانان إلا بالإمام...»[(١)].

فولاية الأئمة ـ عندهم ـ هي أهم دعائم الإسلام وأركان الدين التي بني عليها كما نقلوا ذلك عن محمد الباقر[(٢)] أنه قال: «بني الإسلام على سبع دعائم: الولاية، وهي أفضلها، وبها وبالولي يوصل إلى معرفتها، والطهارة والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والجهاد»[(٣)].

ويعتقد الإسماعيلية وجوب طاعة أئمتهم وأن طاعتهم وولايتهم شرط في قبول الأعمال كما قال الداعي النعمان[(٤)]: «وكذلك يلزم من أقر بالله ورسوله ولم يعترف بإمامة أولياء الله وأوصياء رسوله ولو عبد الله على ذلك أيام حياته

---

(١) تاج العقائد ومعدن الفوائد ص٦٥ ـ ٦٦.

(٢) محمد بن علي زين العابدين بن الحسين الطالبي القرشي، أبو جعفر الباقر، خامس الأئمة الاثني عشرية عند الإمامية، تابعي جليل كبير القدر، وهو أحد أعلام هذه الأمة علماً وعملاً وشرفاً، ولد سنة ٥٧هـ، وتوفي سنة ١١٤هـ. انظر: الجرح والتعديل (٨/ ٢٦)، والسير (٤/ ٤٠١ ـ ٤٠٩)، والبداية والنهاية (٩/ ٣٢١)، والأعلام (٦/ ٢٧٠).

(٣) دعائم الإسلام للقاضي النعمان بتحقيق: آصف علي فيضي (١/ ٢)، المنارة للطباعة، بيروت.

(٤) النعمان بن محمد بن حيون التميمي، أبو حنيفة المغربي، أحد أركان الدعوة العبيدية بمصر، كان واسع العلم بالفقه والأدب والتاريخ، قيل: إنه كان مالكياً فتحول إلى مذهب الإسماعيلية وأصله من القيروان، توفي سنة ٣٦٣هـ. انظر: لسان الميزان (٧/ ٢٣٠)، وأعلام الإسماعيلية ص٥٨٩ ـ ٥٩٥، والأعلام (٨/ ٤١).

وطول مدته، لكان ممن قال الله جل ذكره: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣]، وكذلك هو إن أطاع الله ورسوله بزعمه، وعصى إمامه أو كذب به فهو آثم في معصيته غير مقبولة منه طاعة الله وطاعة رسوله ولا عمله مع جحده إمامه ومعصيته...»[(١)].

ولم يقف الإسماعيلية في تعظيمهم لأئمتهم عند هذا الحد من الغلو، وإنما تجاوزوا ذلك حتى أضفوا عليهم صفات الألوهية، فوصفوهم بصفات الرب ﷻ وأخرجوهم عن حدود البشرية، فزعموا أنهم يعلمون الغيب، كما قال القاضي النعمان: «نقول في الأئمة ـ صلوات الله عليهم ـ... إنهم يعلمون ما غاب عن الخلق سواهم، وينظرون بنور الله جل ذكره...»[(٢)].

وقد ورد في تأويلاتهم الباطنية وصف الإمام بأنه «وجه الله» و«جنب الله» وأنه «يحاسب الناس يوم القيامة» وغير ذلك من الصفات الإلـٰهية، يقول مصطفى غالب الإسماعيلي: «الإسماعيلية يعتبرون من حيث الظاهر أن الأئمة من البشر... ولكن في التأويلات الباطنية يسبغون عليه ـ أي: الإمام ـ وجه الله، ويد الله، وجنب الله، وأنه هو الذي يحاسب الناس يوم القيامة، وهو الصراط المستقيم، والذكر الحكيم، إلى غير ذلك من الصفات»[(٣)].

وقد ذُكر ذلك في قصائد شعراء الإسماعيلية التي مدحوا فيها أئمتهم، فوصفوهم بصفات الرب ـ تعالى وتقدس عما يقول الظالمون ـ، فمن ذلك ما قاله ابن هانئ الإسماعيلي[(٤)] في مدحه لمعز الدين العبيدي[(٥)]:

---

(١) الهمة في آداب اتباع الأئمة للقاضي النعمان، تحقيق: محمد كامل حسين ص٤٧، دار الفكر العربي، وانظر: الإسماعيلية لإحسان ص٣٧١.

(٢) الهمة في آداب اتباع الأئمة ص٥٣، وانظر: الإسماعيلية لإحسان ص٣٧٦.

(٣) تاريخ الدعوة الإسماعيلية ص٤٠.

(٤) محمد بن هانئ بن سعدون الأزدي، أبو القاسم الأندلسي الشاعر، مدح المعز العبيدي وأقام عنده وفي شعره ما يدل على زندقته وإلحاده، ولد سنة ٣٢٦هـ، وتوفي مقتولاً في طريقه إلى مصر سنة ٣٦٢هـ. انظر: البداية والنهاية (١١/ ٢٩٢)، وأعلام الإسماعيلية ص٤٩٩ ـ ٥٠٤، والأعلام (٧/ ١٣٠).

(٥) المعز لدين الله معد بن إسماعيل العبيدي، باني القاهرة، وهو أول ملوك العبيديين=

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار[(١)]

وقول الداعي الإسماعيلي المؤيد الشيرازي[(٢)] في مدحه للمستنصر العبيدي[(٣)]:

فوجهك وجه الإلٰه المنير ونورك من نوره كالحجاب
يداك يدا الله مبسوطتان وأنت له الجنب غير ارتياب
إليك المآب، عليك الحساب فطوبى لمن نال حسن المآب
وأنت المثيب لأهل الثواب وأنت المعاقب أهل العقاب[(٤)]

إلى غير ذلك من غلوهم وضلالهم الذي أدى بهم إلى الكفر والزندقة.

ولعل سبب غلو الإسماعيلية في أئمتهم ووصفهم بأوصاف الألوهية هو أنهم قد جعلوا الإمام في العالم السفلي مقابلاً للعقل الكلي الذي هو الإلٰه ـ عندهم ـ كما تقدم.

يقول الدكتور محمد كامل حسين في بيان ذلك: «إن ما يقوله المسلمون عن الله ﷻ خلعه الإسماعيلية على العقل الكلي، فهو الإلٰه عند الإسماعيلية، وإذا ذكر الله عند الإسماعيلية فالمقصود هو العقل الكلي، فإذا عرفنا ذلك كله استطعنا أن نقول إنهم لم يأتوا بهذه الآراء الفلسفية عبثاً، بل جاؤوا بها

= ببلاد مصر، وقد كان منجماً ظالماً، قتل الصالحين من أهل السُّنَّة، ولد سنة ٣١٩هـ، وتوفي سنة ٣٦٥هـ. انظر: تاريخ الخلفاء ص٤٥٠، والبداية والنهاية (١١/ ٣٠٢)، والأعلام (٧/ ٢٦٥).

(١) ديوان ابن هاني ص١٤٦، دار صادر، بيروت.

(٢) هبة الله بن موسى بن داود الشيرازي، أبو نصر المؤيد في الدين، داعي دعاة الإسماعيلية، وأحد زعماء دعوتهم الخبيثة، قدم مصر وخدم المستنصر العبيدي فجعل إليه أمر الدعوة العبيدية، ولقب بداعي الدعاة وباب الأبواب، ثم نحّي وأبعد إلى الشام، وتوفي سنة ٤٧٠هـ. انظر: أعلام الإسماعيلية ص٥٩٦، ومذاهب الإسلاميين ص٩٥٣، والأعلام (٨/ ٧٥).

(٣) تقدمت ترجمته. انظر: ص٢٣٠.

(٤) ديوان المؤيد في الدين بتحقيق: محمد كامل حسين، القصيدة الحادية عشرة، ص٢٣١ ـ ٢٣٢، دار الكتاب المصري، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٤٩م.

لإسباغ صفة خاصة على الإمام الذي قالوا إنه من البشر، ذلك أنهم ذهبوا إلى أن العقل الكلي في العالم العلوي يقابله الإمام في العالم الجسماني، ومعنى هذا ـ عندهم ـ أن كل الأسماء والصفات التي خلعت على العقل الكلي هي أيضاً صفات وأسماء للإمام؛ لأن الإمام مثل للعقل الكلي فأسماء الله الحسنى التي قالوا إنها أسماء العقل الكلي هي أسماء للإمام، فالإمام إذن هو الواحد الأحد الفرد الصمد المنتقم الجبار...»[1].

٤ ـ معتقداتهم في الغيبيات:

لقد بنى الإسماعيلية عقائدهم في أمور الآخرة على أساس التأويل الباطني فأولوا جميع الغيبيات تأويلاً باطلاً يقتضي إنكار جميع ما ورد في الكتاب والسُّنَّة من ذكر القيامة والبعث والنشور والجنة والنار وغير ذلك من الأمور الغيبية، وقد أشار إلى ذلك أبو حامد الغزالي في ذكره لعقائد الإسماعيلية فقال: «وقد اتفقوا عن آخرهم على إنكار القيامة، وأن هذا النظام المشاهد في الدنيا من تعاقب الليل والنهار... لا يتصرم أبد الدهر... وأما المعاد فأنكروا ما ورد به عن الأنبياء، ولم يثبتوا الحشر والنشر للأجساد، ولا الجنة والنار...»[2].

وقد أول الإسماعيلية القيامة فقالوا: «إنها رمز إلى خروج الإمام وقيام قائم الزمان وهو السابع الناسخ للشرع»[3].

فالقيامة عندهم تدور على قائم الزمان، وعلى ذلك حملوا جميع الآيات الواردة في القيامة، كما قال الداعي جعفر بن منصور[4] في قوله تعالى: ﴿إِنَّ

---

(١) طائفة الإسماعيلية تاريخها، نظمها، عقائدها، د. محمد كامل حسين ص١٥٨ ـ ١٥٩، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى، ١٩٥٩م.

(٢) فضائح الباطنية ص٤٤.

(٣) المرجع السابق ص٤٤.

(٤) جعفر بن الحسن بن حوشب الكوفي أحد دعاة الإسماعيلية في اليمن، كان مع أبيه عند استيلائه على اليمن، ثم عمل على نشر الدعوة الإسماعيلية في بلاد اليمن، وترقى في رتب الدعوة الإسماعيلية إلى أن بلغ أعلى المراتب، في خلافة المعز العبيدي، توفي حوالي سنة ٣٦٠هـ. انظر: الإسماعيلية لإحسان ص٧٠٤ ـ ٧١٤، ومذاهب الإسلاميين ص٩٥٥.

يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ﴿١٧﴾ [النبأ: ١٧] قال: «هو القائم الذي يفصل بين الحق والباطل والمؤمن والكافر، وهو ميقات أمر الله ونهايته وسابع النطقاء...»(١).

وقد أول الإسماعيلية الثواب والعقاب والجنة والنار بتأويلات باطلة تقتضى إنكار حقيقة تلك الغيبيات وعدم الإيمان بها.

يقول الداعي علي بن الوليد: «أما الثواب والعقاب كان كما وصفه الله من الأنهار الجارية والحور والأطعمة والأشربة إشارة في الثواب الأدنى إلى ما يحصل للنفوس من الفوائد العلمية في الدعوة التأويلية، فكان الأنهار أمثال ما يجري من العلماء من نشر الفوائد العلمية في مستفيديهم، والحور أمثالهم ما يصورونهم به من الصور القدسية التي تحار في حسنها الأفكار... وأما العقاب الأدنى فهو ما يدخل على النفوس المخالفة للحق من الشكوك والشبهات...»(٢).

ويقول الداعي السجستاني في بيان مرادهم بالجنة والنار: «الجنة والنار لفظتان تقتضيان معنيين: أحدهما لأهل الثواب، والآخر لأهل العقاب، فنظرنا في كل واحد من هذين اللفظين مما يقتضيه في المعنى، فوجدنا الجنات تقع على اسم البستان... كذلك العلوم والفوائد العقلية والنفسية إنما هي بستان التمييز قد زيّن بالنطقاء والأسس والأئمة واللواحق وبعلومهم الجارية... وأما النار فإنها مستعملة في صلاح المعيشة وطبخ الأشياء النيئة، غير أنها تفسد الصور الطبيعية... كذلك الشرائع الناموسية المعراة عن العلوم مستعملة لإصلاح العالم الطبيعي وقوام الخلق بها، غير أن الاصطلاء بها والاستعمال لها يفسد الصورة اللطيفة ويوقع الشبهة والالتباس...»(٣).

---

(١) كتاب الكشف والقرانات لجعفر بن منصور اليمن ص١٧٠ بدون، وانظر: أصول الإسماعيلية (٢/٦١٣).

(٢) جلاء العقول وزبدة المحصول ص١٥١ ـ ١٥٢ من منتخبات إسماعيلية نقلا عن الإسماعيلية لإحسان ص٤٥٤ ـ ٤٥٥.

(٣) الينابيع للسجستاني، الينبوع الثامن والعشرون في معنى الجنة والنار تحقيق: مصطفى غالب ص٦٧ ـ ٦٨ الطبعة الأولى، ١٩٦٥م، وانظر: الإسماعيلية لإحسان ص٤٥٩.

فالجنة عند الإسماعيلية عبارة عن العلم والفوائد العقلية التي تصل من النطقاء والأئمة إلى المستجيبين للدعوة، والنار عبارة عن الشرائع المعراة من علومهم.

وكذلك فعلوا مع بقية الأمور الغيبية من الحشر والنشر والحساب والميزان والصراط وغير ذلك من أمور الآخرة، حيث تلاعبوا بها تلاعباً عظيماً، مما يدل على إنكارهم وجحودهم لحقائقها[(١)].

ولعل من أهم عقائد الإسماعيلية التي ينبغي التنبيه عليها أنهم يعتقدون عقيدة التناسخ حيث ظهر ذلك في قولهم بالأدوار السبعة حتى إنهم عدوا الأنبياء الذين خلقوا ـ بزعمهم من نور العقل الكلي ـ شخصاً واحداً يتسلسل فيهم هذا النور، فآدم ـ عندهم ـ هو نوح ونوح هو موسى وعيسى هو محمد وهكذا، وكذلك فعلوا مع الأئمة فقالوا: إن أرواحهم باقية تتعاقب في كل دور على أجسام أخرى[(٢)].

وقد أشار الغزالي إلى اعتقادهم ذلك وأن ذلك ليس خاصاً بالأنبياء والأئمة، بل هو ـ عندهم ـ عام حتى في نفوس الأشرار، يقول الغزالي في سياقه لكلامهم وعقيدتهم في المعاد: «وزعموا أن كمال النفس بموتها... فأما النفوس المنكوسة المغمورة في عالم الطبيعة المعرضة عن رشدها من الأئمة المعصومين فإنها تبقى أبد الدهر في النار، على معنى أنها تبقى في العالم الجسماني تتناسخها الأبدان، فلا تزال تتعرض فيها للألم والأسقام فلا تفارق جسداً إلا ويتلقاها آخر...»[(٣)].

---

(١) انظر: ما ذكره الداعي الطيبي في تأويل هذه الغيبيات وغيرها من أمور الآخرة في رسائل الدستور ص٩٣ ـ ٩٦ ضمن أربع رسائل إسماعيلية، جمع عارف تامر، وانظر: أصول الإسماعيلية (٢/ ٦٢٧ ـ ٦٢٩).

(٢) انظر: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص١١٢، والإسماعيلية لإحسان ص٤٢٦ ـ ٤٤١، فقد نقل إحسان رحمه الله عدداً من النصوص التي تثبت إيمانهم بعقيدة التناسخ.

(٣) فضائح الباطنية ص٤٥ ـ ٤٦.

٥ ـ معتقدهم في التكاليف الشرعية:

لم يقف الإسماعيلية عند إنكار الغيبيات وغيرها من أمور العقيدة ـ كما تقدم ـ وإنما ذهبوا أيضاً إلى إنكار التكاليف الشرعية وتأويلها بتأويلات باطلة تتفق مع عقيدتهم الباطنية، حتى أسقطوا الواجبات واستحلوا المحرمات، كما قال الغزالي في سياق عقيدتهم: «المنقول عنهم الإباحة المطلقة، ورفع الحجاب، واستباحة المحظورات واستحلالها، وإنكار الشرائع»[١].

وقد جعل الإسماعيلية لكل عبادة من العبادات الشرعية معنيين أحدهما: ظاهر والآخر باطن، فالمعنى الظاهر هو ما فهمه المسلمون منها، والمعنى الباطن هو ما اكتشفوه من النصوص، واختصوا به دون غيرهم.

وقد عدوا الظاهر وهو الشريعة مما بلغه الرسول محمد ﷺ، وأما الباطن ـ عندهم ـ وهو الحقيقة فيختص بوصية علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٢].

ويعتبر الإسماعيلية العمل بظاهر الشرع من عقاب مخالفيهم، بل إنهم أولوا التكاليف الشرعية بأنها هي النار الأخروية التي يعذب بها المخالفون لهم.

يقول الداعي السجستاني: «النار عبارة عن الشرائع الناموسية المعراة عن العلوم المستعملة لإصلاح العالم الطبيعي، وصورة العذاب في هذه الشرائع هو الاصطلاء بها والاستعمال لها، وعندئذ تفسد الصورة اللطيفة ويقع للشخص فيها الشبهة والالتباس وإذا برزت بهويتها تراها في غاية الإيلام للأنفس المتعلقة بها...»[٣].

ثم أكد ذلك بقوله: «إن النار موجودة في كل موضع، ولا يخلو منها مكان، فهي ظاهرة نيرة مبذولة لكل أحد، وهي الشرائع المقلدة موجودة في كل مكان لا يخلو منها قوم من الأقوام...»[٤].

---

(١) فضائح الباطنية ص٤٦.
(٢) انظر: الإسماعيلية لإحسان ص٤٧٥.
(٣) الينابيع للسجستاني ص١٣٧ ـ ١٣٨، وانظر: أصول الإسماعيلية (٢/ ٦٢٥ ـ ٦٢٦).
(٤) المرجع السابق ص١٣٩، وانظر: أصول الإسماعيلية (٢/ ٦٢٥ ـ ٦٢٦).

فالصلاة ـ عندهم ـ يراد بها الدعوة إلى مذهبهم، والاتصال بأئمتهم، كما قال الداعي الحامدي: «الصلاة بالحقيقة هي الاتصال بالإمام»[١].

والصلوات الخمس يمثلونها في الباطن بالدعوات الخمس لأولي العزم من الرسل، وكل صلاة منها مثل لدعوة كل واحد من أولي العزم الخمسة[٢].

وأما الزكاة فيمثلونها بدعاتهم وحجبهم الذين يطهرون الناس، ويصلحون أحوالهم، وينقلونهم في درجات الفضل بما توجبه أعمالهم[٣].

وأما الصوم فقد أولوه بكتمان أسرارهم وباطنهم عن أهل الظاهر، والإمساك عن المفاتحة به ممن لم يؤذن له في ذلك، ومثلوا النهار الذي يقع فيه الصيام بالظاهر وأهله، والليل بالباطن وأهله[٤].

وأما الحج فقد حملوه على قصد إمام الزمان، إذ إن إمام الزمان مثله في الباطن ـ عندهم ـ مثل البيت الحرام، والإحرام هو اعتقاد معرفة الإمام، وقد تأولوا جميع مناسك الحج بمثل هذه التأويلات الباطلة[٥].

وهكذا فعل الإسماعيلية مع بقية التكاليف الشرعية، فجعلوا لكل أمر تأويلاً يبطل العمل المنصوص عليه، ولم يكتفوا بتأويل الفرائض والأوامر، وإنما عملوا ذلك أيضاً في المحرمات من الزنى والربا وشرب المسكر وغير ذلك من المحرمات[٦].

هذه هي فرقة الإسماعيلية وعقائدها، ولا شك أن ما قالوه واعتقدوه

---

(١) كنز الولد ص٢٨٦.

(٢) انظر: تأويل الدعائم للقاضي ابن حيون النعمان، تحقيق: محمد حسن الأعظمي (١/ ١٧٨)، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، والإسماعيلية لإحسان ص٥٠٣.

(٣) انظر: تأويل الدعائم (٣/ ٥٩).

(٤) انظر: المرجع السابق (٣/ ١٠٨ ـ ١٠٩)، والإسماعيلية لإحسان ص٥٠٩.

(٥) انظر: المرجع السابق (٣/ ١٤٣ ـ ١٤٥).

(٦) انظر: رسالة الدستور ودعوة المؤمنين للحضور لشمس الدين الطيبي ص٩٦ ـ ٩٨ ضمن أربع رسائل إسماعيلية، تحقيق: عارف تامر دار الكشاف، بيروت الطبعة الأولى، ١٩٥٣م، والإسماعيلية المعاصرة ص١٠٨.

بعيد كل البعد عن عقيدة الإسلام الصافية، بل هو زندقة وإلحاد وكفر، ولذلك رد عليهم أئمة الإسلام، وكشفوا زندقتهم وإلحادهم، وعدواتهم للإسلام وأهله، وبينوا أنهم زنادقة منافقون ـ كما تقدم ـ وأنهم إنما يتسترون بإظهار التشيع ومحبة آل البيت.

والخلاصة:

أن الإسماعيلية فرقة من أعظم فرق الزنادقة وأخطرها على الإسلام، كما اتضح ذلك من خلال سياق عقائدهم المنحرفة، وما فيها من تجريد الرب ﷻ عن أسمائه وصفاته، وعبادة غير الله تعالى من الأئمة وغيرهم، وإنكار القيامة، وإبطال التكاليف، وغير ذلك من العقائد التي تكشف زندقتهم وإلحادهم.

المبحث الخامس

القرامطة

القرامطة فرقة من فرق الزنادقة الباطنية، ظهرت بسواد الكوفة في خلافة المعتمد(١) العباسي سنة ثمان وسبعين ومائتين(٢)، وهي في الأصل فرقة من الإسماعيلية ـ كما تقدم ـ إلا أن دعاة القرامطة تمردوا بعد ذلك على الإسماعيلية واستقلوا بدعوتهم، وقد اختلف في نسبة القرامطة على أقوال كثيرة(٣)؛ فقيل: القرامطة نسبة إلى حمدان بن الأشعث الملقب بـ«قرمط»(٤)، وقد كان هذا الرجل قصير القامة متقارب الخطا، فلقب بقرمط، وقيل: إنما لقب بذلك لتقارب في خطه وكتابته(٥).

---

(١) المعتمد على الله أحمد بن جعفر بن المعتصم العباسي، أبو العباس، تولى الخلافة بعد مقتل المهتدي بالله، ومكث فيها ثلاثاً وعشرين سنة، كان من أسمح آل العباس، جيد الفهم، شاعراً إلا أن الأمور اضطربت في عهده، فضبطها أخوه الموفق، وهو أول خليفة عباسي انتقل من سامراء إلى بغداد، وتوفي سنة ٢٧٩هـ. انظر: تاريخ الخلفاء ص٣١٦ ـ ٣١٩، والبداية والنهاية (١١/ ٦٩)، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٤٠)، والأعلام (١/ ١٠٦).

(٢) انظر: تاريخ الطبري (٥/ ٦٠١)، والبداية والنهاية (١١/ ٦٥ ـ ٦٦).

(٣) وقد ذكر ابن الجوزي بعض هذه الأقوال فأوصلها إلى ستة أقوال. انظر: المنتظم لابن الجوزي (١٢/ ٢٨٩ ـ ٢٩١).

(٤) قرمط: هو رأس القرامطة وإليه نسبتهم وقد اختلف في اسمه فقيل: «حمدان بن الأشعث»، وقيل: «الفرج بن عثمان» وأصله من خوزستان، وعرف في سواد الكوفة سنة ٢٥٨هـ، وكان يظهر الزهد والتقشف إلى أن استمال الكثير من الناس، تداخلت أخباره مع أخبار دعاته، ورجح الزركلي أنه هو الذي قبض عليه عامل الرحبة، وقتله المكتفي سنة ٢٩٣هـ، ولا تزال نهايته غامضة ولعله قتله بعض دعاة الإسماعيلية مع صهره عبدان. انظر: تاريخ الطبري (٥/ ٦٠٢)، والأعلام (٥/ ١٩٤).

(٥) انظر: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص١٣٥، ومعجم الفرق الإسلامية ص١٩٢.

قال البغدادي: «ثم ظهر... رجل يقال له حمدان قرمط، لقب بذلك لقرمطة في خطه أو خطوه، وكان في ابتداء أمره أكاراً[١] من أكرة سواد الكوفة[٢] وإليه تنسب القرامطة»[٣].

فالقرمطة في اللغة هي المقاربة بين الشيئين، ولذلك لقب هذا الرجل بلقب قرمط لأحد أمرين: إما لتقارب بين خطوه بسبب قصر في قامته، أو لدقة خطه وتقارب حروفه.

قال ابن منظور: «والقرمطة: المقاربة بين الشيئين... القرمطة في الخط: دقة الكتابة وتداني الحروف... والقرمطة في المشي: مقاربة الخطو وتداني المشي...»[٤].

وقيل: إن القرامطة نسبة إلى كرميته ـ وهو اسم لرجل نزل عنده داعية القرامطة ـ ثم إن هذه الكلمة عربت وخففت فصارت «قرمطي»، وجمعت على قرامطة[٥].

قال ابن الأثير: «وسمي ـ أي: داعية القرامطة ـ باسم الرجل الذي كان في داره «كرميته»... ثم خفف فقيل: قرمط»[٦].

وقيل: إن القرامطة نسبة إلى رجل كوفي يدعى محمداً الوراق المقرمط[٧] وأنه هو الذي أسس للقرامطة هذا المذهب الخبيث[٨].

ولعل أقرب الأقوال في نسبة القرامطة هو أنهم ينتسبون إلى حمدان

---

(١) الأكار: هو الزراع الذي يزرع الأرض ويحرثها، وجمعه «أكرة». قال ابن منظور: «كأنه جمع آكر في التقدير» لسان العرب (٤/ ٢٦)، وانظر: معجم مقاييس اللغة (١/ ١٢٦٩).

(٢) سواد الكوفة: يراد به مزارع العراق وضياعها التي افتتحها المسلمون على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسمي بذلك لخضرته بالنخل والزرع. انظر: معجم البلدان (٣/ ٣٠٩ ـ ٣١٢).

(٣) الفرق بين الفرق ص٢٨٢.

(٤) لسان العرب (٧/ ٣٧٧).

(٥) انظر: تاريخ الطبري (٥/ ٦٠٢)، وتلبيس إبليس ص١٢٦.

(٦) الكامل لابن الأثير (٦/ ٣٦٤).

(٧) لم أجد له ترجمة.

(٨) انظر: المنتظم لابن الجوزي (١٢/ ٢٨٩).

قرمط، سواء قيل إن لقب «قرمط» إنما أطلق عليه لتقارب خطاه، أو أنه عرِّب عن كلمة «كرميته» فأطلق على حمدان واشتهر به.

وأما ابتداء أمر القرامطة فقد أشار إلى ذلك كثير من المؤرخين وذلك في حوادث سنة ثمان وسبعين ومائتين، وذكروا في ذلك قصة قدوم داعيتهم من ناحية خوزستان[١] إلى سواد الكوفة وإظهاره الزهد والتقشف والعبادة، حتى أحبه الناس ووثقوا في ديانته، ثم إنه أظهر لهم بعد ذلك أنه يدعو إلى إمام من أهل البيت فتبعه على ذلك خلق كثير فأسس لأتباعه دعوة ومسلكاً يسلكونه في دعوتهم إلى هذا الإمام.

يقول الإمام الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان ابتداء أمر القرامطة وقصة قدوم داعيتهم: «كان ابتداء أمرهم قدوم رجل من ناحية خوزستان إلى سواد الكوفة، ومُقامه بموضع منه يقال له النهرين، يُظهر الزّهد والتقشف، ويسفّ الخوص، ويأكل منه كسبه، ويكثر الصلاة، فأقام على ذلك مدة، فكان إذا قعد إليه إنسان ذاكره أمر الدين، وزهّده في الدنيا، وأعلمه أن الصلاة المفترضة على الناس خمسون صلاة في كل يوم وليلة، حتى فشا ذلك عنه بموضعه، ثم أعلمهم أنه يدعو إلى إمام من أهل بيت الرسول، فلم يزل على ذلك يقعد إليه الجماعة فيخبرهم من ذلك بما تعلّق قلوبهم، وكان يقعد إلى بقّال في القرية، وكان بالقرب من البقال نخل اشتراه قوم من التجار، واتخذوا حظيرة جمعوا فيها ما صرموا من حمل النخل، وجاؤوا إلى البقال فسألوه أن يطلب لهم رجلاً يحفظ عليهم ما صرموا من النخل، فأومأ لهم إلى هذا الرجل، وقال: إن أجابكم إلى حفظ ثمرتكم، فإنه بحيث تحبون، فناظروه على ذلك، فأجابهم إلى حفظه بدراهم معلومة، فكان يحفظ لهم، ويصلي أكثر نهاره ويصوم، ويأخذ عند إفطاره من البقال رطل تمر، فيُفطر عليه، ويجمع نوى ذلك التمر.

---

(١) خوزستان: اسم لجميع بلاد الخوز، وهي نواحي أهواز بين فارس وواسط والبصرة وجبال اللوز المجاورة لأصبهان، واستان في كلام العجم كالنسبة. انظر: مراصد الاطلاع (١/ ٤٩٠).

فلما حمل التجار ما لهم من التمر، صاروا إلى البقال، فحاسبوا أجيرهم هذا على أجرته، فدفعوها إليه، فحاسب الأجير البقال على ما أخذ منه من التمر، وحطّ من ذلك ثمن النوى الذي كان دفعه إلى البقال، فسمع التجار ما جرى بينه وبين البقال في حق النوى، فوثبوا عليه فضربوه، وقالوا: ألم ترض أن أكلت تمرنا حتى بعت النوى! فقال لهم البقال: لا تفعلوا، فإنه لم يمسّ تمركم، وقص عليهم قصته، فندموا على ضربهم إياه، وسألوه أن يجعلهم في حلّ، ففعل. وازداد بذلك نبلاً عند أهل القرية لما وقفوا عليه من زهده.

ثم مرض، فمكث مطروحاً على الطريق، وكان في القرية رجل يحمل على أثوار له، أحمر العينين شديدة حمرتهما، وكان أهل القرية يسمونه كرميته لحمرة عينيه، وهو بالنّبطية أحمر العينين، فكلّم البقال كرميته هذا، في أن يحمل هذا العليل إلى منزله، ويوصي أهله بالإشراف عليه والعناية به، ففعل وأقام عنده حتى برأ، ثم كان يأوي إلى منزله، ودعا أهل القرية إلى أمره، ووصف لهم مذهبه، فأجابه أهل تلك الناحية، وكان يأخذ من الرجل إذا دخل في دينه ديناراً، ويزعم أنه يأخذ ذلك للإمام، فمكث بذلك يدعو أهل تلك القرى فيجيبونه. واتخذ منهم اثني عشر نقيباً، أمرهم أن يدعوا الناس إلى دينهم، وقال لهم: أنتم كحواريي عيسى ابن مريم، فاشتغل أكرة تلك الناحية عن أعمالهم بما رسم لهم من الخمسين الصلاة التي ذكر أنها مفترضة عليهم.

وكان للهيصم[1] في تلك الناحية ضياع، فوقف على تقصير أكرته في العمارة، فسأل عن ذلك، فأخبر أن إنساناً طرأ عليهم، فأظهر لهم مذهباً من الدين، وأعلمهم أن الذي افترضه الله عليهم خمسون صلاة في اليوم والليلة، فقد شغلوا بها عن أعمالهم، فوجّه في طلبه، فأخذ وجيء به إليه، فسأله عن أمره، فأخبره بقصته، فحلف أنه يقتله.

---

(١) الهيصم اسم للأسد، والهيصم من الرجال: القوي الغليظ الشديد الصلب، والمراد به هنا الوالي أو الأمير. انظر: لسان العرب (١٢/ ٦١٣)، والقاموس المحيط ص١٥١١.

فأمر به فحبس في بيت، وأقفل عليه الباب، ووضع المفتاح تحت وسادته، وتشاغل بالشرب، وسمع بعض من في داره من الجواري بقصته، فرقت له. فلما نام الهيصم أخذت المفتاح من تحت وسادته، وفتحت الباب وأخرجته، وأقفلت الباب، وردّت المفتاح إلى موضعه. فلما أصبح الهيصم دعا بالمفتاح ففتح الباب فلم يجده، وشاع بذلك الخبر، ففتن به أهل تلك الناحية، وقالوا: رُفع ثم ظهر في موضع آخر. ولقي جماعة من أصحابه وغيرهم فسألوه عن قصته، فقال: ليس يمكن أحداً أن يبدأني بسوء، ولا يقدر على ذلك مني، فعظم في أعينهم، ثم خاف على نفسه، فخرج إلى ناحية الشام، فلم يُعرف له خبر، وسمّي باسم الرجل الذي كان في منزله صاحب الأثوار كرميته، ثم خُفّف فقالوا: قرمط»(١).

والذي يظهر ـ والله أعلم ـ أن هذا الرجل الداعية الذي قدم من ناحية خوزستان كان يدعى «الحسين الأهوازي»(٢) وقد أرسل من قبل الإسماعيلية للدعوة في سواد الكوفة، وفي ذلك يقول المقريزي: «أن الحسين الأهوازي لما خرج داعية إلى العراق لقي حمدان بن الأشعث قرمط بسواد الكوفة...»(٣).

وأما حمدان قرمط فالمصادر تشير إلى أنه إنما دخل في هذا المذهب على يد الأهوازي، إلا أن أمره لا يزال غامضاً حيث ترقى في درجات الدعوة الإسماعيلية بسرعة فائقة، إذ ربما كان في الأصل داعية قبل الأهوازي، ولكنه غير معروف بسبب سرية دعوته(٤).

فهذه هي بداية أمر القرامطة واشتقاق لقبهم الذي عرفوا به، على خلاف بين المؤرخين في اشتقاق هذا اللقب.

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٦٠١ ـ ٦٠٢)، وانظر: المنتظم (٢/ ٢٩٠ ـ ٢٩١)، والكامل لابن الأثير (٦/ ٣٦٣ ـ ٣٦٤).

(٢) لم أجد له ترجمة.

(٣) اتعاظ الحنفاء للمقريزي (١/ ١٥١)، وانظر: أخبار القرامطة د. سهيل زكار ص١٣٠.

(٤) انظر: القرامطة لمحمود شاكر ص٦، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ، وأخبار القرامطة ص١٢٩.

وأما دعوة القرامطة فقد تركزت في أربعة أقطار، كل قطر منها يمثله مجموعة من دعاتهم، وذلك كما يلي:

أولاً: قرامطة العراق:

كان ابتداء أمر القرامطة ـ كما تقدم ـ بسواد العراق على يد الحسين الأهوازي الذي أرسل داعية إلى العراق من قبل أئمة الإسماعيلية بسلمية فالتقى بحمدان قرمط، وقام بأمر الدعوة بمعونة قرمط حتى استجاب لدعوتهما كثير من أهل السواد، ثم إن حمدان نشط في الدعوة وترقى في درجاتها حتى صار من أعظم دعاتها في سواد العراق(١).

ثم إن الحسين الأهوازي توفي فخلفه في قيادة هذه الدعوة تلميذه حمدان قرمط، فكثر أتباعه الذين آمنوا بدعوته، حتى إنه ابتنى لهم داراً للهجرة بسواد الكوفة عام (٢٧٧هـ)، ثم إنه اختار من أتباعه عدة دعاة كان من أبرزهم صهره، عبدان الأهوازي(٢) الذي اشتهر بخبثه وفطنته، ولذلك كان هو صاحب أسرار القرمطي. واشتهر أيضاً من دعاة قرمط زكرويه بن مهرويه(٣) أحد أعضاء دعوته البارزين(٤).

وقد كان قرمط خلال دعوته يتلقى تعليماته عن أئمة الإسماعيلية بالسلمية، والذي وجهه إلى ذلك شيخه الحسين الأهوازي، لكنه تمرد على دعوتهم بعد وفاة شيخه، وذلك حين تبين له أن أئمة الإسماعيلية قد كذبوا في

---

(١) انظر: المنتظم (١٢/ ٢٩٢)، ومذاهب الإسلاميين ص٨٥٠ ـ ٨٥١.

(٢) عبدان الأهوازي، كان صهراً لحمدان قرمط فنصبه لدعوته حتى كان من أكابر دعاته، وتنسب إليه كتب كثيرة في نصرة مذهب القرامطة، قتل مع حمدان سنة ٢٨٦هـ. انظر: الفهرست ص٢٣٣ ـ ٢٣٦، ومذاهب الإسلاميين ص٩٢٩ ـ ٩٣٠.

(٣) زكرويه بن مهرويه القرمطي، من زعماء القرامطة من أهل القطيف، استهوى طوائف من بادية العراق وقام بالدعوة ونشر الدعاة، وهاجم قوافل الحجاج فأرسل الخليفة المكتفي العباسي جيشاً فهزمه وقتل، وحملت جثته إلى بغداد فأحرقت سنة ٢٩٤هـ. انظر: تاريخ الطبري (٥/ ٦٦٧)، وشذرات الذهب (٢/ ٢١٥)، والأعلام (٣/ ٤٥).

(٤) انظر: اتعاظ الحنفاء (١/ ١٥٨)، والقرامطة لشاكر ص٥٨.

زعمهم بأنهم من أولاد محمد بن إسماعيل، وأنهم أدعياء في هذا النسب، وإنما هم من أولاد ميمون القداح.

فلما أعلن قرمط هذا التمرد وعلم بذلك أئمة الإسماعيلية لم يرضوا بذلك، مما جعلهم يسعون للتخلص من قرمط وصهره عبدان بالتحالف مع أحد دعاة قرمط وهو زكرويه ابن مهرويه على قتل عبدان، وأما قرمط فانقطعت أخباره ولعله قتل أيضاً مع عبدان[١].

ثم إن زكرويه اختفى بعد قيامه بهذه الحادثة، فقام بالدعوة أولاده لكنهم اصطدموا بالإسماعيلية في السلمية مما تسبب في عزلهم، وهذا الحدث جعل زكرويه يخرج ليدعو إلى نفسه ويجمع أتباعه مرة ثانية ليهدد بهم أمن كثير من القرى المجاورة للسواد، وعلى رأسها الكوفة التي هاجمها في يوم عيد الأضحى والناس في المصلى غافلون، إلا أن والي الكوفة استطاع مقاومته وصده، ثم إن هذا القرمطي صار بعد ذلك يهاجم قوافل الحجاج ويقطع عليهم الطريق، مما جعل الخليفة المكتفي[٢] ينتبه إلى خطره فيرسل إليه جيشاً عظيماً أوقع بجيشه الهزيمة وقتله وأسر من كان معه وذلك سنة (٢٩٤هـ)، وبقتل زكرويه انطفأت نار قرامطة الكوفة[٣].

ثانياً: قرامطة الشام:

اشتهر بدعوة القرامطة في بلاد الشام أبناء زكرويه، فقد ارتحلوا من سواد الكوفة إلى بلاد الشام، وباشروا الدعوة في بلاد الشام، وذلك بعد أن

---

(١) انظر: تاريخ الدولة الفاطمية، د. حسن إبراهيم ص٣٨٨، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الرابعة، ١٩٨١م، والحركات الباطنية في العالم الإسلامي، د. محمد الخطيب ص١٤٤.

(٢) المكتفي بالله علي بن أحمد المعتضد العباسي، أبو محمد، من خلفاء الدولة العباسية، أنفق الأموال الطائلة في حروب القرامطة حتى أبادهم، وفي أيامه فتحت أنطاكية وكان الروم قد استولوا عليها، ولد سنة ٢٦٣هـ، وتوفي سنة ٢٩٥هـ. انظر: تاريخ الخلفاء ص٣٢٦، والبداية والنهاية (١١/ ١١١)، والأعلام (٤/ ٢٥٣).

(٣) انظر: تاريخ الطبري (٥/ ٦٦٥ ـ ٦٦٧)، وأخبار القرامطة لسهيل زكار ص١٣٤.

أعلن أبو القاسم يحيى بن زكرويه[١] أنه هو الإمام الإسماعيلي وتسمى باسم «محمد بن عبد الله بن يحيى» وادعى أنه من ولد إسماعيل بن جعفر، وعرف باسم «الشيخ» ولقب بـ«صاحب الناقة»، وذلك أنه ادعى أن ناقته التي كان يركبها كانت مأمورة، وأن تلك آيته الدالة على إمامته وصدقه، وقد انخدع به كثير من الأعراب وغيرهم من الجهلة فاستجابوا لدعوته، والتفوا حوله، فهاجم بهم بعض قرى دمشق، وقتلوا الكثير من أبنائها، وسبوا نساءها، وأحرقوا المساجد، ثم حاصر مدينة دمشق، فأرسل إليه المصريون جيشاً عظيماً فقاتلهم قريباً من دمشق حتى انهزم القرامطة بمقتل صاحب الناقة وذلك سنة (٢٩٠هـ)، وفي ذلك يقول ابن جرير: «وفي يوم الجمعة لأربع عشرة بقيت من شعبان قرئ كتابان في الجامعين بمدينة السلام بقتل يحيى بن زكرويه الملقب بالشيخ، قتله المصريون على باب دمشق، وقد كانت الحرب اتصلت بينه وبين من حاربه من أهل دمشق وجندها ومددهم من أهل مصر...»[٢].

ولما قتل أبو القاسم القرمطي خلفه أخوه الحسين بن زكرويه[٣] فاجتمع بمن بقي من قرامطة الشام، ودعا إلى مثل ما دعا إليه أخوه، فأجابه أكثر البوادي وغيرهم من سائر الناس، واشتدت شوكته، وكان يلقب بصاحب الشامة أو صاحب الخال، لشامة كانت في وجهه ادعى أنها علامة صدق

(١) يحيى بن زكرويه بن مهرويه القرمطي، أبو القاسم الملقب بالشيخ، من كبار القرامطة، كان يهاجم قرى الشام فيقتل ويفسد وكان ـ قبحه الله ـ يحرق المساجد، تتابعت الجيوش على قتاله إلى أن ظفر به غلام ابن طولون وقتله على باب دمشق سنة ٢٩٠هـ. انظر: تاريخ الطبري (٥/ ٦٤٥)، والبداية والنهاية (١١/ ١٠٢)، والأعلام (٨/ ١٤٤ ـ ١٤٥).

(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٦٤٥)، والبداية والنهاية (١١/ ١٠٢).

(٣) الحسين بن زكرويه القرمطي، المعروف بصاحب الشامة، قاد قرامطة الشام بعد مقتل أخيه، وهاجم كثيراً من قرى الشام، ولما اشتد أمره تابع عليه المكتفي الجيوش حتى هزمه، وهرب مع بعض أصحابه، ثم قبض عليه، ونقل مع أصحابه إلى بغداد، وقتلوا جميعاً سنة ٢٩١هـ. انظر: تاريخ الطبري (٥/ ٦٥١ ـ ٦٥٤)، والبداية والنهاية (١١/ ١٠٤)، والأعلام (٢/ ٢٣٨).

إمامته، وقد هاجم صاحب الشامة دمشق، فذكر أن أهلها صالحوه على خراج دفعوه إليه، ثم انصرف عنهم إلى أطراف حمص، فتغلب عليها، ثم صار إلى حماة وما حولها من القرى فقتل أهلها حتى لم يبق منهم إلا القليل، ثم سار إلى سلمية ـ بلد الإسماعيلية ـ فأعطى أهلها الأمان ففتحوا له بابها، فقتل من فيها من بني هاشم ومن الإسماعيلية، ثم قتل جميع من فيها حتى البهائم، ولم يزل كذلك يقتل ويسبي ويخيف الطريق حتى أرسل إليه الخليفة العباسي المكتفي[١] جيشاً يزيد على ثلاثين ألفاً، فالتقى بجيش القرمطي قرب حماة[٢]، فهزم أصحاب القرمطي وقتلوا، وأسر من رجالهم بشر كثير، وشرد الباقون في البوادي، وهرب صاحب الخال يريد الكوفة إلا أنه قبض عليه في الطريق، ثم نقل بعد ذلك مع أسرى القرامطة إلى بغداد وقتلوا جميعاً بعد أن قطعت أيديهم وأرجلهم، وذلك سنة (٢٩١هـ)، وبقتل صاحب الخال قضي على قرامطة الشام وكسرت شوكتهم[٣].

ثالثاً: قرامطة اليمن:

كانت اليمن هي أحد الأقطار التي توجهت إليها أنظار الإسماعيلية نظراً لطبيعتها الجبلية، فبادر الإسماعيلية ببعث دعاتهم إلى تلك البلاد لنشر دعوتهم الخبيثة، وكان من أشهر دعاتهم في اليمن رجلان أحدهما يدعى علي بن الفضل[٤] ـ وقد كان من زعماء الإمامية في اليمن ـ فاستدرجه الإسماعيلية لما زار قبر الحسين بالكوفة حتى استهووه إلى القيام بدعوتهم داخل بلاده، والآخر

---

(١) سبقت ترجمته. انظر: ص٢٥٣.

(٢) حماة: مدينة كبيرة كثيرة الخيرات قرب حمص، افتتحها المسلمون في خلافة عمر رضي الله عنه سنة ١٧هـ بقيادة أبي عبيدة رضي الله عنه. انظر: معجم البلدان (٢/ ٣٤٥).

(٣) انظر: تاريخ الطبري (٥/ ٦٥٣)، والبداية والنهاية (١١/ ١٠٤).

(٤) علي بن الفضل بن أحمد القرمطي، كان أول دعاة القرامطة في بلاد اليمن، ادعى النبوة، وتبعه كثير من القبائل، وقتل خلقاً كثيراً، وأباح لأتباعه المحرمات، ثم امتدت به زندقته إلى ادعاء الربوبية. مات مسموماً سنة ٣٠٣هـ. انظر: الحور العين لنشوان ص١٩٩ ـ ٢٠٠، وأخبار القرامطة ص١٤٣ ـ ١٤٦، والأعلام (٤/ ٣١٩).

يدعى «الحسين بن حوشب»[١] قدم مع علي بن الفضل لمساعدته في نشر دعوة الإسماعيلية ببلاد اليمن[٢].

وقد استطاع كل واحد من هذين الداعيين أن يجلب حوله عدداً كثيراً من الأتباع، وأحرز كل واحد منهما عدة انتصارات، وتمكنا من الاستيلاء على عدد من الحصون والبلدان، وقد جرى هذان الداعيان ومن تبعهما من الدعاة على طريقة إخوانهم قرامطة العراق والشام من القتل والنهب وقطع الطريق، حتى إن علي بن الفضل دخل صنعاء سنة ثلاث وتسعين ومائتين واستباحها بمن معه من العسكر، وأقام فيها خمسة عشر يوماً حتى استخرج ما كان تحت الأرض من الكنوز التي أخفاها أهلها. ثم إنه لم يلبث أن اختلف ابن الفضل مع ابن حوشب، وقام بينهما صراع إلى أن توفي ابن حوشب سنة (٣٠٢هـ)، وبقي ابن الفضل بعده قريباً من السُّنَّة، وكان قد ادعى النبوة وأباح المحرمات، وقد كان يقول: «إني بعثت بالراحة السمحة، والاستباحة المحضة» يعني: بالراحة ترك العبادات، والاستباحة فعل المحظورات، وقد أمر مؤذنه الذي يؤذن في مجلسه أن يقول: «أشهد أن علي بن الفضل رسول الله»، وقد كان أمر جواريه أن يغنينه على منبر الجامع أمام جنده ببعض الأبيات الإباحية التي قيلت في بيان دعوته، فمن ذلك قوله قبحه الله:

خذي الدف يا هذه واضربي ... وغني هُزاريك ثم اطربي
تولى نبي بني هاشم ... وهذا نبي بني يعرب
لكل نبي مضى شرعة ... وهذي شرائع هذا النبي

---

(١) الحسين بن فرج بن حوشب الكوفي أبو القاسم الملقب بالمنصور، من كبار دعاة القرامطة في اليمن، استطاع أن يجمع حوله عدداً كبيراً من قبائل اليمن، وأن يمتلك عدداً من القلاع والحصون، فأرسل الدعاة ونشر مذهب القرامطة، ثم اختلف مع ابن الفضل وتقاتلا، توفي بعد ذلك سنة ٣٠٢هـ. انظر: الحور العين ص١٩٨، وأخبار القرامطة ص١٤٣ ـ ١٤٦.

(٢) انظر: الحور العين ص١٩٨، وعقائد الثلاث والسبعين فرقة لأبي محمد اليمني (٢/ ٧٠٢ ـ ٧٠٣)، تحقيق: د. محمد الغامدي، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، وأخبار القرامطة ص١٤٢ ـ ١٤٣.

وقد حط عنا فروض الصلاة وحط الصيام ولم يتعب
إذا الناس صلوا فلا تنهضي وإن صوموا فكلي واشربي[١]

ثم إن هذا الزنديق مات مسموماً سنة (٣٠٣هـ)، وقد استغل ذلك حكام اليمن للقضاء على أتباع هذه الدعوة الخبيثة فأخمدوا حركة القرامطة في اليمن بعد أن قبضوا على أبناء ابن الفضل وأتباعه، وضربت أعناقهم جميعاً وبعث برؤوسهم إلى العراق[٢].

رابعاً: قرامطة الأحساء والبحرين:

تعد بلاد الأحساء والبحرين من أهم الأقطار التي استولى عليها القرامطة وأقاموا بها دولة لهم على يد أبي سعيد الجنابي[٣]، الذي كان يتنقل من البحرين إلى سواد الكوفة، حيث كان قد التقى بحمدان قرمط وتأثر به، ثم سار داعية من قبله إلى بلاد البحرين وما جاورها، فتجمع حوله عدد من الأتباع، وكان قد مهد له الطريق رجل يقال له أبو زكريا الطمامي[٤]، كان عبدان قد أنفذه داعية إلى القطيف[٥] قبل أبي سعيد، مما جعل أبا سعيد يبدأ

---

(١) هذه الأبيات قيل إنها لعلي بن الفضل، وقيل: إنها لبعض شعرائه. انظر: كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة لمحمد بن مالك اليماني ص٥٨ ـ ٥٩، تحقيق: د. محمد عزب، دار الصحوة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، وبيان مذهب الباطنية وبطلانه ص٨٢ ـ ٨٣، والقرامطة لمحمود شاكر ص٥٢ ـ ٥٤.

(٢) انظر: كشف أسرار الباطنية ص٦٩، والأعلام للزركلي (٤/ ٣١٩)، وغلاة الشيعة ص١٧٠.

(٣) الحسن بن بهرام الجنابي، أبو سعيد كبير القرامطة ببلاد البحرين، نشر مذهب القرامطة ببلاد البحرين، واستولى عليها، وأسس دولته، كان موصوفاً بالشجاعة والخبث والدهاء، قتله خادمه سنة ٣٠١هـ. انظر: البداية والنهاية (١١/ ١٣٠)، وأخبار القرامطة ص١٤٧ ـ ١٥١، والأعلام (٢/ ١٨٥).

(٤) يحيى بن علي الطمامي، أبو زكريا القرمطي أول داعية بعثه قرامطة العراق إلى بلاد البحرين، وكان بعثه سنة ٢٨١هـ. قام بالدعوة إلى مذهب القرامطة بالبحرين قبل وصول أبي سعيد الجنابي إليها، ولما قدم الجنابي وقام بالدعوة انقطعت أخبار الطمامي، ولعل الجنابي تخلص منه وقتله. انظر: أخبار القرامطة ص١٤٧.

(٥) القطيف بفتح أوله وكسر ثانيه: مدينة بالبحرين هي قصبتها وأعظم مدنها، وكانت =

نشاطه العملي بالاستيلاء على قرى البحرين وقتل أهلها، حتى استولى على هجر عاصمة البحرين وخربها وقتل من بقي فيها من أهلها ممن لم يتمكن من الهرب، وكان أبو سعيد قد جعل عاصمته الأحساء، وقد سلك مسلك حمدان قرمط في جمع الأموال وتنظيمها لصالح دعوته، وكان يجمع الصبيان من الأسرى وغيرهم ويدربهم على ركوب الخيل والطعان، وعزلهم عن غيرهم فلا يختلطون بأحد حتى نشؤوا لا يعرفون غير القتال والطعان، فاستغلهم في حروبه، ولما استولى على سائر بلاد البحرين، أنفذ سرية من رجاله إلى عمان[(١)] فاقتتلوا مع أهلها حتى لم يبق من الفريقين إلا القليل، ثم هاجم البصرة وأخاف أهلها، فشاع خبره وخافه الناس، فأرسل إليه الخليفة المعتضد جيشاً عظيماً إلا أن أبا سعيد هزمه وقتل غالب جنده، واستمر أبو سعيد على حاله من القتل والنهب حتى قتله خادمه داخل الحمام، وقتل معه جماعة من رؤساء القرامطة سنة (٣٠١هـ)[(٢)].

ثم تولى قيادة القرامطة بعد أبي سعيد ابنه الأكبر سعيد[(٣)] فأطلق أسرى المسلمين وسباياهم وكانوا نحواً من ثلاثين ألفاً، إلا أنه لم يطل حكمه حيث خلع بعد ذلك وحل مكانه أخوه أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي[(٤)]، وقد نشط القرامطة في أيامه، وقاموا بعدة هجمات خطيرة[(٥)] قتلوا فيها خلقاً كثيراً، فمن ذلك:

= قديماً لعبد القيس. انظر: معجم البلدان (٤/ ٤٢٩).

(١) عمان: اسم كورة عربية على ساحل بحر اليمن في شرقي هجر، تشتمل على بلدان يضرب بحرها المثل، وأهلها خوارج إباضية. انظر: مراصد الاطلاع (٢/ ٩٥٩).

(٢) انظر: الكامل لابن الأثير (٦/ ٣٩٦ ـ ٤٠٠، ٤٨٢)، ونهاية الأرب (٢٥/ ٢٣٨ ـ ٢٤٠).

(٣) سعيد بن الحسن بن بهرام الجنابي، تولى سيادة القرامطة بالبحرين بعد هلاك والده سنة ٣٠١هـ، وفك أسارى المسلمين، إلا أنه كان مستضعفاً فخلعه القرامطة سنة ٣٠٥هـ، وحل محله أخوه أبو طاهر. انظر: أخبار القرامطة ص١٥١ ـ ١٥٢.

(٤) سليمان بن الحسن بن بهرام القرمطي، أبو طاهر الجنابي، زعيم قرامطة البحرين، وأحد دهاة الزنادقة، كان يهجم بأصحابه على المدن والقرى فيقتل ويسبي، ولم يكتف بذلك حتى هاجم الحجاج في مكة سنة ٣١٧هـ، وقتلهم وانتزع الحجر، أهلكه الله بالجدري سنة ٣٣٢هـ. انظر: الكامل لابن الأثير (٧/ ١٨٤)، والأعلام (٣/ ١٢٣).

(٥) انظر: نهاية الأرب (٢٥/ ٢٤٤)، وأخبار القرامطة لسهيل زكار ص١٥١ ـ ١٥٢.

ـ أن أبا طاهر دخل البصرة عام (٣١١هـ) في ألفين وسبعمائة من قرامطته، وقتل من أهلها خلقاً لا يحصون، وبقي فيها ثمانية عشر يوماً، ثم حمل ما قدر عليه من الأموال والأمتعة والنساء والصبيان ثم رجع إلى بلده[١].

ـ وفي سنة (٣١٢هـ) قطع على الحجاج طريقهم، وأخذ أزوادهم وأمتعتهم، وتركهم في الفلاة بلا ماء ولا طعام حتى مات أكثرهم[٢].

ـ وفي سنة (٣١٣هـ) دخل الكوفة وبقي فيها ستة أيام، ثم نقل ما فيها من الأمتعة والأموال، ورجع إلى بلده ثم عاودها مرة أخرى في العام التالي سنة (٣١٤هـ)[٣].

ـ وفي سنة (٣١٧هـ) هجم القرمطي على الحجاج يوم التروية فانتهب أموالهم واستباح قتالهم، فقتل في رحاب مكة وشعابها وفي المسجد الحرام من الحجاج خلقاً كثيراً، ثم ردم بهم بئر زمزم وترك كثيراً منهم في أماكنهم داخل المسجد وخارجه، ثم أمر بقلع الحجر الأسود وخلع باب الكعبة، وحمل الحجر معه إلى بلده، ولما هم بمغادرة مكة بعد تلك الأفعال القبيحة التي تدل على زندقته وكفره أنشد أبياتاً يصف فيها فعله القبيح فقال:

ولو كان هذا البيت لله ربنا ... لصب علينا النار من فوقنا صبا
لأنا حججنا حجة جاهلية ... مجللة لم تبق شرقاً ولا غرباً
وأنا تركنا بين زمزم والصفا ... جنائز لا تبغي سوى ربها رباً[٤][٥]

ولم يزل أبو طاهر على تلك الحال يقتل ويقطع الطريق وإن كان قد

---

(١) انظر: البداية والنهاية (١١/١٥٨ ـ ١٥٩)، والمنتظم (١٣/٢١٩ ـ ٢٢٠).
(٢) انظر: الكامل لابن الأثير (٧/١٧ ـ ١٨)، والبداية والنهاية (١١/١٦٠ ـ ١٦١).
(٣) انظر: المنتظم (١٣/٢٤٨ ـ ٢٤٩)، وشذرات الذهب (٢/٢٦٦)، والقرامطة لمحمود شاكر ص٦٨.
(٤) رَبَّ: بالفتح؛ أي: جَمَعَ، والمعنى «لا تبغي سوى جمعها جمعاً». انظر: القاموس المحيط ص١١٢.
(٥) انظر: البداية والنهاية (١١/١٧١)، والكامل لابن الأثير (٧/٥٣ ـ ٥٤)، وغلاة الشيعة ص١٦٨.

خفف من ذلك لانشغاله ببعض الخلافات مع بعض القرامطة، إلى أن هلك سنة (٣٣٢هـ)، ثم خلفه من بعده بعض إخوته، فبدأ الضعف والخلاف يدب في صفوف القرامطة، وفي سنة (٣٣٩هـ) رد الحجر الأسود إلى الكعبة المشرفة[(١)]، ثم إن أمر القرامطة لم يزل في ضعف وتفكك ولم يعد لهم كبير خطر حتى سنة (٤٧٠هـ) حيث قضي على دولتهم نهائياً على يد أحد زعماء بني عبد القيس ويُدعى عبد الله بن علي[(٢)]، وذلك بمعونة من الخليفة العباسي القائم بأمر الله[(٣)]، وبذلك انتهت دولتهم وزال خطرهم، وقد كانت مدتهم قريباً من القرنين منذ خروجهم بسواد الكوفة إلى أن قضي عليهم في بلاد البحرين حوالي سنة (٤٧٠هـ)[(٤)].

وبعد هذا العرض لنشاط القرامطة ودعوتهم وما قاموا به من قتل للمسلمين ونهب لأموالهم واستباحة بلادهم يتضح ما يلي:

١ ـ أن القرامطة في الأصل فرع عن الإسماعيلية إلا أنهم تمردوا عليهم ودعوا لأنفسهم فلم يعد لهم صلة بالإسماعيلية، بل إن قرامطة الشام هاجموا بلد الإسماعيلية «سلمية» ـ كما تقدم[(٥)] ـ وقتلوا من بها من أئمة الإسماعيلية وغيرهم.

٢ ـ أن القرامطة في أقطارهم الأربعة لم يكن بينهم تعاون ملموس خلال حروبهم، وإنما كان كل قطر من هذه الأقطار يقوم بنشاطه وثوراته دون تنسيق مع بقية القرامطة في الأقطار الأخرى.

---

(١) انظر: البداية والنهاية (١١/ ٢٢٢، ٢٣٧)، والكامل لابن الأثير (٧/ ٢٣٤)، وأخبار القرامطة لسهيل زكار ص١٥٥.

(٢) لم أجد له ترجمة.

(٣) القائم بأمر الله أبو جعفر عبد الله بن أحمد القادر بالله بن المقتدر العباسي، أحد خلفاء بني العباس، كان ورعاً ديناً كثير الصدقة، له عناية بالأدب، ولد سنة ٣٩١هـ، وتوفي سنة ٤٦٧هـ. انظر: تاريخ الخلفاء ص٣٦٠ ـ ٣٦٤، والبداية والنهاية (١٢/ ١١٧) وشذرات الذهب (٣/ ٣٢٦ ـ ٣٢٨)، والأعلام (٤/ ٦٦).

(٤) انظر: مذاهب الإسلاميين ص٨٩٢ ـ ٨٩٥، والقرامطة لشاكر ص٧٠.

(٥) انظر: ص٢٥٥.

٣ ـ أن قرامطة اليمن لم يكن لهم أي ارتباط ببقية القرامطة في الأقطار الأخرى حتى في مجال دعوتهم، وإنما أطلق عليهم لقب القرامطة لمشابهتهم للقرامطة في زندقتهم، وإباحيتهم، وقتلهم للمسلمين، وقد أشار إلى ذلك أبو سعيد الحميري بقوله: «وابن الفضل أول من سن القرمطة في اليمن، والقرمطة عند أهل اليمن عبارة عن الزندقة»[١].

أهم عقائد القرامطة:

سبقت الإشارة إلى بعض عقائد القرامطة من خلال عرض دعوتهم في الأقطار الأربعة المتقدمة، وفيما يلي بيان لتلك العقيدة التي جعلت فرقة القرامطة إحدى فرق الزنادقة:

١ ـ ادعاؤهم الحلول:

شاعت عقيدة الحلول بين القرامطة حيث ادعوا أن الرب ﷻ يحل في بعض أئمتهم، بل زعم بعض دعاتهم تجسد الإلٰه في أشخاصهم[٢]، وقد أحضر الخليفة المعتضد[٣] رئيساً من رؤساء القرامطة يعرف بأبي الفوارس[٤] فقال له المعتضد: «أخبرني هل تزعمون أن روح الله تعالى وأرواح أنبيائه تحل في أجسادكم، فتعصمكم من الزلل، وتوفقكم لصالح العمل...» فلم ينكر عليه هذا القرمطي وإنما قال: «يا هذا إن حلت روح الله فينا فما يضرك...»[٥].

---

(١) الحور العين لنشوان الحميري ص٢٠٠.

(٢) انظر: غلاة الشيعة ص١٨١ ـ ١٨٢، والفرق بين الفرق ص٣٠٢.

(٣) أحمد بن طلحة بن جعفر أبو العباس العباسي، المعتضد بالله، ولد سنة ٢٤٣هـ وبويع له بالخلافة بعد وفاة عمه المعتمد، وكان أمر الخلافة قد ضعف في أيام المعتمد، فلما ولي المعتضد أقام شعارها ورفع منارها، وكان شجاعاً فاضلاً من رجالات قريش حزماً وإقداماً. توفي سنة ٢٨٩هـ. انظر: تاريخ الخلفاء ص٣٢٠ ـ ٣٢٥، والبداية والنهاية (١١/ ٩٢ ـ ٩٨)، والأعلام (١/ ١٤٠).

(٤) لم أجد له ترجمة.

(٥) الكامل لابن الأثير (٦/ ٤١٠)، وانظر: تاريخ الطبري (٥/ ٦٣٨).

وقد ادعى ذلك أبو طاهر القرمطي لأحد دعاة القرامطة، فدعا الناس إلى تأليه هذا الداعية الذي يدعى أبا زكريا الطمامي.

فيروى أن أبا طاهر الجنابي جمع الناس بالبحرين وقال: معشر الناس إنا كنا ندخل عليكم بحسب أهوائكم مرة بمحمد، ومرة بعلي، ومرة بإسماعيل بن جعفر، ومرة بمحمد بن إسماعيل، وبالمهدي، وهذا إلهنا وإلهكم، وربنا وربكم؛ يعني: أبا زكريا الطمامي(١)، وقد كان أبو طاهر وأتباعه يقدسون هذا الداعية معتقدين أن الإلـٰه حل في جسده(٢).

وقد ذكر عبد القاهر البغدادي قصة رجل دخل في دعوة القرامطة ثم تركها لما دعوه إلى ربوبية إمامهم وأنهم تدرجوا معه في بيان دعوتهم فلما وثقوا منه دعاه أحدهم إلى تأليه محمد بن إسماعيل بن جعفر فقال له: «ينبغي أن تعلم أن محمد بن إسماعيل بن جعفر هو الذي نادى موسى بن عمران من الشجرة فقال له: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٢﴾ [طه: ١٢] قال: فقلت: سخنت(٣) عينك تدعوني إلى الكفر بالرب القديم الخالق للعالم، ثم تدعوني مع ذلك إلى الإقرار بربوبية إنسان مخلوق وتزعم أنه كان قبل ولادته إلـٰهاً مرسِلاً لموسى...»(٤).

ومما ذكر عن أحد أئمتهم الذين ادعوا الألوهية وحلول الرب في أجسادهم أنه: «لما حضرته المنية جمع أصحابه وجعل يقول لهم لما أحس بالموت: إني قد عزمت على النقلة وقد كنت بعثت موسى وعيسى ومحمداً ولا بد لي أن أبعث غير هؤلاء...»(٥).

وقد أعلن ابن الفضل في بلاد اليمن ألوهيته وتسمى برب العزة، وكان

---

(١) انظر: أخبار القرامطة لسهيل زكار ص١٥٣.

(٢) انظر: الآثار الباقية عن القرون الخالية للبيروني ص١٨٣، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، وغلاة الشيعة ص١٨٣.

(٣) السخونة بالضم حمّى أو حر، وسخنة العين بالضم نقيض قرتها، وأسخن الله عينه: أبكاه. انظر: القاموس المحيط ص١٥٥٥.

(٤) الفرق بين الفرق ص٣٠٢ ـ ٣٠٣. (٥) غلاة الشيعة ص١٨٢.

يخاطب أتباعه من القرامطة بقوله: من رب العزة إلى عبده فلان، وتسمى برب العالمين[(١)].

فهذه بعض النماذج من زندقة القرامطة في دعواهم الحلول والألوهية لبعض أئمتهم ودعاتهم.

٢ ـ ادعاؤهم النبوة:

كما ادعى القرامطة الحلول والألوهية لبعض أئمتهم فقد ادعوا النبوة أيضاً لبعض هؤلاء الأئمة الذين يتعلقون بهم كمحمد بن إسماعيل الذي زعموا أنه حي لم يمت وأنه يبعث بالرسالة وبشريعة جديدة، وأنه السابع من أولي العزم من الرسل بعد جده علي بن أبي طالب، وفي ذلك يقول النوبختي في كلام له عن القرامطة وعقائدهم: «زعموا أن محمد بن إسماعيل حي لم يمت، وأنه في بلاد الروم، وأنه القائم المهدي، ومعنى القائم ـ عندهم ـ أنه يبعث بالرسالة وبشريعة جديدة ينسخ بها شريعة محمد صلى الله عليه وآله وأن محمد بن إسماعيل من أولي العزم عندهم، وأولو العزم عندهم سبعة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلي عليه السلام ومحمد بن إسماعيل»[(٢)].

وقد ادعى عدد من دعاة القرامطة النبوة كعلي بن الفضل، فقد ادعى النبوة قبل ادعائه للألوهية، وقد كان أمر مؤذنه أن يقول في التشهد: «أشهد أن علي بن الفضل رسول الله» ـ كما تقدم ـ[(٣)].

وكذلك أبو سعيد الجنابي فقد ادعى النبوة أيضاً حتى قال فيه بعض شعرائه:

فمن لذا الوحي مكتوباً صحائفه ... مستنظماً بكلام الله تنظيما[(٤)]

ومسألة النبوة ـ عندهم ـ إنما يرتقي لها الداعية بعد أن يعمل ما يرضي

---

(١) انظر: غلاة الشيعة ص١٨٣، والأعلام للزركلي (٤/ ٣١٩).

(٢) فرق الشيعة ص٧٣. (٣) انظر: ص٢٥٦.

(٤) انظر: غلاة الشيعة ص١٨١، والقائل لذلك هو شاعره القفطي الشيباني.

أئمتهم ويلتزم بالعمل بأسرارهم، وقد أوضح ذلك ابن الجوزي في معرض كلامه على القرامطة ودعوتهم فقال: «من استجاب لهم عرفوه أنه إن عمل ما يرضيهم صار إماماً نبياً، وأنه يرتقي المبتدئ منهم إلى الدعوة، ثم إلى أن يكون حجة، ثم إلى الإمامة، ثم يلحق مرتبة الرسل...»[(١)].

تأويل الشرائع:

يتفق القرامطة مع سلفهم الإسماعيلية على تأويل نصوص الشرع بحملها على معان باطلة حتى يتوصلوا بذلك إلى إبطال الشرائع، فالتأويل ـ عندهم ـ عام في جميع نصوص الشريعة من الأمور الغيبية والتكاليف الشرعية، فكل نص ـ عندهم ـ له ظاهر يعلمه جميع الناس وله باطن لا يعلمه إلا من علم بواطن المعلومات وعرف سر المستورات، وقد زعم أولئك القرامطة أن محمد بن إسماعيل عنده هذا العلم، وأنهم قد ورثوا ذلك عنه من بين سائر الطوائف[(٢)].

ومن أمثلة تأويلاتهم الباطلة: أنهم حملوا الملائكة على دعاتهم، وتأولوا الشياطين على مخالفيهم.

وتأولوا كل ركن من أركان الشريعة تأويلاً يدل على زندقتهم وإلحادهم: «فزعموا أن معنى الصلاة موالاة إمامهم، والحج زيارته وإدمان خدمته، والمراد بالصوم الإمساك عن إفشاء سر الإمام دون الإمساك عن الطعام، والزنى عندهم إفشاء سرهم بغير عهد وميثاق، وزعموا أن من عرف معنى العبادة سقط عنه فرضها، وتأولوا في ذلك قوله: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ۝٩٩﴾ [الحجر: ٩٩] وحملوا اليقين على معرفة التأويل»[(٣)]، إلى غير ذلك من تأويلاتهم الباطلة التي تدل على إبطالهم للشريعة بأكملها، وقد سرد ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ جملة من تأويلاتهم ثم قال: «ولهم من الهذيان ما ينبغي

(١) المنتظم لابن الجوزي (١٢/ ٢٩٩ ـ ٣٠٠).
(٢) الفرق بين الفرق ص٢٩٦، وغلاة الشيعة ص١٨٤.
(٣) الفرق بين الفرق ص٢٩٦.

تنزيه الوقت عن ذكره، وإنما علمت هذه الفضائح من أقوام تدينوا بدينهم، ثم بانت لهم قبائحهم فتركوا مذهبهم»[(١)].

إباحية المال والنساء:

تعد فكرة الإباحية في الأموال والنساء من الأمور التي نادى بها القرامطة منذ بداية نشأتهم في بلاد العراق، فقد دعا إلى ذلك حمدان قرمط منذ ظهور دعوته حيث فرض على كل واحد من أتباعه دفع الفطرة وهي مبلغ درهم واحد، ثم فرض على البالغين سبعة دنانير باسم البلغة، ولم يزل كذلك يتدرج معهم في فرض الأموال عليهم عن طريق دعاته، إلى أن فرض عليهم دفع جميع أموالهم وقال: لا حاجة لكم في الأموال، فجمع أموالهم في مكان واحد وجعلهم فيها أسوة واحدة.

قال المقريزي بعد أن ذكر تدرج القرمطي في جمع أموال أتباعه: «فلما تم ذلك فرض عليهم «الألفة» وهو أن يجمعوا أموالهم في موضع واحد، وأن يكونوا فيه أسوة واحدة لا يفضل أحد منهم صاحبه وأخاه في ملك يملكه. . .»[(٢)].

فلما استقام للقرمطي هذا المبدأ الذي دعا إليه وهو شيوعية الأموال انتقل إلى شيوعية النساء، فأمر دعاته بجمع النساء في ليلة معروفة، ويختلطن بالرجال ويتراكبن ولا يتنافرن، وجعل ذلك دليلاً على صحة الود والألفة بين أتباعه[(٣)].

وكذلك فعل أبو سعيد الجنابي في بلاد البحرين، حيث سار على طريقة حمدان قرمط في جمع الأموال وإشاعتها بين أتباعه، ثم طبّق مبدأ شيوعية النساء حتى إنه مكّن أحد الدعاة من امرأته، كما أشار إلى ذلك ابن الأثير فيما نقله عن أحد القرامطة: «إنه كان عند أبي سعيد الجنابي، وأتاه يحيى فأكلوا طعاماً فلما فرغوا خرج أبو سعيد من بيته وأمر امرأته أن تدخل إلى يحيى،

---

(١) المنتظم (١٢/٢٩٧). (٢) اتعاظ الحنفاء (١/١٥٧).
(٣) انظر: اتعاظ الحنفاء (١/١٥٨)، والحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص١٦٥.

وألا تمنعه إن أراد...»[١].

وعلى هذا المسلك جرى أيضاً علي بن الفضل فقد سن لأتباعه من قرامطة اليمن ليلة يجتمعون فيها سماها بليلة الإفاضة، فكان يجمع أهل مذهبه من رجال ونساء في دار واسعة بالليل، ويأمر بإطفاء السرج، وأن يأخذ كل واحد من وقعت يده عليها[٢].

بل لم تقف شيوعية النساء عند القرامطة عند هذا الحد حتى بلغ بهم الأمر إلى إباحة المحارم من الأمهات والبنات، ومما جاء في رسائل بعض دعاتهم: «وما العجب من شيء كالعجب من رجل يدعي العقل ثم يكون له أخت أو بنت حسناء وليست له زوجة في حسنها، فيحرمها على نفسه، وينكحها من أجنبي، ولو عقل الجاهل لعلم أنه أحق بأخته وبنته من الأجنبي...»[٣].

وقد ورد في أبيات ابن الفضل ما يدل على ذلك حتى قال مخاطباً لنساء القرامطة:

فلا تمنعي نفسك المعرسيـ ـن من الأقربين ومن أجنبي
فكيف تحلي لهذا الغريب وصرت محرمة للأب
أليس الغراس لمن ربه وسقاه في الزمن المجدب[٤]

ولم تقف إباحية القرامطة عند إباحة النساء، بل تجاوزت ذلك إلى إباحة الرجال والغلمان وفعل اللواط بهم، بل ذهبوا إلى أن من امتنع عن هذا الفعل بعد أن طلب منه فهو كافر خارج عن شريعتهم، وإذا أمكن من نفسه فهو مؤمن فاضل، وفي بيان ذلك يقول أبو الحسين الملطي في سياق ذكر إباحيتهم: «زعموا أن نساء بعضهم حلال لبعض، وكذلك أولادهم، وأبدانهم مباحة من

---

(١) الكامل لابن الأثير (٦/٣٩٧).
(٢) انظر: كشف أسرار الباطنية لمحمد بن مالك ص٦٨، وغلاة الشيعة ص١٨٩.
(٣) الفرق بين الفرق ص٢٩٧.
(٤) انظر: كتاب كشف أسرار الباطنية ص٥٩، وبيان مذهب الباطنية وبطلانه ص٨٣.

بعضهم لبعض، لا تحظير بينهم ولا منع، فهذا عندهم محض الإيمان، حتى لو طلب رجل منهم من امرأة نفسها أو من رجل أو من غلام فامتنع عليه فهو عندهم خارج من شريعتهم، وإذا أمكن من نفسه فهو مؤمن مواس فاضل، والمفعول به من الرجال والنساء أفضل عندهم من الفاعل حتى يقوم الواحد منهم من فوق المرأة التي لها زوج وليست له بمحرم فيقول لها: طوباك يا مؤمنة... وهكذا يقول للرجل والغلام إذا أمكن من نفسه»[١].

فهذه هي الشيوعية عند القرامطة، ولذلك كان غالب أتباعهم من السفلة الذين يريدون إشباع شهواتهم، والأعراب المتقلبين الذين يسعون خلف كل ناعق طمعاً في نهب الأموال لتأمين حاجاتهم وسد عوزهم[٢].

ومما تقدم تتضح عقيدة القرامطة التي نادوا بها ودعوا إليها وأنها بعيدة كل البعد عن شريعة الإسلام، بل هي حقيقة الزندقة والإلحاد، ولذلك اشتهر إطلاق لفظ الزندقة على القرامطة بين العلماء، وعدوا فرقة القرامطة إحدى فرق الزنادقة كما قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في حوادث سنة ثمان وسبعين ومائتين، قال: «وفيها تحركت القرامطة، وهم فرقة من الزنادقة الملاحدة» ثم ذكر رَحِمَهُ اللهُ بعض عقائدهم الباطلة، ثم قال: «ثم بعد هذا كله لهم مقامات في الكفر والزندقة والسخافة مما ينبغي لضعيف العقل والدين أن ينزه نفسه عنه إذا تصوره»[٣] وقال الذهبي: «هم خوارج زنادقة مارقة من الدين»[٤] وكذلك قال غيرهم من العلماء والمؤرخين[٥]، بل إن مسمى القرامطة ارتبط بالزندقة حتى أصبح القرامطة في بعض الأقطار لا يسمون بهذا الاسم، وإنما يطلق عليهم لقب

---

(١) التنبيه والرد ص٣٣.

(٢) انظر: القرامطة لمحمود شاكر ص١٤.

(٣) البداية والنهاية (١١/ ٦٥ ـ ٦٧).

(٤) العبر في خبر من غبر، للذهبي (١/ ٣٩٩) بتحقيق: محمد زغلول، دار الكتب العلمية.

(٥) انظر: المنتظم (١٢/ ٢٩٣ ـ ٢٩٥)، ومرآة الجنان وعبرة اليقظان لليافعي (٢/ ١٤٣)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، وشذرات الذهب (٢/ ١٧١).

الزنادقة، كما قال أبو سعيد الحميري عن قرامطة اليمن: «وابن الفضل أول من سن القرمطة في اليمن، والقرمطة عند أهل اليمن عبارة عن الزندقة، وصاحبها عندهم قرمطي، فجمعه قرامطة»[١].

والخلاصة: أن القرامطة فرقة من فرق الزنادقة، وذلك لقولهم بالحلول وادعاؤهم للألهية والنبوة وقولهم بالإباحية وغير ذلك من عقائدهم وأفعالهم المناقضة للإسلام، وعداوتهم للإسلام وأهله ظاهرة في قتلهم الأعداد الكثيرة من المسلمين، وقطعهم الطرق على قوافل الحجيج واعتدائهم على الحجاج داخل الحرم وقتل الكثير منهم، واستهانتهم بحرمة الكعبة المشرفة، وأخذهم للحجر الأسود، وغير ذلك مما يدل صراحة على زندقتهم وإلحادهم.

(١) الحور العين ص٢٠٠.

المبحث السادس

فرق أخرى

أولاً: النصيرية:

النصيرية: فرقة باطنية غالية ظهرت في القرن الثالث الهجري بعد انشقاقها عن الشيعة الاثني عشرية، فتبنت عقائد باطلة وآراء منحرفة انتهت بهم إلى الزندقة والخروج من الإسلام[١].

والنصيرية ينسبون إلى مؤسس مذهبهم «محمد بن نصير النميري»[٢] الذي عاش في القرن الثالث الهجري، وكان من أصحاب الحسن العسكري[٣] الإمام الحادي عشر للشيعة الإمامية الاثني عشرية[٤].

وقد زعم ابن نصير أنه هو الباب إلى الإمام الحسن العسكري والحجة من بعده، إلا أن الإمامية لم تقر له بذلك، بل أنكروا ما ادعاه من البابية،

---

(١) انظر: دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين ـ الخوارج والشيعة ـ د. أحمد جلي ص٣١١، مركز الملك فيصل للبحوث، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ، والموسوعة الميسرة ص٥١١.

(٢) محمد بن نصير النميري، أبو شعيب البصري، أحد دعاة الحسن العسكري، مؤسس فرقة النصيرية، عاصر ثلاثة من أئمة الإمامية، زعم أنه هو الباب إلى الإمام العسكري، ثم ادعى النبوة، وأظهر الغلو في الأئمة إلى حد التأليه، توفي سنة ٢٧٠هـ. انظر: فرق الشيعة ص٩٣، والموسوعة الميسرة ص٥١١، ومعجم الفرق الإسلامية لعارف تامر ص١٢٨، دار المسيرة، بيروت ١٩٩٠م.

(٣) الحسن بن علي بن محمد الهاشمي أبو محمد العسكري، الإمام الحادي عشر عند الإمامية، كان صاحب عبادة ونسك، ولد سنة ٢٣٢هـ، وتوفي سنة ٢٦٠هـ. انظر: فرق الشيعة ص٩٥ ـ ٩٦، ووفيات الأعيان والكامل لابن الأثير (٦/ ٢٤٩) (٢/ ٩٤)، والأعلام (٢/ ٢٠٠).

(٤) انظر: غلاة الشيعة ص٢٤٩، ودراسة عن الفرق ص٣١١.

فانفصل عنهم، وكوّن فرقة جديدة عرفت بالنصيرية[١].

وقد أشار الشهرستاني إلى هذه الفرقة بهذا الاسم فقال: «النصيرية... من جملة غلاة الشيعة، ولهم جماعة ينصرون مذهبهم، ويذبون عن أصحاب مقالاتهم»[٢].

ويطلق بعض المصنفين في الفرق على هذه الطائفة اسم «النميرية» كما فعل النوبختي، حيث قال عن هذه الطائفة: «وقد شذت فرقة من القائلين بإمامة «علي بن محمد»[٣] في حياته فقالت بنبوة رجل يقال له «محمد بن نصير النميري»... فسميت «النميرية»»[٤].

وللنصيرية اسم ثالث خلعه عليهم الاستعمار الفرنسي وهو «العلويون»، وهم يحرصون على التسمي بذلك، إذ يرون أنه يربطهم بالإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي هو ـ كما يزعمون ـ أساس مذهبهم وعقيدتهم[٥].

نشأة النصيرية:

تنسب النصيرية ـ كما تقدم ـ إلى مؤسسها الأول «محمد نصير النميري» المكنى بـ«أبي شعيب» والذي عاش في القرن الثالث الهجري، وتولى زعامة هذه الطائفة إلى أن توفي حوالي سنة (٢٧٠هـ)[٦].

---

(١) انظر: الحركات الباطنية، د. محمد الخطيب ص٣٢٣.

(٢) الملل والنحل (١/ ٢٢٠ ـ ٢٢١).

(٣) علي بن محمد بن علي الهاشمي أبو الحسن العسكري الملقب بالهادي، عاشر الأئمة الاثني عشرية عند الإمامية، ولد سنة ٢١٤هـ، وتوفي بسامرا سنة ٢٥٤هـ. انظر: فرق الشيعة ص٩١ ـ ٩٣، ووفيات الأعيان (٣/ ٢٧٢)، والأعلام (٤/ ٣٢٣).

(٤) فرق الشيعة ص٩٣ ـ ٩٤.

(٥) انظر: النصيرية لسهير الغيل ص١٩، دار المنار، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، وتاريخ العلويين لمحمد غالب الطويل ص٤٤٩، دار الأندلس، الطبعة الرابعة، ١٤٠١هـ، والجذور التاريخية للنصيرية العلوية للحسيني عبد الله ص٧٥، دار الاعتصام، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ، وغلاة الشيعة ص٢٥٢.

(٦) انظر: العلويون أو النصيرية لعبد الحسين مهدي ص٧، والموسوعة الميسرة ص٥١١.

وقد بنى ابن نصير أساس عقيدة هذه الفرقة الغالية على الزندقة مما جعل مذهبه من أعمق المذاهب في الإباحية والغلو في البشر، وأبعدها عن شريعة الإسلام.

وقد استمر ابن نصير في الدعوة إلى مذهبه حتى ذاع صيته، وانتشرت أفكاره، وصار له أتباع يدينون بمذهبه، وقد بقي هذا المذهب بأفكاره الغالية بعد وفاة ابن نصير، حيث تولى رئاسة النصيرية بعده عبد الله بن محمد الجنبلاني[١]، وقد سافر الجنبلاني إلى مصر، وهناك أدخل الحسين بن حمدان الخصيبي[٢] في مذهبه، وبعد رجوعه إلى بلده تبعه الخصيبي إلى هناك، ثم خلفه بعد وفاته وأصبح رئيساً دينياً للنصيريين[٣].

ولما تولى الخصيبي رئاسة مذهب النصيرية انتقل إلى العراق، وجاهر بالدعوة إلى مذهبه حتى انتشر مذهبه في تلك الأمصار، وساعده على ذلك أمراء الشيعة من بني بويه وغيرهم[٤].

وقد بقيت النصيرية بعد الخصيبي، وتناوب على رئاستها عدد من

---

(١) عبد الله بن محمد الجنان الجنبلاني، أبو محمد الفارسي، أحد دعاة النصيرية وزعماء مذهبهم، وهو الذي أدخل التصوف في مذهب النصيرية، وإليه تنسب الطريقة «الجنبلانية»، سافر إلى مصر واستمال الخصيبي إلى مذهب النصيرية، وتوفي سنة ٢٨٧هـ. انظر: الحركات الباطنية في الإسلام لمصطفى غالب ص٢٧٢، دار الكاتب العربي، ومذاهب الإسلاميين ص١١٧٣.

(٢) الحسين بن علي بن حمدان الخصيبي، أحد دعاة النصيرية وعلمائهم، تولى زعامة مذهبهم بعد وفاة الجنبلاني، ويعد الخصيبي من أهم شراح مذهب النصيرية، ولما تولى زعامة المذهب جعل مقره بغداد، ثم أخذ يتجول بين الأتباع، ثم انتقل إلى حلب، وتوفي بها سنة ٣٤٦هـ. انظر: الحركات الباطنية لمصطفى غالب ص٢٧٢، ومذاهب الإسلاميين ص١١٧٣.

(٣) انظر: تاريخ العلويين لمحمد الطويل ص٢٥٧ ـ ٢٥٨، والباكورة السليمانية لسليمان الأذني ص٢٥ ـ ٢٦، دار الصحوة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، والحركات الباطنية للخطيب ص٣٢٦، والنصيرية لسهير محمد ص٢٤ ـ ٢٦.

(٤) انظر: العلويون بين الأسطورة والحقيقة لهاشم عثمان ص٢٢٦، وتاريخ العلويين ص٢٥٩، والحركات الباطنية ص٣٢٦ ـ ٣٢٨.

الزعماء، وتعرضت لعدة حروب وصدمات من قبل الإسماعيلية وغيرهم حتى كادت تلك الحروب أن تقضي عليهم، إلا أنهم استطاعوا رد تلك المصادمات والمحافظة على وجودهم في بلاد الشام(١).

ولم تزل فرقة النصيرية ببلاد الشام مستوطنة جبال اللاذقية(٢) المعروفة باسمهم إلى يومنا هذا، وقد كان لهم مواقف مخزية ضد المسلمين، حيث نزلوا من جبالهم في أثناء الحروب الصليبية لمساعدة إخوانهم النصارى ضد المسلمين، مما جعل النصارى يعطفون عليهم ويقربونهم، وكذلك فعلوا مع التتار حينما هاجموا بلاد المسلمين ومكنوهم من رقاب المسلمين، حتى إذا انحسرت غارات التتار رجعوا إلى جبالهم، وهكذا وقفوا مع الاحتلال الفرنسي لبلاد سوريا عام (١٩٢٠م)، والذي خلع عليهم مسمى «العلويين» كما تقدم.

ولم يكتف النصيرية بذلك حتى وقفوا مع اليهود وأشادوا باحتلالهم لفلسطين، ولم يقفوا عند الإشادة بهم وإنما قاموا بتسليمهم مرتفعات الجولان(٣) السورية في سنة (١٩٦٧م)، وهكذا يقف النصيرية مع كل عدو للمسلمين قديماً وحديثاً نظراً لحقدهم الشديد على الإسلام والمسلمين(٤).

أهم عقائد النصيرية:

تأليههم للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

يعد القول بإلهية علي بن أبي طالب رضي الله عنه أهم عقائد النصيرية التي بنوا

---

(١) انظر: الحركات الباطنية لمصطفى غالب ص٢٧٢ ـ ٢٧٣، والنصيرية لسهير محمد ص٢٦ ـ ٢٩.

(٢) اللاذِقيَّة: تقع على سواحل بحر الشام، وتُعَدُّ من أعمال حمص، وبينهما ستة فراسخ من جهة الغرب. انظر: مراصد الاطلاع (٣/ ١١٩٣).

(٣) الجولان: بالفتح ثم السكون: جبل من نواحي دمشق ثم من أعمال حوران، قال ابن دريد: يقال للجبل حارث الجولان. انظر: معجم البلدان (٢/ ٢١٩).

(٤) انظر: المذاهب الإسلامية د. محمد أبو زهرة ص٥٦، والحركات الباطنية للخطيب ص٣٢٩ ـ ٣٣١، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٥/ ١٥٠ ـ ١٥١).

عليها مذهبهم، إذ يعتقد النصيرية أن علياً قد صار إلٰهاً عن طريق حلول الإلٰه فيه، وذلك لاعتقادهم بأن الله تعالى يحل في الأشخاص، وأن آخر حلول له كان في علي بن أبي طالب، ومن ثم فهم يعتقدون أنه إلٰه ويدينون له بالعبودية(١).

ويعتقد النصيرية بحلول الإلٰه في البشر من أول الخليقة، وأن ذلك قد مرّ بسبعة أدوار تجلى فيها الإلٰه في عدد من الأشخاص، واتخذت في كل دور رسولاً ناطقاً.

«فيعتقدون حلول الألوهية... في شيث من بعده هابيل ولدا آدم، وأن آدم هو النبي العظيم، ثم انتقلت الألوهية إلى سام، والنبوة إلى نوح، وبعده انتقلت الألوهية إلى إسماعيل، والنبوة إلى إبراهيم، ثم انتقلت الألوهية إلى شمعون الصفا المعروف عند النصارى ببطرس، والنبوة إلى عيسى، ثم انتقلت الألوهية إلى علي بن أبي طالب، والنبوة إلى محمد بن عبد الله...»(٢).

ويظهر أثر اعتقاد النصيرية في علي رضي الله عنه وتأليههم له، في تلك الأدعية التي ينادونه فيها ويصفونه بجميع صفات الرب سبحانه وتعالى كما ورد ذلك في أحد أدعيتهم حيث يقول أحدهم: «اللهم إني أسألك يا مولاي، يا أمير النحل، يا علي يا عظيم، يا أزل يا فرد يا قديم، يا علي يا كبير، يا أكبر من كل كبير، يا خالق الشمس والقمر المنير، يا علي يا قدوة الدين، يا عالم يا خبير، يا راحم الشيخ الكبير، يا منشئ الطفل الصغير، يا جابر العظم الكسير...»(٣).

ومع اعتقاد النصيرية بألوهية علي بن أبي طالب رضي الله عنه فإنهم أيضاً يعظمون

---

(١) انظر: الباكورة السليمانية لسليمان الأذني ص٩٧، ومذاهب الإسلاميين ص١١٨٦، وفرق معاصرة (١/ ٣٤٤ ـ ٣٤٥).

(٢) تقسيم جبل لبنان لمؤلف مجهول مخطوط لوحة ٥٧، الجامعة الأميركية برنستون رقم (٤٦٣٤)، ولها مصورة بالميكروفيلم في مكتبة الملك فهد بالرياض بالرقم نفسه، وانظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٥/ ١٤٦).

(٣) الجيل التالي لمحمد حسين ص٧٩، دار العقيدة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م، وانظر: فرق معاصرة (١/ ٣٤٦).

قاتله ابن ملجم، ويترضون عنه، لزعمهم بأنه خلص اللاهوت من الناسوت، ويخطئون من يلعنه، بل ويعتبرونه أفضل أهل الأرض جميعاً[(١)].

وقد اختلف النصيرية في مكان حلول علي بعد أن ترك ثوبه الآدمي؛ أي: صورته البشرية؛ فمنهم من يتجه إلى القمر في عبادته لاعتقاده أن علياً حل في القمر أو أنه هو القمر ذاته، ولذا فهم يعتقدون أن ما في القمر من سواد ليس إلا أعضاء جسم علي، ومنهم من يتجه إلى الشمس في عبادته لاعتقاده أن علياً حل في الشمس.

ومن اعتقادات النصيرية في علي ﷺ أنه يسكن السحاب، وأن الرعد صوته، والبرق ضحكه، ولهذا فهم يعظمون السحاب[(٢)(٣)].

وقد حدث لعقيدة الحلول عند النصيرية بعض التطور نتيجة لتأثرهم ببعض المذاهب والأديان الأخرى، فبالإضافة إلى قولهم بحلول الإلـٰه في علي وعبادته من دون الله تعالى، فقد أضافوا إلى ذلك القول بما يشبه عقيدة التثليث عند النصارى، حيث ألفوا ثالوثاً يتكون من علي ومحمد ﷺ وسلمان الفارسي، واتخذوا من ذلك شعاراً يتكون من الحروف الثلاثة (ع.م.س) والمراد بذلك ـ عندهم ـ «المعنى والاسم والباب» فالمعنى ـ عندهم ـ هو الغيب المطلق أي الله الذي يرمز إليه بحرف (ع)، والاسم هو صورة المعنى الظاهر، ويراد به محمد ﷺ ويرمز إليه بحرف (م)، والباب هو الطريق الذي يوصل إلى المعنى، ويراد به سلمان الفارسي ويرمز إليه بحرف (س)[(٤)].

---

(١) انظر: الفصل في الملل والنحل (٤/ ١٨٨)، والجيل الجديد ص١٠٧، والحركات الباطنية للخطيب ص٣٥١.

(٢) وهذه العقيدة إنما ورثوها عن سلفهم من زنادقة السبئية ـ كما تقدم ـ ولذلك فهم يقدمون ابن سبأ الزنديق اليهودي ويجعلونه أول الأقطاب عندهم، كما ورد ذلك ـ عندهم ـ في سورة النقباء وغيرها. انظر: الجيل الجديد ص١٠٧ ـ ١٠٨.

(٣) انظر: مذاهب الإسلاميين ص١١٨٦، وفرق معاصرة (١/ ٣٤٥).

(٤) انظر: الباكورة السليمانية ص٢٩ ـ ٣٠، والجيل الجديد ص٤٠، وإسلام بلا مذاهب ص٢٧٣.

وهؤلاء الثلاثة ـ عندهم ـ لا ينفصلون أبداً ويجعلونهم بمثابة «بسم الله الرحمٰن الرحيم» كما ورد في «كتاب تعليم ديانة النصيرية» في قوله:

«س: ما هو الاسم والمعنى والباب؟

ج: هو ثالوث غير منفصل، تدل وحدانيته على إلٰهية مولانا، ولهذا تقول: بسم الله الرحمٰن الرحيم، فلفظة الله تدل على المعنى ولفظة الرحمٰن الرحيم تدل على الاسم والباب»[(١)].

والعلاقة بين أطراف هذا الثالوث هي علاقة إيجاد، فعلي ـ عندهم ـ هو الخالق لمحمد، ومحمد هو الخالق لسلمان، وسلمان الفارسي هو الخالق لمن يسمونهم بالأيتام الخمسة[(٢)].

قال صاحب «الباكورة السليمانية» فيما ذكره في سياق سورة الفتح ـ عندهم ـ: «أشهد بأن مولاي أمير النحل علي اخترع السيد محمد من نور ذاته وسماه اسمه ونفسه وعرشه وكرسيه وصفاته لا متصل به ولا منفصل عنه... وأشهد بأن السيد محمد خلق السيد سلمان من نور نوره، وجعله بابه، وحامل كتابه، فهو سلسل وسلسبيل، وهو جابر وجبرائيل، وهو الهدى واليقين، وهو بالحقيقة رب العالمين، وأشهد بأن السيد سلمان خلق الخمسة الأيتام الكرام...»[(٣)].

٢ ـ تناسخ الأرواح:

تعتقد النصيرية بتناسخ الأرواح وانتقالها من جسد إلى آخر، فعندما تفارق الروح الجسد بالموت تبقى الروح فتتقمص جسداً آخر وهكذا، فالمؤمن

---

(١) كتاب تعليم ديانة النصيرية، لمؤلف مجهول، لوحة ٤، مخطوط بالمكتبة الوطنية باريس رقم (٦١٨٢)، ولها مصورة بالميكروفيلم في مركز الملك فيصل للبحوث الإسلامية بالرياض بالرقم نفسه.

(٢) المراد بالأيتام الخمسة عندهم: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وعبد الله بن رواحة، وعثمان بن مظعون، وقنبر بن كادان. انظر: مذاهب الإسلاميين ص١٢٣٢.

(٣) الباكورة السليمانية ص١٨، وانظر: غلاة الشيعة ص٢٥٨، ومذاهب الإسلاميين ص١٢٣٢.

ـ عندهم ـ وهو من يعتقد عقيدتهم تتقمص روحه أجساداً أخرى فترتقي في الدرجات والمراتب حتى تمر بذلك سبع مرات ثم بعد ذلك تخرج من عالم القمصان اللحمية لتحل في عالم قمصان الأنواع وهي النجوم.

وأما الكافر ـ عندهم ـ وهو من لا يعتقد بعقيدتهم فيقع عليه المسخ والنسخ فيبقى كذلك على مر الأدوار يأتي بقمصان رديئة دنيئة على شكل كلاب أو إبل أو حمير من الحيوانات التي تذبح والتي لا تذبح، أو يأتي بصورة جامدة من معدن أو حجر فيذاق بذلك حر الحديد وبرده(١).

فالكافر يمسخ في حيوان أو جماد بحسب حاله ولا يمكن أن ينسخ في صورة بشرية، وذلك لجحوده وتكذيبه لدين النصيرية.

يقول صاحب الهفت الشريف: «وإنه ليلقاك الرجل في بدنه وأنت تظن أنه آدمي، وإنما هو قرداً أو خنزيراً أو كلباً أو دباً(٢)»(٣)؛ أي: في صورته المسخية المستقبلة بعد موته، حيث تنتقل روحه إلى أحد هذه الحيوانات، والنصيرية باعتقادهم ذلك يبطلون الثواب والعقاب في الآخرة، بل ينكرون البعث والحساب، والجنة والنار، بل الجنة والنار ـ عندهم ـ إنما تكونان في الحياة الدنيا، فالمؤمن ـ عندهم ـ يتنعم في تقمصه للأجساد البشرية الطيبة فيرتقي في الدرجات حتى يحل في النجوم.

والكافر ـ عندهم ـ يعذب في نسخه ومسخه في صور الحيوانات والحشرات المختلفة بل في صور الجمادات من الأحجار والمعادن وغيرها، وقد أوَّلوا الآيات الواردة في الثواب والعقاب والجنة والنار على اعتقادهم ذلك وأنكروا حقائقها الظاهرة أسوة بغيرهم من فرق الباطنية(٤).

---

(١) انظر: الباكورة السليمانية ص٩٦، والحركات الباطنية للخطيب ص٣٥٦، ومذاهب الإسلاميين ص١٢٣٣.

(٢) هكذا في الأصل وصوابها جميعاً بالرفع.

(٣) الهفت الشريف من فضائل مولانا جعفر الصادق للمفضل بن عمرو بتحقيق: د. مصطفى غالب ص٨٠، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـ.

(٤) انظر: فرق معاصرة (١/٣٥١ ـ ٣٥٢)، ودراسة عن الفرق ص٣١٩، والحركات الباطنية للخطيب ص٣٥٨.

٣ ـ موقفهم من شعائر الإسلام:

يتفق النصيرية مع بقية فرق الباطنية في تأويل شعائر الإسلام تأويلاً باطنياً يتناسب مع عقيدتهم الكفرية، حيث أخرجوا الفرائض والعبادات عن حقائقها الظاهرة، وجعلوها رموزاً لبعض أئمتهم ورجالهم المقدسين، وزعموا أن من عرف تلك الرموز وأسرارها فقد سقط عنه العمل بظاهرها واكتفى بمعرفة أسرارها وبواطنها.

فالصلاة ـ عندهم ـ عبارة عن خمسة أسماء هي: علي، وحسن، وحسين، ومحسن، وفاطمة، وذكر هذه الأسماء ـ عندهم ـ يجزئ عن الغسل من الجنابة والوضوء وبقية شروط الصلاة وواجباتها، وبعضهم يجعل كل فرض من فروض الصلاة لواحد من الأئمة، ويربطون بين عدد الركعات وعدد حروف اسم من تؤدى له الصلاة، فيقولون الظهر أربع ركعات وتصلى باسم «محمد» والمغرب ثلاث ركعات وتصلى باسم «الحسن» وهكذا[(١)].

والصوم ـ عندهم ـ ليس هو الامتناع عن الأكل والشرب وجميع المفطرات، وإنما هو الامتناع عن معاشرة النساء طوال شهر رمضان.

وأما الحج فينكرون حقيقته، ويرون أن الذهاب إلى مكة لأداء فريضة الحج داخل في الكفر وعبادة الأصنام، ويجعلون شعائر الحج وأركانه كناية عن معرفة بعض من يعظمونه من أئمتهم، فمعرفة هؤلاء الأئمة نهاية حجهم.

وأما الجهاد ـ عندهم ـ فهو صب الشتائم على أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وكذلك يكون الجهاد أيضاً في إخفاء مذهبهم وأسرارهم وصب اللعنات على مفشي أسرارهم[(٢)].

وهكذا يتعامل النصيرية مع جميع فرائض الإسلام وشعائره حيث جعلوا لكل عبادة باطناً وأسراراً لا يعلمها غيرهم فأبطلوا الشريعة كما فعل إخوانهم من الباطنية.

---

(١) انظر: الموسوعة الميسرة ص٥١٤.

(٢) انظر: الحركات الباطنية للخطيب ص٣٩٢، ودراسة عن الفرق ص٣٢٠ ـ ٣٢١.

والنصيرية مع هذا يعظمون الخمر ويقدسونها ويتعبدون بشربها، ويحترمون شجرة العنب لذلك ويستعظمون قطعها لأنها هي أصل الخمر، ويطلقون على الخمر «عبد النور» لاعتقادهم أن الله ظهر فيها، كما ورد ذلك في «كتاب تعليم ديانة النصيرية» في قوله:

«س: ما هو النوروز؟.

ج: هو تقديس الشراب ـ أي: الخمر ـ.

س: ماذا يدعى الخمر المقدس الذي تشرب منه المؤمنون؟.

ج: يدعى عبد النور.

س: لماذا يدعى عبد النور؟.

ج: لأن الله ظهر بها»(١).

ومما تقدم تتضح عقيدة النصيرية، وبُعدهم عن الإسلام، وأنهم زنادقة أرادوا إفساد الدين وتشويه الشريعة، إلا أن أئمة الإسلام قد تفطنوا لكيدهم وخطرهم على دين الإسلام، فكشفوا زيغهم، وبينوا كفرهم وزندقتهم، كما فعلوا مع غيرهم من الزنادقة أعداء الشريعة والدين. وقد أشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله: «هؤلاء القوم المسمون بالنصيرية هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية أكفر من اليهود والنصارى... فإن هؤلاء يتظاهرون عند جهال المسلمين بالتشيع، وموالاة أهل البيت، وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا برسوله ولا بكتابه، ولا بأمر ولا بنهي، ولا ثواب ولا عقاب وقد صنف علماء المسلمين كتباً في كشف أسرارهم وهتك أستارهم، وبينوا فيها ما هم عليه من الكفر والزندقة والإلحاد»(٢).

والخلاصة:

أن النصيرية فرقة من فرق الزنادقة الباطنية وذلك لقولهم بتأليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعبادته من دون الله تعالى، وإنكارهم البعث والحساب

---

(١) كتاب تعليم ديانة النصيرية لوحة ١٧ ـ ١٨.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٤٩/٣٥ ـ ١٥٠).

والثواب والعقاب، وقولهم بتناسخ الأرواح وإبطالهم للفرائض، وتحليلهم للمحرمات، وغير ذلك من عقائدهم التي تكشف زندقتهم وعداوتهم الظاهرة للإسلام والمسلمين.

ثانياً: الدروز:

الدروز[١]: فرقة باطنية تتستر بالإسلام، وهي في حقيقة أمرها تعمل على هدم الإسلام والقضاء عليه، وتنتسب هذه الفرقة إلى نشتكين الدرزي[٢] الذي قال بإلهية الحاكم العبيدي ودعا أتباعه إلى ذلك[٣].

والدروز هو الاسم الذي اشتهرت به هذه الفرقة وعرفت به، إلا أن الدروز يكرهون تسميتهم بذلك، ولا يحبون الانتساب إلى نشتكين الدرزي، وذلك لمخالفته لحمزة الزوزني[٤] المؤسس الحقيقي لمذهبهم[٥].

---

(١) الدروز في اللغة: فارسي معرب، ويقال للقمل والصئبان: بنات الدروز، وأولاد درزة: الغوغاء، والعرب تقول للدعي: هو ابن درزة، وذلك إذا كان ابن أمة تساعي فجاءت به من المساعاة ولا يعرف له أب. انظر: لسان العرب (٥/ ٣٤٨)، والقاموس المحيط ص٦٥٧.

(٢) محمد بن إسماعيل الدرزي، الملقب بنشتكين، أحد مؤسسي مذهب الدروز، وإليه نسبتهم، فارسي الأصل، قدم مصر، ودخل في خدمة الحاكم، وجاهر بتأليه الحاكم، واتفق مع حمزة على الدعوة، ثم حصل بينهما اختلاف، والدروز يكرهونه ولا يحبون الانتساب إليه، توفي سنة ٤١١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/ ١٣٥)، والنجوم الزاهرة (٤/ ١٨٦)، والأعلام (٦/ ٣٥).

(٣) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٥/ ١٦١ ـ ١٦٢)، وعقيدة الدروز عرض ونقد، د. محمد الخطيب ص١٢، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ، وغلاة الشيعة ص١٩٧، والموسوعة الميسرة ص٢٢٣.

(٤) حمزة بن علي الزوزني، أشهر مؤسسي مذهب الدروز، أصله من خراسان، انتظم في الدعوة الإسماعيلية، وقدم بلاد مصر، ولازم الحاكم، ثم إنه جاهر بألوهية الحاكم، وادعى أنه رسوله، وصنف في ذلك عدة رسائل تمسك بها الدروز وجعلوها مرجع ديانتهم، ولد سنة ٣٧٥هـ، وتوفي سنة ٤٣٠هـ. انظر: الأعلام (٢/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩)، وعقيدة الدروز ص١٠٠ ـ ١٠١.

(٥) انظر: تاريخ المسلمين الموحدين الدروز، د. صالح زهر الدين ص٦٦، المركز العربي للأبحاث، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م، ومن هم الموحدون الدروز =

ويطلق الدروز على أنفسهم اسم «الموحدين» وهذا الاسم هو الموجود في كتبهم، وهم يقصدون بهذا الاسم الإشارة إلى أصل معتقدهم وهو توحيد الحاكم وتأليهه، والتميز بذلك عن سائر الفرق المنتسبة إلى الإسلام(١).

والدروز في الأصل فرقة من الإسماعيلية ـ كما تقدم ـ انشقت عن الإسماعيلية في بداية القرن الخامس، وذلك في خلافة الحاكم بأمر الله العبيدي، الذي يعد محور عقيدة الدروز، حيث ظهرت دعوتهم إلى تأليه الحاكم سنة (٤٠٨هـ) وبذلك انفصلت هذه الفرقة عن بقية الإسماعيلية، وإن كانت قد أبقت على كثير من المعتقدات والأصول الإسماعيلية(٢).

ومع اشتقاق هذه الفرقة من الإسماعيلية واتفاقهم معهم على كثير من أصولهم الباطنية إلا أن الدروز يؤكدون استقلالهم عن سائر الفرق، سواء الإسماعيلية أم غيرهم(٣).

نشأة الدروز:

كان الحاكم بأمر الله العبيدي قد أسس مركزاً لإعداد وتوجيه دعاة الإسماعيلية أسماه «دار الحكمة»، فكان يجتمع فيه بدعاة الإسماعيلية، ويتحدث معهم في مجالس الحكمة التأويلية حتى التف حول الحاكم بأمر الله عدد من دعاة الإسماعيلية وزينوا له فكرة ادعاء الألوهية، وتعهدوا له بالدعوة إلى ذلك(٤).

وقد كان من أشهر الدعاة الذين تولوا مهمة الدعوة إلى هذه العقيدة الجديدة ثلاثة أشخاص وهم: حمزة بن علي الزوزني، ومحمد بن إسماعيل

= لجميل أبو ترابي ص٨، دار علاء الدين، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

(١) انظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام (١/ ٢٧٢)، وعقيدة الدروز ص١٢ ـ ١٣.

(٢) انظر: غلاة الشيعة ص١٩٧ ـ ١٩٨، والحركات الباطنية ص٤٠٨، ومعجم الفرق الإسلامية، د. عارف تامر ص١٢٥.

(٣) انظر: مذاهب الإسلاميين (٢/ ٥٠٩)، وأصول الإسماعيلية (٢/ ٣٥٩).

(٤) انظر: الحركات الباطنية ص٢٠١ ـ ٢٠٢، وأصول الإسماعيلية (٢/ ٣٥٩).

الدرزي المعروف بـ«نشتكين»، والحسن بن حيدرة الفرغاني[(١)]، حيث عملوا على نشر هذه الدعوة بشكل سري حتى إذا كثر أتباعهم أظهروها للناس وجهروا بها[(٢)].

وقد كان حمزة الزوزني هو المتقدم لدى هؤلاء الدعاة لما كان له من المكانة والحظوة عند الحاكم حتى أصبح من الدعاة الذين يكونون دائماً في معية الحاكم لا يفارقونه أبداً. وقد اتفق حمزة مع دعاته بالتستر على هذه الدعوة وعدم الجهر بها إلى أن يحين الوقت المناسب الذي يأذن فيه بذلك، إلّا أن محمد بن إسماعيل الدرزي تسرع فكشف عن أسرار الدعوة قبل أن يأذن في ذلك حمزة مما تسبب في غضب حمزة عليه، ومهاجمة الناس لهذه الدعوة حتى أرادوا قتل الدرزي لولا وقوف الحاكم معه، حيث فر إلى قصر الحاكم فجهزه الحاكم داعياً إلى تأليهه ببلاد الشام، وقال بعد أن جهزه بالمال: «اخرج إلى الشام وانشر الدعوة في الجبال، فإن أهلها سريعو الانقياد، فخرج إلى الشام ونزل بوادي «تيم الله بن ثعلبة»[(٣)]»[(٤)].

وقد استمر هذا الداعية في نشر تلك الدعوة في بلاد الشام وما جاورها رغم ما حصل بينه وبين حمزة الزوزني من صراع حول زعامة الدعوة الجديدة والذي انتهى بقتل الداعية الدرزي سنة (٤١١هـ)[(٥)].

وأما الحسن الفرغاني وهو الملقب بـ«الأخرم» فقد كان له أثر واضح في

(١) الحسن بن حيدرة الفرغاني الملقب بالأخرم، ظهر بالقاهرة عقب ظهور حمزة، ودعا إلى مثل ما دعا إليه حمزة من تأليه الحاكم وذلك سنة ٤٠٩هـ، وقد قربه الحاكم وسيره في موكبه، إلا أنه لم تمض عليه إلا أيام قلائل حتى وثب عليه رجل من أهل السُّنَّة وقتله مع بعض أتباعه. انظر: النجوم الزاهرة (٤/ ١٨٤ ـ ١٨٥)، وشذرات الذهب (٣/ ١٩٤).

(٢) انظر: عقيدة الدروز ص١٠٠ ـ ١٠٢، والإسماعيلية لإحسان ص٧٢٢ ـ ٧٢٣.

(٣) وادي تيم الله بن ثعلبة: وادي غربي دمشق من أعمال بانياس. انظر: النجوم الزاهرة (٤/ ١٨٦).

(٤) النجوم الزاهرة (٤/ ١٨٥ ـ ١٨٦)، وانظر: الحركات الباطنية ص٢٠٨.

(٥) انظر: عقيدة الدروز ص٨٠، وغلاة الشيعة ص٣٠٠.

نشر هذه الدعوة إذ كان يكتب الرقاع ويبعث بها إلى الناس ليقنعهم بالمذهب الجديد، وقد كان مع ذلك يجاهر بهذه الدعوة الخبيثة أمام الناس مما أثار الحمية الدينية لدى كثير من أهل السُّنَّة، حيث هجم عليه أحدهم وقتله، وقتل معه ثلاثة من أتباعه(١).

وأما حمزة الذي يعتبر هو المؤسس الحقيقي لهذا المذهب ـ فقد جهر بالدعوة إلى تأليه الحاكم سنة (٤٠٨هـ)، وصنف في ذلك عدة رسائل أصبحت فيما بعد من الكتب المقدسة لدى الدروز، يتعبدون بما فيها، وأما مصنفها حمزة فهو عندهم بمثابة محمد ﷺ عند المسلمين(٢).

وقد انفرد حمزة بزعامة هذا المذهب الجديد بعدما قُتل منافساه في الدعوة إلى ذلك، فصار أمر المذهب إليه، فعند ذلك لقب نفسه بـ«هادي المستجيبين، وإمام الزمان، وقائم الزمان، والمنتقم من المشركين» وغير ذلك من الألقاب الكثيرة(٣).

وقد كان حمزة يرسل الرسائل إلى أعيان الدولة من القضاة وغيرهم يدعوهم فيها إلى اعتناق مذهبه، فقد أرسل رسالة إلى أحد القضاة يتوعده إن لم يستجب لدعوته، وقد ذكر ذلك في رسالته المسماة برسالة البلاغ فقال: «وقد أرسلت إلى القاضي عشرين رجلاً ومعهم رسالة رفعت نسختها إلى الحضرة اللاهوتية، فأبى القاضي واستكبر وكان من الكافرين، واجتمعت على غلماني ورسلي الموحدين لمولانا جل ذكره زهاء مائتين من العسكرية والرعية وما منهم رجل إلا ومعه شيء من السلاح...»(٤).

وقد كان الحاكم بأمر الله وراء تلك الدعوة يشرف عليها ويوجه دعاتها

---

(١) انظر: شذرات الذهب (٣/ ١٩٤ ـ ١٩٥)، وغلاة الشيعة ص٢٠١.
(٢) انظر: الإسماعيلية لإحسان ص٧٢٦، والموسوعة الميسرة ص٢٢٣.
(٣) انظر: طائفة الدروز ص٨٠، وغلاة الشيعة ص٢٠٣.
(٤) طائفة الدروز تاريخها وعقائدها، د. محمد كامل حسين ص٧٨ ـ ٧٩، دار المعارف ـ مصر، الطبعة الثانية، وقد نقل نص هذه الرسالة عن رسالة البلاغ للداعي حمزة، وانظر: غلاة الشيعة ص٢٠٥.

ويدافع عنهم كما صرح بذلك حمزة بقوله: «فتأييد مولانا سبحانه واصل إلي، ورحمته وأفضاله ظاهرة وباطنة علي، وجميع أصحابي المستجيبين عزيزين مكرمين... مقضيون[١] الحوائج دون سائر العالمين، ورسلي واصلة بالرسائل والوثائق إلى الحضرة اللاهوتية التي لا تخفى عنها خافية لا في السر ولا في العلانية»[٢].

وهذا بلا شك يدل على أن تلك الدعوة الخبيثة إنما قامت بدورها في الدعوة تحت رعاية الحاكم وتأييده ونصرته لكل من استجاب لهذه الدعوة واعترف بربوبية الحاكم وتعبد له من دون الله تعالى.

وقد اختفى حمزة بعد مقتل الحاكم سنة (٤١١هـ)، وإن كان الدروز يعتقدون أنه لم يمت وإنما تغيب وسيرجع ـ كما سيأتي ـ وظل حمزة مختفياً إلى أن مات سنة (٤٣٠هـ)[٣].

وقد قام بالدعوة بعد اختفاء حمزة الداعي بهاء الدين أبو الحسن علي السموقي المعروف بالضيف[٤]، حيث استمر في الدعوة لهذا المذهب وكتابة الرسائل إلى أتباعه، وألف كثيراً من كتبهم ثم أغلق باب الاجتهاد في المذهب، حرصاً منه على المحافظة على الأصول التي وضعها هو وحمزة[٥]،

---

(١) هكذا في الأصل والصواب (عزيزون مكرمون...).

(٢) رسالة الصحبة الكائنة لهادي المستجيبين حمزة بن علي لوحة ٦٨ ـ ٦٩، مخطوط بالمكتبة الوطنية بباريس تحت رقم (٢٣٥) ولها مصورة بالميكروفيلم بمركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية بالرقم نفسه.

(٣) انظر: عقيدة الدروز ص٨١، وفرق معاصرة (١/ ٣٧١).

(٤) علي بن أحمد الطائي السموقي، بهاء الدين أبو الحسن الدرزي، الملقب بالضيف، أحد دعاة الدروز وأحد «الحدود الخمسة» عندهم والدروز، يكنون عنه في كتبهم بالتالي والجناح الأيسر، وهو واضع أسس ديانة الدروز ومؤلف أكثر كتبهم، ومنزلته عندهم كمنزلة بولس عند النصارى، وقد أعلن عن غيبته سنة ٤٣٤هـ بعدما أعلن إقفال باب الاجتهاد في مذهب الدروز. انظر: الأعلام (٤/ ٢٥٤)، وعقيدة الدروز ص١٥٤ ـ ١٥٥.

(٥) انظر: تاريخ المسلمين الموحدين الدروز ص٣٤ ـ ٣٥، والموسوعة الميسرة ص٢٢٣ ـ ٢٢٤.

وقد بقي الدروز بعد ذلك يقدسون تلك الكتب في بلاد لبنان وسوريا وغيرهما إلى يومنا هذا، إلا أنهم منغلقون على أنفسهم يتكتمون على عقائدهم، وإن كان زعماؤهم في هذا العصر قد حاولوا تطوير مذهبهم وربطه ببعض الحضارات القديمة، وتأليف بعض الرسائل في المذهب ونسبتها إلى نبيهم حمزة، كما فعل كمال جنبلاط الذي قام بكتابة مصحف للدروز ونسبه إلى حمزة وسماه «المصحف المنفرد بذاته» كما اشترك مع غيره من الدروز في تأليف بعض الرسائل في الدفاع عن عقيدة الدروز(١).

عقائد الدروز:

ترجع عقائد الدروز في جملتها إلى الأصول التي بنى عليها الإسماعيلية مذهبهم وعقائدهم وإن كان هناك شيء من الاختلاف في بعض ذلك كما سيتبين ذلك من خلال ذكر أهم تلك العقائد وذلك كما يلي:

١ ـ ألوهية الحاكم العبيدي:

تعتبر عقيدة تأليه الحاكم بأمر الله أهم عقائد الدروز التي بنوا عليها جميع آرائهم ومعتقداتهم، فالحاكم ـ عندهم ـ له حقيقة لاهوتية لا تدرك بالحواس ولا بالأوهام، ولا تعرف بالرأي ولا بالقياس(٢)، وقد صرف الدروز جميع الصفات التي لا تصلح إلا لله تعالى وجعلوها لمولاهم الحاكم، كما ورد في رسالة حمزة المسماة «ميثاق ولي الزمان» يقول فيها مبيناً نص العهد الذي يؤخذ على الداخلين في دعوته: «توكلت على مولانا الحاكم الأحد، الفرد الصمد، المنزه عن الأزواج والعدد، أقر فلان بن فلان، إقراراً أوجبه على نفسه، وأشهد به على روحه، في صحة من عقله وبدنه، وجواز أمره، طائعاً غير مكره ولا مجبر، أنه قد تبرأ من جميع المذاهب والمقالات والأديان والاعتقادات، كلها على أصناف اختلافاتها، وأنه لا يعرف شيئاً غير طاعة مولانا الحاكم جل ذكره، والطاعة هي العبادة، وأنه لا يشرك في عبادته

---

(١) انظر: عقيدة الدروز ص٨٨ ـ ٩١، والموسوعة الميسرة ص٢٢٤ ـ ٢٢٦.

(٢) انظر: طائفة الدروز ص١٠١، وعقيدة الدروز ص١١٧.

أحداً مضى أو حضر أو ينتظر، وأنه قد سلم روحه وجسمه وماله وولده وجميع ما يملكه لمولانا الحاكم جل ذكره، ورضي بجميع أحكامه له عليه، غير معترض ولا منكر لشيء من أفعاله ساءه ذلك أم سره، ومتى رجع عن دين مولانا الحاكم جل ذكره الذي كتبه على نفسه وأشهد به على روحه، أو أشار به إلى غيره، أو خالف شيئاً من أوامره، كان بريئاً من الباري المعبود، وحُرِمَ الإفادة من جميع الحدود، واستحق العقوبة من الباري العلي جل ذكره.

ومن أقر أن ليس في السماء إلـٰه معبود، ولا في الأرض إمام موجود إلا مولانا الحاكم جل ذكره كان من الموحدين الفائزين...»[(١)].

وفي رسالة أخرى يقول: «فقد بدأت ظهور نقطة البيكار[(٢)]، بتوحيد مولانا البار، الملك الجبار، العزيز الغفار، المعز القهار، الحاكم الأحد، الفرد الصمد، المنزه عن الصاحبة والولد، فلمولانا الحمد والشكر على ظهور نور الأنوار... وظهوره لكم في الصورة المرئية كما تدركون بعض ناسوته الإنسية»[(٣)].

فالدروز إنما أضفوا صفات الرب تعالى على الحاكم العبيدي وقالوا بإلهيته عن طريق الحلول؛ أي: أن الله ـ عندهم ـ حل في جسد الحاكم واتخذ صورته، إذ إن عقيدة الحلول هي إحدى عقائدهم الأساسية فهم يرون أن روح آدم أصل البشر قد انتقلت إلى علي بن أبي طالب، وأن روح علي قد انتقلت إلى الحاكم بأمر الله، ولذلك فهم يعتقدون بألوهية الحاكم بأمر الله، فهذا هو أساس مذهبهم وجوهر عقيدتهم[(٤)].

---

(١) ميثاق ولي الزمان، لحمزة بن علي لوحة ٧٨ مخطوط بالمكتبة الوطنية بباريس تحت رقم (١٤٠٨/ ٥ف ب)، ولها مصورة بالميكروفيلم بمركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية بالرياض بالرقم نفسه.

(٢) المراد بذلك ظهور حمزة بن علي نفسه. انظر: طائفة الدروز ص١٠٥.

(٣) رسالة السيرة المستقيمة لحمزة بن علي، لوحة ٨٠ مخطوط بالمكتبة الوطنية بباريس تحت رقم (١٤٠٨/ ١٢ ف ب)، ولها مصورة بالميكروفيلم بمركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية بالرياض بالرقم نفسه.

(٤) انظر: الحاكم بأمر الله للأستاذ محمد عنان ص٢٩٦، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ، وأصول الإسماعيلية (٢/ ٣٦٠ ـ ٣٦١).

٢ ـ نسخ الشريعة الإسلامية:

يعتقد الدروز أن دينهم ناسخ لجميع الأديان والشرائع بما في ذلك الشريعة الإسلامية، حيث يرون أن دينهم الذي جاء به الحاكم بأمر الله هو خاتمة الأديان وإليه منتهى الهداية والإيمان[١].

يقول حمزة بن علي في «الكتاب المعروف بالنقض الخفي» والتي ذكر حمزة أنه رفعها إلى الحضرة اللاهوتية: «توكلت على مولانا البار العلام، العلي الأعلى حاكم الحكام... أما بعد: فقد سمعتم قبل هذه الرسالة نسخ الشريعة بإسقاط الزكاة عنكم، وأن الزكاة هي الشريعة بكمالها، وقد بينت لكم في هذه الرسالة نقضها دعامة دعامة ظاهرها وباطنها... وقد سمعتم بأن يصير هذا الباطن المكنون الذي في أيديكم ظاهراً، والظاهر تلاشا ويظهر معنى حقيقة الباطن المحض وهذا وقته وأوانه...»[٢].

وقد ذكر حمزة في هذه الرسالة أن الحاكم بأمر الله نقض سائر أركان الإسلام من صلاة وصوم وزكاة وحج وجهاد، وأشار حمزة إلى أنه اعتمد في ذلك على تصرفات الحاكم بأمر الله إذ إنه لم يصل مدة طويلة لا صلاة الجمعة ولا الجنازة ولا العيدين، وقد أسقط الزكاة بالسجل الصادر عام (٤٠٠هـ) وكذلك الصيام إذ إنه لم يكن يراعي الأوقات المحددة له[٣].

وفي رسالة «بدء التوحيد لدعوة الحق» صرح حمزة بأن الحاكم قد أسقط الدعائم السبع عن أتباعه الدروز فقال: «إن المولى قد أسقط عن الموحدين سبع دعائم تكليفية ناموسية، وفرض عليهم سبع خصال توحيدية...»[٤].

---

(١) انظر: غلاة الشيعة ص٢١٣، والموسوعة الميسرة ص٢٢٤.
(٢) النقض الخفي للداعي حمزة بن علي، لوحة ٢١، مخطوط بالمكتبة الوطنية بباريس تحت رقم (١٤٠٨/٦ف ب)، ولها مصورة بالميكروفيلم بمركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية بالرياض، بالرقم نفسه.
(٣) النقض الخفي لوحة ٢٦ ـ ٣٣، وأصول الإسماعيلية (٢/٣٦١).
(٤) بدء التوحيد لدعوة الحق للداعي حمزة بن علي لوحة ٣٥، مخطوط بالمكتبة الوطنية بباريس تحت رقم (١٤٠٨/٧ف ب)، ولها مصورة بالميكروفيلم بمركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية بالرياض، بالرقم نفسه.

وقد برر حمزة إبطال الحاكم للشريعة الإسلامية بأن محمد بن عبد الله ـ أي: الرسول ﷺ ـ وهو الناطق السادس بزعمهم لما ظهر بالنطق نسخ الشرائع كلها، فكذلك ينسخ الحاكم شريعة محمد، وينشئ له شريعة خاصة[(١)].

٣ ـ التناسخ:

يعتقد الدروز بتناسخ الأرواح وانتقالها إلى الأحياء؛ أي: أن الروح تنتقل من جسم بشري إلى جسم آخر فالنفس ـ عندهم ـ لا تموت، وإنما يموت قميصها؛ أي: «الجسم» فتنتقل إلى جسم آخر وهكذا[(٢)].

ويطلق الدروز على تناسخ الأرواح اسم «التقمص» باعتبار أن الروح تتخذ الجسم قميصاً لها ثم تنتقل إلى قميص آخر.

وعقيدة التقمص عند الدروز عامة لجميع الناس من الأشرار والأخيار إلا أن نفوس الأشرار تنتقل إلى أجسام أمثالهم، وكذلك نفوس الأخيار تنتقل إلى أخيار مثلهم.

ولذلك فإن عدد النفوس في العالم عدد ثابت ـ عند الدروز ـ لا يمكن أن يتغير بزيادة ولا نقصان وإنما تتغير الأجساد فقط، وأما الأرواح والنفوس فلا تتغير بل هي ـ عندهم ـ واحدة، ومما يدل على ذلك ما جاء في رسالة «من دون قائم الزمان» يقول: «أليس قد صح عند كل ذي عقل ومعرفة بالحقيقة والفضل، أن هذه الأشخاص أعني عالم السواد الأعظم لم يتناقصوا ولم يتزايدوا، بل هي أشخاص معدودة من أول الأدوار إلى انقضاء العالم والرجوع إلى دار القرار.

والدليل على ذلك أن هذه الخلقة أعني العالم العلوي، والسفلي ليس لها وقت محدد، ولا أمد عند العالم معدود، أليس لو زاد العالم في كل ألف سنة شخصاً واحداً لضاقت بهم الأرض، ثم إنه لو نقص في كل ألف سنة

---

(١) انظر: الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة ص٣٠٠ ـ ٣٠١، وأصول الإسماعيلية (٢/ ٣٦١ ـ ٣٦٢).

(٢) انظر: عقيدة الدروز ص١٣٦، وغلاة الشيعة ص٢١٥.

شخصاً واحداً لم يبق منهم أحد...»[(١)]، ومع اعتقاد الدروز لعقيدة التناسخ فإنهم ينكرون انتقال النفس البشرية إلى أجسام الحيوانات وهو ما يسمى بـ«المسخ».

والعقاب ـ عندهم ـ ليس بالمسخ وإنما يكون ذلك بنقل الإنسان المعاقب من درجة عالية إلى درجة دونها من درجات الدين وقلة معيشته في دينه ودنياه، فكلما انتقلت روحه من جسد إلى جسد قلت منزلته وازداد من العقاب، وأما الثواب ـ عندهم ـ فيكون بزيادة درجة الموحد وارتفاعه من درجة إلى درجة إلى أن يبلغ أرقى حد من حدود الدين[(٢)].

هذه هي أهم معتقدات الدروز، وإن كان هناك بعض المعتقدات الأخرى التي يتفقون فيها مع بقية الإسماعيلية وتأويلهم الباطني للنصوص، سواء في ذلك ما يتعلق بعقيدتهم في اليوم الآخر والجنة والنار أو غير ذلك من الغيبيات الأخرى.

ومما تقدم تتضح عقيدة الدروز، وكيدهم للإسلام، وأنهم زنادقة منافقون، بعيدون كل البعد عن دين الإسلام وعقيدته الصافية، وقد بيّن أئمة الإسلام زيغهم وضلالهم، وكشفوا عن زندقتهم وإلحادهم، كما فعلوا مع سلفهم من الإسماعيلية وغيرهم من فرق الزنادقة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان زندقتهم وكفرهم: «كفر هؤلاء مما لا يختلف فيه المسلمون... فإنهم زنادقة مرتدون لا تقبل توبتهم بل يقتلون...»[(٣)].

وقال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن نشتكين الدرزي في حوادث سنة (٤٠٧هـ):

---

(١) من دون قائم الزمان والهادي إلى طاعة الرحمٰن، للداعي حمزة بن علي لوحة ١٦٦ مخطوط بالمكتبة الوطنية بباريس تحت رقم (١٤٢٤/٢٧ف ب)، ولها مصورة بالميكروفيلم بمركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية بالرياض بالرقم نفسه.

(٢) انظر: طائفة الدروز ص١٠٦، والحركات الباطنية في الإسلام لمصطفى غالب ص٢٦٣، وعقيدة الدروز ص٢٤٠.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٥/١٦٢).

«وفيها قتل الدرزي الزنديق لادعائه ربوبية الحاكم»[١].

والخلاصة أن الدروز فرقة من فرق الزنادقة وذلك لقولهم بربوبية الحاكم العبيدي وعبادتهم له، وقولهم بنسخ الشريعة واعتقادهم بالتناسخ وغير ذلك من عقائدهم التي تدل على زندقتهم وعداوتهم للإسلام والمسلمين.

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٥/ ١٨٠).

الفصل الثاني

أثر الزندقة في الفرق الإسلامية

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: أثر الزندقة في الخوارج.

المبحث الثاني: أثر الزندقة في الشيعة.

المبحث الثالث: أثر الزندقة في المعتزلة.

المبحث الرابع: أثر الزندقة في الصوفية.

تمهيد

سبقت الإشارة إلى أن تعدد الفرق الإسلامية واختلافها هو أحد أسباب انتشار أفكار الزندقة بين المسلمين، حيث تسلل كثير من دعاة الزندقة إلى تلك الفرق وتظاهروا بالإنتماء إليها حتى تمكنوا من الانحراف بأفكارها وعقائدها إلى الزندقة والإلحاد.

غير أن تأثير دعاة الزندقة على الفرق الإسلامية لم يكن على درجة واحدة وإنما يختلف ذلك من فرقة إلى أخرى، بحسب طبيعة كل فرقة ومدى تقبلها لأفكار الزندقة، وقدرة دعاة الزندقة على التستر بأفكار تلك الفرق على اختلاف مشاربها وتنوع عقائدها.

فأعظم الفرق الإسلامية تأثراً بالزندقة هي فرقة الشيعة وذلك أن هذه الفرقة في الأصل إنما أسسها أحد الزنادقة، ولذلك كثر انتساب فرق الزنادقة إليها وتسترهم بها من أمثال السبئية والراوندية والإسماعيلية وغيرها.

قال أبو حامد الغزالي في بيان استتار الزنادقة بمذهب الشيعة: «أنهم تشاوروا في طريقة يكيدون بها الإسلام ثم اتفقوا على الدخول من باب التشيع فقالوا: سبيلنا أن ننتحل عقيدة طائفة من فرقهم هم أركهم عقولاً وأسخفهم رأياً وألينهم عريكة[1] لقبول المحالات، وأطوعهم للتصديق بالأكاذيب المزخرفات وهم الروافض، ونتحصن بالانتساب إليهم والاعتزاء إلى أهل البيت عن شرهم، ونتودد إليهم بما يلائم طبعهم: من ذكر ما تم على سلفهم من الظلم العظيم والذل الهائل، ونتباكى لهم على ما حل بآل محمد ﷺ! ونتوصل به إلى تطويل اللسان في أئمة سلفهم الذين هم أسوتهم وقدوتهم،

(١) العريكة: سلاسة الخلق وإنكسار النخوة. انظر: القاموس المحيط ص١٢٢٤.

حتى إذا قبحنا أحوالهم في أعينهم وما ينقل إليهم شرعهم بنقلهم وروايتهم اشتد عليهم الرجوع إلى الشرع، وسهل علينا استدراجهم إلى الانخلاع عن الدين. . . ثم إذا تكثرنا بهؤلاء سهل علينا استدراج سائر الفرق بعد التحيز إلى هؤلاء والتظاهر بنصرهم. . . »[1].

كما تأثرت بقية الفرق الإسلامية الأخرى من الخوارج والمعتزلة والصوفية بتلك الأفكار، فظهر أثر الزندقة واضحاً على عقائدهم وأفكارهم، وإن كانت فرقة الخوارج تعد أقل تلك الفرق تأثراً بأفكار الزنادقة.

وسأذكر إن شاء الله تعالى في هذا الفصل مدى تأثر أمهات الفرق الإسلامية بأفكار الزنادقة وذلك بعد التعريف بكل فرقة منها مراعياً في ذلك الترتيب الزمني وذلك كما يلي:

---

(١) فضائح الباطنية للغزالي ص١٨ ـ ١٩.

المبحث الأول

أثر الزندقة في الخوارج

تعريف الخوارج وأسماؤهم:

الخوارج: جمع خارجة وخارجي، اسم مشتق من الخروج الذي هو نقيض الدخول، والخارجي: هو من يخرج ويشرف بنفسه دون أن يكون له أصل في ذلك، وقد أطلقت كلمة الخوارج في كتب اللغة على: طائفة من أهل البدع والأهواء لخروجهم عن الدين أو لخروجهم على جماعة المسلمين[١].

وأما المراد بمسمى الخوارج عند المؤلفين في الفرق، فقد اختلفت عباراتهم في تعريفهم لذلك:

فمنهم من حمله على المعنى السياسي وهو الخروج على الإمام، فعدَّ كل من خرج على الإمام الحق من الخوارج، وقد ذهب إلى ذلك الشهرستاني فقال في تعريفه للخوارج: «كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان»[٢]، ومنهم من حمله على طائفة معينة وهم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومن جاء بعدهم ممن وافقهم على أفكارهم واعتقد عقيدتهم، يقول ابن حزم في معرض كلامه على الخوارج: «ومن وافق الخوارج في إنكار التحكيم، وتكفير أصحاب الكبائر، والقول بالخروج على أئمة الجور، وأن

---

(١) انظر: الصحاح للجوهري (١/ ٣٠٩ ـ ٣١٠)، ولسان العرب (٢/ ٢٤٩ ـ ٢٥٤)، والقاموس المحيط ص٢٣٧ ـ ٢٣٨، وفتح الباري (١٢/ ٢٨٣).

(٢) الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٣٢).

أصحاب الكبائر مخلدون في النار، وأن الإمامة جائزة في غير قريش فهو خارجي»[(١)]، وهذا التعريف الذي ذكره ابن حزم هو الذي اشتهر عند العلماء عند إطلاق لفظ «الخوارج»[(٢)]، حتى صار ذلك الاسم علماً على هذه الطائفة، سواء الذين خرجوا على علي رضي الله عنه أو من جاء بعدهم ممن سار على طريقهم واعتقد عقيدتهم[(٣)].

واسم «الخوارج» هو أشهر أسماء هذه الطائفة، وقد سموا بذلك بسبب خروجهم على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد أشار إلى ذلك أبو الحسن الأشعري بقوله: «والسبب الذي سموا له خوارج خروجهم على علي بن أبي طالب»[(٤)].

وهذا الاسم يدخل فيه جميع فرق الخوارج[(٥)]، وقد ارتضاه الخوارج لأنفسهم، فأطلقوه على فرقهم على سبيل المدح والفخر[(٦)].

---

(١) الفصل في الملل والنحل (٢/ ٩٠).

(٢) وقد ذكر كثير من العلماء «الخوارج» على أنهم فرقة من فرق المبتدعة كما فعل أبي الحسن الأشعري في مقالات الإسلاميين ص١٢٧ ـ ١٢٨، والبغدادي في الفرق بين الفرق ص٧٢، والإسفراييني في التبصير في الدين ص٣٨، والرازي في اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٤٩، وشيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع فتاوى ابن تيمية (١٣/ ٢٠٨) وغيرهم. وقد عرفهم ابن حجر رحمه الله بتعريف يدل على أن مراده هو فرقة معينة، فقال في فتح الباري (١٢/ ٢٨٣): «هم قوم مبتدعون سموا بذلك لخروجهم عن الدين، وخروجهم على خيار المسلمين».

(٣) ولا يدخل في ذلك أصحاب الجمل وصفين رضي الله عنهم لأنهم ليسوا من الخوارج، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «أما جمهور أهل العلم فيفرقون بين «الخوارج المارقين» وبين أهل الجمل وصفين وغير أهل الجمل وصفين ممن يعد من البغاة المتأولين، وهذا هو المعروف عن الصحابة، وعليه عامة أهل الحديث والفقهاء والمتكلمين» فتاوى شيخ الإسلام (٣٥/ ٥٤).

(٤) مقاولات الإسلاميين ص١٢٧ ـ ١٢٨، وانظر: البرهان في عقائد أهل الأديان ص٩.

(٥) انظر: الفرق بين الفرق ص٧٢، والملل والنحل (١/ ١٣٣).

(٦) يعتبر الخوارج هذا اللفظ مدحاً لهم لأنهم حملوه على قوله تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ﴾، فقالوا: هو مأخوذ من قوله: «ومن يخرج» وهذا لا شك =

وللخوارج أسماء أخرى سوى هذا الاسم الذي عرفوا به فمن تلك الأسماء:

١ ـ **المحكمة**: وذلك لإنكارهم التحكيم وقولهم: «لا حكم إلا لله»، وهذا الاسم إنما اشتهر إطلاقه على المتقدمين منهم[(١)].

٢ ـ **الحرورية**: نسبة إلى قرية حروراء[(٢)] التي نزل بها الخوارج بعد اعتزالهم لعلي رضي الله عنه وأصحابه في معركة صفين[(٣)]، قال البغدادي: «ثم إن الخوارج بعد رجوع علي من صفين إلى الكوفة انحازوا إلى حروراء وهم يومئذ اثنا عشر ألفاً ولذلك سميت الخوارج حرورية»[(٤)].

٣ ـ **الشراة**: وقد سموا أنفسهم بذلك زاعمين أنهم شروا أنفسهم من الله أخذاً من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ...﴾ [التوبة: ١١١].

قال أبو الحسن الأشعري: «والذي له سموا «شراة» قولهم: شرينا أنفسنا في طاعة الله؛ أي: بعناها بالجنة»[(٥)].

٤ ـ **المارقة**: وهذا الاسم أطلقه عليهم أهل السُّنَّة والجماعة أخذاً من

= أنه مدح لمن يخرج في سبيل الله تعالى. انظر: الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها، د. غالب عواجي ص٢٥، مكتبة لينة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١/٢٠٧).

(٢) حروراء، بفتحتين وسكون الواو: قرية بظاهر الكوفة، قيل: هي على ميلين منها نزل بها الخوارج لما خالفوا علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، فنسبوا إليها. انظر: معجم البلدان (٢/٢٨٣).

(٣) معركة صفين، وقعت بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما وهي إحدى المعارك العظيمة في الفتنة التي وقعت بين الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وقد وقعت المعركة بينهما بأرض صفين قرب الرقة على شاطئ الفرات، وذلك سنة ٣٧هـ. انظر: تاريخ الطبري (٣/٧١ ـ ١٠٩)، ومراصد الاطلاع (٢/٨٤٦).

(٤) الفرق بين الفرق ص٧٥، وانظر: مقالات الإسلاميين ص١٢٨، والبرهان في عقائد أهل الأديان للسكسكي ص٩.

(٥) مقالات الإسلاميين ص١٢٨، وانظر: البرهان في عقائد أهل الأديان ص٩.

قول النبي ﷺ: «**يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية...**»[(١)].

قال أبو الحسين الملطي رحمه الله في معرض كلامه على الخوارج: «ويقال لهم: قد روي عن النبي ﷺ بإجماع الأمة لا يختلف فيه ناقل ولا راو أنه سماكم مارقة... وأنتم بإجماع الأمة مارقون خارجون من دين الله لا اختلاف بين الأمة في ذلك»[(٢)].

نشأة الخوارج:

بدأت بذرة فرقة الخوارج تظهر في زمن النبي ﷺ، مما جعل النبي ﷺ يحذر من هذه الفرقة، ويبين صفاتها، ويحث على قتالها، كما ورد ذلك صريحاً في حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: «بينما النبي ﷺ يقسم جاء عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي[(٣)] فقال: «اعدل يا رسول الله، فقال: ويلك من يعدل إذا لم أعدل؟! قال عمر بن الخطاب: دعني أضرب عنقه، قال: دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر في قذذه[(٤)] فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في نصله[(٥)] فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في.................................

---

(١) سيأتي الحديث بتمامه مع تخريجه. انظر: ص٢٩٨ ـ ٢٩٩.

(٢) التنبيه والرد للملطي ص٦٥ ـ ٦٦.

(٣) عبد الله بن ذي الخويصرة: هكذا في هذه الرواية من صحيح البخاري، وفي رواية أخرى عند البخاري أيضاً «ذو الخويصرة»، ذكره ابن الأثير في الصحابة، وسماه «حرقوص بن زهير». قال ابن حجر: «له ذكر في فتوح العراق»، وتوقف رحمه الله في عداده في الصحابة فقال بعد ذكر قول ابن الأثير: «وعندي في ذكره في الصحابة وقفة» ويزعم الخوارج أن حرقوص بن زهير كان من أصحاب النبي ﷺ وأنه قتل معهم يوم النهروان. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٣٣٥) و(٢/ ١٧٥)، وأسد الغابة (١/ ٤٧٤) بتحقيق: محمد إبراهيم ومحمد عاشور، دار الشعب، بدون ذكر طبعة.

(٤) القذذ: ريش السهم، واحدتها قذة، ومنه حديث: «**لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة**» النهاية في غريب الحديث (٤/ ٢٨).

(٥) نصله: يقال: نصلت السهم تنصيلاً، إذا جعلت له نصلاً، وإذا نزعت نصله فهو =

رصافه[(١)] فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في نضيه[(٢)] فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرث والدم[(٣)]، آيتهم رجل إحدى يديه ـ أو قال: ثدييه ـ مثل ثدي المرأة ـ أو قال: مثل البضعة ـ تدردر[(٤)] يخرجون على حين فرقة من الناس، قال أبو سعيد: أشهد أني سمعت النبي ﷺ، وأشهد أن علياً قتلهم وأنا معه جيء بالرجل على النعت الذي نعته النبي ﷺ، قال فنزلت فيه ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَـٰتِ﴾ [التوبة: ٥٨]»[(٥)].

وفي رواية لمسلم في حديث أبي سعيد رضي الله عنه ذكر وصف الرجل، وبعض الألفاظ الأخرى في وصف الخوارج وفيه: «...، فجاء رجل كث اللحية، مشرف الوجنتين[(٦)]، غائر العينين، محلوق الرأس، فقال: اتق الله يا محمد،

= من الأضداد، وأنصلته فانتصل، إذا نزعت سهمه، ومنه حديث أبي موسى: «وإن كان لرمحك سنان فأنصله» أي: انزعه، النهاية في غريب الحديث (٥/ ٦٧).

(١) الرصف: الشد والضم، ورصف السهم إذا شدّه بالرصاف: وهو عقب يلوى على مدخل النصل فيه، النهاية (٢/ ٢٢٧).

(٢) النضي: نصل السهم، وقيل: هو السهم قبل أن ينحت إذا كان قدحاً، وهو أولى، وقيل: هو من السهم ما بين الريش والنصل، قالوا: سمي نضياً لكثرة البري والنحت فكأنه جعل نضواً؛ أي: هزيلاً، النهاية (٥/ ٧٣).

(٣) قال ابن حجر رحمه الله في فتح الباري (١٢/ ٢٩٤) في معنى الحديث: «أي يخرجون من الإسلام بغتة كخروج السهم إذا رماه رام قوي الساعد فأصاب ما رماه فنفذ منه بسرعة بحيث لا يعلق بالسهم ولا بشيء منه من المرمي شيء، فإذا التمس الرامي سهمه وجده ولم يجد الذي رماه فينظر في السهم ليعرف هل أصاب أو أخطأ، فإذا لم يره علق فيه شيء من الدم ولا غيره ظن أنه لم يصبه والفرض أنه أصابه وإلى ذلك أشار بقوله: «سبق الفرث والدم» أي: جاوزهما ولم يتعلق فيه منهما شيء، بل خرجا بعده».

(٤) تدردر: أصله تتدردر، ومعناه تتحرك وتذهب وتجيء، وأصله حكاية صوت الماء في بطن الوادي إذا تدافع. انظر: الفتح (١٢/ ٢٩٥).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب استتابة المرتدين، باب من ترك قتال الخوارج للتألف (٩/ ٣٠ ـ ٣١)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم (٢/ ٦١١) رقم (١٠٦٤).

(٦) الوجنتين مثنى والواحدة وجنة، وهي أعلى الخد. انظر: النهاية في غريب الحديث (٥/ ١٥٨).

قال: فقال رسول الله ﷺ: فمن يطع الله إن عصيته، أيأمنني على أهل الأرض ولا تأمنوني؟ قال: ثم أدبر الرجل فاستأذن رجل من القوم في قتله «يرون أنه خالد بن الوليد» فقال رسول الله ﷺ: إن من ضئضئ[(١)] هذا قوماً يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»[(٢)].

فهذه هي البذرة الأولى للخوارج، وقد نمت هذه البذرة حتى قامت على أشدها في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وذلك بظهور الخوارج الذين وصفهم رسول الله ﷺ بأنهم «يخرجون على حين فرقة من الناس»[(٣)]، فظهر صدق رسول الله ﷺ حيث خرجوا في زمن الفتنة بين أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ومعاوية رضي الله عنه، وذلك في معركة صفين، بعد انهزام جند معاوية رضي الله عنه ورفعهم المصاحف على أسنة الرماح، طلباً لتحكيم كتاب الله تعالى، فلما رأى ذلك هؤلاء قالوا: «القوم يدعوننا إلى كتاب الله»، ولم يزالوا بعلي رضي الله عنه حتى قبل التحكيم، ثم بعد ذلك انقلبوا عليه، وقالوا: لم حكمت الرجال؟ لا حكم إلا لله، واعتزلوا علياً رضي الله عنه، وطعنوا فيه من أجل قبوله التحكيم[(٤)].

يقول الشهرستاني: «إن الخوارج حملوه ـ أي: علياً رضي الله عنه ـ على التحكيم أولاً، وكان يريد أن يبعث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فما رضي الخوارج بذلك، وقالوا هو منك، وحملوه على بعث أبي موسى الأشعري، على أن يحكم

---

(١) الضئضئ: الأصل؛ أي: يخرج من نسله وعقبه. انظر: النهاية في غريب الحديث (٣/ ٦٧).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج (٢/ ٦٠٩) رقم (١٠٦٤).

(٣) في رواية أخرى عند مسلم (٢/ ٦١٢) رقم (١٠٦٥): «يخرجون في فرقة من الناس يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق».

(٤) انظر: الملل والنحل (١/ ١٣٢ ـ ١٣٣)، والفرق بين الفرق ص٧٤ ـ ٨٠، والتنبيه والرد للملطي ص٦٢ ـ ٦٥.

بكتاب الله تعالى، فجرى الأمر على خلاف ما رضي به، فلما لم يرض بذلك خرجت الخوارج عليه وقالوا: لم حكمت الرجال؟ لا حكم إلا لله...»[(١)].

ولما اعتزل الخوارج علياً رضي الله عنه وأصحابه، وذهبوا إلى حروراء أرسل إليهم علي رضي الله عنه ابن عباس رضي الله عنهما فناظرهم في خروجهم على علي رضي الله عنه وألزمهم الحجة حتى رجع معه أربعة آلاف، قال ابن كثير رحمه الله: «بعث إليهم عبد الله بن عباس فناظرهم... ورد عليهم ما توهموه شبهة ولم يكن له حقيقة في نفس الأمر... فرجع منهم أربعة آلاف كلهم تائب...»[(٢)].

ولما انحاز الخوارج إلى حروراء أمروا عليهم «عبد الله بن الكواء»[(٣)] ثم بايعوا بعد ذلك «عبد الله بن وهب»[(٤)] وجعلوه إماماً لهم.

قال الشهرستاني: «وأول من بويع من الخوارج بالإمامة: «عبد الله بن وهب الراسبي» بايعه عبد الله بن الكواء وجماعة منهم، وكان يمتنع عليهم تحرجاً، ويستقبلهم ويومئ إلى غيره تحرزاً، فلم يقنعوا إلا به، وكان يوصف برأي ونجدة...»[(٥)].

ثم إن عبد الله بن وهب سار بالخوارج إلى النهروان[(٦)]، وكتب إلى

---

(١) الملل والنحل (١/ ١٣٣).

(٢) البداية والنهاية (٧/ ٢٩٠ ـ ٢٩١).

(٣) عبد الله بن الكواء اليشكري، كان من ذوي النجدة بين أصحاب علي رضي الله عنه، وكان يلزمه ويعييه في الأسئلة، ولما خرج الخوارج على علي رضي الله عنه جعلوه أميراً عليهم، وهو أحد الذين اختاروا «أبا موسى الأشعري رضي الله عنه» في قصة التحكيم، وقد رجع عن مذهب الخوارج وعاود صحبة علي رضي الله عنه. انظر: لسان الميزان (٤/ ٣٣٠ ـ ٣٣١)، والفرق بين الفرق ص٧٥ حاشية (١).

(٤) عبد الله بن وهب الراسبي، أمير الخوارج، بايعه الخوارج لعشر بقين من شوال سنة ٣٧هـ وقد امتنع عن الإمامة ثم قبلها، مبتدع زائغ، قتل مع أصحابه بمعركة النهروان، قتلهم علي رضي الله عنه بعد خروجهم عليه وقتلهم لعبد الله بن خباب سنة ٣٨هـ، انظر: مقالات الإسلاميين ص١٢٩ ـ ١٣٠، ولسان الميزان (٤/ ٢٨٧، ٣٧٢).

(٥) الملل والنحل (١/ ١٣٦) بتصرف. وانظر: البداية والنهاية (٧/ ٢٩٦).

(٦) نهروان: كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي، حدها الأعلى متصل ببغداد، وفيها عدة بلاد متوسطة، وكان بها وقعة مشهورة لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه مع الخوارج. انظر: معجم البلدان (٥/ ٣٧٥).

موافقيهم من أهل البصرة يخبرهم بذلك ويأمرهم باللحاق به، فأجابوه بالسمع والطاعة[١]، ولما انتهى المقام بالخوارج إلى النهروان جرت بينهم وبين علي رضي الله عنه عدة مكاتبات لقصد اجتماع الكلمة، إلا أن ذلك كله لم ينفع بسبب تعنت الخوارج وتناقضهم، حيث طلبوا من علي رضي الله عنه أن يدخل في طاعة «عبد الله بن وهب» ومع ذلك فقد رجع بعضهم إلى عسكر علي رضي الله عنه وتوقف بعضهم ورجعوا إلى البصرة[٢].

ثم إن علياً رضي الله عنه قاتلهم بالنهروان بعد أن حملوا على جيشه وهزمهم شر هزيمة وقتل أميرهم عبد الله بن وهب، ولم يفلت منهم إلا عدد قليل جداً حتى قال الشهرستاني: «قاتلهم علي رضي الله عنه بالنهروان مقاتلة شديدة، فما انفلت منهم إلا أقل من عشرة، وما قتل من المسلمين إلا أقل من عشرة فانهزم اثنان منهم إلى عمان، واثنان إلى كرمان، واثنان إلى سجستان، واثنان إلى الجزيرة[٣]، وواحد إلى تل موزن باليمن[٤]، وظهرت بدع الخوارج في هذه المواضع منهم وبقيت إلى اليوم»[٥].

ومع انتصار علي رضي الله عنه على الخوارج في النهروان وقتلهم في هذه المعركة حتى لم ينج منهم إلا القليل ـ كما تقدم ـ فإن ذلك لم يكن هو نهاية أمرهم، بل تمكنوا بعد معركة النهروان من تجميع أنفسهم حيث انضم إلى أولئك الذين نجوا في هذه المعركة إخوانهم الذين كانوا قد اعتزلوا حرب النهروان، واستمروا في الخروج في عدد من البلدان، غير أن خروجهم لم يكن منظماً وإنما مجرد ثورات يقوم بها عدد منهم ثم يقتلون وينتهي

---

(١) انظر: البداية والنهاية (٧/ ٢٩٧)، والخوارج تاريخهم وآراؤهم ص٨٥.
(٢) انظر: تاريخ الطبري (٣/ ١١٣ ـ ١١٥)، ومقالات الإسلاميين ص١٢٩ ـ ١٣٠.
(٣) الجزيرة: تطلق على عدة أماكن، ومنها جزيرة العرب، ولعل المقصود هنا «الجُزيرة» بالضم: وهو موضع باليمامة، فيه نخل، ومعلوم أن اليمامة قد كان فيها فرقة «النجدات» من الخوارج. انظر: مراصد الاطلاع (١/ ٣٣٣).
(٤) تل موزن: بلد قديم باليمن، بين رأس عين وسروج، وهو مبني بحجارة عظيمة سود، يزعمون أن جالينوس كان به. انظر: مراصد الاطلاع (١/ ٢٧٣).
(٥) الملل والنحل (١/ ١٣٥ ـ ١٣٦)، وانظر: الفرق بين الفرق ص٨٠ ـ ٨١.

أمرهم[١]، ولم يزالوا كذلك حتى ظهر «نافع بن الأزرق»[٢] بالبصرة فجمع شملهم ووحد كلمة فريق كبير منهم، فاجتمعت كلمتهم في عهد نافع، فأظهروا معتقدهم ومخالفتهم لغيرهم من الفرق وكان ذلك سنة (٦٤هـ)[٣]، وبخروج نافع بن الأزرق بدأ الخوارج في بيان معتقدهم، ولذا فقد اعتبر بعض المتأخرين من الخوارج بداية أمر الخوارج إنما كانت بخروج «نافع بن الأزرق» واعتبروا ما كان قبل ذلك مجرد فتن داخلية كغيرها من الفتن التي وقعت في ذلك العصر[٤].

والحق أن نشأة الخوارج كانت قبل ذلك وأن ظهور نافع بن الأزرق هو بداية تنظيم هذه الفرقة، ولذا فقد تتابعت فرق الخوارج بعد ذلك، وأصبحت كل فرقة لها آراؤها ومعتقداتها، كغيرهم من الفرق الإسلامية الأخرى[٥].

أثر الزندقة في الخوارج:

لم يكن هدف الخوارج في أصل بدعتهم العداوة للدين أو النفاق والزندقة كما قد عرف ذلك عند بعض الفرق الأخرى من الرافضة وغيرهم، وإنما كان هدفهم في خروجهم وبدعتهم الغيرة على الدين ومحبة الخير غير أنهم غلطوا في ذلك حيث تأولوا بعض النصوص على غير وجهها، وذلك لجهلهم وقلة علمهم، فوقعوا في الضلال والانحراف مع ما عرف عنهم من محبة الخير وكثرة العبادة.

---

(١) انظر: الكامل للمبرد (٢/ ٢٠١ ـ ٢٠٢)، مؤسسة المعارف، بيروت، بدون طبعة، والخوارج تاريخهم وآراؤهم ص١٢٥ ـ ١٢٦.

(٢) نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي، يكنى بأبي راشد، كان أول خروجه بالبصرة في عهد عبد الله بن الزبير، ثم انتقل إلى الأهواز، ولما عظمت شوكته أرسل إليه عبد الله بن الحارث، مسلم بن عبس على رأس جيش كثيف، فاشتد بينهم القتال، حتى قتل مسلم، وقتل أمير الخوارج ابن الأزرق وذلك سنة ٦٥هـ. انظر: الكامل للمبرد (٢/ ٢٠٢ ـ ٢١٥)، ولسان الميزان (٧/ ٢٠٧).

(٣) انظر: تاريخ الطبري (٣/ ٣٩٩).

(٤) انظر: الخوارج تاريخهم وآراؤهم ص٢٢.

(٥) انظر: المرجع السابق ص١٢٥ ـ ١٢٦.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالخوارج مع أنهم مارقون يمرقون من الإسلام... ليسوا ممن يتعمد الكذب بل هم معروفون بالصدق، لكنهم جهلوا وضلوا في بدعتهم، ولم تكن بدعتهم عن زندقة وإلحاد، بل عن جهل وضلال في معرفة معاني الكتاب، وأما الرافضة فأصل بدعتهم عن زندقة وإلحاد»[١].

فالخوارج مع بدعتهم وضلالهم قد عرفوا بصدق التدين وكثرة العبادة ولم يعرفوا بنفاق ولا زندقة، وقد شهد لهم بذلك ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بعد مناظرته لهم فقال: «والله ما سيماهم بسيما المنافقين، إن بين أعينهم لأثر السجود وهم يتأولون القرآن»[٢].

غير أن أعداء الإسلام من الزنادقة قد تسللوا إلى هذه الفرقة كغيرها من الفرق فانضم كثير منهم في صفوف الخوارج مستغلين في ذلك كثرة ثورات الخوارج وحروبهم ضد دولة الإسلام.

ولا شك أن كثرة الموالي الفرس في صفوف الخوارج، وانتقال كثير من الخوارج بثوراتهم إلى بلدان فارس[٣] قد أثر تأثيراً واضحاً في آراء الخوارج حتى ظهرت الزندقة عند بعض فرقهم من خلال تأثرهم بزنادقة فارس من الموالي وغيرهم، سواء ما يتعلق بآراء الفرس التي ترجع إلى ما قبل الإسلام أو بما يسعى إليه الزنادقة من القضاء على الإسلام، وهدم الشريعة، وغير ذلك من أهدافهم الخبيثة، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

١ ـ انحصار مفهوم الشرك عند الأزارقة[٤] في المسلمين المخالفين دون

---

(١) منهاج السُّنَّة (١/ ٦٧ ـ ٦٨).

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (١/ ٤٩٠) مكتبة الحياة، بيروت.

(٣) كما فعل الأزارقة حيث جعلوا بلاد فارس هي دار هجرتهم. قال البغدادي في الفرق بين الفرق ص٨٦: «انهزمت الأزارقة في آخرها إلى سابور من أرض فارس، وجعلوها دار هجرتهم...».

(٤) الأزارقة هي إحدى فرق الخوارج، ينتسبون إلى نافع بن الأزرق الحنفي، خرجوا مع نافع بالبصرة ثم انتقلوا إلى الأهواز، والأزارقة يكفرون علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ويزيدون بتكفير =

المجوس وغيرهم من الكفرة، وهذا المبدأ واضح أنه من إملاء زنادقة الفرس إذ لا يريدون من الخوارج أن يقتلوا إخوانهم المجوس، إنما يريدون أن يسلطوهم على المسلمين[(١)]، يقول ابن حزم في كلام له على الأزارقة: «وقالوا باستعراض كل من لقوه من غير أهل عسكرهم، ويقتلونه إذا قال: أنا مسلم، ويحرمون قتل من انتمى إلى اليهود أو إلى النصارى أو إلى المجوس...»[(٢)].

٢ ـ تأثر فرقة الميمونية[(٣)] بزنادقة المجوس في تحليل المحارم من نكاح بنات البنين وبنات البنات، وبنات بنات الإخوة، وبنات بني الإخوة، حيث أخذوا ذلك من دين المجوس، متأثرين في ذلك بما انتشر في إقليم بلخ من آراء زرادشت وغيره من المجوس.

يقول البغدادي بعد ذكره لرأي الميمونية في القدر: «ولو بقي ميمون على هذه البدع التي حكيناها ولم يزد عليها ضلالة سواها لنسبناه إلى الخوارج لقوله بتكفير علي وطلحة...، ولكنه زاد على القدرية، وعلى الخوارج، بضلالة اشتقها من دين المجوس، وذلك أنه أباح نكاح بنات الأولاد من الأجداد، وبنات أولاد الإخوة والأخوات...»[(٤)].

= عثمان وطلحة والزبير رضي الله عنهم وسائر المسلمين معهم، ويكفرون القعدة عن القتال، ويستبيحون قتل أطفال المخالفين ونسائهم، وهم أصحاب شدة وشوكة، هزموا عدة جيوش، ولم يستطع إخماد فتنتهم إلا المهلب بن أبي صفرة في أيام الحجاج. انظر: مقالات الإسلاميين ص٨٧ ـ ٨٨، والملل والنحل (١/ ١٣٩)، والفرق بين الفرق ص٨٢.

(١) انظر: مباحث في علم الكلام والفلسفة، د. علي الشابي ص١٤٧، دار بو سلمة ـ تونس، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ١٤٤).

(٣) الميمونية هي إحدى فرق العجاردة من الخوارج، ونسبتهم إلى رجل اسمه ميمون بن خالد، والميمونية تتفق مع سائر الخوارج في تكفير علي وطلحة والزبير وعائشة وعثمان رضي الله عنهم، وتكفير أصحاب الكبائر، ويزيدون عليهم ببعض البدع الكفرية كالقول بإباحة نكاح بنات البنين والبنات ونحوهم، وإنكارهم أن تكون سورة يوسف من القرآن وغير ذلك. انظر: الفصل في الملل والنحل (٤/ ١٤٥)، والفرق بين الفرق ص٢٨٠ ـ ٢٨١.

(٤) الفرق بين الفرق ص٢٨٠ ـ ٢٨١.

كما ظهر تأثير الزنادقة على فرقة الميمونية في إنكارهم أن تكون سورة يوسف من القرآن(١).

٣ ـ انحراف فرقة اليزيدية(٢) عن الشريعة لتأثرها بزنادقة فارس في سعيهم لهدم الشريعة الإسلامية، حيث زعمت اليزيدية: أن الله يبعث رسولاً من العجم وينزل عليه كتاباً من السماء ينسخ به شريعة محمد، وزعموا أن أتباع ذلك النبي المنتظر هم الصابئون المذكورون في القرآن(٣).

ولا شك أن هذا القول فيه هدم لشريعة الإسلام التي نسخت جميع الأديان، وهو هدف يسعى إليه زنادقة فارس، الذين امتلأت صدورهم حقداً على دين الإسلام، فأعلنوا من خلال هذه الفرقة جواز نسخه ليفتحوا الباب لإخوانهم الزنادقة في دعوى النبوة وادعوا أن هذا الرسول لا يكون من العرب وإنما هو من العجم، وذلك لشعوبيتهم وحقدهم على العرب الذين نشروا الإسلام(٤).

يقول أبو الحسن الأشعري في معرض كلامه على يزيد الخارجي وفرقته: «زعم أن الله سبحانه سيبعث رسولاً من العجم، وينزل عليه كتاباً من السماء، يكتب في السماء وينزل عليه جملة واحدة، فترك شريعة محمد، ودان بشريعة غيرها، وزعم أن ملة ذلك النبي الصابئة...»(٥).

وقد كان مع هذه الضلالة يتولى كل من شهد لمحمد ﷺ بالنبوة من أهل

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين ص٩٦، والفرق بين الفرق ص٢٨١.

(٢) اليزيدية: فرقة غالية من فرق إباضية الخوارج، ينتسبون إلى يزيد بن أبي أنيسة، كانوا على رأي الإباضية، ثم خرجوا عن قول جميع الأمة بما زعموه من القول ببعثة رسول من العجم ينسخ الشريعة المحمدية، وقولهم بإيمان من شهد بصدق محمد ﷺ وإن لم يدخل في دينه، وغير ذلك من أقوالهم الباطلة. انظر: مقالات الإسلاميين ص١٠٣ ـ ١٠٤، والفرق بين الفرق ص٢٧٩، والملل والنحل (١/١٥٨ ـ ١٥٩).

(٣) انظر: الملل والنحل (١/١٥٨ ـ ١٥٩)، والفرق بين الفرق ص٢٧٩ ـ ٢٨٠، والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص١٥.

(٤) انظر: مباحث في علم الكلام والفلسفة ص١٥٩.

(٥) مقالات الإسلاميين ص١٠٣ ـ ١٠٤.

الكتاب، وإن لم يدخلوا في دين الإسلام واعتبرهم بذلك مسلمين، يقول البغدادي في كلام له على يزيد الخارجي وأصحابه: «وكان... يتولى من شهد لمحمد ﷺ بالنبوة من أهل الكتاب وإن لم يدخل في دينه، وسماهم بذلك مؤمنين، وعلى هذا القول يجب أن يكون العيسوية[١] والموشكانية[٢] من اليهود مؤمنين، لأنهم أقروا بنبوة محمد ﷺ ولم يدخلوا في دينه»[٣].

٤ ـ دعوة البطيحي[٤] وأصحابه الخوارج إلى إلغاء الشريعة وإحلال المجوسية محلها، كما صرح بذلك في إنكاره لفرائض الإسلام من الصلوات الخمس وغيرها، يقول ابن حزم مبيناً عقيدة هذا البطيحي الخارجي: «وقال أبو إسماعيل البطيحي وأصحابه وهم من الخوارج: أن لا صلاة واجبة إلا ركعة واحدة بالغداة وركعة أخرى بالعشي فقط، ويرون الحج في جميع شهور السُّنَّة ويحرمون أكل السمك حتى يذبح، ولا ويرون أخذ الجزية من المجوس، ويكفرون من خطب في الفطرة والأضحى[٥]، ويقولون إن أهل النار في لذة ونعيم وأهل الجنة كذلك»[٦].

وهذا الذي نادى به البطيحي وأصحابه زندقة ظاهرة ومروق من دين الإسلام، بل هو هدم للشريعة التي جاء بها رسول الله محمد ﷺ، كما أن في ذلك تصريحاً ببعض عقائد زنادقة المجوس، حيث زعم البطيحي: أن أهل

---

(١) العيسوية: نسبة إلى أبي عيسى إسحاق بن يعقوب الأصفهاني اليهودي الذي أظهر دعوته في آخر دولة بني أمية فاتبعه كثير من اليهود، زعم أنه نبي وأنه رسول المسيح المنتظر، وأقر بنبوة نبينا محمد ﷺ، وخالف اليهود في كثير من أحكام شريعتهم المذكورة في التوراة. انظر: الملل والنحل (١/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨)، والخطط للمقريزي (٤/ ٣٨٦).

(٢) الموشكانية: أصحاب موشكان اليهودي، كان يوجب الخروج على مخالفيه، ونصب القتال معهم، فقتل بناحية قم، وكان يقول لا يجوز وصف الله بوصف، وأثبت نبوة محمد ﷺ إلى العرب وسائر الناس سوى اليهود. انظر: الملل والنحل (١/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩).

(٣) الفرق بين الفرق ص٢٨٠، وانظر: الملل والنحل (١/ ١٥٩).

(٤) لم أجد له ترجمة.

(٥) أي: عيد الفطر وعيد الأضحى.

(٦) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ١٤٤).

النار في لذة ونعيم، وهذه هي العقيدة التي كان زرادشت المجوسي يدعو إليها، فقد زعم زرادشت أن العقاب في الآخرة إنما هو بالبرد والزمهرير، وأن أهل النار في نعيم هو نعيم أهل الجنة(١).

٥ ـ إنكار فرقة السكاكية(٢) للسنة والإجماع، وزعمهم بأن الدين إنما يفهم من القرآن دون غيره.

وهذا بلا شك فيه هدم للشريعة بإنكار السُّنَّة التي جاءت ببيان الشريعة وتفاصيل العبادات والأحكام بل انفردت ببعض الأمور التي لم ترد في القرآن، وهذا الإنكار للسنة والإجماع إنما هو من تأثير اتصال هذه الفرقة بالزنادقة الذين أرادوا بذلك إبطال الشريعة وهدم الإسلام عن طريق نشرهم لتلك الأفكار المنحرفة.

كما ظهر أثر الزنادقة في هذه الفرقة في قولهم ببدعية الأذان للصلاة، وسخريتهم من المؤذنين حتى إنهم إذا سمعوا الأذان قالوا: «نهق الحمار»(٣).

ومما تقدم يتضح الأثر الذي خلفه الزنادقة على فرق الخوارج التي لم تشتهر في أصل بدعتها بالزندقة، وإنما تمكن الزنادقة بعد ذلك من التسلل إلى فرقهم والتأثير عليها، حتى ظهر ذلك واضحاً في معتقدات بعض الفرق من القول بنسخ الشريعة ببعثة رسول بعد محمد ﷺ، وإنكار السُّنَّة، واستحلال بعض المحرمات، وإنكار بعض الواجبات، وغير ذلك من عقائد الزنادقة وآثارهم.

---

(١) انظر: مباحث في علم الكلام والفلسفة ص١٥٨.

(٢) السكاكية: فرقة من فرق الخوارج تنسب إلى عبد الله السكاك، كان على مذهب الإباضية ثم خالفهم ووجد له أتباعاً، كانت له آراء كفرية من إنكار السُّنَّة والإجماع، والاستهزاء بالأذان، وغير ذلك من الأقوال التي كفره الإباضية لأجلها. انظر: الخوارج تاريخهم وآراؤهم ص٢١٦، ودراسة في تاريخ الإباضية وعقيدتها لمحمد زينهم وأحمد عبد التواب ص١٨، دار الفضيلة.

(٣) انظر: الخوارج تاريخهم وآراؤهم ص٢١٦، ودراسة في تاريخ الإباضية ص١٨.

المبحث الثاني

أثر الزندقة في الشيعة

تعريف الشيعة:

يطلق لفظ الشيعة في اللغة على أتباع الرجل وأنصاره، يقال: شايعه كما يقال والاه[١]، ثم غلب إطلاق هذا اللفظ على فرقة معينة، فأطلق عند المتقدمين على الذين شايعوا علياً وقدموه على عثمان رضي الله عنه وقالوا بأن علياً رضي الله عنه كان مصيباً في حروبه، ومخالفه في ذلك مخطئ، مع تقديم الشيخين رضي الله عنهما عليه واعتقاد أنهما أفضل منه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «كانت الشيعة الأولى لا يتنازعون في تفضيل أبي بكر وعمر، وإنما كان النزاع في علي وعثمان»[٢]، فالتشيع بهذا المعنى هو المعروف عند المتقدمين كما قال ابن حجر رحمه الله: «التشيع في عرف المتقدمين هو اعتقاد تفضيل عليّ على عثمان، وأن علياً كان مصيباً في حروبه، وأن مخالفه مخطئ مع تقديم الشيخين وتفضيلهما»[٣].

وقد أطلق لفظ التشيع بهذا المعنى على طائفة من المحدثين وغيرهم لقولهم بتقديم علي رضي الله عنه على عثمان رضي الله عنه في الفضل[٤]، ثم إن أمر الشيعة تطور ولم يقف عند تفضيل علي على عثمان حتى أصبحت الشيعة فرقاً وشيعاً ما بين غالٍ ومعتدل، وانتسب إليهم كثير من أعداء الإسلام من الزنادقة وأشباههم، وانتقل الشيعة من تفضيل علي رضي الله عنه على عثمان رضي الله عنه إلى تفضيل

(١) انظر: لسان العرب (٨/ ١٨٨)، والقاموس المحيط ص٩٤٩.
(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٢/ ٣٤)، وانظر: منهاج السُّنَّة (٢/ ٦٠).
(٣) تهذيب التهذيب (١/ ٩٤).
(٤) انظر: أصول مذهب الشيعة (١/ ٣٢).

علي رضي الله عنه على سائر الصحابة رضي الله عنهم وتقديمه عليهم جميعاً، وإلى هذا المعنى ينصرف تعريف أبي الحسن الأشعري للشيعة حيث قال: «وإنما قيل لهم الشيعة لأنهم شيعوا علياً رضي الله عنه ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم»[1]، وقد زاد هذا الغلو في علي رضي الله عنه حتى اعتقد الشيعة النص على إمامته ثم على أولاده من بعده، وأن الإمامة لا تخرج من أولاده[2]، وانضاف إلى غلوهم في علي وأولاده رضي الله عنهم السب والشتم لبقية الصحابة رضي الله عنهم.

قال ابن حجر رحمه الله: «والتشيع محبة علي وتقديمه على الصحابة، فمن قدمه على أبي بكر وعمر فهو غال في تشيعه، ويطلق عليه رافضي، وإلا فشيعي، فإذا انضاف إلى ذلك السب، أو التصريح بالبغض، فغال في الرفض»[3].

وقد زاد غلو بعض المنتسبين إلى الشيعة حتى ادعوا أن علياً هو الإلـٰه كما حصل ذلك من السبئية الذين حرقهم علي رضي الله عنه ـ كما تقدم ـ[4].

ولعل من أجمع التعاريف التي عرف بها العلماء الشيعة تعريف ابن حزم لهم حيث قال في ذلك: «ومن وافق الشيعة في أن علياً رضي الله عنه أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحقهم بالإمامة، وولده من بعده، فهو شيعي وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون، فإن خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعياً»[5].

فهذا التعريف من ابن حزم يدخل فيه جميع الشيعة الغلاة منهم والمعتدلين، حيث أطلق لفظ «الشيعي» على كل من فضل علياً على جميع الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وقال بإمامته وأولاده من بعده. وإن كان ذلك لا يشمل الشيعة الأولى، الذين قالوا بتفضيل علي على عثمان دون الشيخين ـ رضي الله عنهما وعن سائر الصحابة أجمعين ـ[6].

---

(١) مقالات الإسلاميين ص٥.
(٢) انظر: الملل والنحل (١/١٦٩).
(٣) مقدمة فتح الباري ص٤٥٩.
(٤) انظر: ص٢١١.
(٥) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/٨٩ ـ ٩٠).
(٦) انظر: غلاة الشيعة ص٢٢ ـ ٢٣.

وأما أسماء الشيعة فليس للشيعة اسم يجمع جميع فرقهم سوى هذا الاسم، وإن كان بعض العلماء قد يطلق عليهم اسم «الرافضة» ويريد به عموم فرقهم كما فعل أبو الحسين الملطي[1] والبغدادي[2] والرازي[3]، والذي ينبغي ألا يعمم هذا الاسم على جميع فرق الشيعة، أو يستثنى من ذلك فرقة الزيدية[4] لعدم مشاركتها لبقية فرق الشيعة في رفض إمامة الشيخين رضي الله عنهما[5].

نشأة الشيعة:

اختلف متى كانت بداية التشيع؛ فمن العلماء من حدد ذلك بأواخر خلافة عثمان رضي الله عنه، ومنهم من حدده بخلافة علي رضي الله عنه، ومنهم من حدده بوفاة علي رضي الله عنه، إلى غير ذلك من الأقوال[6].

ويمكن القول بأن نشأة التشيع بدأت في أواخر خلافة عثمان رضي الله عنه، ونمت وترعرعت وظهرت في خلافة علي رضي الله عنه، فالتشيع لم يولد فجأة، بل مر بمراحل وأطوار، لكن طلائع التشيع ظهرت على يد السبئية[7] في أواخر خلافة عثمان رضي الله عنه، حيث نادى ابن سبأ اليهودي بإمامة علي رضي الله عنه وكان يدعو الناس إلى ذلك فيقول: «أليس ثبت أن عيسى ابن مريم سيعود إلى الدنيا فيقول الرجل: «نعم»، فيقول له: «فرسول الله ﷺ أفضل منه فما تنكر أن يعود إلى

---

(١) انظر: التنبيه والرد ص٢٩.
(٢) انظر: الفرق بين الفرق ص٢١.
(٣) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٥٩.
(٤) الزيدية: هي إحدى فرق الشيعة، وينتسبون إلى زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنه وهم أقرب فرق الشيعة إلى أهل السُّنَّة، يعتقدون إمامة الشيخين وعدالتهما إلا أنهم يفضلون علياً عليهما إلا الجارودية منهم، فإنهم يطعنون في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وعامة الزيدية المتأخرين يوافقون المعتزلة في العقائد. انظر: مقالات الإسلاميين ص٦٥ ـ ٧٤، والملل والنحل (١/ ١٧٩ ـ ١٨٩)، والتسعينية لابن تيمية (١/ ٢٦٤).
(٥) أصول مذهب الشيعة الإمامية (١/ ٩٥).
(٦) انظر: الشيعة والتشيع فرق وتاريخ، إحسان إلٰهي ص١٩ ـ ٢٦، إدارة ترجمان السُّنَّة، لاهور، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، ودراسة عن الفرق، د. أحمد جلي ص١٥٢، وغلاة الشيعة ص٢٣ ـ ٣٢.
(٧) انظر: أصول مذهب الشيعة (١/ ٧٨).

هذه الدنيا، وهو أشرف من عيسى ابن مريم عليه السلام»، ثم يقول: «وقد كان أوصى إلى علي بن أبي طالب، فمحمد خاتم الأنبياء، وعليّ خاتم الأوصياء»، ثم يقول: «فهو أحق بالإمارة من عثمان، وعثمان معتد في ولايته ما ليس له» فأنكروا عليه...»[١].

فهذه هي بداية ظهور التشيع على يد ابن سبأ اليهودي، قال ابن القيم رحمه الله: «وأما الرفض فإن الذي ابتدعه زنديق منافق وهو عبد الله بن سبأ الذي أظهر الإسلام وكان يبطن الكفر»[٢].

وقد ظهر في أيام علي رضي الله عنه بعض طوائف الشيعة من الغلاة وغيرهم إلا أنهم كانوا مختفين لا يُظهِرون عقيدتهم لعلي رضي الله عنه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وحدث في أيامه ـ أي: علي رضي الله عنه ـ الشيعة لكن كانوا مختفين بقولهم، لا يظهرونه لعلي وشيعته بل كانوا ثلاث طوائف:

طائفة تقول: إنه إله، وهؤلاء لما ظهر عليهم أحرقهم بالنار...

والثانية: السابة، وكان قد بلغه عن أبي السوداء[٣] أنه كان يسب أبا بكر وعمر فطلبه، قيل: إنه طلبه ليقتله فهرب منه.

والثالثة: المفضلة، الذين يفضلونه على أبي بكر وعمر، فتواتر عنه أنه قال: «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر...»[٤].

فهذه الفرق الثلاث حدثت في زمن علي رضي الله عنه، ثم تشعب عن كل فرقة من هذه الفرق الثلاث فرق كثيرة ذكرها أصحاب الفرق في مصنفاتهم، وقد ذكر المقريزي أن فرق الشيعة بلغت ثلاثمائة فرقة[٥]، بينما يذكر الأشعري

---

(١) البداية والنهاية (٤/ ١٧٤)، وانظر: منهاج السُّنَّة (٨/ ٤٧٩).
(٢) الصواعق المرسلة (٤/ ١٤٠٥).
(٣) هكذا ورد هذا اللفظ في الفتاوى، والمشهور «ابن السوداء» كما تقدم.
(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٣/ ٣٤)، وانظر: منهاج السُّنَّة (١/ ٣٠٦ ـ ٣٠٨).
(٥) انظر: الخطط للمقريزي (٤/ ١٧٩).

خمساً وأربعين فرقة؛ أصولها عنده ثلاث فرق: «الغالية»، و«الرافضة»، و«الزيدية»[(١)].

أما الشهرستاني فيرى أن الشيعة فرق كثيرة فيقول: «لهم في تعدية الإمام كلام وخلاف كثير، وعند كل تعدية وتوقف مقالة، ومذهب وخبط»[(٢)] لكنه يرجعهم إلى خمس فرق:

كيسانية، وزيدية، وإمامية، وغلاة، وإسماعيلية[(٣)].

وأما عقائد الشيعة فتختلف من فرقة إلى أخرى؛ فشرهم الغالية بجميع فرقها غير أن بعضها شر من بعض، وأخف فرق الشيعة شراً الزيدية.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية درجات الشيعة وعقائدهم فقال ﷺ: «والشيعة هم ثلاث درجات، شرها الغالية الذين يجعلون لعلي شيئاً من الإلٰهية أو يصفونه بالنبوة، وكفر هؤلاء بيِّن لكل مسلم يعرف الإسلام، وكفرهم من جنس كفر النصارى من هذا الوجه، وهم يشبهون اليهود من وجوه أخرى.

والدرجة الثانية: وهم الرافضة المعروفون، كالإمامية وغيرهم، الذين يعتقدون أن علياً هو الإمام الحق بعد النبي ﷺ بنص جلي أو خفي وأنه ظلم ومنع حقه، ويبغضون أبا بكر وعمر ويشتمونهما، وهذا عند الأئمة سيما الرافضة، وهو بغض أبي بكر وعمر وسبهما.

والدرجة الثالثة: المفضلة من الزيدية وغيرهم، الذين يفضلون علياً على أبي بكر وعمر، ولكن يعتقدون إمامتهما وعدالتهما ويتولونهما: فهذه الدرجة وإن كانت باطلة، فقد نسب إليها طوائف من أهل الفقه والعبادة، وليس أهلها قريباً ممن قبلهم، بل هم إلى أهل السُّنَّة أقرب منهم إلى الرافضة: لأنهم ينازعون الرافضة في إمامة الشيخين وعدلهما وموالاتهما...»[(٤)].

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين ص٥، ١٦، ٦٥.

(٢) الملل والنحل (١/ ١٦٩).

(٣) الملل والنحل (١/ ١٧٠).

(٤) التسعينية (١/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤).

فهذه هي أصول فرق الشيعة وعقائدها على الإجمال كما ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، وابن تيمية بهذا يتفق مع الأشعري في جعل أصول فرق الشيعة ثلاث فرق، الغالية، والرافضة، والزيدية، وأما الشهرستاني فقد زاد فرقتين وهما: الكيسانية والإسماعيلية، وهما داخلتان في فرقة الغلاة.

وقد أفاضت كتب الفرق في تعداد ما تشعب عن كل فرقة من هذه الفرق الثلاث وذكر ما بينها من الاختلاف في أصول عقائدهم(١).

وهذه الفرق لا تزال باقية حتى يومنا هذا سواء في ذلك الغلاة منهم أو الاثني عشرية أو الزيدية، وإن كانت فرقة الاثني عشرية قد دخل تحتها كثير من الفرق الأخرى، حتى غلبت غيرها من الفرق وأصبحت تمثل غالب الشيعة حتى أطلق عليهم بعض المصنفين في الفرق «جمهور الشيعة»(٢).

أثر الزندقة في الشيعة:

تعدّ فرقة الشيعة هي أعظم الفرق تأثراً بالزندقة، إذ إنها ارتبطت بالزندقة منذ نشأتها في زمن أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولذا عدّ العلماء التشيع أعظم أبواب الزندقة، إذ إن أصل بدعة الرافضة هو الزندقة والنفاق.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأصل الرفض من المنافقين الزنادقة، فإنه ابتدعه ابن سبأ الزنديق وأظهر الغلو في علي بدعوى الإمامة والنص عليه، وادعى العصمة له ولهذا كان مبدؤه من النفاق»(٣).

فالرفض إذاً هو وليد الزندقة والنفاق، ابتدعه ابن سبأ الزنديق اليهودي

---

(١) انظر: مباحث الشيعة وفرقهم في كل من مقالات الإسلاميين للأشعري، والفرق بين الفرق للبغدادي، والملل والنحل للشهرستاني، والفصل في الملل والنحل لابن حزم وغير ذلك من كتب الفرق.

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين ص١٧، والحور العين ص١٦٦، وأصول مذهب الشيعة (١/ ٩٨).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤/ ٤٢٨).

ليفسد به دين الإسلام كما أفسد بولص اليهودي دين النصارى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكان عبد الله بن سبأ شيخ الرافضة لما أظهر الإسلام، أراد أن يفسد الإسلام بمكره وخبثه، كما فعل بولص بدين النصارى، فأظهر النسك، ثم أظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...»[١].

ولما كان أصل دين الشيعة هو الزندقة والنفاق انضم إليهم كل زنديق عدو لدين الإسلام، فدخل من باب التشيع أئمة الزنادقة حتى ظهرت آثار زندقتهم واضحة جلية في عقائد الرافضة وأفكارهم.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن قرر أصل دين الرافضة: «ولهذا انضمت إلى الرافضة أئمة الزنادقة من الإسماعيلية والنصيرية، وأنواعهم من القرامطة والباطنية، والدرزية، وأمثالهم من طوائف الزندقة والنفاق»[٢].

فقد وجد هؤلاء الزنادقة بغيتهم من الكيد للإسلام والطعن في رسوله ﷺ في مذهب الشيعة، حيث طعنوا في صحابة الرسول ﷺ ونقلة الشرع، وغرضهم من ذلك هو الطعن في رسول الله ﷺ وفي شريعته التي جاء بها كما قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: «هؤلاء طعنوا في أصحاب رسول الله ﷺ، إنما طعنوا في أصحابه ليقول القائل: رجل سوء كان له أصحاب سوء، ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين»[٣].

وقد كان الزنادقة يوصي بعضهم بعضاً في تحقيق أهدافهم الخبيثة بانتحال مذهب الشيعة والدفاع عنه، وذلك لمناقضته لدين الإسلام، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «من له أدنى خبرة بدين الإسلام، يعلم أن مذهب الرافضة مناقض له، ولهذا كانت الزنادقة الذين قصدهم إفساد الإسلام يأمرون بإظهار التشيع والدخول إلى مقاصدهم من باب الشيعة، كما ذكر ذلك إمامهم

(١) منهاج السُّنَّة (٨/ ٤٧٩).
(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤/ ٤٢٩).
(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/ ٤٥٩).

صاحب «البلاغ الأكبر والناموس الأعظم»[(١)][(٢)].

فالزنادقة يظهرون التشيع للتستر به على زندقتهم، فظاهر مذهبهم الرفض، وباطنه الكفر والزندقة. ومما يدل على تسترهم بالتشيع، ما ذكره الباقلاني في بيان كيفية دعوة زنادقة الباطنية إلى مذهبهم ووصيتهم لدعاتهم، حيث قال: «وقالوا لكل داع إلى ضلالتهم ما أنا حاك لألفاظهم وصيغة قولهم، بغير زيادة ولا نقصان، ليعلم بذلك كفرهم وعنادهم لسائر الرسل والملل، فقالوا للداعي: «يجب عليك إذا وجدت من تدعوه مسلماً، أن تجعل التشيع عنده دينك وشعارك، واجعل المدخل عليه من جهة ظلم السلف وقتلهم الحسين، وسبيهم نساءه وذريته، والتبرّي من «تيم»[(٣)] و«عدي»[(٤)]، و«بني أمية» و«بني العباس»، وأن تكون قائلاً بالتشبيه والتجسيم، والبدء، والتناسخ، والرجعة، والغلو، وأن علياً إلـٰه يعلم الغيب، مفوض إليه خلق العالم، [وما أشبه ذلك من أعاجيب الشيعة وجهلهم][(٥)]، فإنهم أسرع إلى إجابتك بهذا الناموس، حتى تتمكن منهم مما تحتاج إليه أنت ومن بعدك، ممن تثق به من

---

(١) الناموس الأعظم هو الكتاب الذي كتبه عبيد الله بن الحسين القيرواني إلى سليمان بن الحسن بن سعيد الجنابي، أوصاه فيه بالاجتهاد في الدعوة إلى الزندقة والكفر وشرح له بعض الأسباب المعينة له على ذلك، وترجم لهذا الكتاب بـ«السياسة والبلاغ الأكيد، والناموس الأعظم». انظر: الفرق بين الفرق ص٢٩٤ ـ ٢٩٧.

(٢) منهاج السُّنَّة (٨/ ٤٧٩).

(٣) تيم: قبائل متعددة منها: تيم اللات بن ثعلبة، وتيم الرباب، وتيم ربيعة، وتيم مرة، والنسبة إليها جميعاً «التيمي»، والمراد هنا «تيم بن مرة» وهي القبيلة التي ينتسب إليها الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فأراد هؤلاء الزنادقة البراءة من أبي بكر الصديق ومن قبيلته. انظر: الأنساب للسمعاني (١/ ٣٦٠ ـ ٣٦١)، وتهذيب التهذيب (٥/ ٣١٥).

(٤) عدي: قبائل متعددة منهم: عدي بن كعب بن لؤي، وعدي بن عبد مناة، وعدي الأنصار، وغير ذلك، والنسبة إليها جميعاً «العدوي» والمراد هنا «عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر» وهي القبيلة التي ينتسب إليها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأراد هؤلاء الزنادقة إظهار البراءة من عمر رضي الله عنه ومن قبيلته. انظر: الأنساب (٣/ ٣٢٦ ـ ٣٢٧)، والبداية والنهاية (٧/ ١٣٧).

(٥) ما بين المعكوفين من كلام الباقلاني.

أصحابك، فترقيهم إلى حقائق الأشياء حالاً فحالاً...، فإذا آنست من بعض الشيعة عند الدعوة إجابة ورشداً، أوقفته على مثالب علي وولده، وعرّفته حقيقة الحق لمن هو، وباطل بطلان كل ما عليه أهل ملة محمد ﷺ وغيره من الرسل...»[١].

وقد نقل هذا الكلام عن الباقلاني شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ثم علق عليه بقوله: «قلت: وهذا بيّن، فإن الملاحدة من الباطنية الإسماعيلية وغيرهم، والغلاة النصيرية وغير النصيرية، إنما يظهرون التشيع، وهم في الباطن أكفر من اليهود والنصارى، فدل ذلك على أن التشيع دهليز[٢] الكفر والنفاق»[٣].

وقد ظهر أثر الزنادقة في فرق الشيعة بما زرعوه من أفكار الزندقة وعقائد الكفر والإلحاد، حتى دخلت كثير من الفرق المنتسبة للشيعة في الزندقة ولم تعد تذكر في فرق المسلمين، وتأثرت بقية الفرق الأخرى بتلك الأفكار والعقائد على تفاوت بينها في ذلك، ويمكن إيضاح ذلك الأثر فيما يلي:

أولاً: فرق الزنادقة المنتسبة إلى الشيعة:

انتسب إلى فرقة الشيعة بعض الفرق الغالية الذين غلوا في الأئمة فادعوا فيهم الألوهية أو النبوة أو غير ذلك من أنواع الغلو، وأباحوا لأتباعهم المحرمات، وأسقطوا الواجبات، وهؤلاء في الحقيقة زنادقة خارجون عن دين الإسلام وإن كانوا ينتسبون إليه، ولذلك لم يذكرهم كثير من العلماء في فرق الإسلام، وإنما أفردوهم في باب الفرق الخارجة عن الإسلام كما قال البغدادي في معرض تعداده لفرق الشيعة: «فأما غلاتهم الذين قالوا بإلهية الأئمة، وأباحوا محرمات الشريعة، وأسقطوا وجوب فرائض الشريعة

---

(١) منهاج السُّنَّة (٨/ ٤٨٠ ـ ٤٨١) وانظر: المنتظم لابن الجوزي (١٢/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤).

(٢) الدهليز: بالكسر والفتح، فارسي معرب «داليز» ومعناه: ما بين الدار والباب، وجمعه «دهاليز». انظر: الصحاح للجوهري (٣/ ٨٧٨) مادة «دهلز»، وقصد السبيل (٢/ ٤٢).

(٣) منهاج السُّنَّة (٨/ ٤٨٦).

ـ كالبيانية، والمغيرية، والجناحية[١]، والمنصورية[٢]، والخطابية[٣]، والحلولية[٤]، ومن جرى مجراهم ـ فما هم من فرق الإسلام وإن كانوا منتسبين إليه...»[٥].

وقال الشهرستاني في بيان زندقة تلك الفرق الغالية: «هم الذين غلوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخليقة، وحكموا فيهم بأحكام الإلٰهية، فربما شبهوا واحداً من الأئمة بالإله، وربما شبهوا الإلٰه بالخلق، وهم على طرفي الغلو والتقصير، وإنما نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلولية، ومذاهب التناسخية...»[٦].

فأما الفرق التي قالت بإلهية الأئمة؛ فمنهم: من نص على ألوهية علي رضي الله عنه كالسبئية الذين قالوا لعلي رضي الله عنه أنت إلهنا، فحرّقهم بالنار، وكان الذي أوقعهم في هذه الزندقة زعيمهم ابن سبأ اليهودي الزنديق ـ كما تقدم ـ.

ومن ذلك فرقة البيانية أتباع بيان بن سمعان، فقد ادعى هذا الزنديق أنه

---

(١) الجناحية: فرقة من فرق زنادقة الرافضة، وهم أتباع عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر، ونسبتهم إلى جعفر بن أبي طالب جد عبد الله بن معاوية، وكان يلقب «ذا الجناحين» زعموا أن عبد الله بن معاوية حلت فيه روح الإلٰه، وكفروا بالجنة والنار، واستحلوا المحرمات، وأسقطوا الواجبات. انظر: الفرق بين الفرق ص٢٤٥ ـ ٢٤٦، والملل والنحل (١/ ١٧٥ ـ ١٧٦).

(٢) المنصورية: فرقة من فرق زنادقة الرافضة، وهم أتباع أبي منصور العجلي، وقد ادعى العجلي أنه عرج به إلى السماء، وأن الله أمره بالتبليغ، وتبعه على ذلك بعض الجهلة، وكفروا بالقيامة والجنة والنار، وقد قتل العجلي وصلب على يد والي العراق يوسف الثقفي. انظر: الفرق بين الفرق ص٢٤٣ ـ ٢٤٤، والتبصير في الدين ص١٠٥.

(٣) الخطابية: فرقة من فرق زنادقة الرافضة، وهم أتباع أبي الخطاب الأسدي، وقد كان أبو الخطاب يزعم أن الأئمة كانوا آلهة، ثم ادعى الإلٰهية لنفسه، وكان يقول إن الحسن والحسين أبناء الله وأحباؤه، وتبعه على ذلك بعض الجهلة، ثم إن والي الكوفة قبض عليه وصلبه بكناسة الكوفة وذلك سنة ١٤٣هـ وتفرق أصحابه بعد قتله إلى عدة فرق. انظر: فرق الشيعة ص٦٩ ـ ٧٠، والفرق بين الفرق ص٢٤٧ ـ ٢٤٨.

(٤) الحلولية: هم القائلون بحلول روح الإلٰه في البشر من الأنبياء عليهم السلام والأئمة ونحوهم، وهم فرق كثيرة. انظر: الفرق بين الفرق ص٢٥٤ ـ ٢٦٤، والملل والنحل (١/ ٢٠٣ ـ ٢١٠).

(٥) الفرق بين الفرق ص٢٣.

(٦) الملل والنحل (١/ ٢٣).

نبي ثم زاد في ذلك فادعى ألوهية علي رضي الله عنه بحلول روح الإلـه في عليّ.

يقول الشهرستاني عن بيان: «وهو من الغلاة القائلين بإلهية أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، قال: حل في عليّ جزء إلهي واتحد بجسده، فبه كان يعلم الغيب، إذ أخبر عن الملاحم وصح الخبر، وبه كان يحارب الكفار وله النصرة والظفر، وبه قلع باب خيبر... وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ...﴾ [البقرة: ٢١٠] أراد علياً فهو الذي يأتي في الظلل، والرعد صوته والبرق تبسمه...»(١)، ثم زاد في غلوه فادعى لنفسه الربوبية على مذاهب الحلولية(٢).

ومن ذلك فرقة الجناحية أتباع عبد الله بن معاوية(٣)، زعموا أن روح الإلـه كانت في آدم، ثم دارت في الأنبياء والأئمة، إلى أن انتهت إلى علي، ثم دارت في أولاده الثلاثة، ثم صارت إلى عبد الله بن معاوية(٤).

ومن ذلك فرقة الذميّة(٥) حيث قالوا بإلهية علي رضي الله عنه، وشتموا محمداً صلى الله عليه وسلم، قال البغدادي: «وأما الذميّة منهم: فقوم زعموا أن علياً هو الإلـه، وشتموا محمداً، وزعموا أن علياً بعثه لينبئ عنه فادعى الأمر لنفسه»(٦).

---

(١) الملل والنحل (١/ ١٧٧).

(٢) انظر: الفرق بين الفرق ص٢٣٧.

(٣) عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، رأس فرقة الجناحية، كان من شجعان الطالبيين، إلا أنه تأثر ببعض الغلاة، فأظهر بعض الأقوال الكفرية، وانتشر أمره، وكثر أتباعه، وغلب على بلاد همذان وأصبهان وغيرهما، فأرسل إليه أبو مسلم الخراساني جيشاً تمكن من هزيمته والقبض عليه وقتل سنة ١٢٩هـ، وقيل: بل سجن ومات في السجن سنة ١٣١هـ. انظر: لسان الميزان (٤/ ٣٦١)، والأعلام (٤/ ١٣٩).

(٤) انظر: الفرق بين الفرق ص٢٤٦.

(٥) الذمية: فرقة من فرق الغرابية من زنادقة الرافضة، قالوا بإلهية علي، وأنه هو الذي بعث محمداً صلى الله عليه وسلم، وهم يشتمون محمداً صلى الله عليه وسلم لزعمهم أنه ادعى الرسالة من إلـه آخر فذموه وشتموه ولذلك سموا الذمية. انظر: الفرق بين الفرق ص٢٥١، والتبصير في الدين ص١٠٧.

(٦) الفرق بين الفرق ص٢٥١.

ومن الغلاة من قال بإلهية غير علي رضي الله عنه فمن ذلك فرقة الحربية[(١)]، حيث ادعت الحربية أن روح الإلـٰه حلت في إمامهم عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي[(٢)]، وذلك عن طريق التناسخ، حيث زعموا أن روح الإلـٰه انتقلت بين الأنبياء والأئمة حتى انتقلت إلى زعيمهم ابن حرب[(٣)].

ومن ذلك فرقة الشريعية[(٤)] أتباع رجل يعرف بالشريعي[(٥)]، حيث زعم أن الآلهة خمسة هم: النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين، يقول البغدادي في كلام له عن الشريعي وفرقته: «زعم أن الله تعالى حلّ في خمسة أشخاص ـ وهم: النبي، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين ـ وزعم أن هؤلاء الخمسة آلهة...»[(٦)].

ومن ذلك فرقة الخطابية أتباع أبي الخطاب الأسدي[(٧)]، يقولون الإمامة كانت في أولاد علي إلى انتهت إلى جعفر الصادق، ويزعمون أن الأئمة كانوا

---

(١) الحربية: فرقة من فرق زنادقة الرافضة ينتسبون إلى عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي، كانوا على دين البيانية وهم يقولون بإلهية إمامهم عبد الله بن عمرو، كما أنهم يعتقدون التناسخ. انظر: مقالات الإسلاميين ص٦، والفرق بين الفرق ص٢٤٣.

(٢) عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي: كان في أول أمره على مذهب البيانية، ثم خالفهم وادعى أن روح الإلـٰه انتقلت من أبي هاشم إليه، وتبعه على ذلك جماعة من البيانية وغيرهم. انظر: مقالات الإسلاميين ص٢٢، والفرق بين الفرق ص٢٤٣.

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين ص٢٣، والحور العين ص١٦٠.

(٤) الشريعية: هي إحدى فرق زنادقة الرافضة، ينتسبون إلى رجل يعرف بالشريعي، ادعى حلول الإلـٰه في خمسة أشخاص، هم: النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم، ثم ادعى الشريعي بعد ذلك حلول الإلـٰه في جسده. انظر: مقالات الإسلاميين ص١٤ ـ ١٥، والتبصير ص١٠٧ ـ ١٠٨.

(٥) لم أجد له ترجمة بعد البحث.

(٦) الفرق بين الفرق ص٢٥٢، وانظر: مقالات الإسلاميين ص١٥.

(٧) محمد بن أبي زينب الأسدي، أبو الخطاب الأجدع، ويكنى أيضاً أبا إسماعيل، كان مولى لبني أسد، وقد زعم أبو الخطاب أن الأئمة من أولاد علي رضي الله عنه كانوا آلهة، ثم ادعى الإلـٰهية بعد ذلك لنفسه، وأحل المحارم، وأسقط الفرائض، ولم يزل كذلك إلى أن قبض عليه والي الكوفة وقتله سنة ١٤٣هـ. انظر: فرق الشيعة ص٤٢، والملل والنحل (١/ ٢١٠).

آلهة، وكان أبو الخطاب يدعي بعد ذلك الإلٰهية لنفسه[١].

ومن ذلك فرقة الإسماعيلية والقرامطة وغير ذلك من الفرق التي سبق الحديث عنها ضمن فرق الزنادقة.

وأما الفرق التي قالت بنبوة الأئمة فكثيرة أيضاً؛ فمن ذلك: فرقة المغيرية أتباع المغيرة بن سعيد العجلي[٢]، فقد ادعى النبوة لنفسه بعد أن أظهر موالاة الأئمة، وادعى علمه بالاسم الأعظم، وأنه يحيي به الموتى[٣].

ومن ذلك فرقة المختارية[٤] أتباع المختار بن أبي عبيد الثقفي[٥]، فقد ادعى النبوة عند خواصه، فزعم أن الوحي ينزل عليه من السماء، وسجع في ذلك سجعاً زعم أنه مما أوحي إليه[٦].

ومن ذلك فرقة الغرابية: وقد زعموا أن الله ﷻ أرسل جبريل عليه السلام إلى علي، فغلط في طريقه فذهب إلى محمد لأنه كان يشبهه، وقالوا كان أشبه به من الغراب بالغراب، والذباب بالذباب، وزعموا أن علياً كان الرسول وأولاده بعده هم الرسل، وكانوا يقولون لأتباعهم العنوا صاحب الريش، يعنون

---

(١) انظر: الفرق بين الفرق ص٢٤٧، والملل والنحل (١/ ٢١٠).

(٢) تقدمت ترجمته انظر: ص١١٦.

(٣) انظر: الملل والنحل (١/ ٢٠٧)، ومقالات الإسلاميين ص٢٣.

(٤) المختارية: هي إحدى فرق الكيسانية من الرافضة، وقيل: بل هي أصل فرق الكيسانية، ينتسبون إلى المختار بن أبي عبيد الثقفي، وقد كان المختار يدعو إلى محمد بن الحنفية وينتحله، ثم إنه أظهر بعض الضلالات فزعم أنه نبي وأنه يأتيه الوحي، وتبعه على ذلك كثير من الجهلة إلا أن ابن الحنفية تبرأ منه لما أخبر بما أظهر من الضلال والانحراف، ولم يزل المختار كذلك حتى قتله مصعب بن الزبير سنة ٦٧هـ. انظر: فرق الشيعة ص٢٣، والملل والنحل (١/ ١٧٠ ـ ١٧٢).

(٥) المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي، كذاب ضال كان يدعي النبوة، ويزعم أن الوحي ينزل عليه، خرج في عهد عبد الملك بن مروان يطالب بثأر الحسين، فكانت بينه وبين الأمويين مواقع عظيمة، ثم حارب الزبيريين فقتله مصعب بن الزبير سنة ٦٧هـ. انظر: البداية والنهاية (٨/ ٢٩٥)، ولسان الميزان (٧/ ٦٦).

(٦) انظر: الملل والنحل (١/ ١٧١)، والفرق بين الفرق ص٣٨.

جبريل عليه السلام[(١)].

إلى غير ذلك من الفرق الغالية، وإن كان بعض هذه الفرق لا يكتفي بادعاء الألوهية أو النبوة وإنما قد يجمع بين الأمرين على التدرج، ويضيف إلى تلك الزندقة زندقة أخرى بإنكاره للقيامة، أو تحليل المحرمات، إلى غير ذلك من أنواع الزندقة.

وأصل فكرة الغلو سواء بادعاء الألوهية أو النبوة أخذها ابن سبأ اليهودي من زنادقة فارس حيث كانوا ينظرون إلى ملوكهم الساسانيين نظرة الآلهة، فيرون حلول الإلٰه فيهم عن طريق التناسخ يقول الدكتور أحمد أمين: «ومما يتصل بعقائد الفرس الدينية أنهم كانوا ينظرون إلى ملوكهم كأنهم كائنات إلهية اصطفاهم الله للحكم بين الناس، وخصهم بالسيادة، وأيدهم بروح من عنده، فهم ظل الله في أرضه...»[(٢)].

وكذلك فكرة ادعاء النبوة، فقد كانت معروفة عند الفرس، حيث ظهر أثر ذلك عند بعض الغلاة من الشيعة، وقد عقد البيروني[(٣)] فصلاً خاصاً لتواريخ المتنبئين الذين خدعوا أممهم، وذكر أنهم كثيرون، وذكر منهم جماعة من المجوس ادعوا النبوة، منهم زرادشت، وابن ديصان، ومرقيون، وماني، ومزدك[(٤)]، وهذا يدل على أن فكرة ادعاء النبوة كانت معروفة عند الفرس، وانتقلت هذه الفكرة معهم بعد فتح بلادهم ودخولهم في الإسلام لتظهر عند بعض فرق الشيعة التي يكثر فيها الموالي الفرس[(٥)].

ثانياً: فرق أخرى تأثرت بالزندقة:

يختلف تأثير الزنادقة على بقية الشيعة بحسب قبول كل فرقة لأفكار الزنادقة وما يروجونه له من العقائد المنحرفة، فمنها ما كان أثر الزندقة فيها

---

(١) انظر: الفرق بين الفرق ص٢٥٠، والحور العين ١٥٥.
(٢) فجر الإسلام ص١١١، وانظر: غلاة الشيعة ص٦١٨.
(٣) تقدمت ترجمته. انظر: ص٩٠.
(٤) انظر: الآثار الباقية ص١٧٣ ـ ١٧٩.
(٥) انظر: غلاة الشيعة ص٦٣٥.

كبيراً ظاهراً كفرقة الإمامية، ومنها ما هو أقل من ذلك بكثير كفرقة الزيدية، إلا أن جميع فرق الشيعة قد تأثرت ببعض أفكار الزنادقة كفكرة الإمامة والوصية التي اخترعها لهم الزنديق اليهودي ابن سبأ ـ حيث ادعى أن النبي ﷺ نص على إمامة علي رضي الله عنه وتبعه على ذلك جميع فرق الشيعة، ولذا لما عرّف الشهرستاني فرقة الشيعة ربط تعريفه لهم بفكرة الإمامة والوصية فقال: «الشيعة هم الذين شايعوا علياً عليه السلام[1] على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية إما جلياً وإما خفياً... يجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص»[2].

وقد تخبطت فرق الشيعة في مسألة الإمامة وانقسموا بسببها إلى فرق كثيرة، ولم يقفوا عند هذه المسألة بل غلا كثير منهم، فزعم العصمة للأئمة، وتطور ذلك حتى وصل إلى تألية الأئمة كما حصل ذلك من فرق الغلاة، ولذا لا يبعد أن يقال: إن فكرة الإمامة هي البذرة الأولى لدعوى النبوة والإلٰهية[3].

ولما كانت فرقة الإمامية هي أكثر تلك الفرق تأثراً بالزندقة، كما أنها تعد من أكثر فرق الشيعة أتباعاً فسأكتفي في هذا المقام بذكر أهم آثار الزندقة في هذه الفرقة وذلك كما يلي:

١ ـ قولهم بتحريف القرآن الكريم:

تدعي فرقة الإمامية الاثني عشرية أن القرآن الذي بين أيدي المسلمين قد حرّف وأنه حُذف منه بعض السور والآيات، وقد رووا في ذلك بعض الروايات المكذوبة على أئمتهم، فمن ذلك:

---

(١) هكذا ذكر الشهرستاني، والأصل أن يساوى علي رضي الله عنه ببقية الصحابة فيكتفى بقول: «رضي الله عنه» كغيره من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ولا يميز عليهم بمثل هذه العبارة ولا بغيرها من العبارات.

(٢) الملل والنحل (١/١٦٩).

(٣) انظر: مسألة التقريب بين أهل السُّنَّة والشيعة (١/٢٨٨ ـ ٢٩٢).

- ما رواه الكليني[١] عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «إن القرآن الذي جاء به جبريل عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وآله سبعة عشر ألف آية»[٢].

هكذا روى الكليني هذا الأثر، ومعنى ذلك أن القرآن الذي بين أيدي المسلمين لا يمثل عند الإمامية إلا ثلث القرآن الذي نزل به جبريل عليه السلام.

يقول الشيخ إحسان إلهي ظهير معلقاً على أثر الكليني: «والمعروف أن القرآن ستة آلاف ومائتين وثلاث وستون آية، ومعناه أن ثلثي القرآن راح على إدراج الرياح، والموجود هو الثلث...»[٣].

- ما رواه الكليني أيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ [طه: ١١٥] زاد في ذلك «كلمات في محمد وعليّ فاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام من ذريتي فنسي» ثم قال أبو عبد الله: «هكذا والله نزلت على محمد صلى الله عليه وآله»[٤].

إلى غير ذلك من الروايات الكثيرة التي اختلقها زنادقة الإمامية ودسوها في كتبهم ونسبوها إلى أئمة آل البيت كذباً، وذلك للطعن في كتاب الله تعالى والتشكيك فيه مع علمهم بتكفل الله تعالى بحفظه كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩].

وقد جمع تلك الروايات المتفرقة في كتبهم أحد أئمتهم المتأخرين وهو

---

(١) محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني أبو جعفر البغدادي، من كبار علماء الإمامية ومحدثيهم، يلقب بثقة الإسلام، له عدة مصنفات في مذهب الإمامية من أهمها: «الكافي في علم الدين» وهذا الكتاب يعده الرافضة من أصح كتبهم وأشهرها في نقل مذهبهم، مات الكليني سنة ٣٢٩هـ. انظر: طبقات أعلام الشيعة، آغا بزرك الطهراني (١/ ٣١٤، ٣١٥)، مؤسسة إسماعيليان قم، بدون ذكر تاريخ ولا طبعة، والأعلام (٧/ ١٤٥).

(٢) الأصول من الكافي للكليني (٢/ ٦٣٤)، دار صعب، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠١هـ.

(٣) الشيعة والقرآن لإحسان إلٰهي ظهير ص٣١.

(٤) الأصول من الكافي (٢/ ٦٢٨).

حسين النوري الطبرسي[١] في كتابه الذي صنفه في إثبات تحريف القرآن وسماه «فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب»[٢]، فقد جمع فيه كثيراً من الروايات عن أئمتهم وأقوال علمائهم في إثباتهم لتحريف القرآن الكريم[٣].

ولم يقف زنادقة الإمامية عند القول بتحريف القرآن الكريم وإنما ذهبوا إلى أن عندهم كتاب منزل غير القرآن وهو ما يسمونه بمصحف فاطمة رضي الله عنها، كما روى ذلك الكليني عن أبي عبد الله أنه قال: «إن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام وما يدريهم ما مصحف فاطمة عليها السلام؟... فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد...»[٤].

٢ ـ سب الصحابة رضي الله عنهم والطعن فيهم:

تُعد مسألة سب الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ من المسائل التي أدخلها ابن سبأ الزنديق على الشيعة منذ بداية نشأتها في زمن الخليفة علي رضي الله عنه.

كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في تعداده لطوائف الشيعة في زمن علي رضي الله عنه: «والثانية «السابة» وكان بلغه عن أبي سوداء[٥] أنه كان يسب أبا بكر وعمر فطلبه، قيل: إنه طلبه ليقتله فهرب منه»[٦].

وقد ورث هذه العقيدة الخبيثة عن هذا الزنديق اليهودي كثير من فرق الشيعة ومن ذلك فرقة الإمامية، حيث حكموا على أصحاب النبي ﷺ بالردة إلا نفر قليل، وذلك لموالاة الصحابة رضي الله عنهم لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما وكتمانهم لنص ولاية علي رضي الله عنه كما تزعم الرافضة.

---

(١) حسين بن محمد النوري المازندراني الطبرسي، أحد علماء الشيعة الإمامية، ولد في قرية «يالو» من قرى نور بطيرستان، وله عدة مصنفات في مذهب الإمامية بالعربية والفارسية، توفي بالكوفة سنة ١٣٢٠هـ. انظر: الأعلام (٢/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨).

(٢) طبع هذا الكتاب بإيران سنة ١٢٩٨هـ.

(٣) انظر: الشيعة والقرآن لإحسان إلٰهي ظهير ص١١١، وأصول مذهب الشيعة الإمامية، د. ناصر القفاري (١/ ٢٣٣ ـ ٢٣٤)، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

(٤) الأصول من الكافي (١/ ٢٣٩).

(٥) سبق التنبيه على أن المشهور هو «ابن السوداء».

(٦) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٤)، وانظر: منهاج السُّنَّة (١/ ٣٠٦ ـ ٣٠٧).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن الرافضة تقول: إن المهاجرين والأنصار كتموا النص، وكفروا بالإمام المعصوم، واتبعوا أهواءهم، وبدلوا الدين، وغيروا الشريعة، وظلموا واعتدوا؛ بل كفروا إلا نفراً قليلاً: إما بضعة عشر أو أكثر، ثم يقولون: إن أبا بكر وعمر ونحوهما ما زالا منافقين، وقد يقولون: بل آمنوا ثم كفروا»[1].

وقد طفحت كتب الإمامية بسب الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ولعنهم وتكفيرهم ورووا في ذلك بعض الآثار عن أئمتهم، فمن ذلك:

ـ ما رواه الكشي[2] عن أبي جعفر الباقر أنه قال: «كان الناس أهل الردة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة نفر: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي...»[3].

ـ ما رواه الكليني عن أبي جعفر أنه قال: «المهاجرون والأنصار ذهبوا إلا ـ وأشار بيده ـ ثلاثة»[4].

هكذا يصرح زنادقة الإمامية بردة أصحاب رسول الله ﷺ ورَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم ويعتقدون كفرهم إلا هؤلاء النفر الثلاثة.

وقد خص زنادقة الإمامية كبار الصحابة وخيارهم كأبي بكر وعمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم أجمعين بمزيد من السب واللعن، وذلك لمكانتهما من رسول الله ﷺ، فقد نصوا في كتبهم على كفرهم ونفاقهم ونسبوا إليهم كل قبيح، فقد عقد شيخهم المجلسي[5] باباً بعنوان «باب كفر الثلاثة ونفاقهم

(١) مجموع الفتاوى (٣/٣٥٦).

(٢) محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي، أبو عمرو، أحد علماء الشيعة الإمامية، نسبته إلى بلدة «كش» من بلاد ما وراء النهر، اشتهر بكتابه الذي صنفه في رجال الشيعة، توفي سنة ٣٤٠هـ. انظر: معجم رجال الحديث للموسوي (١٨/٦٧ ـ ٦٨)، الطبعة الخامسة، ١٤١٣هـ، والأعلام (٦/٣١١).

(٣) رجال الكشي لأبي عمرو الكشي ص١٢، تقديم أحمد الحسيني.

(٤) الأصول من الكافي (٢/٢٤٤).

(٥) محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود علي المجلسي الأصفهاني، أحد علماء الإمامية الكبار، صاحب أكبر موسوعة في مذهب الشيعة وهو كتابه بحار الأنوار، ولد =

وفضائح أعمالهم»[١] وذكر فيه من الرويات والأقوال في سبهم ولعنهم ما تقشعر من سماعه جلود المؤمنين.

ولم يغفل زنادقة الإمامية عن زوجات النبي ﷺ أمهات المؤمنين ـ رضي الله عنهن ـ، فقد طعنوا فيهن ورموهن بالكفر والردة ولم يستثنوا واحدة منهن، غير أنهم خصوا عائشة وحفصة ـ رضي الله عنهن ـ بمزيد من الذم واللعن، حتى عقد شيخهم المجلسي باباً خصصه لذم عائشة وحفصة رضي الله عنهن[٢].

قال الشهرستاني بعد بيانه لتخبط فرقة الإمامية في مسألة الإمامة: «ثم إن الإمامية تخبطت عن هذه الدرجة إلى الوقيعة في كبار الصحابة طعناً وتكفيراً، وأقله ظلماً وعدواناً، وقد شهدت نصوص القرآن على عدالتهم والرضا عن جملتهم، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ...﴾ [الفتح: ١٨]... فليت شعري: كيف يستجيز ذو دين الطعن فيهم، ونسبة الكفر إليهم! وقد قال النبي ﷺ: «**عشرة من أصحابي في الجنة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وعبد الرحمٰن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح**»[٣]، إلى غير ذلك من الأخبار الواردة في حق كل واحد منهم على الانفراد...»[٤].

= سنة ١٠٣٧هـ، وتوفي سنة ١١١٠هـ. انظر: طبقات أعلام الشيعة، أعيان القرن الثاني عشر ص٩٥، والأعلام (٦/ ٤٨ ـ ٤٩).

(١) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار للمجلسي (٨/ ٢٠٨ ـ ٢٥٢)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ.

(٢) انظر: بحار الأنوار (٢٢/ ٢٢٧ ـ ٢٤٧)، وأصول مذهب الشيعة (٢/ ٧٣٥).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ١٤٧٤ ـ ١٤٧٥) رقم (١٦٢٩، ١٦٣٠)، وأبو داود في كتاب السُّنَّة، باب في الخلفاء (٢/ ٥٦٣)، والترمذي في كتاب المناقب، باب مناقب عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه (٥/ ٦٤٧) رقم (٣٧٤٧) من حديث عبد الرحمٰن بن عوف وحديث سعيد بن زيد رضي الله عنهما بنحوه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٧١) رقم (٥٠).

(٤) الملل والنحل (١/ ١٩٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في معرض حديثه عن سب الرافضة للصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ: «وأما من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله ﷺ إلا نفراً قليلاً لا يبلغون بضعة عشر نفساً، أو أنهم فسَّقوا عامتهم، فهذا لا ريب أيضاً في كفره، فإنه مكذبٌ لما نصهُ القرآن في غير موضع: من الرضى عنهم والثناء عليهم، بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين... وكفر هذا مما يعلمُ بالاضطرار من دين الإسلام، ولهذا تجد عامة من ظهر عنه شيءٌ من هذه الأقوال، فإنه يتبين أنه زنديق...»[1].

والمقصود أن آثار الزندقة على فرقة الإمامية الاثني عشرية كثيرة جداً، ولذلك عدَّ بعض العلماء هذه الفرقة ضمن فرق الزنادقة، وسيأتي في الباب الثالث إن شاء الله تعالى ذكر بعض عقائدهم من الغلو في الأئمة، وتعطيل صفات الرب تعالى، وغير ذلك من مظاهر الزندقة.

ومما تقدم يتضح أن فرقة الشيعة هي أعظم الفرق تأثراً بالزندقة بل هي أصل الزندقة ـ كما تقدم ـ، ولهذا انضمت إلى الرافضة الكثير من فرق الزنادقة من الإسماعيلية، والنصيرية، والقرامطة وغيرهم، حتى أصبح مذهب الشيعة ستاراً يتستر به الزنادقة لتحقيق أهدافهم الخبيثة ضد الإسلام والمسلمين.

---

(١) الصارم المسلول (٣/ ١١١٠ ـ ١١١١).

المبحث الثالث

أثر الزندقة في المعتزلة

لفظ «المعتزلة» مأخوذ من الاعتزال، وهو في اللغة بمعنى الانفصال والتنحي[(١)]، وقد اشتهر إطلاق لفظ «المعتزلة» على إحدى الفرق الكلامية التي خرجت في أوائل القرن الثاني بزعامة واصل بن عطاء[(٢)]، وعمرو بن عبيد[(٣)]، وذلك زمن الحسن البصري[(٤)].

وقد اختلف في سبب تسمية «المعتزلة» بهذا الاسم؛ فقيل: إنما سموا معتزلة لمخالفتهم قول الأمة في مرتكب الكبيرة، واعتزالهم لحلقة الحسن البصري وأصحابه، بعد أن خالفوهم في ذلك[(٥)].

يقول الشهرستاني في بيان سبب تسميهم بهذا الاسم: «دخل رجل على الحسن البصري، فقال: يا إمام الدّين، لقد ظهر في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة، وهم وعيدية الخوارج، وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان...، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً؟ ففكر الحسن في ذلك، وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء: أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلق،

---

(١) انظر: لسان العرب (١١/ ٤٤٠) مادة (عزل).

(٢) تقدمت ترجمته. انظر: ص٢٠٠.

(٣) تقدمت ترجمته. انظر: ص٢٠٠.

(٤) الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد، التابعي الجليل الإمام العالم الناسك، ولد بالمدينة وسكن البصرة فكان عالمها، وكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، وله مع الحجاج بن يوسف مواقف، وقد جعل الله له هيبة في القلوب، وأخباره كثيرة، ولد سنة ٢١هـ، وتوفي سنة ١١٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٦٣)، والبداية والنهاية (٩/ ٢٧٨)، والأعلام (٢/ ٢٢٦).

(٥) انظر: الفرق بين الفرق ص٢١، والتبصير ص٥٨.

ولا كافر مطلق، بل هو في منزلة بين المنزلتين، لا مؤمن ولا كافر، ثم قام واعتزل إلى أسطوانة[١] من أسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن، فقال الحسن: اعتزلنا واصل، فسمي وأصحابه المعتزلة»[٢].

هكذا ذكر الشهرستاني، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن ذلك إنما تم بعد موت الحسن، وأن واصل بن عطاء إنما اعتزل حلقة أصحاب الحسن البصري، وفي ذلك يقول رَحِمَهُ اللَّهُ في كلام له على الخوارج: «وكانت «الخوارج» قد تكلّموا في تكفير أهل الذنوب من أهل القبلة، وقالوا: إنهم كفار مخلدون في النار، فخاض الناس في ذلك، وخاض في ذلك القدرية بعد موت الحسن البصري، فقال عمرو بن عبيد وأصحابه: لا هم مسلمون ولا كفار، بل لهم منزلة بين المنزلتين... واعتزلوا حلقة أصحاب الحسن البصري، مثل قتادة[٣] وأيوب السختياني[٤] وأمثالهما، فسموا معتزلة من ذلك الوقت بعد موت الحسن، وقيل: إن قتادة كان يقول أولئك المعتزلة...»[٥].

وهذا القول الأخير الذي أشار إليه ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ قد قال به ابن خلكان[٦] وغيره، حيث ذكر أن الذي أطلق عليهم هذا الاسم هو قتادة بن دعامة، وذلك أن قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ دخل مسجد البصرة، وكان ضريراً فسمع صوت عمرو بن عبيد وأصحابه بعد ما اعتزلوا، فتوجه نحو الصوت ظناً منه أنها حلقة الحسن وأصحابه، فلما صار معهم وعرف حقيقتهم قال: إنما هؤلاء المعتزلة،

---

(١) الأسطوانة: هي العمود أو السارية تكون في المسجد وفي غيره من البناء، وتجمع على أسطوانات. انظر: لسان العرب (١٤/ ٣٨٣).

(٢) الملل والنحل (١/ ٦١ ـ ٦٢).

(٣) تقدمت ترجمته. انظر: ص٣٨.

(٤) أيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني، أبو بكر البصري، مولى عنزة، أحد حفاظ الحديث، وقد كان ثقة ثبتاً كثير العلم، له نحو ثمانمائة حديث، روى عنه أئمة الحديث من شيوخه وأقرانه وغيرهم، ولد سنة ٦٦هـ، وتوفي سنة ١٣١هـ. انظر: الجرح والتعديل (٢/ ٢٥٥)، وتهذيب التهذيب (١/ ٣٩٧ ـ ٣٩٩)، والأعلام (٢/ ٣٨).

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٣/ ٣٧ ـ ٣٨).

(٦) تقدمت ترجمته. انظر: ص١٦١.

فسموا معتزلة من وقتها[١]. وقيل: إن المعتزلة هم الذين أطلقوا على أنفسهم هذا الاسم حتى غلب عليهم، وأنهم كانوا من أصحاب علي رضي الله عنه، ثم اعتزلوا الناس بعد مبايعة الحسن لمعاوية رضي الله عنهما وهذا القول هو الذي نص عليه أبو الحسين الملطي فقال: «وهم سموا أنفسهم معتزلة، وذلك عندما بايع الحسن بن علي عليه السلام معاوية، وسلم إليه الأمر، اعتزلوا الحسن ومعاوية وجميع الناس، وذلك أنهم كانوا من أصحاب علي، ولزموا منازلهم ومساجدهم، وقالوا نشتغل بالعلم والعبادة...»[٢].

وهذا القول ذكره أيضاً نشوان الحميري[٣] ولم يرتضه[٤]، والقول الأول هو المشهور، وهو الذي نص عليه كثير من أصحاب الفرق[٥]، والله أعلم.

نشأة المعتزلة:

الكلام على نشأة المعتزلة مرتبط بسبب تسميتهم بهذا الاسم «معتزلة»، وقد تقدم ذكر بعض الخلاف في سبب التسمية، وإذا استبعدنا قول الملطي رحمه الله في تسميتهم بهذا الاسم عندما بايع الحسن بن علي معاوية رضي الله عنهم وأخذنا بالقول المشهور في سبب التسمية، وهو قصة واصل ابن عطاء مع الحسن البصري وأصحابه، فعلى ذلك تكون تلك الحادثة هي بداية نشأتهم، وقد كان ذلك في البصرة في أوائل المائة الثانية[٦]، ثم إن واصلاً وأصحابه أضافوا إلى بدعتهم في مسألة حكم مرتكب الكبيرة بدعاً أخرى اشتقوها من آراء الفرق المعاصرة لهم، من جهمية وقدرية وشيعة وخوارج حتى تكوّن مذهبهم، فأخذوا عن الجهمية أصحاب جهم بن صفوان نفي الصفات والقول بخلق القرآن، وأخذوا

---

(١) انظر: وفيات الأعيان (٤/ ٨٥).

(٢) التنبيه والرد ص٤٩.

(٣) تقدمت ترجمته. انظر: ص٢١٥.

(٤) انظر: الحور العين ص٢٠٥.

(٥) انظر: الفرق بين الفرق ص٢٠، والتبصير في الدين ص٢٠، والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص٢٦، والمعتزلة وأصولهم الخمسة لعواد المعتق ص٢١، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

(٦) انظر: فتاوى شيخ الإسلام (١٤/ ٣٤٩).

عن القدرية مسألة خلق أفعال العباد، كما أخذوا مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن الخوارج.

كما تأثروا بالشيعة في مسألة الإمامة وغير ذلك من آرائهم الأخرى، وبهذا تكونت آراء المعتزلة من خليط آراء الفرق المعاصرة لهم[(١)]، فتأثروا بكل فرقة من الفرق في أصل من أصولهم الخمسة التي من جمعها دخل في مسمى المعتزلة، وهي: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول الخياط[(٢)]: «وليس يستحق أحد اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة: التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا كملت في الإنسان هذه الخصال الخمس فهو معتزلي»[(٣)]، كما استفادوا من تجربة الفرق الأخرى كالقدرية والخوارج الذين تعرضوا لنقمة الأمويين مما تسبب في إضعاف شوكتهم، فراح المعتزلة يبحثون عن طريق يستعينون به على تقوية شوكتهم، فلجؤوا إلى التقرب إلى السلطة ومحاولة كسبها إلى جانبهم، فالتفوا حول الخليفة الأموي يزيد بن الوليد[(٤)]، حتى تأثر بمذهبهم وخاصة فيما يتعلق بالقدر، قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: «لما ولي يزيد... دعا الناس إلى

---

(١) انظر: المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السُّنَّة منها لعواد المعتق ص٢٨، دار العاصمة، الرياض ١٤٠٩هـ.

(٢) عبد الرحيم بن محمد الخياط أبو الحسين شيخ المعتزلة ببغداد، وإليه تنسب فرقة الخياطية من المعتزلة، له عدة كتب في النقض على ابن الراوندي، توفي نحو سنة ٣٠٠هـ. انظر: طبقات المعتزلة ص٤٩ ـ ٥١، ولسان الميزان (٥/ ١١)، والأعلام (٣/ ٣٤٧).

(٣) الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد بتحقيق: د. نيبرج ص١٢٧، دار الندوة الإسلامية، بيروت، ١٩٨٨م، بدون ذكر طبعة.

(٤) يزيد بن الوليد بن عبد الملك الأموي، أبو خالد أحد خلفاء بني أمية، يلقب بالناقص لأنه نقص من عطاء الجند لما تولى، كان من أهل الورع والصلاح، إلا أنه قد تأثر بمذهب المعتزلة وخاصة فيما يتعلق بالقدر، لم تطل مدة خلافته حيث توفي بعد ستة أشهر من خلافته سنة ١٢٦هـ. انظر: تاريخ الخلفاء ص٢٢٢ ـ ٢٢٤، والبداية والنهاية (١٠/ ١٨).

القدر وحملهم عليه...»[١]، وقال المسعودي عن يزيد بن الوليد: «كان يذهب إلى قول المعتزلة في الأصول الخمسة»[٢].

ومع ذلك فقد بقوا خلال دولة بني أمية مغلوبين مذمومين، كلما أظهروا قولهم رد عليهم أئمة السُّنَّة، فلما ابتدأت دولة بني العباس أخذوا في التقرب إليهم، والدخول معهم للتأثير عليهم، وما زالوا كذلك حتى تمكنوا من هدفهم الذي يسعون إليه بالتأثير على الخليفة المأمون[٣] حتى دخل في مذهبهم وشايعهم على بدعتهم[٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في كلام له على المعتزلة: «إن هؤلاء المتكلمين لما أظهروا موجب أصلهم، وهو القول بأن القرآن مخلوق، أظهروا ذلك في أوائل المائة الثانية، فلما سمع ذلك علماء الأمة أنكروا ذلك، ثم صار كلما ظهر قولهم أنكره العلماء ـ وكلام السلف والأئمة في ذلك مشهور متواتر ـ إلى أن صار لهؤلاء المتكلمين الكلام المحدث في دولة المأمون عز، وأدخلوه في ذلك وألقوا إليه الحجج التي لهم...، وكان المأمون لما صار إلى الثغر بطرسوس[٥] كتب بالمحنة كتاباً إلى نائبه بالعراق إسحاق بن إبراهيم[٦]، فدعا العلماء والفقهاء والقضاة فامتنعوا عن الإجابة والموافقة فأعاد عليه الجواب...»[٧].

وكان الذي حمل المأمون على المحنة هو وزيره أحمد بن أبي دؤاد[٨]،

---

(١) البداية والنهاية (١٠/١٨). (٢) مروج الذهب (٣/٢٦٩).

(٣) تقدمت ترجمته. انظر: ص٤٨.

(٤) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٥/٥٥٣)، والمعتزلة وأصولهم ص٤١.

(٥) طرسوس: بفتح أوله، وثانيه، وسينين مهملتين بينهما واو، مدينة بثغور الشام، بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم، يشقها نهر البردان، انظر: مراصد الاطلاع (٢/٨٨٣).

(٦) إسحاق بن إبراهيم الخزاعي، أبو الحسين، صاحب شرطة بغداد أيام المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل، وكان وجيهاً مقرباً من الخلفاء ذا رأي وشجاعة، توفي سنة ٢٣٥ ببغداد. انظر: البداية والنهاية (١٠/٣٢٨)، والأعلام (١/٢٩٢).

(٧) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٥/٥٥٣ ـ ٥٥٤)، وانظر: (١٣/١٨٣).

(٨) أحمد بن أبي دؤاد بن جرير الإيادي، أبو عبد الله المعتزلي، أحد قضاة المأمون =

ولما توفي المأمون استمرت شوكة المعتزلة قائمة في عهد خليفته المعتصم[١]، وكذلك الواثق[٢]، إلى أن أفضت الخلافة إلى المتوكل[٣] فأمر بترك النظر والمباحثة والجدال، وترك ما عليه الناس في أيام المأمون والمعتصم والواثق من القول بخلق القرآن، وأمر الناس بالتسليم والتقليد، وأمر المحدثين بإظهار السُّنَّة والجماعة[٤]، فضعفت شوكة المعتزلة عما كانت عليه في زمن من قبله من الخلفاء.

وقد تأثرت فرقة المعتزلة بكتب الفلاسفة التي ترجمت في زمن المأمون، وفي ذلك يقول المقريزي[٥] في حديث له عن المأمون: «بعث إلى بلاد الروم من عرّب له كتب الفلاسفة وأتاه بها، فأقبلت المعتزلة وغيرهم عليها، وأكثروا من النظر فيها والتصفح لها»[٦]، وظهر أثر ذلك في آرائهم وعقائدهم كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهؤلاء ـ أي: المتكلمون ـ كان من أعظم أسباب ضلالهم مشاركتهم للفلاسفة وتلقيهم عنهم، فإن أولئك القوم من أبعد الناس عن الاستدلال بما جاء به الرسول...»[٧].

فقد خلط المعتزلة كلامهم بكلام الفلاسفة فأخذوا كثيراً من أفكارهم، ومزجوها بما لديهم من آراء، حتى نتج عن ذلك ما يسمى بعلم الكلام،

= العباسي، ورأس فتنة القول بخلق القرآن، وهو الذي حمل الخلفاء على امتحان الناس بخلق القرآن، مات مفلوجاً بعد أن أذله الله بنصرة السُّنَّة في خلافة المتوكل العباسي سنة ٢٤٠هـ. انظر: طبقات المعتزلة ص٣٥، وسير أعلام النبلاء (١١/ ١٦٩)، والأعلام (١/ ١٢٤).

(١) تقدمت ترجمته. انظر: ص١٢٤.

(٢) تقدمت ترجمته. انظر: ص١٣٨.

(٣) المتوكل على الله جعفر بن المعتصم العباسي، أحد خلفاء بني العباس، بويع له بالخلافة بعد أخيه الواثق، فرفع المحنة وأخمد البدعة، وأظهر السُّنَّة، ونشرها في الناس، فأحبه الناس لذلك. ولد سنة ٢٠٦هـ ومات مقتولاً سنة ٢٤٧هـ. انظر: تاريخ الخلفاء ص٣٠١ ـ ٣٠٩، والبداية والنهاية (١٠/ ٣٦٤ ـ ٣٦٦)، والأعلام (٢/ ١٢٧).

(٤) انظر: البداية والنهاية (١٠/ ٣٦٥ ـ ٣٦٦)، وتاريخ الجهمية والمعتزلة للقاسمي ص٦٩، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ.

(٥) تقدمت ترجمته. انظر: ص١٩٥.

(٦) الخطط المقريزية (٤/ ١٩١).

(٧) فتاوى شيخ الإسلام (١٣/ ٢٠٦).

وانفتح على الأمة بسببه باب شر، حيث ضل بسببه كثير من شيوخ المعتزلة وغيرهم من المتكلمين[(١)].

وقد تشعبت آراء المعتزلة حتى صارت فرقاً، كل فرقة تابعة لشيخ من شيوخهم حتى أوصل البغدادي فرقهم إلى عشرين فرقة، كل فرقة منها تكفر الأخرى كما قال البغدادي: «إن المعتزلة افترقت فيما بينها عشرين فرقة كل فرقة منها تكفر سائرها...»[(٢)].

وقد انقسمت المعتزلة إلى مدرستين:

الأولى: مدرسة البصرة التي هي أصل الاعتزال وقد انبثقت منها عدة فرق منها الواصلية[(٣)]، والعمرية[(٤)]، والهذلية[(٥)]، والنظامية[(٦)] وغيرها.

---

(١) انظر: الملل والنحل (١/٤١)، وتلبيس إبليس ص١١٨.

(٢) الفرق بين الفرق ص١١٤.

(٣) الواصلية: هم أتباع واصل بن عطاء الغزال رأس المعتزلة، قالوا بنفي الصفات وأن أصحاب الكبيرة في منزلة بين منزلتين، وأن العبد هو الفاعل للخير والشر والإيمان والكفر، وأن أحد الفريقين من أصحاب الجمل وصفين فاسق لا بعينه. انظر: الملل والنحل (١/٥٩)، والفرق بين الفرق ص١١٧.

(٤) العمرية: أتباع عمرو بن عبيد بن باب، مولى بني تميم، شارك واصلاً في بدعته، ودخل معه في الاعتزال، قالوا بمثل قول الواصلية وزادوا عليهم قولهم بفسق كلا الفريقين من أصحاب الجمل وصفين، وأنهم خالدون في النار. انظر: الفرق بين الفرق ص١٢٠، والتبصير في الدين ص٥٩.

(٥) الهذلية: أتباع أبي الهذيل محمد بن الهذيل العلاف، شيخ المعتزلة، وقد انفردت هذه الفرقة ببعض الأقوال الشنيعة المخالفة لسائر المعتزلة، كالقول بانقطاع حركات أهل الجنة وأهل النار، وأن علم الله تعالى هو الله والقول بإثبات إرادات لا محل لها. انظر: الملل والنحل (١/٦٤)، والفرق بين الفرق ص١٢١ ـ ١٣٠، وشذرات الذهب (٢/٨٥).

(٦) النظامية: أتباع أبي إسحاق إبراهيم بن سيار المعروف بالنظام، طالع كتب الفلسفة وخلطها بآراء المعتزلة، وقد انفردت هذه الفرقة بالقول إن الله لا يوصف بالقدرة على الشرور والمعاصي وإنكارهم لإعجاز القرآن الكريم، والقول بإنكار الجزء الذي لا يتجزأ، وغير ذلك من الأقوال المنكرة. انظر: الفرق بين الفرق ص١٣١ ـ ١٥٠، والملل والنحل (١/٦٧ ـ ٧٤).

الثانية: مدرسة بغداد وقد انبثقت منها فرقة المردارية[١]، والجعفرية[٢]، والإسكافية[٣]، والكعبية[٤]، وغيرها[٥].

قال أبو الحسين الملطي في معرض كلامه على المعتزلة: «وهم معتزلة بغداد، ومعتزلة البصرة، وبالبصرة أول ظهور الاعتزال... ويقال: معتزلة بغداد أخذوا الاعتزال من معتزلة البصرة، أولهم بشر بن المعتمر[٦]... ثم أخذ الكلام من بشر ببغداد أبو موسى بن صبيح الملقب بمردار[٧] فكان

---

(١) المردارية: أصحاب عيسى بن صبيح الملقب بالمردار ويسمى راهب المعتزلة، وقد انفردت هذه الفرقة بعدة مسائل؛ منها: قولهم في القرآن بأن الناس قادرون على مثل القرآن فصاحة ونظماً وبلاغة، وقولهم: إن الله قادر على أن يكذب ويظلم، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، وقولهم في عثمان ﷺ وقاتليه بأنهم جميعاً في النار. انظر: الملل والنحل (١/٨٢)، والفرق بين الفرق ص١٦٤ ـ ١٦٥.

(٢) الجعفرية: أصحاب الجعفرين، جعفر بن حرب، وجعفر بن مبشر، ولكل منهما عدة ضلالات ذكرها أصحاب الفرق، منها القول بأن فساق هذه الأمة شر من اليهود والمجوس، وأن من سرق حبة فهو كافر خالد في النار. انظر: الفرق بين الفرق ص١٦٧ ـ ١٦٩، والتبصير في الدين ص٦٦ ـ ٦٧.

(٣) الإسكافية: وهم أتباع محمد بن عبد الله الإسكافي، وقد انفردت هذه الفرقة بقولهم: لا يجوز أن نقول أن الله يتكلم مع العباد بل نسميه «مكلماً»، وقالوا: إن الله تعالى قادر على ظلم الأطفال والمجانين وليس بقادر على ظلم العقلاء البالغين. انظر: الفرق بين الفرق ص١٦٩ ـ ١٧٠، والتبصير ص٤٨.

(٤) الكعبية: أتباع عبد الله بن أحمد البلخي، المعروف بالكعبي، وقد خالفوا معتزلة البصرة في أحوال كثيرة، منها قولهم: إن الله تعالى لا يرى نفسه ولا يراه غيره، وقولهم: إن الله سبحانه لا يسمع ولا يبصر، وأن معنى وصفة بالسميع والبصير أنه عالم بالمسموع والمرئي، وقولهم بإيجاب الأصلح للعبد على الله. انظر: الفرق بين الفرق ص١٨، والملل والنحل (١/٨٩ ـ ٩٠).

(٥) انظر: التنبيه والرد ص٥١، ومعجم الفرق الإسلامية ص٢٢٨، والمعتزلة وأصولهم ص٦٨ ـ ٧٦.

(٦) بشر بن المعتمر الهلالي، أبو سهل، رئيس معتزلة بغداد في زمنه، من تلاميذه ثمامة بن الأشرس، وإليه تنسب فرقة البشرية من المعتزلة، توفي بشر في حدود سنة ٢١٠هـ. انظر: طبقات المعتزلة ص٣٠، ولسان الميزان (٢/٢٢١).

(٧) عيسى بن صبيح المعروف بأبي موسى المردار، كان يقال له راهب المعتزلة، على يده انتشر الاعتزال ببغداد وإليه تنسب فرقة المردارية من المعتزلة، توفي سنة ٢٢٦هـ. =

المجلس له والكلام»[١].

تأثر المعتزلة بالزندقة:

لقد ظهر أثر الزندقة واضحاً في آراء المعتزلة حيث أخذوا بعلم الكلام الذي حذر منه السلف وعدوّه طريقاً من طرق الزندقة، كما قال الشافعي رحمه الله: «آخر صاحب الكلام الزندقة»[٢] فقد تشعب المعتزلة في آرائهم وخلطوها بالفلسفة ـ كما تقدم ـ حتى تشربت أقوالهم بآراء الفلاسفة الملاحدة، فأنكروا صفات الله، وبنوا توحيدهم على تعطيل الخالق تبارك وتعالى، وحكّموا عقولهم الفاسدة وعارضوا بها شريعة الخالق فوقعوا في الضلال والزندقة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في معرض ردّه على أهل الكلام: «تجد من تعود معارضة الشرع بالرأي لا يستقر في قلبه الإيمان، بل يكون كما قال الأئمة: إن علماء الكلام زنادقة، وقالوا: قل أحد نظر في الكلام إلّا كان في قلبه غلٌّ على أهل الإسلام؛ ومرادهم بأهل الكلام من تكلم في الله بما يخالف الكتاب والسُّنَّة.

ففي الجملة: لا يكون الرجل مؤمناً حتى يؤمن بالرسول إيمانا جازماً، ليس مشروطاً بعدم معارض، فمتى قال: أؤمن بخبره إلا أن يظهر له معارض يدفع خبره لم يكن مؤمناً به، فهذا أصل عظيم تجب معرفته، فإن هذا الكلام ذريعة الإلحاد والنفاق»[٣].

فقد نفذ إلى فرق المعتزلة بعض الزنادقة، وحسنوا لهم النظر في الفلسفة وخلطها بما لديهم من علوم، حتى تولد عن ذلك علم الكلام المذموم، كما قال الشهرستاني: «ثم طالع بعد ذلك شيوخ المعتزلة كتب الفلاسفة حين نشرت أيام المأمون، فخلطت مناهجها بمناهج الكلام، وأفردتها فناً من فنون العلم،

= انظر: طبقات المعتزلة ص٣٩، والفرق بين الفرق ص١٦٤ ـ ١٦٥.

(١) التنبيه والرد ص٥٢.

(٢) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (١/ ٢٠٨).

(٣) درء التعارض (١/ ١٧٨).

وسمتها باسم الكلام»[١].

وقد أدّى أخذ المعتزلة بعلم الكلام إلى الخروج بكثير منهم عن حدّ الاعتزال المعروف عند سلفهم إلى الكفر والزندقة حتى كفّر بعضهم بعضاً وفضح بعضهم بعضاً لقولهم بأقوال شنيعة بعيدة عن أقوال المسلمين، بل هي إلى مذاهب الثنوية والفلاسفة أقرب منها إلى أقوال أهل الإسلام[٢]. ولعل ذلك يتضح بذكر أقوال بعض فرقهم، فمن ذلك:

١ ـ **فرقة الخابطية**: أتباع أحمد بن خابط القدري[٣]، وكان على مذهب النظام[٤] في الاعتزال، ثم زاد على ضلالات النظام بأن قال بتناسخ الأرواح كما قال البغدادي: «وأما أهل التناسخ من القدرية فجماعة؛ منهم: أحمد بن خابط، وكان معتزلياً منتسباً إلى النظام...»[٥]، ثم ذكر البغدادي تفصيل قوله في التناسخ فقال: «زعم أن الإنسان المأمور المنهي المنعم عليه هو الروح التي في الجسم، وأن الأجسام قوالب للأرواح... ثم زعم أن الروح لا يزال في هذه الدنيا يتكرر في قوالب وصور مختلفة ما دامت طاعته مشوبة بذنوبه، وعلى قدر طاعاته وذنوبه يكون منازل قوالبه في الإنسانية والبهيمية...»[٦].

---

(١) الملل والنحل (١/ ٤١).

(٢) انظر: الفرق بين الفرق ص٢٧٧ ـ ٢٧٨، وتلبيس إبليس ص١٠٤ ـ ١٠٥.

(٣) هو أحمد بن خابط بالخاء المعجمة وبعد الألف باء، وقيل: ابن حائط، بالحاء المهملة وبعد الألف همزة. والصحيح الأول كما ذكر ذلك البغدادي وغيره. وقد كان ابن خابط من المعتزلة المنتسبة إلى النظام، ثم زاد في ضلالته حتى ظهرت زندقته، ولم يزل كذلك إلى أن توفي سنة ٢٣٢هـ. انظر: الفرق بين الفرق ص٢٧٣، والملل والنحل (١/ ٧٤).

(٤) إبراهيم بن سيار النظام المعتزلي، أخذ الاعتزال عن خاله أبي الهذيل العلاف، من أذكياء المعتزلة، اطلع على كتب الفلاسفة وتأثر بها حتى أنكر عليه أصحابه ما أحدثه من أقوال كفرية، توفي سنة ٢٣١هـ. انظر: طبقات المعتزلة ص٢٨ ـ ٣٠، والنجوم الزاهرة (٢/ ٢٣٤)، والأعلام (١/ ٤٣).

(٥) الفرق بين الفرق ص٢٧٣.

(٦) انظر: المرجع السابق ص٢٧٤ ـ ٢٧٥.

ثم إن ابن خابط لم يقف عند القول بالتناسخ، بل صرح بما هو أعظم من ذلك، فجمع بين خليط من عقائد المجوس وعقائد النصارى، وشاركه في ذلك أحد المعتزلة وهو فضل الحدثي[(١)]، يقول البغدادي في بيان زندقتهما: «إن ابن خابط وفضلاً الحدثي زعما أن للخلق ربين وخالقين أحدهما قديم، وهو الله سبحانه، والآخر مخلوق وهو عيسى ابن مريم، وزعما أن المسيح ابن الله على معنى دون الولادة، وزعما أيضاً أن المسيح هو الذي يحاسب الخلق في الآخرة، وهو الذي عناه الله بقوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢﴾ [الفجر: ٢٢] وهو الذي يأتي ﴿فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠] وهو الذي خلق آدم على صورة نفسه، وذلك تأويل ما روي: «أن الله تعالى خلق آدم على صورته»[(٢)]، وزعم أنه هو الذي عناه النبي ﷺ بقوله: «ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر»[(٣)] وهو الذي عناه بقوله: «إن الله تعالى خلق العقل فقال له: أقبل، فأقبل، وقال له: أدبر، فأدبر، فقال: ما خلقت خلقاً أكرم منك، وبك أعطي وبك آخذ»[(٤)]، وقالا: إن المسيح تدرع جسداً، وكان قبل التدرع عقلاً»[(٥)].

---

(١) فضل الحدثي، منسوب إلى «الحديثة» وهي بلدة على شاطئ الفرات، وقد كان فضل من أصحاب النظام مع ابن خابط، ثم هجره النظام وطرده، وقد شارك ابن خابط في زندقته وإلحاده، توفي سنة ٢٥٧هـ. انظر: الملل والنحل (١/ ٧٤)، والتبصير في الدين ص١١٦.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان، باب بدء السلام (٨/ ٩١)، ومسلم في كتاب الجنة، باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير (٤/ ١٧٣١) رقم (٢٨٤١) كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢﴾ (٩/ ٢٢٨)، ومسلم في كتاب المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر (١/ ٣٦٧) رقم (٦٣٣)، كلاهما من حديث جرير رضي الله عنه.

(٤) ورد هذا الحديث بعدة روايات كما قال السخاوي، وهو حديث موضوع باتفاق أهل العلم، وقد أخرجه داود بن المحبر في كتاب العقل، وداود كذاب. انظر: درء التعارض (٥/ ٢٢٤)، والمقاصد الحسنة للسخاوي ص١١٨، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ.

(٥) الفرق بين الفرق ص٢٧٧، وانظر: الملل والنحل (١/ ٧٤).

قال البغدادي بعد ذكر قول ابن خابط والحدثي: «قد شارك هذان الكافران الثنوية والمجوس في دعوى خالقين، وقولهما شر من قولهم، لأن الثنوية والمجوس أضافوا اختراع جميع الخيرات إلى الله تعالى، وإنما أضافوا فعل الشرور إلى الظلمة وإلى الشيطان، وأضاف ابن خابط وفضل الحدثي فعل الخيرات كلها إلى عيسى ابن مريم، وأضافا إليه محاسبة الخلق في الآخرة، والعجب في قولهما أن عيسى خلق جدّه آدم عليه السلام فيا عجب من فرع يخلق أصله، ومن عدّ هذين الضالين من فرق الإسلام كمن عدّ النصارى من فرق الإسلام»(١).

٢ ـ **الحمارية**: وهم قوم من معتزلة عسكر مكرم(٢)، قالوا بتناسخ الأرواح في الأجساد والقوالب على قول أحمد بن خابط.

وزعموا أن الإنسان قد يخلق أنواعاً من الحيوانات، كاللحم إذا دفنه الإنسان أو وضعه في الشمس فيدود، وكالكمأة(٣) إذا دفنها الإنسان فإنها تصير حية، فزعموا أن تلك الديدان الحية من خلق الإنسان.

قال البغدادي: «وهؤلاء شر من المجوس الذين أضافوا اختراع الحيات والحشرات والسموم إلى الشيطان، . . .»(٤).

٣ ـ **النظامية**: أتباع إبراهيم بن سيار المعروف بالنظام، طالع النظام كتب الفلاسفة، وخلط كلامهم بكلام المعتزلة، فظهر أثر ذلك في أقواله حتى كفره أصحابه.

قال البغدادي عن النظام: «خالط هشام بن الحكم الرافضي(٥)، فأخذ

---

(١) الفرق بين الفرق ص٢٧٧ ـ ٢٧٨.

(٢) عسكر مكرم بضم الميم وسكون الكاف: بلد مشهور من نواحي خوزستان منسوب إلى مكرم بن معزاء أحد بني عامر ابن صعصعة. انظر: معجم البلدان (٤/ ١٣٩).

(٣) الكمأة: واحدها كمءٌ على غير قياس، والكمءُ: نبات معروف، ينقض الأرض فيخرج كما يخرج الفطر. انظر: لسان العرب (١/ ١٤٨).

(٤) الفرق بين الفرق ص٢٧٩، وانظر: التبصير ص١١٧.

(٥) هشام بن الحكم الشيباني بالولاء، أبو محمد الرافضي المتكلم، كان من الغلاة =

عن هشام وعن ملحدة الفلاسفة قوله بإبطال الجزء الذي لا يتجزأ... وأخذ من الثنوية قوله بأن فاعل العدل لا يقدر على فعل الجور والكذب... ودوّن مذاهب الثنوية، وبدع الفلاسفة، وشبه الملحدة في دين الإسلام، وأعجب بقول البراهمة[١] بإبطال النبوات، ولم يجسر على إظهار هذا القول خوفاً من السيف، فأنكر إعجاز القرآن في نظمه، وأنكر ما روي من معجزات نبينا ﷺ... ليتوصل بإنكار معجزات نبينا ﷺ إلى إنكار نبوته، ثم إنه استثقل أحكام شريعة الإسلام في فروعها، ولم يجسر على إظهار دفعها، فأبطل الطرق الدالة عليها...»[٢].

وقد رد النظام على الثنوية، وتأثر ببعض عقائدهم، كقوله المتقدم بأن فاعل العدل لا يقدر على الجور والكذب، والثنوية والمانوية يقولون بأن النور يمدح في أشكاله المختلفة بفعل الخير وهو لا يقدر على الشر، ولا يصح منه فعل الشر، كما تأثر بهم في قوله: «إن الروح جنس واحد، وأفعاله جنس واحد، والأجسام ضربان: حي، وميت، وإن الحي منها يستحيل أن يصير ميتاً، وإن الميت يستحيل أن يصير حياً، وإنما أخذ هذا القول من الثنوية البرهمية الذين زعموا أن النور حي خفيف من شأنه الصعود أبداً، وأن الظلام موات ثقيل من شأنه التسفل أبداً، وأن الثقيل الميت محال أن يصير خفيفاً»[٣].

ثم إن النظام مع هذه الضلالات والزندقة قد طعن في خيار الصحابة رضي الله عنهم، وعاب أصحاب الحديث، فزعم هذا الزنديق أن أبا هريرة رضي الله عنه كان أكذب الناس، وطعن في عمر رضي الله عنه، وعاب عثمان رضي الله عنه، وتنقص علياً رضي الله عنه، فجمع زندقة الرافضة مع زندقته التي أخذها عن الثنوية

= المجسمة، سكن بغداد، وانقطع إلى يحيى بن خالد البرمكي، وصنف كتباً كثيرة، وتوفي نحو سنة ١٩٠هـ. انظر: لسان الميزان (٧/ ٢٥٩)، والأعلام (٨/ ٨٥).

(١) تقدم التعريف بهم. انظر: ص٨٩.

(٢) الفرق بين الفرق ص١٣١ ـ ١٣٢، والملل والنحل (١/ ٦٧ ـ ٧١).

(٣) الفرق بين الفرق ص١٣٦.

والفلاسفة[١].

٤ ـ **الثمامية**: أتباع ثمامة بن أشرس النميري[٢] من مواليهم، كان في أيام المأمون، وكان عنده بمكان، وقيل بأنه هو الذي أغوى المأمون حتى دخل في الاعتزال[٣].

وقد انفرد ثمامة عن أصحابه المعتزلة ببعض البدع المخزية التي كفره عليها أصحابه، فقد زعم أن من لم يضطره الله إلى معرفته لم يكن مأموراً بالمعرفة ولا منهياً عن الكفر، وزعم لأجل ذلك أن عوام الدهرية والنصارى والزنادقة يصيرون في الآخرة تراباً، وزعم أيضاً أن الأفعال المتولدة أفعال لا فاعل لها[٤].

وقد جمع ثمامة مع هذه البدع الكفرية سخافة ومجوناً في ديانته تدل على زندقته، فمن ذلك ما ذكره ابن قتيبة في معرض كلامه على ثمامة وسخريته بالدين حيث قال: «ومن المحفوظ عنه المشهور أنه رأى قوماً يتعادون يوم الجمعة إلى المسجد لخوفهم فوت الصلاة، فقال: انظروا إلى البقر، انظروا إلى الحمير، ثم قال لرجل من إخوانه: ما صنع هذا العربي بالناس؟»[٥] يعني: رسول الله ﷺ.

وهذه القصة إن ثبتت عنه فهي دالة على زندقته وإلحاده، حيث تنقص رسول الله ﷺ بعد أن سخر من أتباعه الذين يتسابقون إلى أداء صلاة الجمعة، ومن ذلك ما ذكره عبد القاهر البغدادي: «إن غلام ثمامة قال يوماً لثمامة: قم صلّ فتغافل، فقال له: قد ضاق الوقت فقم فصل واسترح، فقال: أنا مستريح إن تركتني»[٦].

---

(١) انظر: الفرق بين الفرق ص١٤٧ ـ ١٤٩.

(٢) تقدمت ترجمته. انظر: ص٤٨.

(٣) انظر: الملل والنحل (١/ ٨٥).

(٤) انظر: الملل والنحل (١/ ٨٤).

(٥) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص٩٩، وانظر: لسان الميزان (٢/ ٢٨١).

(٦) انظر: الفرق بين الفرق ص١٧٣.

ومن ذلك تساهله في الوقوع في المحرمات وعدم المبالاة بذلك حتى كان يجاهر بذلك، ومما يدل على ذلك ما ذكر ابن الجوزي قال: «خرج ثمامة بن أشرس من منزله بعد المغرب وهو سكران، فإذا هو بالمأمون قد ركب في نفر، فلما رأى ثمامة عدل عن طريقه، وبصر به المأمون فضرب كفل دابته وحاذاه، فوقف ثمامة، فقال له المأمون: ثمامة، قال: إي والله، قال: سكران أنت؟ قال: لا... قال: عليك لعائن الله...»[(١)].

هذا وهو إمام من أئمتهم، يصرح بالزندقة، ويتغافل عن الفرائض، ويجاهر بفعل الكبائر، فنعوذ بالله من الخذلان.

هذه بعض القضايا الواضحة التي تدل على انتشار الزندقة بين بعض فرق المعتزلة وتأثرهم بذلك، وإن كانت عامة فرق المعتزلة قد ظهر عليها بعض آثار ذلك على تفاوت بينها، وذلك لقولهم بعلم الكلام الذي هو أحد أسباب الزندقة ـ كما تقدم ـ، قال ابن عقيل[(٢)]: «قد أفضى الكلام بأهله إلى الشكوك، وكثير منهم إلى الإلحاد، تشم روائح الإلحاد من فلتات كلام المتكلمين...»[(٣)].

ومما تقدم يتضح الأثر العظيم للزندقة على فرق المعتزلة، وكيف تطور بهم الحال إلى القول ببعض العقائد الكفرية البعيدة كل البعد عن دين الإسلام وعقيدته الصافية من القول بتناسخ الأرواح، والميل إلى التحلل من أحكام الشريعة، والسخرية بها، إضافة إلى طعن بعضهم في الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وتنقصهم لهم، وغير ذلك من آثار الزندقة.

---

(١) المنتظم (١٠/ ٢٥٤).

(٢) علي بن عقيل بن محمد البغدادي الظفري أبو الوفاء الحنبلي، فقيه أصولي متكلم، اشتغل بمذهب المعتزلة في حداثته ثم تاب وتبرأ منه، ولد سنة ٤٣١هـ، وتوفي سنة ٥١٣هـ. انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٣/ ١١٨ ـ ١٣٦)، وسير أعلام النبلاء (١٩/ ٤٤٣ ـ ٤٥١)، وشذرات الذهب (٤/ ٣٥ ـ ٤٠)، والأعلام (٤/ ٣١٣).

(٣) تلبيس إبليس ص١٠٥.

المبحث الرابع

أثر الزندقة في الصوفية

تعريف الصوفية واشتقاقها:

تعددت أقوال العلماء في أصل كلمة «صوفي» واشتقاقها ومصدرها، وقد ذكر شيخ الإسلام بعض تلك الأقوال في اشتقاق هذه الكلمة فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «تنازعوا في المعنى الذي أضيف إليه الصوفي، فإنه من أسماء النسب كالقرشي، والمدني وأمثال ذلك. فقيل: إنه نسبة إلى «أهل الصفة» وهو غلط، لأنه لو كان كذلك لقيل: صُفّيّ. وقيل: نسبة إلى الصف المقدم بين يدي الله، وهو أيضا غلط، فإنه لو كان كذلك لقيل: صَفِّيّ. وقيل: نسبة إلى الصفوة من خلق الله وهو غلط، لأنه لو كان كذلك لقيل: صفوي، وقيل: نسبة إلى صوفة بن بشر بن أدّ بن طابخة(١)، قبيلة من العرب، كانوا يجاورون بمكة من الزمن القديم، ينسب إليهم النسّاك، وهذا وإن كان موافقاً للنسب من جهة اللفظ، فإنه ضعيف أيضاً، لأن هؤلاء غير مشهورين ولا معروفين عند أكثر النساك، ولأنه لو نسب إليهم لكان هذا النسب في زمن الصحابة والتابعين

(١) هكذا في الفتاوى (١١/٥): صوفة بن بشر، وفي موضع آخر (١٠/٣٦٨): صوفة بن مراد، والذي ذكره المترجمون: صوفة بن مُرّ وهي قبيلة من قبائل العرب المضرية العدنانية، ونسبتهم إلى جدهم: الغوث بن مُرّ بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، ويُلقب بصوفة وبالربيط. قال الكلبي: لأن أمه كانت لا يعيش لها ولد، فنذرت لئن عاش هذا لتربطن برأسه صوفة ولتجعلنه ربيط الكعبة، فعاش ففعلت، وجعلته خادماً للبيت حتى بلغ الحلم، فنزعته فلقب بالربيط. ا.هـ. وقد كانت قبيلة صوفة في الجاهلية يخدمون الكعبة، ويجيزون الحجاج؛ أي: يفيضون بهم بين المشاعر. انظر: المعارف لابن قتيبة ص٧٥ ـ ٧٦، والسيرة النبوية لابن هشام (١/١٢٥)، ولسان العرب (٩/ ٢٠٠).

وتابعيهم أولى، ولأن غالب من تكلم باسم «الصوفي» لا يعرف هذه القبيلة، ولا يرضى أن يكون مضافاً إلى قبيلة في الجاهلية لا وجود لها في الإسلام. وقيل: ـ وهو المعروف ـ إنه نسبة إلى لبس الصوف...»[(١)].

هكذا ذكر شيخ الإسلام رحمه الله هذه الأقوال في اشتقاق كلمة «صوفي» وردها جميعاً سوى القول الأخير، وهو أن الصوفية منسوبة إلى لبس الصوف، ولعل ذلك لأجل اشتهارهم بلبس الصوف مبالغة منهم في الزهد، فقد كان الصوفية يفضلون لبس الصوف وذلك لخشونته، ولما بلغ محمد بن سيرين[(٢)] خبرهم قال رحمه الله: «إن قوماً يتخيرون الصوف يقولون: إنهم متشبهون بالمسيح ابن مريم، وهدي نبينا أحب إلينا، وكان النبي ﷺ يلبس القطن وغيره»[(٣)].

وأما تعريف الصوفية والتصوف اصطلاحاً فقد كثرت الأقوال في ذلك واختلفت حتى تجاوزت المائة؛ ولعل سبب ذلك أن الصوفية ليست كغيرها من الفرق التي بنيت على أصول معروفة تجمعها كالشيعة والمعتزلة وغيرهما، وإنما غالب كلامهم في الكشف[(٤)] والذوق[(٥)]، والرياضات الروحية التي ما

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١١/ ٥ ـ ٦) وانظر: (١١/ ١٩٥).

(٢) محمد بن سيرين الأنصاري، أبو بكر البصري، مولى أنس بن مالك، أحد أعلام التابعين، فقيه محدث، عرف بزهده وورعه واشتهر عنه التعبير للرؤى، ولد سنة ٣٣هـ، وتوفي سنة ١١٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٠٦)، والبداية والنهاية (٩/ ٢٧٩)، وشذرات الذهب (١/ ١٣٨)، والأعلام (٦/ ١٥٤).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ٧).

(٤) الكشف في الأصل هو الإظهار، وكشف الشيء عما يواريه أي أظهره، يقال كشف الأمر إذا أظهره، وأما عند الصوفية فهو انكشاف الحقائق والعلوم للعبد من غير واسطة ولا وحي. انظر: لسان العرب (٩/ ٣٠٠)، والتعريفات للجرجاني ص١٩٣، والمصادر العامة للتلقي عند الصوفية لصادق سليم ص٢٠٦ ـ ٢٠٧، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

(٥) الذوق في الأصل يطلق على اختبار طعم الشيء عن طريق اللسان، وأما عند الصوفية فهو عبارة عن نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك عن كتاب أو غيره. انظر: القاموس المحيط ص١١٤٣، والتعريفات للجرجاني ص١٤٤، والمصادر العامة للتلقي عند الصوفية =

أنزل الله بها من سلطان، ولذا عبر كل واحد منهم في تعريفه للتصوف عما يجده من الذوق وما ينازله من الوجد[١]، فاختلفت عباراتهم؛ فالجنيد[٢] يسأل عن التصوف فيقول: «التصوف ذكر مع اجتماع، ووجد مع استماع، وعمل مع اتباع»[٣] بينما يقول الشبلي[٤]: «التصوف هو العصمة عن رؤية الكون»[٥] إلى غير ذلك من التعريفات التي تدور حول لزوم طريق الزهد والتجرد عن زينة الدنيا والتفرغ للعبادة بالأوراد ونحوها[٦]، ولما كانت الصوفية بهذه المثابة لم يدخلها غالب المصنفين في الفرق ضمن الفرق الإسلامية ولم يتكلموا عليها، كما قال الرازي[٧]: «اعلم أن أكثر من قص فرقة الأمة لم يذكر الصوفية...»[٨].

= ص٥٣٨ ـ ٥٣٩، ومعجم مصطلحات الصوفية لعبد المنعم الحفني ص١٠٤، دار المسيرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ.

(١) الوجد عند الصوفية هو عبارة عما يصادفه القلب من الأحوال الغيبية له عن شهود الوجود. انظر: التعريفات للجرجاني ص٢٨٧، ومعجم مصطلحات الصوفية ص٢٦٤، والمصادر العامة للتلقي عند الصوفية ص١٩٥.

(٢) الجنيد بن محمد البغدادي، أبو القاسم الخزاز، شيخ الصوفية وإمامهم، كان ﷺ متبعاً للكتاب والسُّنَّة، لم يقع فيما وقع فيه كثير من الصوفية من المنكرات ولذلك أثنى عليه الأئمة، توفي سنة ٢٩٧هـ، وقيل: سنة ٢٩٨هـ بمدينة بغداد. انظر: الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ١٤٥ ـ ١٤٩)، المكتبة التوفيقية، وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٦٦)، والأعلام (٢/ ١٤١).

(٣) الرسالة القشيرية لأبي القاسم القشيري ص٣١٣، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

(٤) دلف بن جحدر الشبلي، نسبة إلى قريته شبلية، أبو بكر، تصوف وصحب الجنيد، وقد كان في مبدأ أمره والياً في دنباوند، ثم ترك الولاية، وعكف على العبادة، وتوفي سنة ٣٣٤هـ. انظر: الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ١٧٨ ـ ١٨١)، وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٦٧)، وشذرات الذهب (٢/ ٣٣٨)، والأعلام (٢/ ٣٤١).

(٥) الرسالة القشيرية ص٣١٤.

(٦) انظر: المصادر العامة للتلقي عند الصوفية لصادق سليم ص٣٧، ومظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية لإدريس محمود (١/ ٢٨ ـ ٣٣)، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

(٧) تقدمت ترجمته. انظر: ص٨٥.

(٨) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٩٧.

نشأة الصوفية:

لم يكن لفظ «الصوفية» معروفاً عند السلف في القرن الأول وإنما عرف هذا اللفظ في أوائل القرن الثاني، ولم يشتهر التكلم به إلا بعد القرن الثالث، وكان أول ظهوره بين عباد البصرة وزهادها[١].

وقد كان السلف ـ رحمهم الله ـ يسمون أهل الدين والعلم «القراء» فيدخل فيهم العلماء والنساك، ثم حدث بعد ذلك اسم «الصوفية» و«الفقراء».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «أول ما ظهرت الصوفية من البصرة، وأول من بنى دويرة الصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد[٢]، وعبد الواحد من أصحاب الحسن، وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك ما لم يكن في سائر أهل الأمصار...»[٣].

فالتصوف أول ما ظهر مرادف للزهد إلا أنه زهد مبالغ فيه، حيث تعلق أصحابه بالزهد والعبادة، فتخلوا عن الدنيا، وانقطعوا إلى العبادة، واتخذوا في ذلك طريقة تفردوا بها، وأخلاقاً تخلقوا بها، ثم جاء من بعدهم فلبس عليهم الشيطان في أشياء، ثم لبس على من بعدهم، وهكذا في كل قرن إلى أن خرج بكثير منهم عن الزهد والعبادة إلى الكفر والزندقة حيث تمكن من المتأخرين غاية التمكن[٤].

قال ابن الجوزي: «وكان أصل تلبيسه عليهم أنه صدهم عن العلم، وأراهم أن المقصود العمل، فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا في الظلمات، فمنهم من أراه أن المقصود من ذلك ترك الدنيا في الجملة فرفضوا

---

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١١/ ٥)، والمصادر العامة للتلقي عند الصوفية ص٣٨.

(٢) عبد الواحد بن زيد البصري، أبو عبيدة الزاهد، شيخ الصوفية وواعظهم، توفي بعد سنة ١٥٠هـ. انظر: الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ٨٠)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ١٧٨)، وميزان الاعتدال (٢/ ٦٧٢)، ولسان الميزان (٥/ ٨٣).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١١/ ٦ ـ ٧).

(٤) انظر: تلبيس إبليس ص٢٠٢.

ما يصلح أبدانهم، وشبهوا المال بالعقارب، ونسوا أنه خلق للمصالح، وبالغوا في الحمل على النفوس حتى إنه كان فيهم من لا يضطجع، وهؤلاء كانت مقاصدهم حسنة غير أنهم على غير الجادة، وفيهم من كان لقلة علمه يعمل بما يقع إليه من الأحاديث الموضوعة وهو لا يدري.

ثم جاء أقوام فتكلموا لهم في الجوع والفقر والوساوس والخطرات وصنفوا في ذلك مثل الحارث المحاسبي(١)، وجاء آخرون فهذبوا مذهب التصوف وأفردوه بصفات ميزوه بها؛ من الاختصاص بالمرقعة والسماع والوجد والرقص والتصفيق وتميزوا بزيادة النظافة والطهارة، ثم ما زال الأمر ينمي والأشياخ يضعون لهم أوضاعاً ويتكلمون بواقعاتهم، ويتفق بعدهم عن العلماء لا بل رؤيتهم ما هم فيه أو في العلوم حتى سموه العلم الباطن وجعلوا علم الشريعة العلم الظاهر، ومنهم من خرج به الجوع إلى الخيالات الفاسدة فادعى عشق الحق والهيمان فيه فكأنهم تخايلوا شخصاً مستحسن الصورة فهاموا به، وهؤلاء بين الكفر والبدعة، ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق، ففسدت عقائدهم، فمن هؤلاء من قال بالحلول ومنهم من قال بالاتحاد، وما زال إبليس يخبطهم بفنون البدع حتى جعلوا لأنفسهم سنناً...»(٢).

هكذا صور ابن الجوزي نشأة التصوف وتطوره من الزهد والعبادة إلى الحلول والاتحاد وسوء الاعتقاد نسأل الله العافية.

وابن الجوزي يقول ذلك في زمنه فكيف لو رأى وسمع كلام بعض من جاء بعده ممن انتسب إلى الصوفية كابن عربي وابن الفارض وأمثالهما وما أدخلوه على الصوفية من الزندقة والإلحاد، ممن سيأتي إن شاء الله تعالى ذكر بعض أمثلته.

---

(١) الحارث بن أسد البغدادي المحاسبي، أبو عبد الله أحد مشايخ الصوفية المتقدمين، صنف في الزهد، وتوفي سنة ٢٤٣هـ. انظر: الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ١٢٩ ـ ١٣٠)، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ١١٠)، والبداية والنهاية (١٠/ ٣٦٠).

(٢) تلبيس إبليس ص٢٠٢ ـ ٢٠٣.

وأما أصناف الصوفية فقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن الصوفية على ثلاثة أصناف:

١ ـ صوفية الحقائق: وهم المتفرغون للعبادة والذكر المشتغلون بالزهد في الدنيا.

٢ ـ صوفية الأرزاق: وهم الذين وقفت عليهم الوقوف.

٣ ـ صوفية الرسم: وهم المقتصرون على المظاهر كاللباس والزنار[(١)] ونحوها وليس لهم رصيد عمل[(٢)].

وللصوفية طرق كثيرة تزيد على مائة طريقة، كل طريقة منها منسوبة إلى أحد شيوخهم، وقد يرث زعامتها أحفاده من بعده؛ فمنها ما هو منسوب إلى شيوخهم المتقدمين كالجنيد وسهل التستري[(٣)]، ومنها ما حدث بعد ذلك فنسب إلى متأخري شيوخهم[(٤)]، ولشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ مناظرات مع بعض المنتسبين لهذه الطرق، أظهر فيها رَحِمَهُ اللهُ كذب شيوخهم وتلبيسهم على العامة حتى طلبوا التوبة، وأظهروا التزامهم بالكتاب والسُّنَّة[(٥)].

أثر الزندقة في الصوفية:

كانت بداية التصوف مبنية على الزهد في الدنيا والإكثار من العبادة، إلا أن التصوف لم يستمر على تلك الحال بل ظهر عليه أثر التغير والانحراف

---

(١) الزنار: هو خيط غليظ بقدر الأصبع من الإبريسم يشد على الوسط وهو غير الكستيج. انظر: التعريفات للجرجاني ص١٢٠.

(٢) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١١/ ١٩ ـ ٢٠)، واعتقادات فرق المسلمين ص٩٩ ـ ١٠١.

(٣) سهل بن عبد الله التستري، نسبة إلى بلده تستر التي ولد فيها، أحد أئمة الصوفية، له عدة مصنفات في التفسير والرقائق، توفي سنة ٢٨٣هـ بالبصرة. انظر: الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ١٣٣ ـ ١٣٧)، والبداية والنهاية (٧/ ٤٥٢)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٣٠)، والأعلام (٣/ ١٤٣).

(٤) انظر: الصوفية معتقداً ومسلكاً لصابر طعيمة ص٤٠ ـ ٤٢، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

(٥) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١١/ ٤٤٥ ـ ٤٧٥).

وذلك بسبب تأثير الزنادقة، حيث تسلل كثير منهم فدخل في صفوف الصوفية العبّاد لينحرف بهم إلى طرق الزندقة والإلحاد مستغلاً جهلهم بالدين وقلة علمهم بالكتاب والسُّنَّة[١]، فابتدعوا لهم أموراً منكرة حتى صرفوهم بها عن العبادة وسماع القرآن إلى الفسق بسماع الغناء والمزامير والرقص ونحو ذلك مما لم يكن موجوداً عند المتقدمين منهم، وإنما أحدثه لهم أولئك الزنادقة كما قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «خلفت ببغداد شيئاً أحدثه الزنادقة يسمونه التغبير[٢]، يصدون به الناس عن القرآن»[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية معلقاً على كلام الشافعي: «والشافعي بكمال علمه وإيمانه علم أن هذا مما يصد القلوب عن القرآن، ويعوضها به عنه، كما قد وقع أن هذا إنما يقصده زنديق منافق من منافقة المشركين أو الصابئين وأهل الكتاب، فإنهم هم الذين أمروا بهذا في الأصل»[٤].

وقد كان بعض الزنادقة يأمرهم بذلك، ويرى أنه واجب يأثم من تركه كما قال ابن الراوندي الزنديق: «اختلف الفقهاء في السماع، فقال بعضهم: هو مباح، وقال بعضهم: هو محرم، وعندي أنه واجب»[٥].

وكذلك ابن سيناء[٦] الزنديق الفيلسوف «فقد أمر بسماع الألحان،

---

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٠/ ٧٦ ـ ٧٧)، والتصوف والمتصوفة في مواجهة الإسلام، لعبد الكريم الخطيب ص٢٦٨، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م.

(٢) التغبير: هو الضرب بالقضيب، وهو آلة من الآلات التي تُقرن بتلحين الغناء، قال الأزهري: «سمّوا ما يطربون فيه من الشعر في ذكر الله تغبيراً كأنهم إذا تناشدوه بالألحان طربوا فرقصوا وأرهجوا فسموا مغبّرة لهذا المعنى»، لسان العرب (٥/ ٥)، وانظر: الاستقامة لابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد (١/ ٢٣٨)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

(٣) الاستقامة (١/ ٢٣٨)، وانظر: تلبيس إبليس ص٢٨٣.

(٤) الاستقامة (١/ ٢٣٨).

(٥) المرجع السابق (١/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩).

(٦) الحسين بن عبد الله بن سيناء، أبو علي الفيلسوف، الملقب بالرئيس، أحد مشاهير الفلاسفة في الإسلام، كان هو وأبوه من أهل دعوة الحاكم العبيدي، صنف ما يزيد على مائة كتاب ما بين الفلسفة والطب وتوفي بهمذان سنة ٤٢٨هـ. انظر: سير أعلام =

وبعشق الصور، وجعل ذلك مما يزكي النفوس ويهذبها ويصفيها»[١].

ولم يقف الزنادقة مع الصوفية عند هذا الحد من الانحراف، بل بالغوا في ذلك حتى أقحموا كثيراً منهم فيما وقع فيه غلاة الرافضة من القول بالحلول والاتحاد وادعاء الألوهية ونحو ذلك من أنواع الزندقة والإلحاد.

يقول ابن خلدون[٢] في بيان ذلك: «إن هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف وفيما وراء الحس توغلوا في ذلك، فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة مثل ابن عربي وابن سبعين[٣] وغيرهما، وكان سلفهم مخالطين للإسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضاً بالحلول وإلهية الأئمة، فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر، واختلط كلامهم، وتشابهت عقائدهم.

وظهر في كلام المتصوفة القول بالقطب[٤]، ومعناه رأس العارفين، يزعمون أنه لا يمكن أن يساويه أحد في مقامه في المعرفة حتى يقبضه الله، ثم يورث مقامه لآخر من أهل العرفان.

ثم قالوا بترتيب وجود الأبدال[٥] بعد القطب كما قاله الشيعة في

= النبلاء (١٧/ ٥٣١)، ولسان الميزان (٣/ ١١٨ ـ ١٢١)، والأعلام (٢/ ٢٤١ ـ ٢٤٢).

(١) الاستقامة (١/ ٢٣٩).

(٢) عبد الرحمٰن بن محمد بن خلدون الحضرمي، أبو زيد الإشبيلي، رحل إلى فاس والأندلس وتولى أعمالاً كثيرة، وكان محباً للعلم عاقلاً، انتقل في آخر عمره إلى مصر وولي فيها القضاء، وتوفي فجأة بالقاهرة سنة ٨٠٨هـ. انظر: شذرات الذهب (٧/ ٧٦)، والأعلام (٣/ ٣٣٠).

(٣) عبد الحق بن إبراهيم بن سبعين الإشبيلي، أبو محمد، أحد زنادقة الصوفية القائلين بوحدة الوجود، اشتغل بعلوم الأوائل والفلسفة، ولبس على الناس بما يزعمه من الأحوال، توفي بمكة سنة ٦٦٩هـ. انظر: البداية والنهاية (١٣/ ٢٧٥)، والأعلام (٣/ ٢٨٠).

(٤) القطب عند الصوفية هو الغوث، وهو ـ عندهم ـ الواحد الذي هو موضع نظر الله من العالم في كل زمان ويزعمون أنه على قلب إسرافيل ﷺ، انظر: التعريفات ص٢٨٦، ومعجم مصطلحات الصوفية ص٢١٧.

(٥) الأبدال أو البدلاء عند الصوفية هم سبعة رجال من سافر منهم من موضع ترك جسداً =

النقباء[١]. . .»[٢].

فالمتصوفة لم يبقوا على ما كان عليه سلفهم من الزهد والعبادة وترك الدنيا، وإنما تغير أمرهم لما خالطهم بعض الزنادقة من غلاة الإسماعيلية الباطنية وغيرهم، حتى صرح بعضهم بالزندقة والإلحاد وادعوا الإلٰهية لبعض شيوخهم كما اعتقد ذلك غلاة الرافضة، ولذا جعل شيخ الإسلام ابن تيمية هؤلاء من جنس أولئك الغلاة فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ذكر بعض غلو الإسماعيلية في الإلٰهية والنبوة قال: «وكذلك طائفة من العامة والنساك يعتقدون في بعض الشيوخ نوعاً من الإلٰهية أو النبوة، أو أنهم أفضل من الأنبياء، ويجعلون خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء، وكذلك طائفة من هؤلاء يجعلون الأولياء أفضل من الأنبياء. . . فهذه الأقوال ونحوها من الكفر المخالف لدين الإسلام باتفاق أهل الإسلام، ومن قال منها شيئاً فإنه يستتاب منه، كما يستتاب نظراؤه ممن يتكلم بالكفر، كاستتابة المرتد إن كان مظهراً لذلك، وإلا كان داخلاً في مقالات أهل الزندقة والنفاق. . .»[٣].

وقد اشتهر عن جماعة ممن انتسبوا إلى الصوفية القول بالحلول والاتحاد أكثر من غيرهم؛ فمن ذلك:

أولاً: الحلاج:

وهو الحسين بن منصور الحلاج، ويكنى أبا مغيث، كان جده مجوسياً،

= على صورته، حياً بحياته، ظاهراً بأعمال أصله، بحيث لا يعرف أحد أنه فقد، فذلك هو البدل، وهو في تلبسه بالأجساد والصور على صورته على قلب إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. انظر: التعريفات ص٤٤، ومعجم مصطلحات الصوفية ص٣٢.

(١) النقباء عند الصوفية هم الذين تحققوا بالاسم الباطن، فأشرفوا على بواطن الناس، فاستخرجوا خفايا الضمائر لانكشاف الستائر لهم عن وجود السرائر، وهم ثلاثة أقسام: نفوس علوية وسفلية ووسطية. انظر: التعريفات ص٢٦٦، ومعجم مصطلحات الصوفية ص٢٥٨.

(٢) مقدمة ابن خلدون ص٥٢٢، المكتبة التوفيقية.

(٣) منهاج السُّنَّة (٨/ ٥٩ ـ ٦٠).

اسمه محمي من أهل بيضاء فارس[١]، نشأ بواسط، وقدم بغداد، فخالط الصوفية، وصحب الجنيد وأبا الحسين النوري[٢]، وأظهر الزهد والعبادة، وطاف في البلدان وجاور بمكة، حتى اشتهر أمره وعرف، حتى كانوا يكاتبونه من الهند وخراسان وفارس وبغداد وغيرها من الأقطار[٣]، فلما اشتهر أمره واعتقد كثير من الصوفية ولايته لما أظهر لهم من الزهد والعبادة والمخاريق بدأت تظهر آثار زندقته وإلحاده.

قال الذهبي: «ذكر ابن حوقل[٤] قال: ظهر من فارس الحلاج ينتحل النسك والتصوف، فما زال يترقى طبقاً عن طبق حتى آل به الحال إلى أن زعم أنه من هذب في الطاعة جسمه، وشغل بالأعمال قلبه، وصبر عن اللذات، وامتنع عن الشهوات يترقى في درج المصافاة، حتى يصفو عن البشرية طبعه، فإذا صفا حل فيه روح الله الذي كان منه إلى عيسى، فيصير مطاعاً، ويقول للشيء: كن فيكون، فكان الحلاج يتعاطى ذلك ويدعو إلى نفسه حتى استمال جماعة من الأمراء والوزراء، وملوك الجزيرة والجبال والعامة...»[٥].

فقد كان الحلاج يقول بالحلول على المعنى الذي يقول غلاة الرافضة فيزعم أن الإلـٰه حل في جسده ولذا كان يقول في تسبيحه: «سبحاني» ويقول:

---

(١) بيضاء فارس: مدينة مشهورة بفارس، بينها وبين شيراز أربعة فراسخ، وهي مدينة كثيرة الخيرات، وافرة الغلات، عذبة الماء، قيل: إن اسمها في أيام فارس در إسفيد فعربت بالمعنى فصار اسمها بيضاء. انظر: معجم البلدان (١/ ٦٢٨).

(٢) أحمد بن محمد النوري أبو الحسين البغدادي المعروف بابن البغوي، أحد مشايخ الصوفية، كان من أقران الجنيد، وكان مشهوراً بكثرة الاجتهاد وحسن العبادة، توفي سنة ٢٩٥هـ. انظر: الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ١٥٠)، وتاريخ بغداد (٥/ ٣٣٨ ـ ٣٤٣).

(٣) انظر: تاريخ بغداد (٨/ ١١٢)، والبداية والنهاية (١١/ ١٤١ ـ ١٤٢).

(٤) محمد بن حوقل البغدادي، أبو القاسم الموصلي، أحد الرحالة، رحل من بغداد ودخل المغرب وتنقل ببلاد الأندلس وغيرها، توفي بعد سنة ٣٦٧هـ. انظر: الأعلام (٦/ ١١١).

(٥) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٤٧). وانظر: الفرق بين الفرق ٢٦٣.

«أنا الحق» وقد عبر عن هذا الحلول في شعره فقال:

أنا أنت بلا شك فسبحانك سبحاني
وتوحيدك توحيدي وعصيانك عصياني[١]

وقد كان الحلاج يكاتب أتباعه على أنه الإلـٰه الخالق ـ تعالى الله عن قوله علواً كبيراً ـ.

وقد فُتش بعض أتباعه فوجد معه كتاب للحلاج عنوانه: «من الرحمٰن الرحيم إلى فلان ابن فلان، فلما أحضر الحلاج وعرض عليه، قال هذا خطي وأنا كتبته، فقالوا له: كنت تدعي النبوة فصرت تدعي الربوبية؟ فقال: ما أدعي الربوبية، ولكن هذا عين الجمع عندنا، هل الكاتب إلا الله»[٢].

هذا إلى جانب ما ورد عنه من الأقوال الأخرى التي يدل كل قول منها على زندقته وإلحاده، كزعمه أنه بإمكانه أن يأتي بمثل القرآن الكريم ودعوته الصريحة إلى إلغاء الحج إلى مكة بقوله: إن الإنسان إذا أراد الحج فإنه يستغني عنه بأن يعمد إلى بيت في داره، فيعمل فيه محراباً، ويغتسل ويحرم، ويقول كذا وكذا، ويطوف بذلك البيت، فإذا فعل سقط عنه الحج إلى الكعبة إلى غير ذلك من أقواله الدالة على زندقته[٣]، وقد كان الحلاج كغيره من الزنادقة يتلوّن في ديانته بحسب أهل البلد الذين يحل فيهم، قال الصولي[٤]: «جالست الحلاج فرأيت جاهلاً يتغافل، وفاجراً يتزهد، وكان ظاهره أنه

---

(١) ديوان الحلاج تقديم د. سعد ضناوي ص٧٠ دار صادر ـ بيروت الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

(٢) انظر: تاريخ بغداد (٨/ ١٢٤)، وانظر: البداية والنهاية (١١/ ١٤٨).

(٣) انظر: البداية والنهاية (١١/ ١٤٥)، ومن قضايا التصوف د. محمد الجليند ص١٠١، مكتبة الزهراء، القاهرة، ١٤١٠هـ.

(٤) محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي، أبو بكر البغدادي، الأديب الأخباري، كان حسن الاعتقاد جميل الطريقة، نادم ثلاثة من خلفاء بني العباس، وقد كان جده صول وأهله ملوك جرجان، له كتب كثيرة، منها كتاب في أخبار الحلاج، توفي بالبصرة سنة ٣٣٥هـ. انظر: البداية والنهاية (١١/ ٢٣٣)، وشذرات الذهب (٢/ ٣٣٩ ـ ٣٤٢)، والأعلام (٧/ ١٣٦).

ناسك، فإذا علم أن أهل البلد يرون الاعتزال اعتزل أو التشيع تشيع أو التسنن تسنن، وكان يعرف الشعبذة والكيمياء وادعى الربوبية وكان يقول بالتناسخ»[١].

هكذا كان الحلاج يفعل حتى تأثر به خلق كثير، ومن تدبر حاله ونظر في أقواله علم أنه زنديق يتفق مع غيره من الزنادقة في عداوتهم للإسلام وأهله، وقد ذكر بعض أهل العلم أنه كان على صلة وثيقة بغلاة الشيعة والقرامطة[٢]، وهذا بلا شك واضح في أقواله وما صرح به من الزندقة.

ثانياً: ابن عربي:

وهو محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي، المشهور بـ(ابن عربي)، وقد أطلق عليه الصوفية بعض الألقاب تعظيماً له كـ(محيي الدين) و(الشيخ الأكبر) ونحو ذلك من الألقاب التي تدل على علو مكانته عندهم، وقد كان مولده سنة (٥٦٠هـ)[٣].

وقد أظهر ابن عربي في بداية أمره الزهد والعبادة ـ كغيره من الزنادقة الذين يريدون التمويه على العامة ـ حتى إنه تفرد في الخلوات وانتحل التصوف واعتزل الناس، حتى اشتهر أمره وذاع صيته، ثم إنه أظهر بعد ذلك زندقته وإلحاده وكيده للإسلام في دعوته الصريحة إلى وحدة الوجود، وما تبع ذلك من الكفر والزندقة حتى اغتر بكلامه كثير من الصوفية وظنوه ولياً من الأولياء لما لبّسه عليهم من إظهار الزهد والعبادة والنسك[٤].

يقول الذهبي رحمه الله في ترجمة ابن عربي: «تزهد وتفرد، وتعبد وتوحد، وسافر وتجرد، وأتهم وأنجد، وعمل الخلوات، وعلق شيئاً كثيراً في تصوف

---

(١) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين للألوسي ص١٠٠، مطبعة المدني ١٤٠١هـ، وانظر: البداية والنهاية (١١/ ١٤٩).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٤٥)، ومن قضايا التصوف ص١٠٠.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٤٨)، والبداية والنهاية (١٣/ ١٦٧)، ولسان الميزان (٦/ ٣٧٠ ـ ٣٧٣).

(٤) انظر: مصرع التصوف للبقاعي ص٢٢ ـ ٢٣، بتحقيق: عبد الرحمٰن الوكيل، رئاسة إدارة البحوث والإفتاء، الرياض، ١٤١٥هـ.

أهل الوحدة، ومن أردأ تواليفه كتاب «الفصوص»، فإن كان لا كفر فيه، فما في الدنيا كفر، نسأل الله العفو والنجاة فوا غوثاه بالله!...»[(١)].

وقد صدق الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللهُ فإن ابن عربي قد صرح بزندقته في هذا الكتاب، وجمع فيه من الهذيان والتلاعب بالدين ما لم يجمعه في غيره من كتبه، مع أن هذا الكتاب يعد خاتمة أعماله الخبيثة.

يقول ـ قبحه الله ـ مقرراً أن أعظم شهود للرب وأكمله إنما يكون في المرأة: «شهود الحق في المرأة أتم وأكمل، لأنه يشاهد الحق من حيث هو فاعل منفعل، ومن نفسه من حيث هو منفعل خاصة، فلهذا أحب ﷺ النساء لكمال شهود الحق فيهن، إذ لا نشاهد الحق مجرداً عن المواد أبداً، فإن الله بالذات غني عن العالمين. وإذا كان الأمر من هذا الوجه ممتنعاً، ولم تكن الشهادة إلا في مادة، فشهود الحق في النساء أعظم الشهود وأكمله، وأعظم الوصلة النكاح... فمن أحب النساء على هذا الحد فهو حب إلٰهي...»[(٢)].

هذا كلام هذا الزنديق المخذول في الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا شك أن مثل هذا الكلام لا يمكن أن يجترئ على القول به إلا زنديق عدو للإسلام والمسلمين، نسأل الله السلامة والعافية.

وكما تجرأ ابن عربي على الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فقد تجرأ أيضاً على الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ورماهم بالتناقض وسذاجة العقول، وفي المقابل فهو يرفع من شأن الكفار ويصحح أقوالهم وعباداتهم كما قال ـ قبحه الله ـ حينما نسب الخطأ إلى هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ لإنكاره عبادة العجل على بني إسرائيل: «ثم قال هارون لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [طه: ٩٤] فتجعلني سبباً في تفرقهم، فإن عبادة العجل فرقت بينهم... فكان موسى أعلم بالأمر من هارون لأنه علم ما عبده أصحاب العجل لعلمه بأن الله قد قضى ألا يعبد

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢٣/٤٨).

(٢) فصوص الحكم لابن عربي بتعليق أبي العلا عفيفي (١/٢١٧ ـ ٢١٨)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٦٥هـ.

إلا إياه...»[١].

وقد نسب هذا الزنديق الأنبياء عليهم السلام إلى السذاجة لكونهم إنما يتلقون علومهم عن الوحي الإلهي فقال: «لما كانت الأنبياء صلوات الله عليهم لا تأخذ علومها إلا من الوحي الخاص الإلهي، فقلوبهم ساذجة من النظر العقلي لعلمهم بقصور العقل من حيث نظره الفكري عن إدراك الأمور على ما هي عليه...»[٢].

بل بلغ بغضه للأنبياء عليهم السلام إلى أن جعل دعوتهم إلى الله من باب المكر والخداع للمدعوين[٣]، فهذا بعض من زندقته وإلحاده في حق الأنبياء عليهم السلام.

وقد ظهرت زندقته أيضاً في دعواه بأن أهل النار في نعيم وسعادة كما قال في فصوصه:

«وإن دخلوا دار الشقاء فإنهم   على لذة فيها نعيم مباين
نعيم جنان الخلد فالأمر واحد   وبينهما عند التجلي تباين
يسمى عذاباً من عذوبة طعمه   وذاك له كالقشر والقشر صائن»[٤]

فقد جعل هذا الزنديق أهل النار في نعيم ولذة كنعيم أهل الجنة، إلى غير ذلك من الزندقة والإلحاد التي يتحاشى المسلم ذكرها لما تحويه من هدم للدين من أساسه وتلاعب بنصوصه وآياته، ورحم الله الإمام الشوكاني حينما قال في معرض كلامه عن ابن عربي وزندقته: «وقد آن أن نمسك عنان القلم عن رقم كفريات هذا المخذول، فإنا كما علم الله لم نكتبها إلا على وجل، وكيف لا يخاف من رقم مثل هذه الكفريات التي نتوقع عند رقم مثلها الخسف، ولولا محبة النصح ومداواة القلوب المرضى التي قد غاب فيها نصل هذا البلاء، لما استجزت رقم حرف واحد ولكن الله جل جلاله حكى في كتابه من

---

(١) الفصوص (١/ ١٩١ ـ ١٩٢).   (٢) فصوص الحكم (١/ ١٣٣).
(٣) انظر: المرجع السابق (١/ ٧١ ـ ٧٢)، ومصرع التصوف ص٥٠.
(٤) فصوص الحكم (١/ ٩٤).

مقالات الكفرة شيئاً واسعاً وهذا هو المشجع على ذلك...»[(١)].

ومع هذه الزندقة والإلحاد التي جاء بها ابن عربي وتجرأ على القول بها في كتابه «فصوص الحكم» فقد نسب هذا الزنديق الخبيث جملة ما في كتابه من الزندقة والإلحاد إلى النبي ﷺ، حيث زعم ابن عربي أن النبي ﷺ هو الذي أعطاه إياه وأمره بإخراجه إلى الناس، يقول هذا الزنديق في مقدمة هذا الكتاب: «أما بعد فإني رأيت رسول الله ﷺ في مبشرة أُريتُها في العشر الآخر من المحرم سنة سبع وعشرين وستمائة بمحروسة دمشق وبيده ﷺ كتاب فقال لي: «هذا كتاب فصوص الحكم خذه واخرج به إلى الناس ينتفعون به، فقلت: السمع والطاعة لله ولرسوله وأولي الأمر منا كما أُمِرنا، ثم قال: فحققت الأمنية، وأخلصت النية، وجردت القصد والهمة إلى إبراز هذا الكتاب كما حدَّهُ لي رسول الله ﷺ من غير زيادة ولا نقصان...»[(٢)].

هكذا يقول هذا الزنديق قبحه الله، حيث لم يكتف بما تفوه به من صريح الزندقة والإلحاد حتى نسب ذلك إلى رسول الله ﷺ، فما أعظم جرأته على رسول الله ﷺ! وما أشد عداوته لهذا الدين القويم الذي جاء به رسول الهدى ﷺ!.

هذا وقد تأثر بابن عربي فيما قرره من الزندقة والإلحاد كثير من الصوفية الذين اغتروا بكلامه فوقعوا فيما وقع فيه، حتى صار الكثير منهم يقرر كلام ابن عربي وينظّر له كما اشتهر ذلك عن ابن سبعين وابن الفارض[(٣)] وغيرهما من زنادقة الاتحادية، وقد ورث تلك العقائد الباطلة عن هؤلاء الزنادقة كثير

---

(١) الصوارم الحداد القاطعة للشوكاني ص١٣١ ـ ١٣٢ بتحقيق: محمد المدخلي، دار الحرير للطباعة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

(٢) فصوص الحكم (١/٤٧).

(٣) عمر بن علي الحموي، المعروف بابن الفارض، شاعر الاتحادية، وحامل لواء الزندقة، صاحب التائية المشهورة في الاتحاد. ولد سنة ٥٧٦هـ، وتوفي بمصر سنة ٦٣٢هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٢/٣٦٨)، وشذرات الذهب (٥/١٤٩)، والأعلام (٥/٥٥).

من أصحاب الطرق الصوفية المنتشرة في العالم الإسلامي.

فظهر عندهم القول بوحدة الوجود وادعاء النبوة والقول بالإباحية ورفع التكاليف عن بعض شيوخهم، وغير ذلك من الزندقة الظاهرة، وقد تلقوا ذلك كله عن كتب ابن عربي وابن الفارض وغيرهما من زنادقة الاتحادية، ولذلك فهم يعظمون هؤلاء الزنادقة ويدّعون ولايتهم، مع أن كتبهم وأشعارهم مشحونة بصريح الكفر والزندقة، فنعوذ بالله من الزيغ والضلال.

ومما تقدم يتضح الأثر العظيم الذي خلفه الزنادقة على فرقة الصوفية، حيث لم يكتفوا بإدخال بعض البدع التي تصدهم عن القرآن والسُّنَّة، بل بلغ بهم الأمر إلى إيقاع كثير منهم في الزندقة والإلحاد بما قرروه لهم من الكفر والزندقة حيث جعلوا ذلك في قوالب شرعية حتى يتقبلها الجهال الذين يعتقدون ولايتهم كقولهم بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود وغير ذلك من عقائدهم الخبيثة.

الفصل الثالث

أهم مظاهر الزندقة في العصر الحديث

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: فرق حديثة.

المبحث الثاني: تيارات معاصرة.

تمهيد

أدرك أعداء الإسلام في العصر الحديث أن استعمال القوة العسكرية ضد المسلمين لم يحقق لهم ما أرادوه من أهداف خبيثة ضد الإسلام وأهله، حيث فشلوا في كثير من حملاتهم العسكرية المتوالية على بلاد المسلمين رغم كثرة عددهم وقوة عدتهم، ففكروا في سر ذلك، ثم لم يلبثوا أن خرجوا بنتيجة يقينية في أن ذلك راجع إلى قوة دين الإسلام، وأنه هو سر قوة اتباعه وهو الدافع لهم على المقاومة والجهاد ضد أعداء الإسلام، وقد عبر عن ذلك المستشرق «لفردي» بقوله: «إن سر القوة الخارقة للعادة التي يظهرها الإسلام يرجع إلى إدراك هذا الدين وجود الله بإرادته العليا، وسيادته المطلقة على الكون، فوق أنه كامن في وحدانيته، فهذا الإيمان هو الذي منح المسلمين في عصورهم الزاهية روح الانقياد والنظام وازدراء الموت الذي لم نعرفه في أي نظام آخر... هذا بالإضافة إلى أن العقيدة الإسلامية خالية من التعقيدات والتجريدات، فهي من ثم في متناول إدراك الشخص العادي، إنها تمتلك فعلاً قوة عجيبة لاكتساب طريقها إلى ضمائر الناس»[١].

هكذا يلحظ أعداء الإسلام أن السر الوحيد في قوة المسلمين هو الإسلام ذاته بعقيدته وشعائره، وأن اتباعه سيبقون أقوياء ما داموا متمسكين به، وسينتصرون على أعدائهم ما دام جهادهم باسم الإسلام.

يقول الكاتب الفرنسي «كوليت» بعد تحرير الجزائر من الاستعمار الفرنسي مبيناً السبب في ذلك: «إن الإسلام عنصر فعال في دفع الجزائريين إلى طلب التحرر، لقد أيقن الجزائريون منذ الأيام الأولى للاحتلال أن هدف

(١) الله أو الدمار للأستاذ سعد جمعة ص٧٠ ـ ٧١، دار بو سلامة ـ تونس.

الفرنسيين كان القضاء على الإسلام، من أجل ذلك أدركوا جميعاً أن عليهم أن يعتصموا بالإسلام حتى يقدروا على التحرر...»[١]. لقد تيقن الفرنسيون أن انتصار الشعب الجزائري لم يكن بسبب قوته العسكرية، وإنما كان بسبب اعتصامه بالإسلام ورجوعه إلى القرآن الذي هو دستور المسلمين، ولذلك قال وزير المستعمرات الفرنسي معلناً فشل فرنسا وهزيمتها أمام قوة الإسلام: «وماذا أصنع إذا كان القرآن أقوى من فرنسا؟!!»[٢].

ويقول المستشرق البريطاني «مونتجومري وات»: «إذا وجد القائد المناسب، الذي يتكلم الكلام المناسب عن الإسلام، فإن من الممكن لهذا الدين أن يظهر كإحدى القوى السياسية العظمى في العالم مرة أخرى»[٣].

فهذه النصوص وغيرها كثير شاهدة على معرفة أعداء الإسلام لحقيقة دين الإسلام، وأنه هو ذاته سر قوة المسلمين، فهو الذي يدفعهم إلى المقاومة والجهاد ضد أعدائهم من الصليبيين وغيرهم.

ولذا فقد وجه أعداء الإسلام جهودهم لصرف المسلمين عن دينهم وعزلهم عن عقيدتهم التي هي أساس قوتهم، حتى يسهل التغلب على المسلمين كقوة، ولن يستطيع المسلمون بعد ذلك أن يقفوا أمام أعدائهم إذا فقدوا مصدر عزتهم وأساس قوتهم.

وبهذا تحول أعداء الإسلام من الصليبيين وغيرهم من الغزو العسكري إلى ما يسمى بالغزو الفكري، فجندوا أعداداً كبيرة من مفكريهم لدراسة الحضارة الإسلامية وإعداد الخطط لتدمير الإسلام في نفوس أبنائه، واستخدموا في ذلك سلاح التشكيك والتضليل وإثارة الشبهات حول الإسلام

---

(١) حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، أحمد عبد الوهاب ص١٧٥، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.

(٢) جريدة الأيام، عدد ٧٧٨٠، بتاريخ ٦ كانون أول ١٩٦٢م نقلاً عن قادة الغرب يقولون: دمّروا الإسلام أبيدوا أهله لجلال عالم ص٥١، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ.

(٣) جريدة التايمز اللندنية، آذار عام ١٩٦٨م، نقلاً عن الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا، د. يوسف القرضاوي ص١١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩١هـ.

ومصادره الراسخة كما قال المستشرق «تاكلي»: «يجب أن نستخدم القرآن، ـ وهو أمضى سلاح في الإسلام ـ ضد الإسلام نفسه، لنقضي عليه القضاء المبرم، حين نري هؤلاء الناس أن الصحيح في القرآن ليس جديداً، وأن الجديد فيه ليس صحيحاً»[١].

ويقول المستشرق الفرنسي «هانوتو»: «يجب أن نعمل على نقل المسلمين إلى الحضارة الأوربية بقصد رفع الخطر الكامن في الوحدة الإسلامية، وأفضل الطرق لتثبيت ولاية المستعمر الأوربي على البلاد الإسلامية، هو تشويه الدين الإسلامي، وتصويره في نفوس معتقديه بإبراز الخلافات المذهبية والتناقضات الشعوبية والقومية والجغرافية، مع شرح مبادئ الإسلام شرحاً يشوهها وينحرف بها عن قيمها الأصلية وتمجيد القيم الغربية...»[٢].

لقد ركز أعداء الإسلام جهودهم لتشويه صورة الإسلام والطعن في مصادره الأصلية وإثارة الشبه حول تعاليمه، وصنفوا الكتب في ذلك بلغات متعددة ثم قاموا بترويجها بين أبناء المسلمين.

ولم يقف أعداء الإسلام في حربهم الفكرية ضد الإسلام عند تأليف الكتب، بل استغلوا في سبيل ذلك كل وسيلة ممكنة لإبعاد المسلمين عن دينهم وعقيدتهم، فوجهوا وسائل الإعلام والتأثير لخدمة هذا الهدف، وفتحوا المدارس الأجنبية في بلاد المسلمين، وزينوا لكثير من شباب المسلمين السفر للدراسة في الجامعات الغربية، وغير ذلك من الوسائل الكثيرة.

كما جند أعداء الإسلام كثيراً من شباب المسلمين الذين تأثروا بأفكار الغرب، وانخدعوا بحضارتهم الزائفة لخدمة أهدافهم في تشويه الإسلام، والعمل على تنحيته، والحيلولة دون التمسك بأحكامه، والدعوة إلى تقليد الغرب الكافر باسم التقدم والحضارة وغير ذلك من الشعارات البراقة.

---

(١) الله أو الدمار ص٧١، وانظر: قوى الشر المتحالفة وموقفها من الإسلام والمسلمين لمحمد الدهان ص٣٨ ـ ٣٩، دار الوفاء، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.

(٢) الله أو الدمار ص٦٥ ـ ٦٦.

وقد قرر ذلك أعداء الإسلام بعد أن ظهر لهم عدم تقبل أبناء المسلمين منهم مباشرة، وقد ضرب المنصر الخبيث «زويمر» لذلك مثلاً فقال: «إن الشجرة ينبغي أن يقطعها أحد أعضائها، إن خبرة الصيادين تعرف أن الفيلة لا يقودها إلى سجن الصياد الماكر إلا فيل عميل أتقن تدريبه ليتسلل بين القطيع، فيألفه القطيع لأن جلده مثل جلدهم، ويسمعوا له لأن صوته يشبه صوتهم، فيتمكن من التغرير بهم، وسوقهم إلى حظيرة الصياد»[(١)].

وكان هذا الفيل العميل وأمثاله هم أفراخ الغرب من الزنادقة الذين ينتسبون إلى الإسلام ويتكلمون اللغة العربية للتغرير والخداع لأبناء المسلمين الذين وثقوا بهم لكونهم من جلدتهم ويتكلمون بألسنتهم، حتى إذا تمكنوا منهم عن طريق الوسائل المتاحة لهم من وسائل الإعلام وغيرها قاموا بقيادتهم إلى حظيرة الكفر والزندقة.

فهؤلاء الزنادقة العملاء هم الذين قاموا بنشر الزندقة والإلحاد في أوساط المسلمين عن طريق بعض الفرق المنحرفة التي زرعها أعداء الإسلام في جسم الأمة الإسلامية كالبابية والبهائية والقاديانية والتي حققت لأعداء الإسلام كثيراً من أهدافهم من تشويه الإسلام، وتحريف العقيدة، وإلغاء الجهاد، فضلاً عن الإشادة بالغرب الكافر والدعوة إلى طاعتهم، كما قال الغلام القادياني: «لقد ظللت منذ حداثة سني وقد ناهزت اليوم الستين أجاهد بلساني وقلمي لأصرف قلوب المسلمين إلى الإخلاص للحكومة الإنجليزية والنصح لها والعطف عليها، وألغي فكرة الجهاد التي يدين بها بعض جهالهم والتي تمنعهم من الإخلاص لهذه الحكومة، وأرى أن كتاباتي قد أثرت في قلوب المسلمين وأحدثت تحولاً في مئات الآلاف منهم...»[(٢)].

كما قام فريق من هؤلاء الزنادقة بنشر أفكار الزندقة عن طريق بعض

---

(١) احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، د. سعد الدين السيد ص٩٥، مكتبة الصحابة، الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

(٢) تبليغ رسالة (٧/ ١٠) نقلاً عن القادياني والقاديانية لأبي الحسن الندوي ص٩٧، الدار السعودية للنشر ـ جدة، الطبعة الثالثة، ١٣٨٧هـ.

التيارات الفكرية المعاصرة التي أخذوها عن أعداء الإسلام، رغم معارضتها الواضحة لدين الإسلام كالعلمانية والحداثة وغيرهما، حيث جند أعداء الإسلام بعض الزنادقة من أبناء المسلمين للدعوة لتلك التيارات المعادية للإسلام حتى انتشرت تلك الأفكار بين المسلمين باسم الحضارة والتقدم.

وقد عبر عن ذلك المستشرق «سارتر» بقوله: «شرعت الصفوة الأوربية تصنع فئة من السكان الأصليين... أخذت تصطفي فتياناً مراهقين، ترسم على جباههم بالحديد الأحمر مبادئ الثقافة الأوربية، وتحشو أفواههم بشعارات رنانة، ثم تردهم إلى ديارهم وقد زيفوا... إن مثل هؤلاء أكاذيب حية لا يملكون ما يقولون لإخوتهم لأنهم يرجعون ما يسمعون، وكنا نحن المستعمرين الأوربيين نقول لأنفسنا سراً: دعوهم يعووا فذلك يسري عنهم، إن الكلب الذي ينبح لا يعض»[١].

وهؤلاء الفتيان الذين جندهم أعداء الإسلام لنشر الزندقة والإلحاد في بلاد المسلمين هم الذين تأثروا بالثقافة الأوربية من أمثال طه حسين وزكي نجيب وسلامة موسى وأدونيس وصلاح عبد الصبور وغيرهم من دعاة الزندقة والإلحاد كما سيأتي ذكر أقوالهم في المبحث الثاني إن شاء الله تعالى.

وقد اكتفيت في هذا الفصل بذكر أهم مظاهر الزندقة في العصر الحديث سواء من الفرق التي زرعها أعداء الإسلام أو التيارات التي انتشرت في البلاد الإسلامية عن طريق دعاة التغريب والزندقة ممن ينتسبون إلى الإسلام، وإن كانت مظاهر الزندقة في العصر الحديث كثيرة ومتنوعة إلا أن المقام لا يتسع لتتبع ذلك كله.

---

(١) الله أو الدمار ص١٢١.

المبحث الأول

فرق حديثة

أولاً: البابية:

البابية هي إحدى فرق الزنادقة الباطنية التي نشأت في أحضان الاستعمار، محاولة هدم الإسلام وتشويه صورته بعدما أثبت سلفهم من الزنادقة عجزهم عن ذلك على مر العصور الإسلامية[(١)].

وقد نشأت البابية سنة (١٢٦٠هـ) على يد شاب إيراني شيعي، يدعى «ميرزا علي محمد الشيرازي» المولود بشيراز[(٢)] سنة (١٢٣٥هـ)[(٣)]، وقد تتلمذ الشيرازي على يد أحد غلاة الشيعة الاثني عشرية وهو «كاظم الرشتي»[(٤)]، وقد

---

(١) انظر: عقيدة المسلمين والردّ على الملحدين والمبتدعين للشيخ البليهي (٢/ ٣٧٤)، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ، بدون ذكر دار النشر، وفرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام لغالب عواجي (١/ ٤٠٥)، والموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، د. ناصر القفاري ود. ناصر العقل ص١٥٦، دار الصميعي، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، والماسونية في أثوابها المعاصرة د. سعد الدين السيد ص٥٦، مكتبة الصحابة ـ جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، والموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب ص٦٣.

(٢) شِيراز، بالكسر: بلد عظيم مشهور من بلاد فارس، في وسط البلاد، انظر: مراصد الاطلاع (٢/ ٨٢٤).

(٣) انظر: البهائية تاريخها وعقيدتها، لعبد الرحمٰن الوكيل ص٨٧، دار المدني ـ جدة، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ، والحراب في صدر البهاء والباب لمحمد فاضل ص١٦٣، والأعلام للزركلي (٥/ ١٧)، وحقيقة البابية والبهائية د. محسن عبد الحميد ص٥٧، دار الصحوة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ.

(٤) كاظم بن قاسم الحسيني الرشتي، شيعي إمامي من أهل رشت بإيران، تتلمذ على الأحسائي وتأثر به في عدة مسائل، منها البشارة بقرب خروج المهدي، ولد سنة ١٢٠٥هـ، وتوفي سنة ١٢٥٩هـ، انظر: الأعلام (٥/ ٢١٥) وتهافت البابية والبهائية، =

كان «الرشتي» يكثر من ذكر المهدي المنتظر عند الاثني عشرية، بل كان يبشر بأن ظهوره قد قرب ويوصي تلاميذه بالبحث عنه والسعي في طلبه(١).

وقد استغل الشيرازي ما دعا إليه شيخه الرشتي فأظهر أنه الباب إلى المهدي، وذلك بعد وفاة شيخه(٢)، ومعنى «الباب» في اصطلاح الشيعة الإمامية هو: الشخص الذي يكون واسطة بين المهدي الغائب المنتظر وشيعته في نقل أوامره وتوجيهاته، وقد سمي أتباعه لذلك بـ«البابية» نسبة إليه(٣).

وقد أظهر «الباب» التقشف والزهد وذلك لاستمالة السذج من النّاس إلى دعوته حتى مال إليه كثير منهم واستجابوا لدعوته(٤)، وكان أول من آمن بدعوة «الباب» صديق له يدعى «الملا حسين البشروئي»(٥) ثم تتابع الناس على دعوته حتى بلغوا ثمانية عشر شخصاً، فجمعهم «الباب» في حروف «حي»(٦) لأن

= د. مصطفى عمران ص٣٧، دار الطباعة المحمدية بالأزهر، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ.

(١) انظر: تهافت البابية والبهائية ص٣٧، وغلاة الشيعة ص٢٧٢، والبابية عرض ونقد إحسان إلٰهي ظهير ص٥١ ـ ٥٣، إدارة ترجمان السُّنَّة، لاهور، الطبعة الثالثة، ١٤٠١هـ.

(٢) يرى بعض الباحثين أن ذلك إنما وقع باتفاق بين الشيرازي وشيخه الرشتي، ولذلك كان الرشتي كثيراً ما يبشر بخروج المهدي، ويذكر في بعض دروسه أن المهدي قد يكون من بين تلاميذه، وأن ذلك إنما تم بمؤامرة أحكمها أعداء الإسلام من الإنجليز وغيرهم مع الرشتي وشيخه الأحسائي. انظر: تهافت البابية والبهائية ص١٢٩ ـ ١٣١، وفرق معاصرة (١/ ٤١٠) والبابية عرض ونقد ص٩.

(٣) انظر: تهافت البابية والبهائية ص٤٦، والبهائية لمحب الدين الخطيب ص٦، المطبعة السلفية، الطبعة الثالثة، ١٣٩٧هـ.

(٤) انظر: البهائية لعبد الرحمٰن الوكيل ص٨٨، وغلاة الشيعة ص٢٧٢.

(٥) الملا حسين البشروئي الخراساني، البشروئي نسبة إلى قرية بشرويه من أعمال خرسان، انضم إلى دعوة الباب، وقام بالدعوة معه حتى منحه الباب لقب «باب الباب»، تنقل بين بلدان فارس للدعوة إلى الباب والتبشير بخروجه، وقام بثورة على حكومة إيران، وقتل بعض الجنود إلا أنه هزم بعد ذلك وقتل وذلك سنة ١٢٦٥هـ. انظر: الحراب في صدر البهاء والباب ص١٩٦ ـ ٢٠٥.

(٦) انظر: الأصول التاريخية لنحلة البابية والبهائية، د. قاسم السامرائي ص١٧، =

الحاء والياء يعادلها ثمانية عشر شخصاً بحساب الحروف الأبجدية[١]، وقد أعلن «الباب» لأتباعه بأن صديقه البشروئي هو «باب الباب» وكان ذلك سراً بين أتباعه[٢]، ثم إن «الباب» جهر بدعوته بعد ذلك سنة (١٢٦٠هـ)[٣] ثم وزع أتباعه البالغ عددهم ثمانية عشر للدعوة في أقاليم مختلفة من إيران وتركستان[٤] والعراق، وقد كان لهؤلاء نشاط في الدعوة إلى البابية وخاصة الملا حسين البشروئي «باب الباب» وامرأة خليعة تدعى «رزين تاج» وتلقب بـ«قرة العين»[٥][٦].

ولما كثر أتباع الباب ادعى أنه هو المهدي المنتظر، ثم إنه لم يقتنع بأنه المهدي وإنما رأى أنه أكبر من ذلك مع كثرة أتباعه وإقبال الناس عليه، فترفع في دعواه، وزعم أنه نبي، وأن الله قد أنزل عليه كتاباً يسمى بـ«البيان» ادعى

= دار أمية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، وفرق معاصرة (١/ ٤١٠)، والحراب في صدر البهاء والباب ص١٦٦.

(١) انظر: البابية عرض ونقد ص٥٧، وفرق معاصرة (١/ ٤١٠).

(٢) انظر: تهافت البابية والبهائية ص٤٥، والمذاهب والأفكار المعاصرة لمحمد الحسن ص٣٧٣، دار البشير ـ مصر، الطبعة الثالثة، ١٤١٠هـ.

(٣) انظر: تهافت البابية والبهائية ص٤٥، وحقيقة البابية والبهائية د. محسن عبد الحميد ص٥٨، والبهائية للخطيب ص٥.

(٤) تركستان: هو اسم جامع لجميع بلاد الترك، وأوسع بلاد الترك بلاد التغزغز، ومدائنهم المشهورة ست عشرة مدينة، وحدهم الصين والغز. انظر: معجم البلدان (٢/ ٢٧ ـ ٣١).

(٥) قرة العين هو اللقب الذي لقبها به الباب، واسمها «رزين تاج» وهو اسم فارسي، وهي ابنت الملا صالح القزويني، وبيتها بيت علم، فوالدها من علماء قزوين، وقد تلقت عنه بعض العلوم غير أنها كانت خليعة منحرفة، ولما سمعت بخبر الباب التحقت به حتى صارت من أبرز أتباعه على خلاعتها وانحرافها، وهي التي جمعت أتباع الباب في مؤتمر بدشت، وأعلنت لهم الانسلاخ من الشريعة الإسلامية، وقد انتهى أمرها بعد ذلك بالقتل والإحراق وذلك سنة ١٢٦٤هـ. انظر: الحراب في صدر البهاء والباب ص١٩١ ـ ١٩٦.

(٦) انظر: فرق معاصرة (١/ ٤١٠)، والحراب في صدر البهاء والباب ص١٦٦، والأصول التاريخية ص١٨.

أنه أفضل من القرآن، وأن دينه ناسخ لدين الإسلام[١].

وقد ورد ذلك صريحاً في كتاب «الباب»، وفي رسائله التي بعثها لبعض العلماء يدعوهم بها إلى اتباعه والإيمان بنبوته، فيقول في رسالة له إلى مفتي بغداد: الشيخ محمود الآلوسي[٢] يدعوه بها إلى اتباعه والإيمان به: «إنني أنا عبد قد بعثني الله بالهدى من عنده، أفلا تحبون أن تكونن من المتقين»[٣].

ويؤكد في هذه الرسالة أن ديانته ناسخة للإسلام كما نسخ الإسلام جميع ما تقدمه من الديانات فيقول: «فإن يومئذ لا ينفعكم دينكم ولا أعمالكم بمثل لا ينفع الذين أوتوا الكتاب دينهم بعد محمد رسول الله...»[٤] ويرى أن دين الإسلام لا ينفع صاحبه بعد إعلان دعوته فيقول: «كل من كان على شريعة القرآن كان ناجياً إلى ليلة القيامة»[٥] وليلة القيامة ـ عنده ـ إنما يُراد بها ظهور أمره وإعلان دعوته، فهو لا يؤمن بيوم القيامة كما ورد في القرآن، بل ينكر ذلك ويحمل معناه على ظهور دعوته كما فعل سلفه الزنادقة[٦]، ولم يقف هذا الزنديق عند ذلك وإنما استمر في شططه وضلاله حتى وصل به الأمر إلى أن

---

(١) انظر: تهافت البابية ص٦، وغلاة الشيعة ص٢٧٤، والبهائية والقاديانية، د. أسعد السحمراني ص٦٦ ـ ٦٧، مطبعة دار النفائس، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ، والمذاهب والأفكار المعاصرة ص٣٧٤.

(٢) محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، شهاب الدِّين، مفسر، محدث، لغوي، مشارك في بعض العلوم، له عدة مصنفات من أهمها: روح المعاني في تفسير القرآن، ولد سنة ١٢١٧هـ، وتوفي سنة ١٢٧٠هـ. انظر: الأعلام (٧/ ١٧٦)، ومعجم المؤلفين (١٢/ ١٧٥).

(٣) كتاب الباب إلى شهاب الدين الألوسي ص٣٠٤ ملحق بكتاب مفتاح باب الأبواب لميرزا محمد خان ص٣٠٢ ـ ٣٠٨ مطبعة مجلة المنار الإسلامية مصر الطبعة الأولى، ١٣٢١هـ.

(٤) كتاب الباب إلى شهاب الدين الألوسي ص٣٠٤.

(٥) البيان الفارسي للباب، الباب السابع، نقلاً عن البابية لإحسان ص١٩٥، وانظر: البهائية تاريخها وعقيدتها ص١٢٦.

(٦) انظر: غلاة الشيعة ص٢٧٨ ـ ٢٧٩، وتهافت البابية ص٦٣.

ادعى حلول الله في جسده وتجلي الربّ سبحانه في هيكله، فزعم أنه مرآة لا يرى فيها إلا الله[١]، يقول في رسالته التي بعث بها إلى الشيخ الألوسي: «إنني أنا الله لا إلٰه إلا أنا قد أظهرت نفسي يوم القيامة لأجزين كل نفس بما كسبت أفلا توقنون»[٢]، تعالى الله عن قوله علواً كبيراً.

وبعد أن انتشرت مقولة «الباب» في كثير من الأقطار الإيرانية وافتتن بدعوته كثير من الناس، وسمع علماء الشيعة ما ادعاه من دعاوٍ كفرية، قرر أولئك العلماء مطالبة حكومة إيران بسجنه ومحاكمته، فألقي القبض عليه، وبقي في السجن، ثم أحضر جمع من علماء الشيعة لمناقشته، غير أنه أصر على زندقته، فما كان من أولئك العلماء إلا أن حكموا بردته واعتبروه زنديقاً عدواً لدين الإسلام، وأفتوا بقتله، فبقي في السجن عدة سنوات إلى أن تم القضاء عليه وإعدامه ـ كما سيأتي ـ[٣].

وقد كان أتباع الباب يلتقون به وهو في السجن، ويتلقون عنه التعليمات خاصة لما كان مسجوناً بولاية أصبهان، حيث كان حاكم هذه الولاية قد ساءه سجن «الباب»، إذ كان في الأصل صليبي العقيدة، ثم تظاهر بالإسلام، وكان يطمع في نجاة «الباب» ليطعن به الإسلام والمسلمين، غير أنه رضخ لفتوى العلماء، وسجن «الباب» في قصره معززاً مكرماً، ومكّن له من لقائه بأتباعه ونشر تعاليمه بينهم[٤].

وقد اغتاض البابيون مما حصل لزعيمهم من بقائه بعيداً عنهم داخل

---

(١) انظر: تهافت البابية ص٧٢، والبابية عرض ونقد ص١٩١ ـ ١٩٣، وعقيدة ختم النبوة لأحمد سعد الغامدي ص٢٠٦، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، وحقيقة البابية والبهائية لمحسن عبد الحميد ص١٣٢ ـ ١٣٤.

(٢) كتاب الباب إلى شهاب الدين الألوسي ص٣٠٢ وانظر: غلاة الشيعة ص٢٨٣.

(٣) انظر: البهائية تاريخها وعقيدتها ص٩٥ وما بعدها، وتهافت البابية ص٨٧، ومعجم الفرق الإسلامية ص٤٩، وفرق معاصرة (٢/ ٤١٣).

(٤) انظر: فرق معاصرة (٢/ ٤١٢)، والحراب في صدر البهاء والباب ص١٨٢، وجامع الفرق والمذاهب الإسلامية لأمير مهنا وعلي خريس ص٣٦ ـ ٣٧، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م، والبهائية للخطيب ص٨.

السجن، فقرروا عقد مؤتمر للنظر في إنقاذ «الباب» من سجنه، وإعلان ما تلقاه البابيون عن زعيمهم من نسخ الشريعة الإسلامية وإظهار شريعة «الباب»، وقد أطلق على هذا المؤتمر «مؤتمر بدشت»(١) وذلك لوقوعه في صحراء «بدشت»(٢)، وتم اجتماع البابيين في تلك الصحراء، فقرروا وجوب السعي في تخليص زعيمهم «الباب» وإنقاذه مما هو فيه من ذل وهوان، ثم قرروا إرسال مبلغين إلى الأقطار الإيرانية لحث من لم يستطع الحضور لهذا المؤتمر على زيارة «الباب»، والسعي في إنقاذه وتخليصه مما حلّ به(٣).

وبعد أن تقرر ذلك كله، انتقل البابيون إلى إعلان نسخ الشريعة الإسلامية، وقد تزعمت قرة العين هذا الإعلان، حيث وضع لها في وسط هذا المؤتمر منبرٌ، فخرجت من غير حجاب ولا قناع، وعلت المنبر، ثم قامت خطيبة، وكان مما قالت في خطبتها: «اسمعوا أيها الأحباب والأغيار، واعلموا أن أحكام الشريعة المحمدية قد نُسِخت الآن بظهور الباب...»(٤) ثم دعتهم بعد ذلك إلى ترك الصلاة والصيام، ثم دعتهم بعد ذلك إلى وصل النساء، والتمتع بهن من غير تعنيف ولا حرج، ثم ختمت هذه الخطبة بالحث على شيوعية الأموال بين أتباع الباب، والنهي عن اختصاص أحد منهم بشيء من الأموال دون غيره(٥).

وبعد هذا المؤتمر الذي أظهر فيه البابيون زندقتهم وكفرهم، قام البابيون بتطبيق ما تم فيه من القرارات لإنقاذ «الباب» من سجنه، فشنّوا عدّة

---

(١) تهافت البابية ص٥٦ والبهائية تاريخها وعقيدتها ص١٠٥ وغلاة الشيعة ص٢٨٠، والبهائية للخطيب ص٨.
(٢) لم أجد مدينة ولا مكان بهذا الاسم، والمشهور ببلاد فارس هي صحراء «دشت» بدون «الباء» وهي «دشت الأرزن» بأرض فارس بالقرب من شيراز، وللمتنبي فيها قصيدة بارين قالها لما خرج مع عضد الدولة للصيد بهذه الصحراء. وهناك «دشت بارين» مدينة من أعمال فارس. انظر: معجم البلدان (٢/ ٥١٩).
(٣) انظر: تهافت البهائية ص٥٦ ـ ٥٧، والبهائية للخطيب ص٨ ـ ٩.
(٤) مفتاح باب الأبواب ص١٨٠، وانظر: البابية لإحسان ص١٧٩.
(٥) انظر: البهائية تاريخها وعقيدتها ص١٠٧، والبابية لإحسان ص١٧٨ ـ ١٧٩.

هجمات مسلحة في محاولة منهم لاستنقاذ «الباب» والانتقام ممن سجنه، إلا أن هذه الثورات باءت بالفشل حيث قتل فيها من قتل من زعماء البابية ومن ذلك «باب الباب»، وألقي القبض على كثير منهم ومن ذلك قرة العين وصدر الحكم بقتلهم جميعاً وبإحراق قرة العين بعد خنقها، وذلك سنة (١٢٦٤هـ)[١].

وقد تلا ذلك بسنة واحدة تنفيذ حكم الإعدام في زعيم البابية «الباب»، وذلك سنة (١٢٦٥هـ) بمدينة تبريز[٢] الإيرانية، حيث قتل بمشهد من الناس، وألقيت جثته في خندق خارج المدينة[٣]، وبعد مقتل «الباب»، تفرق بقية أصحابه، وتنازعوا السلطة، حتى استقر الأمر بزعامة أحد أتباع «الباب» وهو «الميرزا حسين علي»[٤]، الملقب بـ«البهاء»[٥] ـ كما سيأتي ـ عند الكلام على فرقة البهائية.

ومما تقدم تتضح عقيدة «البابية» التي بسببها دخلت هذه الفرقة ضمن فرق الزنادقة، وأنها تتلخص فيما يلي:

١ ـ ادعاء «الباب» أنه هو الوسيلة إلى الإمام المنتظر، ثم زعمه بأنه هو الإمام المنتظر، ثم تطور ذلك بادعائه النبوة.

٢ ـ زعم «الباب» بأن الإلـٰه حلّ فيه، وأنه المرآة التي لا يرى فيها إلّا الله.

---

(١) انظر: غلاة الشيعة ص٢٨٣، والحراب في صدر البهاء والباب ص١٩٦، والمذاهب والأفكار المعاصرة ص٣٧٦.

(٢) تبريز: بفتح أوله وسكون ثانيه وكسر الراء، مدينة عامرة بأذربيجان، في وسطها عدة أنهار جارية طيبة الفاكهة، وينسب إليها بعض العلماء. انظر: معجم البلدان (٢/ ١٥).

(٣) وقد ذكر بعض من عاصر هذه الحادثة من أهل تبريز أنه رأى الجثة في اليوم التالي ممزقة. ثم إن هذه الجثة فُقِدت فلم يعثر عليها. ويزعم البابية أنهم اختطفوا الجثة ليلاً وأخفوها إلى أن نقلت إلى عكاء، ودفنت هناك بين عكاء وحيفاء. انظر: تهافت البابية والبهائية ص٨٧، وفرق معاصرة (٢/ ٤١٣)، والبهائية تاريخها وعقيدتها ص١١٩.

(٤) ستأتي ترجمته. انظر: ص٣٧٢.

(٥) انظر: البهائية تاريخها وعقيدتها ص١٣٧.

٣ ـ دعوى «البابية» نسخ الشريعة المحمدية.

٤ ـ إنكارهم القيامة والحياة الآخرة بما فيها الجنة والنار.

٥ ـ الإباحية في النساء والشيوعية في الأموال، كما ورد ذلك في خطبة قرة العين.

والملاحظ أن هذه العقائد التي تبناها البابية لا تختلف كثيراً عن مزاعم سلفهم من فرق الزنادقة الأخرى وخاصة القرامطة والإسماعيلية[١].

والخلاصة: أن «البابية» فرقة من فرق الزنادقة التي حدثت في العصور المتأخرة، وذلك لقولهم بالحلول والإباحية ونسخ الشريعة وغير ذلك من عقائد الزنادقة، ولذلك أطلق عليهم كثير من العلماء المعاصرين لقب «الزنادقة» لعلمهم بخبث نواياهم وحقدهم على الإسلام وأهله[٢].

ثانياً: البهائية:

البهائية هي وارثة البابية، وقد نشأت كسابقتها تحت رعاية الاستعمار الأجنبي، بهدف إفساد عقيدة المسلمين وصرفهم عن قضاياهم الأساسية، وقد جاءت هذه الفرقة امتداداً لفرق الزنادقة وحركاتهم الهدامة عبر التاريخ[٣].

والبهائية نسبة لأحد أتباع الباب وهو الميرزا حسين علي المازندراني[٤]

---

(١) انظر: القول الحق في البابية والبهائية، د. مصطفى الطير ص٨١، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

(٢) انظر: عقيدة المسلمين (٢/ ٣٧٤)، والموجز في الأديان ص١٥٨.

(٣) انظر: الأصول التاريخية لنحلة البابية والبهائية ص٥٦، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ص٦٣، وعقيدة المسلمين (٢/ ٣٧٤)، والموجز في الأديان ص١٦٠.

(٤) نسبة إلى مازندران وهي الولاية التي ولد فيها البهاء، وتسمى أيضاً بطبرستان، وهذا الاسم هو الاسم المشهور قديماً لهذه الولاية، ولذلك قال ياقوت بعد ذكره لمازندران ما نصه «اسم ولاية طبرستان... وما أظن هذا إلا اسماً محدثاً لها لم أره مذكوراً في كتب الأوائل»، وهي بلدان واسعة كثيرة يشملها هذا الاسم، والغالب على هذه النواحي الجبال، وهي بين الري والبحر وبلاد الديلم. انظر: معجم البلدان (٤/ ١٤ ـ ١٨)، و(٥/ ٤٨).

الملقب بـ«البهاء» أي: بهاء الله، وهو الذي أسس هذه الطائفة التي هي في الأصل بقايا «البابية»، وتسمى بـ«البهاء»[(١)] فنسبت إليه فقيل: «البهائية» وقد بقي هذا الاسم علماً على هذه الطائفة في كثير من البلدان حتى يومنا هذا[(٢)].

وقد ولد الميرزا حسين علي الملقب بـ«البهاء» ببلدة «نور» من ضواحي ولاية مازندران، وقيل: ولد بطهران، وذلك سنة (١٢٣٣هـ)[(٣)].

وقد عرف البهاء البابية على يد أحد دعاتها في طهران، فآمن بها وعمره سبع وعشرون سنة، وذلك سنة (١٢٦٠هـ)، وقد دخل معه في هذه الدعوة أخ له يدعى ميرزا يحيى، وهو الذي لقب فيما بعد بـ«صبح أزل»، ولم يكن «البهاء» وأخوه إذ ذاك من زعماء البابية البارزين، لذا لم يجعلهما الباب من حروف حي، غير أن «البهاء» استطاع أن يبرز نفسه بعد ذلك، وخاصة في مؤتمر «بدشت» حيث استحوذ على «قرة العين» بما جلبه في هذا المؤتمر من وسائل الترف والفساد، مما مكن له من البروز بجانب «قرة العين» كأساس لهذا المؤتمر المهم في تاريخ البابية والبهائية[(٤)].

وقد تمكن «البهاء» مع أخيه يحيى من الالتقاء بـ«الباب» رغم سجنه، وذلك أنهما استغلا فترة نقلة «الباب» إلى سجنه بقلعة «جهريق» بولاية

---

(١) وهذه الكلمة أخذها «البهاء» من دعاء يتلوه الشيعة في أوقات السحر من شهر رمضان ومنه «اللهم إني أسألك من بهائك أبهاه وكل بهائك بهي، اللهم إني أسألك ببهائك كله، اللهم إني أسألك من جمالك بأجمله، وكل جمالك جميل». انظر: تهافت البابية والبهائية ص٩٢، والحراب قي صدر البهاء والباب ص١٧.

(٢) انظر: البهائية تاريخها وعقيدتها ص١٣١، والبهائية لمحب الدين الخطيب ص١٧، وفرق معاصرة (١/٤٢٢)، والحراب في صدر البهاء والباب ص٢٩٦ ـ ٢٩٧.

(٣) انظر: الحراب ص٢٥٥، والبهائية تاريخها وعقيدتها ص١٣٢، والبهائية نقد وتحليل لإحسان إلٰهي ظهير ص٧، إدارة ترجمان السُّنَّة، لاهور، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ.

(٤) انظر: البهائية والنظام العالمي الجديد لأحمد وليد، مكتبة دار الفتح، دمشق، ١٩٩٤م، بدون طبعة، (٢/٢٣ ـ ٢٤)، والبهائية تاريخها وعقيدتها ص١٣٢، والبهائية لإحسان إلٰهي ظهير ص١٣ ـ ١٤.

أذربيجان[(١)] وهو مسوق في حراسة الجند، فقاما برشوة رئيس حراسه، فجمعهما دون رقيب ولا حسيب فبايعاه على الزندقة والكفر، وعاهداه على نشر تعاليمه والترويج لآرائه، ثم توجها إلى طهران يبثان في الناس إلحاده وزندقته[(٢)]، ثم انحدر «البهاء» إلى مازندران وطاف ببلداتها ينشر تلك الأفكار الزائغة، ثم توجه راجعاً إلى طهران حيث جعلها مركزاً لدعوته[(٣)]، ثم إن البهاء تنازع مع أخيه يحيى الملقب بـ«صبح أزل» في خليفة «الباب» بعد قتله فما إن قتل «الباب» حتى ظهرت آثار العداوة بين الأخوين، فادعى كل واحد من الأخوين استنابة الباب له دون أخيه واختياره خليفة له قبل إعدامه.

وهكذا بدأ الشقاق بين هذين الأخوين، وانقسم بقية البابيين إلى قسمين؛ قسم تبع «البهاء»، وجعله خليفة للباب في زعامة أتباعه، وهؤلاء هم البهائيون، والقسم الآخر تبع «صبح أزل»، وجعله خليفة للباب، وهؤلاء أطلق عليهم «الأزليون»[(٤)].

وقد أكد «الأزليون» أن الباب قد استخلف زعيمهم «صبح أزل»، وكتب بذلك ورقة بخطه وختمها وجعله بها خليفة من بعده، ثم عين أخاه الأكبر «حسين علي» الملقب بـ«البهاء» وكيلاً له، وأمره بحجب أخيه وإخفائه عن أعين المخالفين لئلا يمس بسوء، وقام البهاء بتنفيذ الأمر وأخفاه عن الأعين وصار يخاطب الناس عنه، ودام الحال على ذلك مدة، ثم إن «البهاء» طمع

---

(١) أذربيجان: بالفتح ثم السكون وفتح الراء: سقع حدّة من برذعة شرقاً إلى رنجان غرباً، ويتصل شمالاً ببلاد الديلم، ويتبعه مدن عدة، من أشهرها تبريز وفيه قلاع كثيرة، انظر: مراصد الاطلاع (١/ ٤٧).

(٢) انظر: تهافت البابية والبهائية ص٩٤، والحراب في صدر البهاء والباب ص٢٥٧، والبهائية والبابية في ميزان الإسلام/ محمد عبد المنعم ص٣٩، دار الحقيقة، القاهرة، ١٤١٠هـ.

(٣) انظر: تهافت البابية والبهائية ص٩٤ ـ ٩٥، والحراب في صدر البهاء والباب ص٢٥٧ ـ ٢٥٨، والبهائية والبابية في ميزان الإسلام ص٣٩.

(٤) انظر: البهائية تاريخها وعقيدتها ص١٣٦ ـ ١٣٧، وتهافت البابية والبهائية ص٩٥، والموجز في الأديان والمذاهب ص١٦٠ ـ ١٦١، وحقيقة البابية والبهائية ص١٤٤ ـ ١٤٥.

في الأمر، فاغتصب حق أخيه، وادعى ذلك لنفسه دون أخيه «يحيى»[(١)].

والبهائيون يزعمون أن استخلاف الباب حقيقة إنما كان لزعيمهم البهاء، وأن ما فعله من حجب أخيه وعزله عن الناس، فذلك إنما كان سياسة من البهاء لمنع الضرر عن نفسه، ويؤكدون أن زعيمهم «البهاء» هو صاحب الأمر والنهي، وهو الذي بشر به الباب، ولهج بذكره، وعبر عنه في أم الكتاب (بمن يظهره الله)[(٢)].

وقد استمرت العداوة والشقاق بين «البهاء» وأخيه «صبح أزل» وحاول كل منهما قتل أخيه، حتى إن «البهاء» دس السم لأخيه، مما حدا بالحكومة إلى التفريق بينهما خشية الفتنة بنفي يحيى وأتباعه إلى قبرص[(٣)]، ونفي «البهاء» وأتباعه إلى «عكاء»[(٤)]، وكان من حظ البهائية أن وقفت معها الصهيونية العالمية[(٥)] بتهيئة الظروف لانتشارها وإماتة الأزلية، وقد بقي «صبح أزل» مع أصحابه في منفاه بقبرص، ولم يزل أمرهم في ضعف وتفكك بمطاردة البهائية لهم، إلى أن هلك «صبح أزل» عام (١٩١٢م) وتفرق بقية أتباعه وبذلك انتهت «البابية الأزلية»[(٦)].

---

(١) انظر: حقيقة البابية والبهائية لمحسن عبد الحميد ص١٤٤، وفرق معاصرة (١/ ٤١٨)، وغلاة الشيعة ص٢٨٤.

(٢) انظر: تهافت البابية والبهائية ص٩٥ ـ ٩٦، والحراب في صدر البهاء والباب ص٢٥٩، والبهائية لإحسان إلٰهي ص٢٧.

(٣) قبرص ويقال قبرس: جزيرة في بحر الروم، افتتحها المسلمون بقيادة معاوية رضي الله عنه سنة ١٥هـ، وتقع في قارة آسيا، وعاصمتها في الوقت الحاضر مدينة «نيوقوسيا». انظر: معجم البلدان (٤/ ٣٤٦)، وأطلس لزهير زكي ص٢١.

(٤) عكا، وفي المعجم «عكة»: وهي بلد على ساحل بحر الشام، من أعمال الأردن افتتحها المسلمون سنة ١٥هـ بقيادة معاوية رضي الله عنه. انظر: معجم البلدان (٤/ ١٦٢).

(٥) الصهيونية: هي حركة سياسية عنصرية متطرفة ترمي إلى إقامة دولة لليهود في فلسطين، تحكم من خلالها العالم كله، واشتقت الصهيونية من «جبل صهيون» في القدس. انظر: الموسوعة الميسرة ص٣٣١.

(٦) انظر: البهائية لإحسان إلٰهي ص٢٩ ـ ٣٠، والبهائية والنظام العالمي (٢/ ٣١ ـ ٣٢)، وفرق معاصرة (١/ ٤١٨ ـ ٤١٩)، وغلاة الشيعة ص٢٨٤.

ثم إن «البهاء» لم يكتف بهذا الادعاء الذي نازع من أجله أخاه «صبح أزل»، وتفرق لأجله البابيون، وهو تمكنه من الفوز بلقب «خليفة الباب» بعد ما جرى من مشاجرات بينه وبين أخيه التي انتهت بالقضاء على أخيه «صبح أزل» وتفرق أصحابه، بل تجاوز ذلك وادعى أنه هو «المهدي المنتظر» وأن الباب لم يكن إلا مبشراً به(١).

ثم تدرج «البهاء» بعد ذلك فادعى النبوة كما ادعاها «الباب» قبله، فزعم أنه مبعوث من عند الله ـ تعالى ـ، وأنه أوحى إليه بـ«كتاب الأقدس»(٢). فيقول في رسالة له إلى أتباع أخيه «صبح أزل» يحذرهم بها من الإعراض عن ديانته: «قد بعثني الله وأرسلني إليكم بآيات بينات وأصدق ما بين أيديكم من كتب الله وصحائفه وما نزل في البيان، وقد شهد لنفسي ربكم العزيز المنان»(٣).

وحقيقة هذه النبوة التي ادعاها البهاء تختلف عن حقيقة النبوة المعروفة عند المسلمين، فالبهاء يرى أن النبوة عبارة عن تجليه سبحانه أو صفاته المقدسة في هياكل وصور الصفوة الممتازين الذين اختارهم سبحانه ليكونوا على حد تعبير البهاء وأتباعه مشارق تجليه، ومظاهر صفاته، ومطالع ذاته، وأنه متى تجلت هذه الصفات الإلـٰهية في شخص ما فهو نبي من الأنبياء(٤).

وقد قرر «البهاء» أن رسالته جاءت لتأسيس السلام على الأرض، وأنه هو والباب كانا يعملان بوحي من أمر الله، ثم قرر بعد ذلك أن شريعته جاءت ناسخة لما قبلها من الأديان ـ كما فعل «الباب» ـ بما في ذلك شريعة الباب، وأن كتابه الأقدس نسخ ما قبله من الكتب بما في ذلك «البيان» الذي جاء به

---

(١) انظر: البهائية تاريخها وعقيدتها ص١٣٦، وتهافت البابية والبهائية ص١٠١، والموجز في الأديان والمذاهب ص١٦١، والحراب في صدر البهاء والباب ص٢٦٧ ـ ٢٦٨.

(٢) انظر: تهافت البابية والبهائية ص١٠١، وعقيدة ختم النبوة ص٢٢٣ ـ ٢٢٤، والحراب في صدر البهاء والباب ص٣٢٧ ـ ٣٣٦.

(٣) مفتاح باب الأبواب لميرزا خان ص٣٧٧ وانظر: تهافت البابية والبهائية ص١٠١.

(٤) انظر: البهائية تاريخها وعقيدتها ص٢١٢ ـ ٢١٣، والبهائية والنظام العالمي (٢/ ١٨٣ ـ ١٨٤)، وتهافت البابية والبهائية ص١٠٦.

الباب كما يزعم أتباعه[١]، يقول في كتابه «الأقدس»: «من يقرأ آية من آياتي لخير له من أن يقرأ كتب الأولين والآخرين هذا بيان الرحمٰن إن أنتم من السامعين»[٢].

وقد أدت مقولة «البهاء» في حقيقة النبوة إلى تماديه في ضلاله وتدرجه في انحرافه حتى وصل به الأمر إلى الجهر بدعوى الألوهية، فزعم أنه الإلٰه؛ أي: أن الله حل في صورته وتجلى في جسده، ولهذا لقب نفسه في كتبه بأسماء الله وصفاته، مثل الرب والرحمٰن ومالك الرقاب والخالق، وغير ذلك من الأسماء والصفات التي هي من خصائص الله دون غيره[٣].

يقول البهاء مصرحاً بالألوهية: «يا ملأ الإنشاء اسمعوا نداء مالك الأسماء، إنه يناديكم من شطر سجنه الأعظم، أنه لا إلٰه إلا هو المقتدر المتكبر المتسخر المتعالي العليم الحكيم»[٤]، ويقول: «لو آمنتم بالله حين ظهوره ما أعرض عنه الناس...»[٥] وقد كان أتباعه يدعونه بالرب والإله ويضفون عليه كثيراً من الصفات التي لا تكون إلا لله تعالى[٦]، وقد كان البهاء يضع برقعاً على وجهه عند مخاطبة أصحابه، ويدعي أن بهاء الله المتجلي في وجهه لا يرى بالأبصار[٧].

ولم يزل البهاء محاداً لله ورسوله بما احتال به على الناس من خرافة وما

(١) انظر: تهافت البابية والبهائية ص١٠٢ ـ ١٠٣، وغلاة الشيعة ص٢٨٦، وحقيقة البابية والبهائية ص٢٠٣ ـ ٢٠٤.

(٢) الأقدس ص٢٢٧ وانظر: حقيقة البابية والبهائية ص١٦٣.

(٣) انظر: غلاة الشيعة ص٢٩٠ ـ ٢٩١، وعقيدة المسلمين (٢/ ٣٧٥)، والمذاهب الإسلامية ص٢١٦، والبهائية والنظام العالمي (٢/ ١٥٤ ـ ١٥٥).

(٤) الأقدس ص٤١٩ ملحق بكتاب مفتاح باب الأبواب ص٣٨٧ ـ ٤٣٢.

(٥) المرجع السابق ص٤٢٦ وانظر: غلاة الشيعة ص٢٩٢.

(٦) انظر: الحراب في صدر البهاء والباب ص٢٨٣ ـ ٢٨٤، وتهافت البابية والبهائية ص١١٧، وغلاة الشيعة ص٢٩٢، والبهائية لإحسان إلٰهي ص٦٨ ـ ٨٨.

(٧) انظر: فرق معاصرة (١/ ٤٢٨)، والموجز في الأديان ص١٦١، والبهائية والقاديانية د. أسعد السحمراني ص٨٢ ـ ٨٣.

جلبه لهم من كفر وزندقة حتى أخذه الله تعالى فأهلكه بمدينة عكاء سنة (١٣٠٩هـ)[١]، بعد أن استخلف على زندقته ولده الأكبر الميرزا عباس الملقب بغصن الله الأعظم، المولود بطهران سنة (١٢٦٥هـ)، وقد نص البهاء على هذه الوصية في كتابه الأقدس بقوله: «إذا غيض بحر الوصال وقضى كتاب المبدأ والمآل، توجهوا إلى من أراده الله الذي انشعب من هذا الأصل القديم...»[٢]، ويريد البهاء بـ«الأصل القديم» نفسه، وقد أوصى البهاء بالأمر بعد ابنه عباس لابنه الثاني الميرزا محمد علي الملقب بغصن الله الأكبر[٣].

وبعد أن أسندت إلى عباس زعامة البهائية لقب نفسه بعبد البهاء، وقبض على أزمة الأمور، ودان له البهائيون، ولم يعارض في خلافته أحد لإخلاصهم لأبيه، بل قدسوه تقديسهم لأبيه البهاء[٤].

وقد كان عبد البهاء على إلمام كامل بالمدنية الأوربية والثقافة العربية، فأدخل بعض التجديدات على شريعة أبيه مما يزعم أنه من مقتضيات المدنية، وسعى تدريجياً في التوفيق بين أفكار البهائية وصور التفكير الغربي[٥]، غير أن ذلك الفعل أثار عليه إخوته لا سيّما أخوه محمد علي، وتبعهم من تبعهم من البهائية إذ أنكروا ما فعله عباس من التغيير والتبديل في شريعة البهاء، وبذلك انقسمت البهائية إلى فرقتين؛ فرقة بقيت مع العباس وأيدته على فعله، وهؤلاء هم الأكثر، وقد أطلق عليهم «البهائية العباسية»، وفرقة اتبعوا أخاه محمد علي، وقد أطلق عليهم أتباع العباس لقب «الناقضون»، وقد اشتدت العداوة

---

(١) البهائية تاريخها وعقيدتها ص١٤٧، والأعلام (٢/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩)، والحراب في صدر البهاء والباب ص٢٦٨.

(٢) الأقدس ص٤١٧ وانظر: تهافت البابية والبهائية ص١٣٣ ـ ١٣٤.

(٣) تهافت البابية والبهائية ص١٣٤، والبهائية تاريخها وعقيدتها ص١٤٨، وفرق معاصرة (١/ ٤٣٠).

(٤) جامع الفرق والمذاهب الإسلامية ص٤٦، وتاريخ المذاهب الإسلامية لمحمد أبو زهرة ص٢٢٠، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٦م، والبهائية والقاديانية ص٧٦ ـ ٧٧.

(٥) انظر: تاريخ المذاهب الإسلامية ص٢٢٠، والبهائية تاريخها وعقيدتها ص١٥٨، والموجز في الأديان والمذاهب ص١٦٣.

بين الفرقتين، حتى بلغ الأمر إلى تكفير بعضهم لبعض، بل بلغت عداوة كل منهما للآخر أشد من عداوتهم جميعاً لمن طعن في معتقداتهم وقال ببطلان ديانتهم[١].

وقد استمر العباس زعيماً للبهائية رغم معارضة إخوته له، إذ كان داهية وذا شخصية جبارة لدرجة أن معظم المؤرخين للحركة البهائية يقولون بأنه لولا العباس لما قامت للبهائية قائمة بعد البهاء، لأنه كان حازماً وسياسياً بارعاً، وقد كان العباس مع حزمه ودهائه وثقافته العصرية له معرفة بالملل والأديان فاستغل ذلك كله في الدعوة إلى البهائية، فكان يخاطب أهل كل ملة ودين بما يوافق مشاربهم ويطابق مذاهبهم، فيراه المسلم في المسجد مؤدياً للصلاة[٢]، ويراه النصراني ممجداً للصليب، ويسمع منه الملحد ثناءه على إلحاده، غير أنه في حقيقته صهيوني يؤمن أن اليهود شعب الله المختار، وأن فلسطين يجب أن تكون وطناً لهم[٣].

وقد نشطت البهائية منذ تولي عبد البهاء زعامة البهائيين، وانتشرت الدعاية للبهائية بين النصارى واليهود والمجوس، وكثر أتباعها من أنصار تلك الديانات المختلفة، ووجدت البهائية من يقبل على اعتناقها في أمريكا وأوروبا، فاتخذت لها مركزاً في أمريكا بمدينة شيكاغو وذلك لكثرة من دخل

---

(١) انظر: تهافت البابية والبهائية ص١٣٨، وغلاة الشيعة ص٢٩٤ ـ ٢٩٥، وفرق معاصرة (١/ ٤٣١ ـ ٤٣٢).

(٢) وقد اغتر بعض المسلمين بتردده على المسجد، وظنوه من الدعاة المصلحين حتى انخدع به بعض العلماء والمثقفين، وممن انخدع به وبدعوته الأستاذ محمد عبده، حيث كان يجتمع بعباس أفندي أيام إقامته في بيروت، يقول رشيد رضا تلميذ محمد عبده: «وقد دهشت أشد الدهشة، إذ رأيت الإمام غير واقف على حقيقة دينهم ـ يعني: دين البهائية ـ ومصدقاً ما كان سمعه من زعيمهم الداهية عباس أفندي... حتى أوقفته على ذلك، وكان يجتمع بعباس أفندي أيام إقامته في بيروت، إذ كان عباس أفندي يتردد إليها، ويصلي الصلوات الخمس والجمعة...»، البهائية تاريخها وعقيدتها ص١٥٥.

(٣) انظر: البهائية تاريخها وعقيدتها ص١٥٦، وتهافت البابية والبهائية ص١٣٨، وحقيقة البابية والبهائية ص٢١٩ ـ ٢٢٠.

في دعوتهم من الأمريكان[١]، حتى توجه عدد كبير من السيدات الأمريكيات للحج إلى مقر «البهاء» بعكاء لكي يلتقطن من فيه ـ بزعمهن ـ حكم الهداية، كما هو معتقد البهائية[٢].

وبعد هذا الانتشار والنشاط الذي خطط له عبد البهاء هلك في ربيع الأول سنة (١٣٤٠هـ) بعد أن ترك له أتباعاً يعدون بالملايين في بلاد الفرس والهند وفي أوربا وأمريكا وغيرها من بلاد العالم[٣].

وبعد أن هلك عبد البهاء استلم زعامة البهائية حفيده شوقي أفندي رباني بوصية من عبد البهاء[٤]، ولقد جاء في الوصية: «يا أحباء عبد البهاء الأوفياء يجب أن تحافظوا كل المحافظة على فرع الشجرتين الرحمانيتين شوقي أفندي...»[٥] ولقب شوقي بولي أمر الله، غير أنه توفي بعد ذلك من غير أن يأتي بجديد، وذلك بمدينة لندن على أثر أزمة قلبية، ودفن هناك، وذلك سنة (١٣٧٧هـ)[٦].

ولما توفي شوقي ولم يوص بخليفة من بعده، اجتمع المجلس الأعلى للطائفة البهائية في فلسطين المحتلة وانتخب الصهيوني «ميسون» ـ وهو أمريكي معروف بانتمائه للصهيونية العالمية ـ رئيساً روحياً للطائفة البهائية في العالم[٧].

وهذا الفعل الذي قام به البهائيون يدل على العلاقة الوثيقة بين البهائية

---

(١) انظر: تاريخ المذاهب الإسلامية ص٢٢٠ ـ ٢٢١، والبهائية تاريخها وعقيدتها ص١٥٨، والأعلام (٣/ ٢٦١ ـ ٢٦٢).

(٢) انظر: غلاة الشيعة ص٢٩٦.

(٣) انظر: تهافت البهائية ص١٤٠، والأعلام (٣/ ٢٦١ ـ ٢٦٢)، والحراب في صدر البهاء والباب ص٢٩٦ ـ ٣٠١.

(٤) انظر: البهائية تاريخها وعقيدتها ص١٨٤، وفرق معاصرة (١/ ٤٣٢)، والأعلام (٣/ ١٧٩ ـ ١٨٠).

(٥) غلاة الشيعة ص٢٩٦، وانظر: البهائية والقاديانية ص٧٩.

(٦) انظر: جامع الفرق ص٤٧، والأعلام (٣/ ١٧٩ ـ ١٨٠).

(٧) انظر: حقيقة البابية والبهائية ص٢٢٨، والماسونية في أثوابها المعاصرة ص٥٣، وجامع الفرق ص٤٧.

واليهود حيث استخدم اليهود البهائية لتنفيذ أغراضهم الخبيثة من تشويه للإسلام، وتشكيك في أصوله، وبث لبذور الإلحاد والضلال بين أهله حتى تضعف ثقتهم بدينهم، ويتحقق لليهود ما خططوا له من إنشاء وطن قومي لهم في فلسطين، وسيادتهم على العالم[١].

ولذا لم يزل اليهود يحتضنون هذه الطائفة منذ نشأتها ويقدمون لزعمائها كل ما من شأنه خدمة البهائية وأهدافها الصهيونية، فقد استقبلت الصهيونية العالمية زعيم البهائية لما طردته الحكومة الإيرانية، وأسكنوه بمدينة عكا في فلسطين. ولما مات هذا الزعيم وتولى ابنه «عبد البهاء» روجت له أجهزة الإعلام الغربية، وعقدت له المؤتمرات الصحفية التي مجد فيها الاستعمار والصهيونية ضد الإسلام[٢].

وقد عقد أول مؤتمر للبهائية العالمية في إسرائيل وقرر «أن الحركتين اليهودية والبهائية متممتان لبعضهما البعض، وتجتمعان في أكثر النقاط»[٣].

بل ثبت أن المحافل البهائية في الوطن العربي كانت أوكار تجسس لصالح إسرائيل، لذا فقد صدر قرار مصري عام (١٩٦٠م) بحل المحافل البهائية الموجودة بمصر لإدانتها بالتجسس لصالح إسرائيل، كما صدر قرار مشابه في العراق وبعض الدول العربية يقضي بحل تلك المحافل[٤].

وهذا وغيره ـ مما تقدم ـ يؤكد لنا أن البهائية لم تكن إلا خلية من خلايا الصهيونية العالمية، هدفها هدم الإسلام وإضعاف المسلمين[٥].

ومما تقدم تتضح حقيقة البهائية وأنها لا تقل في زندقتها وإلحادها عن

---

(١) انظر: حقيقة البابية والبهائية ص٢٢٤ ـ ٢٢٩، وتهافت البابية والبهائية ص١٢٢.
(٢) انظر: البهائية تاريخها وعقيدتها ص١٦٥ ـ ١٧٦، والكفر ملة واحدة، لعمر مفتي ص٢٨ ـ ٢٩، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ، وحقيقة البابية والبهائية ص٢٣٢.
(٣) المذاهب والأفكار المعاصرة ص٣٧٨.
(٤) انظر: المذاهب والأفكار المعاصرة ص٣٧٨، والبهائية تاريخها وعقيدتها ص٤٠.
(٥) انظر: الماسونية في أثوابها المعاصرة ص٥٤، وحقيقة البابية والبهائية ص٢٢٤.

سلفها من فرق الزنادقة الكثيرة، وذلك لما تعتقده من العقائد الباطلة والتي تتلخص فيما يلي:

١ ـ ادعاء زعيمهم «البهاء» للنبوة وأنه أوحي إليه بكتاب «الأقدس»، وقد جاء ذلك امتداداً لدعوى «البهاء» بأنه خليفة الباب، ثم زعم أنه المهدي المنتظر، وهكذا حتى وصل إلى دعوى النبوة.

٢ ـ دعوى البهاء للألوهية، وأن الإلٰه حل في جسده، وتجلى فيه.

٣ ـ إنكارهم للقيامة وما يكون فيها من الأمور الغيبية، وتأويل هذه الحقائق بتأويلات باطلة.

٤ ـ الدعوة إلى دين موحد عالمي ـ كما يزعمون ـ يجمع الأديان كلها من اليهودية والنصرانية والإسلام وغيرها من الأديان.

٥ ـ تأويل الشرائع الإسلامية من صلاة وصيام وحج وغير ذلك من الشرائع بما يتناسب مع دعوتهم ويخدم أهدافهم.

٦ ـ تحويل القبلة إلى المكان الذي يقيم فيه «البهاء»[(١)].

وهذه العقائد التي تتبناها البهائية وتدعو إليها لا تختلف كثيراً عن عقائد سلفهم من البابية والباطنية وغيرها، بل هي وليدة من ولائد الباطنية تغذت من ديانات وآراء فلسفية هدفها إبطال الشريعة الإسلامية، وإن كانت تدعي الإسلام وقد تظاهر بعض زعمائها بالإسلام لما حل بين المسلمين حيث التزم بأحكام الشرع من صلاة وصيام، حتى اغتر به بعض المسلمين وظنوه عالماً مجتهداً من علماء الإسلام، وقد كان أتباعه يتظاهرون أمام المسلمين بالإسلام ويشهدون معهم الجمعة والجماعة، وقد قيض الله له ولأتباعه من هتك سترهم وفضح أمرهم، وبين للمسلمين حقيقة دعوتهم

---

(١) انظر: تهافت البابية والبهائية ص٨، وتاريخ المذاهب الإسلامية ص٢١٦، وفرق معاصرة (١/ ٤٣٣ ـ ٤٣٥)، والمذاهب والأفكار المعاصرة ص٣٧٧، وعقيدة المسلمين (٢/ ٣٧٤ ـ ٣٧٥)، والموجز في الأديان والمذاهب ص١٦١، والموسوعة الميسرة ص٦٣ ـ ٦٤.

وأصولهم الإسماعيلية الباطنية[(١)].

وبهذا يعلم أن فرقة البهائية تعد امتداداً لفرق الزنادقة خاصة الباطنية منها كالإسماعيلية والقرامطة وإن كانت هذه الفرقة تدعى الإسلام وتتظاهر به بين المسلمين إلا أنها في باطن أمرها تتفق مع الزنادقة الباطنية في عقائدهم الخبيثة المناقضة لدين الإسلام.

ولذا لما سمع علماء الإسلام بدعوة البهائية وعرفوا حقيقة أمرهم لم يترددوا في الحكم عليهم بالزندقة والكفر ونسبتهم إلى الباطنية والقرامطة الذين اشتهروا بالزندقة والإلحاد ـ كما تقدم ـ وهذه شهادة بعض العلماء الذين عاصروا فرقة البهائية وصرحوا بنسبتها للباطنية لما أظهرته من زندقة وإلحاد:

يقول الأستاذ محمد رشيد رضا في كلام له على «عباس أفندي» زعيم البهائية، وذلك لما قدم بلاد مصر سنة (١٣٢٨هـ): «إن عباس أفندي رجل عظيم سياسي جذاب الحديث، يخاطب كل أحد بما يرى أنه يرضيه ويعجبه، وكان منذ ثلاثين سنة يجيء بيروت[(٢)] فيصلي الصلوات الخمس مع المسلمين، وكذلك كان يعامل المسلمين في عكاء، يجتمع بالعالم السني فيوهمه أن فرقته لم يكن همها من الإصلاح إلا إزالة تعصب الشيعة وتقريبهم من أهل السُّنَّة... وهو في الحقيقة زعيم دين جديد في بعض تعاليمه ووسائله، وإن كان مبنياً على أصول الباطنية الذين منهم الإسماعيلية والقرامطة والدروز والنصيرية، وهم يدعون المسلمين إلى دينهم بدعوى أنهم منهم، ويريدون أن يجعلوهم على بصيرة في دينهم...»[(٣)].

---

(١) انظر: حقيقة البابية والبهائية ص٢١٩ ـ ٢٢٠، وتهافت البابية والبهائية ص١٣٨ ـ ١٤٠، وتاريخ المذاهب الإسلامية ص٣١٥، وحركات فارسية مدمرة، د. أحمد شبلي ص١٨٨، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٨م، والبهائية تاريخها وعقيدتها ص٥ ـ ٦.

(٢) بيروت بالفتح ثم السكون وضم الراء: مدينة مشهورة على بحر الشام تعد من أعمال دمشق، بينها وبين صيدا ثلاثة فراسخ، انظر: مراصد الاطلاع (١/ ٢٤٠).

(٣) مجلة المنار (١٠/ ١٣) الصادر في ٣٠/ ١٠/ ١٣٢٨هـ، وانظر: تهافت البابية والبهائية ص١٤١.

ويقول الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الأزهر الأسبق في الإجابة على سؤال حول البهائية واعتقاد مؤسسيها: «ليست البهائية بالنحلة المحدثة التي لم يتقدم لها في النحل المارقة عن الإسلام ما يشبهها، أو تتخذه أصلاً تبني عليه مزاعمها، وإنما هي وليدة من ولائد الباطنية تغذت من ديانات وآراء فلسفية ونزعات سياسية، ثم اخترعت لنفسها صوراً من الباطل... فالبهائية شأنهم شأن الباطنية في بغض الإسلام وموالاة خصومه...»[(١)].

ويقول الشيخ البليهي رَحِمَهُ اللَّهُ: «البهائية من الفرق والطوائف المخالفة لعقيدة أهل الإسلام في كل شيء، البهائية من طوائف الكفر والزندقة والإلحاد والفساد...»[(٢)].

ويقول الشيخ أبو زهرة عن زعيم البهائية: «كان اثنا عشرياً، ولكن تجاوز حدود ذلك المذهب، وجمع بينه وبين آراء منحرفة في المذهب الإسماعيلي، وفكرة الحلول التي قالها السبئيون، فجاء من هذا بمزيج واضح البعد عن العقيدة الإسلامية»[(٣)].

وأختم هذه الشهادات بشهادة «بروان» أحد المستشرقين المعجبين بدعوة البهائية مبيناً تطابق هذه الدعوة مع دعوة سلفها من الباطنية الزنادقة، يقول عن زعماء البهائية ودعاتها: «يظهر من ملامح هذه الشخصية الفارسية أنها لم تتغير منذ زمن أبي مسلم الخراساني إلى اليوم، حين يقوم الداعي البابي برحلاته التبشيرية المليئة بالأخطار بين إيران موطنه وبين فلسطين حيث يسكن قائده الروحي في المنفى، وقد وصفت هؤلاء الدعاة من خلال تجربتي الشخصية ومعرفتي لهم وكأنني أرى بينهم أبا مسلم وعبد الله بن ميمون القداح وحمدان قرمط والأبطال الآخرين في العصر العباسي من الدعاة الإسماعيلية، فقد كان هؤلاء الدعاة يتخذون إحدى المهن الرائجة كالتاجر والطبيب والقداح كوسيلة للتنكر، حتى إذا وصل إلى غايته بدأ بالدعوة،

---

(١) حقيقة البهائية لشيخ الأزهر محمد الخضر ضمن البهائية تاريخها وعقيدتها ص٥ ـ ١٥.

(٢) عقيدة المسلمين (٢/ ٣٧٤).

(٣) تاريخ المذاهب الإسلامية ص٢١٥.

وذلك باجتذاب قلوب جيرانه أولاً بإظهار التقوى والصلاح وبكثرة الصلاة وإيتاء الصدقة إلى أن يتم له بناء سمعة قوية ويجمع حوله من المعجبين بصلاحه وتقواه...»[١].

فهذه شهادة بعض العلماء الذين عاصروا هذه الطائفة وعرفوا حقيقتها بل وشهادة أعداء الإسلام على باطنية وزندقة طائفة البهائية، وما لم أذكره من أقوال العلماء المعاصرين لهذه الطائفة وشهاداتهم على زندقتها أكثر بكثير مما ذكرت[٢].

والخلاصة: أن البهائية فرقة من فرق الزنادقة الباطنية التي ظهرت في العصر الحديث متبنية لأفكار سلفها الزنادقة من السبئية والإسماعيلية والقرامطة والبابية وما أظهروه من العقائد الباطلة التي تدل دلالة واضحة على كفرهم وزندقتهم كادعاء الألوهية لزعيمهم «البهاء» وأن الإلٰه حل فيه، وادعاء النبوة لبعض زعمائهم، وإنكارهم للقيامة والبعث، وتأويلهم الشرائع الإسلامية بما يوافق أهدافهم، وغير ذلك مما يدل على كفرهم وزندقتهم.

ثالثاً: القاديانية:

القاديانية: هي إحدى فرق الزنادقة الباطنية التي تتخذ من الإسلام شعاراً لستر أغراضها الخبيثة وعقائدها الفاسدة[٣]، ويسميها أصحابها في بعض البلدان التي غزوها بـ«الأحمدية» تمويهاً على المسلمين أنهم ينتسبون إلى

---

(١) الأصول التاريخية لنحلة البابية والبهائية ص٥٨، نقلاً عن كتاب «لبروان» باللغة الإنكليزية.

(٢) انظر: البهائية تاريخها وعقيدتها لعبد الرحمٰن الوكيل فقد ربط ﷺ البهائية بأصولها الباطنية وأطال في ذلك، وتكلم على بعض فرق الزنادقة القديمة من السبئية والإسماعيلية وغيرهما وبين علاقتها بالبهائية ص٤١ وما بعدها، وانظر: تهافت البابية والبهائية ص١٤٢ ـ ١٤٧، فقد ذكر المؤلف، د. مصطفى عمران، جملة من أقوال علماء الإسلام في البهائية وما صرحوا به من كفرهم وزندقتهم.

(٣) انظر: البهائية والقاديانية د. أسعد السحمراني ص١٣٥، وفرق معاصرة (٢/٤٨٧)، وعقيدة المسلمين (٢/٣٦٨).

رسول الله ﷺ[١]، وقد نشأت هذه الفرقة في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي[٢].

والقاديانية نسبة إلى مؤسسها «الميرزا» غلام أحمد القادياني الهندي المولود بمدينة قاديان[٣] ببلاد الهند حوالي سنة (١٢٥٦هـ)، وقد اضطرب القادياني في أصل أسرته؛ فتارة يزعم أن أصل أسرته من المغول، وتارة يذكر أنها من فارس، وتارة يدعي أنه من بني فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وتارة يقول: إن أسرته من أصل صيني[٤].

وقد نشأ القادياني في بلده، وقرأ مبادئ العلوم الدينية والعربية على بعض الأساتذة، كما درس الطب القديم على والده الذي كان طبيباً ماهراً، وقرأ بعض الكتب الفارسية، غير أن دراسته عن الإسلام كانت مشوشة، فقد كان يغلط أغلاطاً فاحشة في الأمور المعروفة السهلة[٥]، وقد صرح ـ في كتبه ـ بأنه لم يتحصل له من العلوم الشرعية إلا شيء يسير جداً فقال: «لم يتفق لي التوغل في علم الحديث والأصول والفقه إلا كطل من الوبل»[٦].

---

(١) أراد القاديانيون بذلك التمويه على عوام المسلمين بأنهم ينتسبون إلى رسول الله ﷺ إذ إن من أسمائه الشريفة اسم «أحمد»، والحقيقة أنهم ينتسبون إلى أحمدهم الكذّاب وغلامهم القادياني. انظر: الموجز في الأديان والمذاهب ص١٤٤.

(٢) انظر: القاديانية دراسات وتحليل إحسان إلٰهي ص١٣٨، الرئاسة العامة للإفتاء بالمملكة العربية السعودية ١٤٠٤هـ، والمذاهب والأفكار المعاصرة ص٣٨١.

(٣) قاديان: هي قرية من قرى البنجاب ببلاد الهند، وقد كانت قاديان تسمى قديماً «إسلام بور»، وتبعد قاديان عن مدينة لاهور نحو ستين ميلاً. انظر: الأعلام (١/٢٥٦)، وتاريخ المذاهب الإسلامية ص٢٢٥، والقاديانية وخطرها على الإسلام لمصباح زاهدي ص٨٠، مؤسسة الرسالة ١٤١٢هـ.

(٤) انظر: القاديانية لإحسان إلٰهي ص١٢٥ ـ ١٢٦، وعقيدة ختم النبوة ص٢٤٢، وفرق معاصرة (٢/٤٨٩)، وحقيقة البابية والبهائية والقاديانية ص٧٧.

(٥) انظر: القاديانية لإحسان إلٰهي ص١٢٧ ـ ١٢٨، وما هي القاديانية للمودودي ص١٥ ـ ١٦، دار القلم ـ الكويت، ١٤٠٤هـ، وفرق معاصرة (٢/٤٩٠ ـ ٤٩١)، وعقيدة ختم النبوة ص٢٤٣.

(٦) التبليغ إلى مشايخ الهند ص٥٩ للغلام القادياني، نقلاً عن القاديانية لإحسان ص١٢٧.

وقد عمل القادياني كاتباً في المحكمة الابتدائية أيام احتلال الحكومة الإنكليزية لبلاد الهند، وكان يتقاضى مرتباً زهيداً[١]، وقد أصيب بأمراض فتاكة خطيرة ـ كما صرح بذلك في كتبه ـ من السل والصداع كما كان ينتابه نوبات عصبية تصل به إلى الإغماء، وكان يتداوى من أمراضه ببعض المسكرات[٢].

وقد بدأ القادياني حياته في تقشف وحاجة شديدة[٣]، ولم يكن معروفاً بين الناس بل كان خامل الذكر لا يعرف ولا يذكر، كما قال قاصداً نفسه: «وكان في أول زمنه مستوراً في زاوية الخمول، لا يعرف ولا يذكر، ولا يرجى منه ولا يحذر، وينكر عليه ولا يوقر، ولا يعد في أشياء يحدث بها بين العوام والكبراء، بل يظن أنه ليس بشيء ويعرض عن ذكره في مجالس العقلاء»[٤].

ومع هذه الأمراض والفقر وخمول الذكر فقد تمكن هذا الغلام القادياني من الزعامة والتسلط باسم الدين، وذلك بمساعدة الحكومة الإنكليزية التي كانت آنذاك محتلة لبلاد الهند[٥].

فقد احتضنت هذه الحكومة الغلام القادياني، وبذلوا لنصرته ما في وسعهم من الإمكانيات المادية والمعنوية، وذلك لتحقق بذلك أهدافها من تثبيط المسلمين عن الجهاد، وشغلهم بمقاومة هذه الطائفة، وتشويه الإسلام عن طريق أفكار طائفة القاديانية التي تدعي الإسلام وتنتسب إليه[٦]، إضافة إلى

---

(١) انظر: الأعلام (١/٢٥٦)، والقاديانية وخطرها على الإسلام لمصباح الدين زاهدي ص٣٤، والبهائية والقاديانية د. أسعد السحمراني ص١٣٦.

(٢) انظر: القاديانية لإحسان إلٰهي ص١٣٠ ـ ١٣٢، وما هي القاديانية ص١٦ ـ ١٧، والمذاهب والأفكار المعاصرة ص٣٨١.

(٣) انظر: فرق معاصرة (٢/ ٤٩١)، وعقيدة ختم النبوة ص٢٤٣.

(٤) ضميمة الوحي ص٣ للغلام القادياني نقلاً عن فرق معاصرة (٢/ ٤٩١).

(٥) انظر: القادياني والقاديانية دراسة وتحليل لأبي الحسن الندوي ص٧، دار السعودية ـ جدة، الطبعة الثالثة، ١٣٨٧هـ، والقاديانية وخطرها على الإسلام ص٨٢.

(٦) انظر: القاديانية لإحسان إلٰهي ص١٩ ـ ٣٣، والقاديانية وخطرها على الإسلام ص٤٥، والبهائية والقاديانية ص١٤٢، والمذاهب المعاصرة د. عبد الرحمٰن عميرة =

استغلال مراكز القاديانية ودعاتها في التجسس لصالح الاستعمار والصهيونية[١]، ولذا حرص القادياني وأتباعه على خدمة الإنكليز مكافأة لهم على ما بذلوه من مساعدات وتسهيلات، حتى عدوا ذلك واجباً عليهم، كما صرح بذلك غلام أحمد نفسه قائلاً: «نحن نتحمل كل البلايا لأجل حكومتنا المحسنة، وسنتحمل أيضاً في المستقبل لأنه واجب علينا أن نشكرها لإحسانها ومنتها علينا، ولا شك نحن فداء بأرواحنا وأموالنا للحكومة الإنكليزية، ودوماً ندعو لعلوّها ومجدها سراً وعلانية»[٢]، ولم يكتف هذا الغلام بذلك حتى ألف الكتب في وجوب طاعة الإنكليز وتأييدهم ومنع الجهاد، كما صرح بذلك في قوله: «وقد ألفت في منع الجهاد ووجوب طاعة أولي الأمر الإنكليز من الكتب والإعلانات والنشرات ما لو جمع بعضها إلى بعض لملأ خمسين خزانة، وقد نشرت جميع هذه الكتب في البلاد العربية ومصر والشام وتركيا، وكان هدفي دائماً أن يصبح المسلمون مخلصين لهذه الحكومة...»[٣].

وأما بداية أمر هذا الغلام القادياني وكيف تدرج في دعواه حتى وصل إلى الزندقة بادعاء النبوة ونزول الوحي عليه من ربه ـ كما يزعم ـ:

فقد بدأ القادياني في دعوته عام (١٨٨٠م) بالدفاع عن الإسلام والرد على الديانات والنحل السائدة في الهند آنذاك، وكان يزعم أنه مصلح ومجدد لدين الإسلام[٤] كما قال: «وكذلك أرسلت مجدداً ومحدثاً لآخر الزمان»[٥]، وقد تناول التعريف بالإسلام وإثبات فضله، ومن هنا بدأت الأنظار تتوجه إليه

= ص٢٧٥ ـ ٢٧٨، دار اللواء، الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤٠٤هـ.

(١) انظر: القاديانية وخطرها على الإسلام ص٥٠، والبهائية والقاديانية ص١٤٢ ـ ١٤٦.

(٢) كتاب آرية دهرم للغلام القادياني نقلاً عن القاديانية لإحسان إلٰهي ص٢٦، وانظر: البهائية والقاديانية ص١٤٣.

(٣) ترياق القلوب للغلام القادياني ص١٥ نقلاً عن البهائية والقاديانية ص١٤٤.

(٤) انظر: ما هي القاديانية ص٢١ ـ ٢٢، والبهائية والقاديانية ص١٣٨.

(٥) كتاب حمامة البشرى للغلام نفسه ص١٤٩ نقلاً عن عقيدة ختم النبوة ص٢٤٧.

وذاع صيته[١]، حتى انخدع به بعض المثقفين[٢]، وتمكن من اصطيادهم بهذا الطعم الذي جعله لهم ليقفوا معه فيما بعد، وذلك عندما يبدأ بإظهار حقيقة دعواه[٣].

وقد كان حريصاً أشد الحرص على أن يوضح موافقة عقائده لسائر عقائد المسلمين، وكان العلماء يتوجسون خلال كتاباته ضروباً من الادعاءات المبطنة ويحسبون لها حساباً، إذ كان يقول عن نفسه: إنه أفضل أولياء الأمة. غير أنه يعود فيحاول تأويل أقواله لإقناع العلماء بصحة عقيدته. ثم انتقل هذا الغلام إلى دعوى الإلهام وأن ما يقوله إنما هو إلهام من الله وهو بمثابة الوحي للأنبياء[٤].

وفي عام (١٨٨٨م) نادى في المسلمين ودعاهم إلى مبايعته بأنه «مأمور من الله» وأظهر للناس مماثلته للمسيح من التواضع والمسكنة، زعماً منه أنه لا يقوم بمهمة الدعوة إلا بمثل ما كان عليه المسيح[٥].

وفي سنة (١٨٩١م) أعلن أن المسيح قد مات، وادعى أنه هو المسيح الموعود وأنه هو المهدي المعهود[٦]. يقول القادياني عن نفسه: «ثم بقيت إلى اثنتي عشرة سنة ـ وهي مدة مديدة ـ غافلاً كل الغفلة عن أن الله تعالى قد

---

(١) انظر: حقيقة البابية والبهائية والقاديانية د. سامي عطا ص٧٩، دار الرشاد، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ، وفرق معاصرة (٢/ ٥١١).

(٢) ومن هؤلاء المثقفين والكتاب الأستاذ العقاد، فقد دافع عن القادياني واعتبره مجدداً ونفى عنه دعوى النبوة فقال: «إنه لم يثبت أن الغلام القادياني ادعى النبوة... وإنما ادعى فقط أنه مجدد القرن الرابع عشر...»، المذاهب المعاصرة لعبد الرحمٰن عميرة ص٢٨٩.

(٣) انظر: حقيقة البابية والبهائية والقاديانية ص٧٩.

(٤) انظر: القادياني والقاديانية ص٣٩ ـ ٤٧، وفرق معاصرة (٢/ ٥١٣ ـ ٥١٤)، والقاديانية فئة كافرة ص٧٨ ـ ٨٣، المحكمة الشرعية الفيدرالية بباكستان، بتعريب محمد بشير، دار الطحاوي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

(٥) انظر: القاديانية لإحسان إلٰهي ص١٣٨، وما هي القاديانية ص٢٢.

(٦) انظر: ما هي القاديانية ص٢٢. والأعلام للزركلي (١/ ٢٥٦)، وفرق معاصرة (٢/ ٥١٨).

خاطبني بالمسيح الموعود بكل إصرار وشدة في البراهين وما زلت على عقيدة نزول عيسى العامة، ولكن لما انقضت اثنتا عشرة سنة، آن أن تنكشف عليّ العقيدة الثابتة، فتواتر عليّ الإلهام إنك أنت المسيح الموعود»[١].

وفي سنة (١٩٠٠م) بدأ الخواص من أتباعه يلقبونه بالنبي صراحة، أما القادياني فكان يصدقهم تارة، وتارة يحاول تأويل نبوته بالنبي المتبع أو النبي الجزئي[٢].

وفي سنة (١٩٠١م) أعلن القادياني صراحة أنه نبي مستقل، وأنه أفضل من جميع الأنبياء والمرسلين[٣]، ومنذ هذه السُّنَّة التي أعلن فيها نبوته وهو يصرح بذلك في مؤلفاته ورسائله ومن ذلك قوله: «لقد حُرم الذين سبقوني من الأولياء والأبدال والأقطاب من هذه الأمة المحمدية من النصيب الكبير من هذه النعمة، ولذلك خصني الله باسم النبي، أما الآخرون فلا يستحقون هذا الاسم»[٤].

بل صرح هذا الغلام بما صرح به من قبله من الزنادقة بادعاء الإلٰهية، فأخبر أنه رأى في المنام أنه هو الله، فأعاد خلق السمٰوات والأرض، وفي ذلك يقول: «ورأيتني في المنام عين الله وتيقنت أنني هو ولم يبق لي إرادة ولا خطرة... ونظرت إلى جسدي فإذا جوارحي جوارحه وعيني عينه وأذني أذنه ولساني لسانه أخذني ربي واستوفاني وأكد الاستيفاء حتى كنت من الفانين... وبينما أنا في هذه الحالة كنت أقول نريد نظاماً جديداً سماء جديداً وأرضاً

---

(١) الإعجاز الأحمدي، ملحق نزول المسيح ص٧، وحقيقة الوحي ص١٤٩ نقلاً عن ما هي القاديانية ص٢٢ ـ ٢٣.

(٢) انظر: ما هي القاديانية ص٢٣، وحقيقة البابية والبهائية والقاديانية ص٨١ ـ ٨٢، والقادياني والقاديانية ص٦٨ ـ ٧٠.

(٣) انظر: القاديانية لإحسان إلٰهي ص١٣٨، وما هي القاديانية ص٢٤، وعقيدة ختم النبوة ص٣٤٩، وتاريخ المذاهب الإسلامية ص٢٢٧.

(٤) حقيقة الوحي للغلام القادياني ص٩، نقلا عن القادياني والقاديانية ص٧٣، وانظر: حقيقة البابية والبهائية والقاديانية ص٨٢.

جديداً فخلقت السمٰوات والأرض أولاً بصورة إجمالية لا تفريق فيها...»[(١)] تعالى الله عن قوله علواً كبيراً.

وهذه الدعوى وإن كانت أعظم من ادعاء النبوة، إلا أن تركيز القادياني على دعوى النبوة كان أكثر، حيث كان يكرر دعوى النبوة، ويكثر من ذكرها في كلامه نثراً وشعراً، كما في قوله في تذكرته: «إنّا أرسلنا أحمد إلى قومه فأعرضوا وقالوا كذّاب أشر»[(٢)].

ومن شعره في دعواه النبوة قوله:

تخيرني الرحمٰن من بين خلقه له الحكم يقضي ما يشاء ويأمر[(٣)].

وقوله:

يا معشر الأعداء توبوا واتقوا والله إني مرسل ومقرب[(٤)].

ولما كان تركيز القادياني على مسألة النبوة أكثر من دعواه الألوهية، اشتهرت عنه أكثر من دعوى الألوهية، حيث إنه لم يذكر ادعاء الألوهية إلا في بعض كتبه، وقد ذكرها على أنها رؤيا منامية بخلاف ادعاء النبوة، فقد صرح بها وذكرها في غالب كتبه ورسائله حتى اشتهرت عنه هذه الدعوى ـ كما تقدم ـ.

ومع ادعاء القادياني للألوهية والرسالة فقد أخبر بوقوع بعض النبوءات من الأمور الغيبية جرياً منه على طريقة الرسل حينما يخبرون بما يقع في المستقبل مما يصل إليهم عن طريق الوحي. وقد أخبر القادياني بتنبؤات كثيرة منها ما يتعلق بحياته الشخصية ومنها ما يتعلق بغيره، إلا أن تلك النبوءات لم تقع كما أخبر بل وقعت على خلاف قوله، فكان ذلك دليلاً واضحاً على كذبه وافترائه[(٥)]، ومن تلك التنبؤات التي أخبر بها ما يلي:

---

(١) تذكرة وحي مقدس للغلام القادياني ص١٩٥ ـ ١٩٧ نقلاً عن عقيدة ختم النبوة ص٢٤٩.

(٢) تذكرة وحي مقدس للغلام ص٤٠٣ نقلاً عن عقيدة ختم النبوة ص٢٤٩.

(٣) در ثمين للغلام ص٢١٨ نقلاً عن عقيدة ختم النبوة ص٢٤٩.

(٤) المرجع السابق ص١٤٣ نقلاً عن عقيدة ختم النبوة ص٢٥٠.

(٥) انظر: القاديانية لإحسان ص١٦٠ ـ ١٦٣، وفرق معاصرة (٢/ ٥٣٠).

١ ـ أن القادياني أحب امرأة تسمى «محمدي بيجوم»، فأراد الزواج منها، فلم يستجب له والدها. فما كان من القادياني إلا أن أصرّ على زواجها، وزعم أن الله أوحى إليه أنها ستكون زوجة له، وأن الله وعده بذلك، وأنه لا بد أن يتزوجها ولو بعد حين، وأن من يقدم على زواجها غيره فإنه يموت بعد فترة حددها القادياني، ثم إن هذه المرأة تزوجت من غيره، فزعم أنها لابد أن ترجع إليه لما أخبر به من قبل. وأن زوجها سيموت قريباً[(١)]. فقال بعد زواجها من غيره: «هذا صحيح بأن «محمدي بيجوم» ما زوجت لي، ولكنها قطعاً سوف تزوج لي كما ذكر في النبوءة... وأن المرأة لا تزال على قيد الحياة حتى ترجع إلي...»[(٢)]، ومع ذلك فقد هلك القادياني ولم يتزوجها، وعاشت هذه المرأة مع زوجها بعد هلاك القادياني أكثر من أربعين سنة[(٣)]، وحق على القادياني قوله متحدياً عدم وقوع ذلك له: «إن لم يتحقق هذا النبأ ـ أي: زواجه من المرأة ـ فأكون أخبث الخبثاء...»[(٤)].

٢ ـ أن القادياني أخبر بموت رجل من المسلمين كان يناظره ويكذبه في دعواه، فغضب عليه القادياني، وزعم أنه أوحي إليه أن هذا الرجل واسمه «عبد الحكيم» سوف يموت قريباً في حياة القادياني، فكانت النتيجة على عكس ذلك، حيث مات القادياني في حياة عبد الحكيم، وعاش عبد الحكيم بعد موت القادياني زمناً[(٥)].

ورغم ما حصل للقادياني من الفشل في هذه التنبؤات فإنه لم يتوقف عن تلك التنبؤات بل أكثر من ذلك ولم يتعظ بما حصل له من الكذب في كل

---

(١) انظر: القاديانية لإحسان ص١٦٧ ـ ١٦٩، والقاديانية فئة كافرة ص٥٩، وعقيدة ختم النبوة ص٢٥٣.

(٢) إعلان الغلام القادياني، المندرج في كتاب «منظور إلهي» ص٢٤٤، نقلاً عن القاديانية لإحسان ص١٧٢.

(٣) انظر: القاديانية لإحسان ص١٧٣، والبهائية والقاديانية ص١٣٧، وفرق معاصرة (٢/ ٥٣١).

(٤) ضميمة أنجام آثم للغلام القادياني ص٥٤ نقلاً عن القاديانية لإحسان ص١٧١.

(٥) انظر: القاديانية لإحسان ص١٨٢ ـ ١٨٣.

حادثة، وقد حرص أتباعه على عدم افتضاح أمرهم بظهور كذب نبيهم المزعوم، فراحوا يفسرون تلك التنبؤات تفسيرات متكلفة ليوهموا الناس بصدق زعيمهم، وأنى لهم ذلك مع كثرة تلك التنبؤات التي ظهر فيها كذب غلامهم القادياني[١].

وأخيراً مات القادياني بعد أن عاش (٦٨ أو ٦٩) سنة، وظهر كذبه حياً وميتاً حيث زعم أن الله ﷻ قد أخبره بأنه سيعيش ثمانين سنة، فمات قبل ذلك بسنوات وظهر كذبه بموته.

يقول في أحد كتبه مبيناً هذا الخبر الذي يزعم أنه بشر به من ربه: «لكن الله بشرني بأني أعمر ثمانين سنة وأكثر»[٢]، وكانت وفاته سنة (١٩٠٨م) بعد إصابته بمرض الهيضة (الكوليرا)[٣] ودفن بقاديان، مما أعطى هذه المدينة قداسة لدى القاديانيين، حيث اتخذوا قاديان مقراً لحجهم زاعمين أنه يتساوى مع الحج إلى بيت الله الحرام[٤].

وبعد وفاة الغلام القادياني بايع القاديانية صديقه نور الدين البهيروي ولقب بالخليفة الأول، وهذا الرجل هو الذي اقترح على الغلام القادياني الادعاء بأنه المسيح الموعود، وهو أول من بايعه على نبوته[٥]، غير أن بعض القاديانية لم يكونوا راضين عن هذا الخليفة المزعوم وجموده على مزاعم الغلام القادياني مما تسبب في انقسام القاديانية إلى فرقتين:

الأولى: فرقة قاديان بزعامة نور الدين، وهؤلاء يعتقدون بنبوة الغلام، وأنه مسيح موعود، ومهدي معهود، وأنه أفضل من جميع الأنبياء والمرسلين، وأن من لم يؤمن به فهو كافر يدخل نار جهنم، وهذه الفرقة يطلق عليهم «الأحمديون» أي: أتباع «غلام أحمد» الذين جهروا بتعليماته ولم يكتموا شيئاً منها. وقد

---

(١) انظر: فرق معاصرة (٢/ ٥٣٤).

(٢) مواهب الرحمٰن للغلام القادياني ص٢١ نقلاً عن القاديانية لإحسان ص١٨٣.

(٣) انظر: القاديانية لإحسان ص١٨٤، وما هي القاديانية ص١٩.

(٤) انظر: البهائية والقاديانية ص١٤١.

(٥) انظر: حقيقة البابية والبهائية والقاديانية ص٨٣، والقادياني والقاديانية ص٢٨.

استمر نور الدين زعيماً لهذه الفرقة إلى أن هلك سنة (١٩١٤م) واستخلف على الزعامة، نجل «غلام أحمد» الأكبر، واسمه «بشير الدين محمود»، وقد استمرت زعامة هذه الفرقة في أسرة الغلام القادياني وصارت ملكاً لهم[١].

الثانية: فرقة لاهور بزعامة «محمد علي اللاهوري»، وهؤلاء أظهروا للناس أن الغلام القادياني لم يدع النبوة وإنما كان مجدداً ومصلحاً، ولم يكفروا من خالفه، وإنما حكموا على مخالفيه بالفسق والفجور. فكتموا نبوة الغلام القادياني، ولعل ذلك إنما وقع بإيعاز من الاستعمار الإنكليزي، لما رأوا إعراض المسلمين عن دعوة القاديانية، فأرادوا تقريب هذه الدعوة إلى المسلمين عن طريق كتمان بعض آراء الغلام التي تسببت في إنكار هذه الدعوة والتحذير منها[٢]، وهذا ما أشار إليه أحد القاديانية اللاهورية بقوله: «يا ليت أن القاديانية كانت تظهر غلام أحمد بصورة غير النبي... ولو فعلوا هذا لكانت القاديانية دخلت في أنحاء العالم كله»[٣] وقد بقيت زعامة هذه الفرقة لمحمد علي حتى وفاته، ثم صارت ملكاً خاصاً يتوارثه أقرباؤه[٤].

والقاديانية بفرقتيها تخالف المسلمين في مسائل كثيرة سوى دعوى النبوة، إلا أن فرقة لاهور لا تظهر ذلك محاولة منهم في خداع المسلمين لجذب أكبر عدد من المسلمين إلى ديانتهم، ثم يُدّرس كل من دخل في ديانتهم حقيقة دعوتهم تدريجياً حتى يؤمن بنبوة القادياني ويعتقد ما يعتقده من العقائد والأحكام المخالفة لشريعة المسلمين[٥]، وأهم تلك العقائد التي تعتقدها القاديانية مخالفة بها الأمة الإسلامية ما يلي:

---

(١) انظر: القاديانية لإحسان ص٢٥٠ ـ ٢٥٢، والبهائية والقاديانية ص١٤١، والقاديانية وخطرها على الإسلام ص٦٣ ـ ٦٨.

(٢) انظر: القاديانية لإحسان ص٢٤٨.

(٣) انظر: جريدة القاديانية اللاهورية بيغام صلح ١٩٣٤م نقلاً عن القاديانية لإحسان ص٢٤٨.

(٤) انظر: القاديانية وخطرها ص٦٩ ـ ٧٠، والقاديانية لإحسان ص٢٥٠ ـ ٢٥٢.

(٥) انظر: القاديانية لإحسان ص٢٤٨.

أهم عقائد القاديانية:

١ ـ تعتقد القاديانية في الله ﷻ عقيدة غريبة متناقضة، أخذاً من كلام غلامهم «النبي المزعوم» الذي تخبط في كلامه عن الله تعالى بكلام ينقض بعضه بعضاً لا يمكن أن يصدر حتى من المجنون الذي لا عقل له، فتارة يذكر أن الله حل فيه وأنه هو الله فيقول: «إن الله نزل فيّ، وأنا واسطة بينه وبين المخلوقات كلها»[١]، وتارة يدعي أنه ابن الله، فيقول: «قال لي الله أنت من مائنا وهم من فشل»[٢] ويقول: «خاطبني الله بقوله: اسمع يا ولدي»[٣]، ومع هذه الأقوال التي تدل على كفره وزندقته فقد زاد على ذلك حيث شبه الله بخلقه، فزعم أن الله يصوم ويصلي، وينام ويصحو، فيقول: «قال لي الله: إني أصلي وأصوم وأصحو وأنام»[٤]، إلى غير ذلك من أقواله التي يتنزه الله تعالى عنها، فإنه سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ٥].

٢ ـ وأما عقيدة القاديانية في الأنبياء فقد بناها غلامهم القادياني على التناسخ فيما بينهم، وقد قال ذلك ليصل إلى تثبيت بعثته ونبوته، ولأجل هذه العقيدة زعم أن إبراهيم ﷺ ولد مرة أخرى في بيت عبد الله بن عبد المطلب بمكة وسمي بمحمد، فيقول: «إن مراتب الوجود دائرة، وقد ولد إبراهيم بعادته وفطرته ومشابهته القلبية بعد وفاته بنحو ألفي سنة وخمسين في بيت عبد الله بن عبد المطلب وسمي بمحمد ﷺ»[٥]، وقد استغل هذه العقيدة الباطلة فادعى أنه إبراهيم ﷺ وفي ذلك يقول قاصداً نفسه: «إني معك يا إبراهيم إني ربك الأعلى...»[٦]، وادعى أنه عيسى ابن مريم ﷺ، فقال:

---

(١) كتاب البرية للغلام القادياني ص٧٥ نقلاً عن القاديانية لإحسان ص١٠٠.
(٢) كتاب أنجام آتم للغلام القادياني ص٥٥ نقلاً عن القاديانية لإحسان ص١٠٠.
(٣) البشرى للغلام القادياني (١/ ٤٩) نقلاً عن القاديانية لإحسان ص١٠٠.
(٤) البشرى للغلام القادياني (٢/ ٩٧) نقلاً عن القاديانية لإحسان ص٩٧.
(٥) ترياق القلوب للغلام القادياني ص١٥٥، نقلاً عن فرق معاصرة (٢/ ٥٤٣).
(٦) تذكرة وحي مقدس للغلام ص٧٤٢ نقلاً عن عقيدة ختم النبوة ص٢٤٨.

«الحمد لله الذي جعلك المسيح ابن مريم»[١]، كما ادعى أنه آدم وداود ومحمد عليهم الصلاة والسلام[٢]، ومع قول القادياني بالتناسخ بين الأنبياء فهو يرى أنه أفضل من جميع الأنبياء والمرسلين بما فيهم محمد ﷺ، يقول القادياني الكذاب:

٣ ـ «وآتاني ما لم يؤت أحداً من العالمين»[٣]، ويقول أيضاً: «أنا وحدي أعطيت كل ما أعطي لجميع الأنبياء»[٤].

٤ ـ والقاديانية تنكر القيامة والأمور الغيبية التي تقع بعد ذلك، كما نص على ذلك القادياني بقوله: «القيامة ليست آتية، والتقدير ليس بشيء»[٥]، ويرى أن الملائكة هم حرارة الروح فيقول ـ قبحه الله ـ: «لا تتنزل الملائكة ولا ملك الموت إلى الأرض أبداً، وما الملائكة إلا اسم لحرارة الروح»[٦].

٥ ـ القاديانية يعتقدون بأنهم أصحاب دين مستقل وشريعة جديدة لها نبيها وهو الغلام القادياني، ولها كتابها المقدس وهو المسمى عندهم بـ«كتاب مبين»، وقد جاء في مقال أحد القاديانية في جريدة «الفضل» القاديانية: «أن الله أظهر هذه الرسالة في خرابة قاديان وانتخب لهذه المهمة غلام أحمد. . . وقال له أنا أبلغ اسمك إلى أقصى العالم وأؤيدك بالقوة، وأغلب دينك الذي جئت به على الأديان كلها. . .»[٧].

---

(١) حمامة البشرى للغلام ص٣٧٨ نقلاً عن عقيدة ختم النبوة ص٢٤٧، ومع هذا الادعاء فقد كان يسب هذا النبي الكريم، ويتهمه بالتكبر، وشرب الخمر، وادعاء الألوهية، فيقول ـ قبحه الله ـ عن عيسى عليه السلام: «**كان يشرب الخمر، وكان عدو الصدق، متكبراً، أكالاً، يدعي الألوهية، مجتنباً العبادة والزهد، الكذاب المدعي للألوهية والنبوة**» مكتوبات أحمد للقادياني ص٢٣ نقلاً عن حقيقة البابية والبهائية والقاديانية ص٨٨.

(٢) انظر: البهائية والقاديانية ص١٥٥.

(٣) ضميمة حقيقة الوحي للغلام القادياني ص٨٧ نقلاً عن القاديانية لإحسان ص١٠٥.

(٤) در ثمين للغلام ص٢٨٧ نقلاً عن القاديانية لإحسان ص١٠٥.

(٥) إزالة الأوهام للغلام ص٢ نقلاً عن حقيقة البابية والبهائية والقاديانية ص٨٨.

(٦) توضيح المرام للغلام ص٥٢ نقلاً عن حقيقة البابية والبهائية والقاديانية ص٨٨.

(٧) جريدة «الفضل» ١٩٣٥م، نقلاً عن القاديانية لإحسان ص١١٠.

كما يعتقد القاديانية بأن من بين هذه الطائفة من يستحق لقب «الصحابة» وهم الذين صحبوا الغلام القادياني، وقد نص الغلام على صحبتهم بقوله: «إن كل من دخل في جماعتي فقد دخل في جماعة أصحاب رسول الله ﷺ»[(١)].

٦ ـ يكفرون كل من لم يدخل في ديانتهم ولا يقر بنبوة كذابهم القادياني، كما نص على ذلك محمود ابن الغلام القادياني فقال: «إن جميع المسلمين الذين لم يشتركوا في مبايعة المسيح الموعود ـ أي: القادياني ـ كافرون خارجون عن دائرة الإسلام، ولو كانوا لم يسمعوا باسم المسيح الموعود»[(٢)]، ويقول أيضاً: «من الواجب علينا أن لا نعتبر غير الأحمديين مسلمين وألا نصلي خلفهم، إذ إنهم عندنا كفروا بنبي من أنبياء الله»[(٣)].

٧ ـ القاديانية لا يرون الجهاد بالسلاح بل يعدونه من العنف، ومن يجاهد ـ عندهم ـ فهو عدو لله، والجهاد ـ عندهم ـ إنما يكون باللسان فقط، يقول القادياني: «سيصول عليّ شرير أو ضرير، ويقول ويحك أتحرم الجهاد وإنا ننتظر المهدي الذي يسفك الدماء ويفتح البلاد، ويأسر كل من رأى الكفر والعناد، فالجواب أن هذه القصص ما ثبتت بالقرآن، بل يأتي المهدي بوقار وسكينة لا كمجنون بالسيف والسنان»[(٤)]، ويركز القاديانية على تحريم جهاد الدولة البريطانية، وقد نص على ذلك القادياني بقوله: «ولا يجوز عندي أن يسلك رعايا الهند من المسلمين مسلك البغاة وأن يرفعوا على هذه الدولة المحسنة سيوفهم...»[(٥)].

هذه أهم العقائد التي نادى بها القاديانيون، إضافة إلى ما تقدم ذكره من ادعاءات القادياني للإلهية والنبوة والولاية.

ومع هذه العقائد المنحرفة المخالفة للشريعة الإسلامية بل لجميع الأديان

---

(١) خطبة إلهامية للغلام القادياني ص٢٥٨ ـ ٢٥٩ نقلاً عن القاديانية فئة كافرة ص١٦٥.
(٢) آئينة صداقت «مرآة الصدق» لمحمود أحمد ص٣٥ نقلاً عن ما هي القاديانية ص٧٤.
(٣) أنوار الخلافة لمحمود أحمد ص٩٠ نقلاً عن ما هي القاديانية ص٧٦.
(٤) الهدى والتبصرة للغلام القادياني ص٢٣ نقلاً عن عقيدة ختم النبوة ص٢٥٥.
(٥) حمامة البشرى ص١٤١ نقلاً عن عقيدة ختم النبوة ص٢٥٥.

السماوية فقد انتشرت القاديانية في كثير من بلدان العالم وصار لها مراكز تنطلق منها وتمارس فيها أنشطتها المختلفة، حتى زادت مراكز القاديانيين على ٢٩ مركزاً موزعة بين الدول الشرقية الآسيوية والولايات المتحدة وأوربا[١]، كما أن لهم مركزاً كبيراً قرب مدينة حيفاء[٢] بفلسطين تبناه اليهود لتحقيق أهدافهم عن طريق هذه الطائفة الخبيثة، ويصدر هذا المركز مجلة «البشرى» وهي أهم مجلة للقاديانيين تصدر مطلع كل شهر، كما تم طبع كثير من النشرات والكتب القاديانية في هذا المركز وتم توزيعها في بلدان الشرق الأوسط والعالم العربي[٣]، وبالمقابل يقوم القاديانيون بالتجسس لصالح اليهود من خلال مراكزهم الموزعة في العالم، خاصة ما كان منها في البلاد العربية والإسلامية[٤].

وقد أقام القاديانيون في أماكن تواجدهم الكثير من المدارس والمساجد والمكتبات إضافة إلى المستشفيات ودور الرعاية الاجتماعية، حتى كثر أتباعهم. وقد صرح أحد القاديانيين بأن أتباعهم أكثر من مليوني شخص في مختلف دول العالم، كما كان لهم نشاط قوي في الصحافة، حيث حرصوا على إصدار عدة مجلات بلغات مختلفة لنشر عقائدهم وأفكارهم المنحرفة[٥].

ولا شك أن مثل هذه الجهود الجبارة لا يمكن أن تصدر عن هذه

---

(١) انظر: القاديانية لإحسان ص١٥ ـ ١٦، وحقيقة البابية والبهائية والقاديانية ص٩٤ ـ ٩٥.

(٢) حيفاء: حصن على ساحل بحر الشام قرب يافا، وهو اليوم مدينة بفلسطين. انظر: معجم البلدان (٢/ ٣٨١).

(٣) وقد صرح أحد القاديانية بأهمية هذا المركز فقال: «يقع مكتب التبشير الأحمدي على جبل الكرمل في حيفاء، إسرائيل، ولنا فيه مسجد، ودار للتبشير، ومكتبة عامة، ومكتبة لبيع الكتب، ومدرسة ويصدر مكتبنا مجلة شهرية اسمها: «البشرى» التي توزع في البلدان الناطقة بلغة الضاد، وقد قام هذا المكتب بنقل الشيء الكثير من تعاليم المسيح الموعود إلى اللغة العربية...» كتاب بعثاتنا الخارجية للميرزا مبارك القادياني، نقلاً عن ما هي القاديانية ص٧٥.

(٤) انظر: القاديانية لإحسان ص٤٦ ـ ٤٨، وما هي القاديانية ص٦٣ ـ ٦٤، والقاديانية وخطرها على الإسلام ص٨٨ ـ ٨٩.

(٥) انظر: القاديانية لإحسان ص١٥، وفرق معاصرة (٢/ ٥٥٥ ـ ٥٦٠).

الطائفة القاديانية لولا مساعدة الاستعمار بشتى أشكاله لهم حيث أمدهم بكل أنواع المساعدات والتسهيلات، وذلك لعلمه بخطر هذه الطائفة على الإسلام وأهله بما تعتقده من عقائد باطلة، وآراء منحرفة، تهدف إلى تشويه الإسلام وعقائده السامية، وشغل المسلمين عن مناهضة الاستعمار البريطاني واليهودي لبلاد المسلمين[(١)].

ولما كانت القاديانية بهذه الدرجة من الخطورة على الإسلام وأهله وقف في وجهها علماء الإسلام منذ نشأتها، وحذروا منها، وعدّوها من دعوات الزندقة والكفر، وقد ظهر ذلك واضحاً عند علماء الهند وباكستان الذين عرفوا هذه الطائفة أكثر من غيرهم، وذلك لظهورها في بلادهم وانتشارها بين ظهرانيهم[(٢)]، وقد أشار إلى ذلك أبو الأعلى المودودي في بيانه لمواقف العلماء تجاه هذه الطائفة فقال: «لقد فزع لهذه الفتنة القاديانية علماء الإسلام وقادة الفكر في الهند في حينها فحاربوها بأقلامهم وألسنتهم وعلمهم واعتبروا المعتنقين لهذه النحلة خارجين عن دائرة الإسلام»[(٣)]، ومن هؤلاء الذين ردوا على القاديانية، وبينوا خطرها وزندقتها وكفرها الدكتور: محمد إقبال، فقد ردّ عليهم من خلال كتاباته المتعددة في الصحف الهندية، يقول في أحد ردوده: «إن القاديانية مؤامرة مدروسة ترمي إلى تأسيس طائفة جديدة تدعمها نبوة جديدة منافسة لنبوة محمد ﷺ، ولأجل ذلك فإن القاديانيين يتخذون موقف الانفصال الكامل من المسلمين في الشؤون الدينية والاجتماعية»[(٤)]، كما ردّ على القاديانية الشيخ محمد تقي الدين الهلالي حينما أظهروا تلك العقائد الباطنة وتنقصوا دين الإسلام، يقول رحمه الله في معرض رده عليهم: «اسمعوا أيها

---

(١) القاديانية وخطرها على الإسلام ص٤٥ ـ ٥٢، والبهائية والقاديانية ص١٤٦ ـ ١٥٠، والقاديانية لإحسان ص٢٤٥ ـ ٢٥٢.

(٢) انظر: القاديانية لإحسان ص٧، ١٥٤، وعقيدة الموحدين (٢/ ٣٧٢)، والقاديانية وخطرها ص١٠٥.

(٣) ما هي القاديانية ص٥١.

(٤) ما هي القاديانية ص٥٥ نقلاً عن جريدة هندية (states man) ١٩٣٥م.

المسلمون ما يقول الغلاميون الزنادقة في دينكم: إنه أساطير؛ أي: أكاذيب ميتة، وإن أولكم وآخركم من أبي بكر إلى اليوم كلهم جهلوا أو جحدوا مكان نزول الوحي بعد الرسول...، وإن دينهم ميت مظلم لا نور فيه ولا حياة...»[(١)].

وقال الشيخ البليهي رحمه الله في بيان حقيقة هذه الطائفة: «القاديانية من الطوائف الخارجة عن الإسلام... والقاديانية مذهب كفر وفساد وإلحاد وهدم لعقيدة الإسلام وشريعة المسلمين»[(٢)].

وكلام العلماء ـ رحمهم الله ـ في التحذير من طائفة القاديانية وبيان كفرها وزندقتها كثير جداً[(٣)]، ولعل من أهم ما يذكر في هذا المقام التقرير الذي صدر عن المحكمة الشرعية بجمهورية باكستان الإسلامية، القاضي بتكفير القاديانية، ومما ورد في هذا التقرير ما يلي:

١ ـ أصدر رئيس المحكمة فخر عالم مرسوماً يسمى: «مرسوم حظر ومعاقبة النشاطات المناهضة للإسلام للفرقة القاديانية والفرقة اللاهورية والأحمديين».

٢ ـ جعلت هذه البنود فعلاً إجرامياً من القادياني:

أ ـ أن يسمي نفسه مسلماً، أو يتظاهر بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بكونه مسلماً، أو أن يسمي مذهبه بالإسلام.

---

(١) سب القاديانيين للإسلام لمحمد تقي الدين الهلالي ص١٩، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٥٢هـ.

(٢) عقيدة المسلمين (٢/ ٣٦٨ ـ ٣٧١).

(٣) ومن ذلك ما فعله الشيخ محمد حسين البتالوي حيث أفتى بكفر القاديانية، وقد كان من أتباعها ثم عرف حقيقتها، فأصدر فتواه بكفرها، ولم يكتف بذلك بل أخذ عليها توقيعات عدد كبير جداً من علماء الإسلام في جميع أنحاء الهند، وقد صدرت أيضاً عدة فتاوى بتكفير هذه الطائفة من لجان الفتوى في البلاد العربية، ومن ذلك ما صدر عن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية. انظر: «القاديانية فئة كافرة» ص١٠٤، وفتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع الشيخ أحمد الدويش (٢/ ٢٢٠ ـ ٢٢٢)، الرئاسة العامة للإفتاء، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

ب ـ أن ينشر أو يروج مذهبه أو يدعو غيره إلى قبول مذهبه.

ج ـ أن يدعو أو يسمي محل عبادته مسجداً.

د ـ أن يذكر أي شخص غير أحد من خلفاء النبي محمد ﷺ بكلمة أمير المؤمنين... أو الصحابي أو ﷺ، أو أن يذكر أحداً غير زوج من أزواج النبي محمد ﷺ بكلمة أم المؤمنين(١).

وقد أحسنت هذه المحكمة بإصدار هذا التقرير المبين لحقيقة هذه الطائفة الخبيثة، واعتبارها فرقة خارجة عن الإسلام، وتحذير القاديانيين من استغلال اسم الإسلام لترويج كفرهم وزندقتهم عن طريق خداع الناس بالانتماء للإسلام والتظاهر بالإصلاح، ولا شك أن هذا التقرير كان له أثر بالغ في الحد من انتشار القاديانية في دولة باكستان، وتنبيه العامة على كفر القاديانية والتحذير من تسمية القاديانيين «مسلمين» وذلك أن هذا التقرير انتشر خبره بين الناس حيث نشر في الجريدة الرسمية الباكستانية(٢).

ومما تقدم تتضح حقيقة فرقة القاديانية وعقيدتهم المتفقة مع عقائد سلفهم من الزنادقة والمتمثلة فيما يلي:

١ ـ ادعاء القادياني الألوهية وحلول الإلٰه في جسده، غير أنه لم يركز على هذه الدعوى كما ركز على غيرها من مزاعمه الباطلة وذلك خشية افتضاح أمره.

٢ ـ يعتقد القاديانيون بأن الله يصوم ويصلي وينام ويصحو ويكتب ويجامع ـ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ـ.

٣ ـ يعتقد القاديانيون بأن الغلام القادياني هو المسيح الموعود والمهدي المعهود.

٤ ـ يعتقد القاديانيون بنبوة الغلام القادياني، وأن النبوة لم تختم بمحمد ﷺ بل هي جارية من بعده حسب الضرورة.

٥ ـ يعتقد القاديانيون التناسخ والحلول بين أرواح الأنبياء.

---

(١) انظر: القاديانية فئة كافرة ص١١، ١٦.

(٢) انظر: القاديانية فئة كافرة ص١١، وقد نشر هذا المرسوم في الجريدة المذكورة في عددها الاستثنائي الصادر في ٢٦ أبريل ١٩٨٤م.

٦ ـ ينكر القاديانيون القيامة والأمور الغيبية من الملائكة وغيرهم.

٧ ـ يعتقد القاديانيون أنهم أصحاب دين مستقل وشريعة جديدة وإن كانوا قد يتسمَّون بالإسلام لخداع الناس.

٨ ـ ألغى القاديانيون الجهاد، بل اعتبروا من يجاهد عدواً لله تعالى.

٩ ـ يعتقد القاديانيون بأن «قاديان» أفضل من مكة والمدينة، ويستقبلونها في صلاتهم ويرون الحج إليها.

١٠ ـ يكفر القاديانيون كل من لم يدخل في ديانتهم ولم يؤمن بنبوة غلامهم القادياني، ولذا فهم لا يصلون على من مات من المسلمين ولا يصلون خلفهم إلّا على سبيل التقية لخداع المسلمين[١].

فهذه هي أهم عقائد القاديانية، وهي شاهدة على زندقة وكفر أصحابها وإن كان أصحابها يتظاهرون بالإسلام في كثير من البلدان الإسلامية ويسمون أنفسهم مسلمين، إلا أن ذلك خداع منهم لأهل الإسلام الذين قد يجهلون حقيقة دعوتهم وعداوتهم للإسلام وأهله كسائر فرق الزنادقة التي تنتسب إلى الإسلام وتتستر به لبث سمومها وزندقتها في صفوف المسلمين.

والخلاصة: أن القاديانية فرقة من فرق الزنادقة التي ظهرت في العصر الحديث تحت رعاية الاستعمار، وذلك لما تعتقده من العقائد الباطلة التي تبناها سلفهم من الزنادقة عبر التاريخ كادعاء الألوهية والقول بالحلول والتناسخ، وادعاء النبوة وإنكار القيامة، وتكفير المسلمين وغير ذلك من العقائد الباطلة التي يشتركون فيها مع فرق الزنادقة الأخرى من البابية والبهائية وغيرها من الفرق المنتسبة إلى الإسلام وهي في الحقيقة تسعى جاهدة لتدبير الخطط للكيد للإسلام والقضاء على المسلمين، نسأل الله تعالى أن يجعل كيدهم في نحورهم وأن يذلهم ويشتت شملهم إنه سميع مجيب.

---

(١) انظر: القاديانية لإحسان ص٧١ ـ ١٢٣، وما هي القاديانية ص٢١ ـ ٤٥، والقاديانية خطرها على الإسلام ص٣٩ ـ ٤٠، والقاديانية فئة كافرة ص٦٦ ـ ٨١، والبهائية والقاديانية ص١٣٨ ـ ١٤٠، وتاريخ المذاهب الإسلامية ص٢٢٥ ـ ٢٣٢، والموسوعة الميسرة ص٣٩٠، وفرق معاصرة (٢/٥٤٣ ـ ٥٤٦).

المبحث الثاني

تيارات معاصرة

أولاً: العلمانية

مفهوم العلمانية:

العلمانية كلمة دخيلة على اللغة العربية، لا توجد في معاجم اللغة الأصلية القديمة، وإنما أُدخلت على اللغة العربية ضمن ما أدخل من الكلمات الكثيرة في العصر الحديث، والعلمانية ترجمة غير صحيحة لكلمة «securalism» بالإنجليزية أو «securalite» بالفرنسية، وكلاهما اشتقاق من لفظ «secular»، والغرب يفهم اللفظ بمعنى فصل الدين عن الدولة وعدم تدخل الكنيسة في أعمال الدولة[١].

وكلمة «العلمانية» كلمة لا صلة لها بلفظ «العلم» ومشتقاته كما هو مفهومها عند الغرب، ولو كانت هذه الكلمة اشتقت من «العلم» كما يزعم دعاتها لجاءت الترجمة الإنجليزية «scientific» أي: العلمية نسبة إلى «العلم»، والترجمة عندئذ تكون صحيحة بيد أن «العلمانية» جاءت ترجمة لكلمة لا صلة لها بالعلم وهي كلمة «secularism» ومعناها «لادينية»[٢].

---

(١) انظر: العلمانية، د. سفر الحوالي ص٢١، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ، والاتجاهات الفكرية المعاصرة، د. علي جريشة ص٧٤، دار الوفاء، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ، وجذور العلمانية، د. السيد أحمد فرج ص٦ ـ ٧، دار الوفاء المنصورة، الطبعة الرابعة، ١٤١١هـ.

(٢) انظر: نشأة العلمانية ودخولها إلى المجتمع الإسلامي، د. محمد زين الهادي ص١٦ ـ ١٨، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، والعلمانية والعولمة =

ولهذا جاء الحديث عن «العلمانية» في كثير من المعاجم الغربية ضمن حديثها عن «الإلحاد»، حيث جعلت المذهب العلماني لوناً من ألوان الإلحاد المضاد للدين.

جاء في دائرة المعارف البريطانية في مادة «securalism» ما ترجمته: «وهي حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها، وذلك أنه كان لدى الناس في العصور الوسطى رغبة شديدة في العزوف عن الدنيا، والتأمل في الله واليوم الآخر، وفي مقاومة هذه الرغبة طفقت الـ«securalism» تعرض نفسها، من خلال تنمية النزعة الإنسانية، حيث بدأ الناس في عصر النهضة يظهرون تعلقهم الشديد بالإنجازات الثقافية والبشرية، وبإمكانية تحقيق مطامحهم في هذه الدنيا القريبة.

وظل الاتجاه إلى الـ«securalism» يتطور باستمرار خلال التاريخ الحديث كله، باعتبارها حركة مضادة للدين، ومضادة للمسيحية»[(١)].

وفي دائرة المعارف الأمريكية جاء الحديث عن العلمانية على النحو التالي:

«الدنيوية هي: نظام أخلاقي أسس على مبادئ الأخلاق الطبيعية ومستقل عن الديانات السماوية أو القوى الخارقة للطبيعة، وإن المبدأ الأول: هو حرية الفكر حق كل إنسان في أن يفكر لنفسه، وهذا هو المعترف به الآن على الأقل نظرياً من أغلب المسيحيين»[(٢)].

وفي تكملة المعاجم العربية[(٣)] «علماني: عالمي، دنيوي، لاديني...».

= والأزهر، د. كمال الدين المرسي ص٦ ـ ٧، دار المعرفة الجامعية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

(١) مذاهب فكرية معاصرة، د. محمد قطب ص٤٤٥، دار الشروق، الطبعة السادسة، ١٤١٢هـ، وانظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة ص٧٤.

(٢) انظر: الاتجاهات الفكرية ص٧٥.

(٣) تكملة المعاجم العربية، د. رينهارت دوزي، ترجمة د. محمد النعيمي (٧/ ٢٩١)، =

وفي المعجم الوسيط لمجمع اللغة في القاهرة[١] «العَلْمَاني: نسبة إلى العَلْم، وهو خلاف الديني أو الكهنوتي»[٢].

وعلى هذا فالعلمانية تعني فصل الدين عن الدولة أو عن الحياة، وحصر نطاق الدين في أماكن العبادة، وقصر معناه على الجانب التعبدي، أو بمعنى «اللادينية» أو «الدنيوية» أو ما لا صلة له بالدين[٣].

نشأة العلمانية:

ظهرت العلمانية في أوروبا على إثر ظروف دينية قاسية، حيث بلغ تسلط الكنيسة على الناس غايته من قهر وإذلال وتحجير على العقول عن التفكير السليم، حتى فرض رجال الدين لأنفسهم القداسة فألزموا الناس بالإيمان بالمتناقضات التي أدخلها القساوسة[٤] في الديانة النصرانية، وحرفوا نصوصها حتى أصبحت مخالفة للعقول كفكرة الأقانيم الثلاثة[٥] وفكرة الصلب والصليب

= وزارة الثقافة والإعلام، بغداد ١٩٩١م.

(١) المعجم الوسيط لمجمع اللغة في القاهرة (٢/ ٦٢٤)، المكتبة الإسلامية، تركيا، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

(٢) الكهنوتي مأخوذ من الكهنوت، وهو وظيفة الكاهن الذي يتنبأ بالغيب، وعند اليهود والنصارى: رجل الدين الذي ارتقى إلى درجة الكهنوت، ورجال الكهنوت هم رجال الدين عند اليهود والنصارى. انظر: المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية بمصر ص٥٤٤، دار التحرير، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ، والموسوعة الميسرة (٢/ ١١٢٦).

(٣) انظر: الاتجاهات الفكرية ص٧٣، والإسلام والعلمانية وجهاً لوجه، د. يوسف القرضاوي، ص٤٢، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ، والعلمانية د. سفر ص٢٤.

(٤) القساوسة جمع قسيس، وقسٌّ وهو رئيس من رؤساء النصارى في الدين والعلم، وقيل: هو الكيّس العالم. انظر: لسان العرب (٦/ ١٧٤)، والمعجم الوجيز ص٥٠١.

(٥) الأقانيم: جمع أقنوم بالضم ومعناه: الأصل في لغة الروم، والأقانيم الثلاثة عند النصارى هي عقيدة التثليث، فيعتقدون بوجود الإله الخالق لكنهم يشركون معه جبريل وعيسى عليه السلام، فيقولون: «الله وعيسى وروح القدس»، وبين النصارى تفاوت عجيب =

وصكوك الغفران والحرمان، مع ما صاحب ذلك من ظلم الكنيسة، وتعدي القساوسة على أملاك الناس وفرض العشور[(١)] لأنفسهم دون أن يأخذ الفقراء والمساكين شيئاً منها، وادعاء الرهبنة مع مخالفة ذلك ظاهراً بممارسة ألوان الفسوق والفساد الأخلاقي[(٢)].

وقد بلغ من تحجير الكنيسة على العقول أنها حاربت العلم والعلماء، والمكتشفات العلمية فحكموا بقتل من قال بدوران الأرض[(٣)]، وعاقبوا مكتشف الجاذبية[(٤)(٥)]، بل أنشؤوا لذلك محاكم خاصة تسمى «محاكم التفتيش»، يحاكم فيها كل من خالف الكنيسة، ويعاقب بأشد أنواع العذاب حتى الموت، وقد بدأت تلك المحاكم في فرنسا، حين أراد البابا محاكمة الهراطقة[(٦)] مخالفي

= في تقرير هذه المفاهيم، ويطلقون عليها الأقانيم الثلاثة ويفسرونها بأنها وحدانية في تثليث، وتثليث في وحدانية. انظر: الجواب الصحيح (٣/ ١٨٢ ـ ١٨٣)، وإظهار الحق (١/ ٦٣ ـ ٦٤)، والقاموس المحيط ص١٤٨٧.

(١) العشور: هي جمع عشر، والمراد بذلك: أخذ عشر أموال التجار ونحوهم، وقد كان الملوك يأخذون ذلك من التجار لتوزيعه على الفقراء والمحتاجين، وقد أبطل ذلك الإسلام وفرض الزكاة في الأموال. انظر: لسان العرب (٤/ ٥٦٩ ـ ٥٧٤).

(٢) انظر: التاريخ الأوروبي الحديث، د. عبد الحميد البطريق ود. عبد العزيز نوار ص٨٧ ـ ٩٤، دار الفكر العربي ١٩٨٢م، والعلمانية، د. سفر ص١٢٨ ـ ١٢٩، ١٣٨ ـ ١٤٢، والموسوعة الميسرة ص٣٦٧، والاتجاهات الفكرية المعاصرة ص٥٢ ـ ٥٤.

(٣) وهو العالم الإيطالي «جور دانو برونو» وقد أحرق هذا العالم من قبل الكنيسة عام ١٦٠٠م لقوله بدوران الأرض. انظر: المنجد في اللغة والإعلام، جماعة من المستشرقين ص١٢٥، دار المشرق، بيروت، الطبعة التاسعة، والعشرون ١٩٧٣م، والعلمانية، د. سفر ص١٥٠، والأعلام ص١٢٥.

(٤) مكتشف الجاذبية هو «إسحاق نيوتن» (١٦٤٢م) وقد عوقب على اكتشافه الجاذبية باعتبار أنه «استبدل بعناية الله الجاذبية». انظر: المنجد في اللغة والأعلام ص٥٨٦، والعلمانية د. سفر ص١٥٥ ـ ١٥٦.

(٥) انظر: مذاهب فكرية معاصرة ص٤٧٩، والاتجاهات الفكرية ص٥٦، والعلمانية ص١٥١.

(٦) الهرطقة كلمة يونانية الأصل معناها: الاجتهاد الفردي، وقد استعملها رجال الكنيسة بمعنى الضلال الديني المخالف للكنيسة، أو انتقاد شيء يتصل بالكنيسة. انظر: =

الكنيسة وذلك عام ١٢٣١م[١].

وقد كان لهذا الاضطهاد من الكنيسة ورجالها ردود فعل أدت إلى صراعات دموية بين رجال العلم ورجال الدين، انتهت بإعلان العلمانية وفصل الدين عن الدولة، وعدم تدخل الكنيسة في شؤون الدولة[٢].

وكان أول من ابتدأ الصراع مع الكنيسة «مارتن لوثر»[٣] في القرن السادس عشر الميلادي، حيث انتقد صكوك الغفران، واعترض على سلطان الكنيسة، مما جعل الكنيسة توجب عقابه، غير أنه أفلت من عقابها، وهذا الرجل تعده أوروبا زعيم الإصلاح الديني[٤].

ثم توالت بعد ذلك الانتقادات للكنيسة حتى جاء «فولتير»[٥] في القرن الثامن عشر، فصرح بانتقاد النصرانية، ووصف العقيدة النصرانية بالتناقض

= محاكم التفتيش د. إسحاق عبيد ص١٤، دار المعارف، الطبعة الأولى، ١٩٧٨م، والمسيحية د. أحمد شلبي ص٢١٥، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة العاشرة، ١٩٩٣م.

(١) انظر: محاكم التفتيش ص٩٤١، والاتجاهات الفكرية ص٥٧، والعلمانية د. سفر ص١٣٧ ـ ١٣٨.

(٢) انظر: أخطار الغزو الفكري د. صابر طعيمة ص٢٠٨، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، والاتجاهات الفكرية ص٦٠.

(٣) مارتن لوثر، راهب ألماني ولد سنة ١٤٨٣م، كان عالماً لاهوتياً، بدأ في الإصلاح الديني في ألمانيا، وأسس الكنيسة البروتستانتية، واعترض على البابا في إصدار صكوك الغفران، فطلب للمحاكمة فلم يذهب، فأصدرت الكنيسة قراراً بحرمانه من الحقوق المدنية، توفي سنة ١٥٤٦م. انظر: الموسوعة الفلسفية د. عبد الرحمٰن بدوي (٢/ ٣٦٣ ـ ٣٦٧)، الموسوعة العربية للدراسات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م، والمنجد في اللغة والإعلام، جماعة من المستشرقين ص٤٩٥.

(٤) انظر: التاريخ الأوروبي الحديث ص٩٥ ـ ٩٨، ومحاكم التفتيش ص٩٣ ـ ٩٨، والمسيحية لشلبي ص٢١٧.

(٥) هو فرانسو ماري أرويه دي فولتير، فرنسي ولد سنة ١٦٩٣م بباريس، أنكر النبوة والوحي، وقال: إنه يؤمن بإله غير الذي جاءت به الأنبياء، وتزعم حركة الفلسفة المادية وقاوم رجال السلطة الدينية، توفي سنة ١٧٧٨م. انظر: موسوعة الفلسفة (٢/ ٢٠١ ـ ٢٠٦)، والمنجد في اللغة والإعلام ص٤٢١.

والوحشية ودعا إلى ضرورة فصل الدين عن الدولة، وكان مما قاله عن عقيدة النصارى أنها: «عقيدة متناقضة سفاكة للدماء، ينتصر لها الجلادون، وتحيط بهم عصبة من الأشرار... عقيدة لا يذعن لها إلا الذين أفادوا منها سطوة وثراء...»[١].

ودعا «فولتير» إلى إبعاد الدين عن الدولة بتشكيل نظام يخضع فيه رجل الدين لنظم الدولة، ويخضع فيه الراهب للقاضي[٢].

وقد أدت تلك الانتقادات للكنيسة إلى قيام عدد من الثورات حطمت فيها مئات الكنائس وقتل الكثير من القساوسة، وكان من أواخر تلك الثورات «الثورة الفرنسية» في القرن الثامن عشر الميلادي، والتي رفعت شعار «اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس»[٣].

وقد أفرزت تلك الانتقادات والثورات إبعاد الكنيسة، وسيادة شعار فصل الدين عن الدولة، وطبق ذلك في أوروبا في جميع المجالات العلمية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية، ولم يبق للكنيسة إلا ما يتعلق بالأحوال الشخصية[٤]، ومع ذلك فقد ظلت أوروبا حامية للكنيسة فلا تزال بريطانيا حامية للبروتستانتية[٥]، وفرنسا حامية للكاثوليكية[٦]، ولا يزال التبشير يستمد

(١) الاتجاهات الفكرية ص٦١، وقد نقل ذلك عن كتاب «مقبرة التعصب» لفولتير.

(٢) انظر: المرجع السابق ص٦١.

(٣) انظر: التاريخ الأوروبي الحديث ص٩٥ ـ ٩٧، وانظر: الاتجاهات الفكرية ص٦٢، والعلمانية، د. سفر ص١٧٢.

(٤) انظر: العلمانية، د. سفر ص١٦٩، والمذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي ص٢٧٢ ـ ٢٧٣.

(٥) البروتستانتية: هي إحدى فرق النصارى، وتسمى كنيستهم بالبروتستانتية كما تسمى أيضاً بالإنجيلية وذلك لأنهم يزعمون اتباع الإنجيل دون غيره، وفهمه لديهم ليس مقصوراً على رجال الكنيسة، وتمثل هذه الفرقة ثورة في الفكر النصراني، وقد أسسها مارتن لوثر عام ١٥٢٠م. انظر: المسيحية لشلبي ص٢٠٢، والموسوعة الميسرة ص٥٠٣.

(٦) الكاثوليكية: هي أكبر فرق النصارى، وتسمى كنيستهم بالكاثوليكية كما تسمى أيضاً بالغربية، ويزعم أتباعها أن الذي أسسها هو بطرس الرسول، وتتمثل في عدة كنائس =

موارده من تلك الدول، وشعاراتهم في كثير من البلدان تعمل عملها في مساعدة التبشير بما تقدم له من دعم سياسي ومالي، غير أنه لا دخل للكنيسة ورجالها في شؤون الدولة بجميع مجالاتها سوى ما يتعلق بالأحوال الشخصية من الزواج والوفاة ونحو ذلك[١].

انتقال العلمانية إلى العالم الإسلامي:

لقد صاحب ظهور العلمانية في أوروبا بداية النهضة الصناعية التي كانت أوروبا قد أفادتها من بلاد الأندلس المسلمة، وقد كانت الكنيسة قد فرضت حظراً عاماً على المكتشفات العلمية وحاربت العلم والعلماء ـ كما تقدم ـ فلما أبعدت الكنيسة ولم يعد لها سلطة على العلم وما ينتج عنه من مخترعات، بدأت تلك النهضة العلمية الصناعية تظهر وتتطور حتى أطلت على العالم بمخترعاتها العصرية ونهضتها المادية[٢]، وبدأ العالم يتطلع إلى تلك النهضة الأوربية الحديثة، بما في ذلك العالم الإسلامي الذي كان يعيش آنذاك تخلفاً مادياً وهزيمة نفسية لما حل به من الضعف والتفكك بسبب الاستعمار الغربي لكثير من بلاد المسلمين وما أعقب ذلك من سقوط الخلافة الإسلامية على يد أولئك المستعمرين، وقد صاحب ذلك الاستعمار الغربي العسكري لبلاد المسلمين غزو فكري ظهر في جملة من الشعارات البراقة من تمدن وتحضر ونحو ذلك من ألفاظ الخداع والمكر[٣]، وكان من أعظم ما حمله هذا الغزو

= تتبع كنيسة روما وتعترف بسيادة بابا روما عليها. انظر: المسيحية لشلبي ص١٩٩هـ، والموسوعة الميسرة ص٥٠٢ ـ ٥٠٣.

(١) انظر: أخطار الغزو الفكري على العالم الإسلامي، د. صابر طعيمة ص٢١٣، ونشأة العلمانية ودخولها إلى المجتمع الإسلامي، د. محمد زين الهادي ص٤٢ ـ ٤٤، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

(٢) انظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة ص٦٥، وكتاب احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، د. سعد الدين السيد ص١٦٥ ـ ١٦٦.

(٣) انظر: العلمانية، د. سفر ص٥٢٨ ـ ٥٤٢، والاتجاهات الفكرية ص٦٧ ـ ٧١، ونشأة العلمانية ص٥٢ ـ ٥٤.

الفكري إلى المسلمين من أفكار الغرب الدعوة إلى تطبيق العلمانية في بلاد المسلمين كما هي مطبقة في البلدان الغربية الكافرة، دون نظر إلى ما بين المجتمع المسلم وغيره من المجتمعات الغربية من تباين في كثير من المجالات[1]، إذ إن دين الإسلام لا يحارب العلم كما تفعل الكنيسة بل يحث عليه ويدعو إلى الأخذ بسبيله كما ورد ذلك في كثير من الآيات كقوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨] وورد أيضاً الحث على التفكر وإعمال العقول كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الروم: ٨] إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي تحث على العلم والتفكر والتدبر من غير حجر على العقول أو تقييد لها، كما أن دين الإسلام لم يحصل له التحريف والتبديل كما حصل للنصرانية التي حرفها رجال الدين، حتى جاؤوا بما لا يمكن تصديقه من عقائد باطلة ينزه الشرع عنها، كفكرة التثليث والصلب وغير ذلك مما هو موجود في الأناجيل المحرفة[2]، بخلاف الإسلام فقد بقي كتابه محفوظ من التحريف والتبديل، وذلك لحفظ الله تعالى له كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩].

وكما وقع التغيير والتبديل في العقيدة النصرانية فقد وقع التغيير والانحراف في الشعائر النصرانية التي تؤدى داخل الكنيسة فدخلتها الموسيقى والرقص وغير ذلك من الانحرافات، بخلاف الشعائر الإسلامية فقد بقيت عند الكثير من المسلمين سليمة من الابتداع والتحريف[3]، وقد قارن المستشرق الأمريكي «بودلي» بين شعائر النصرانية وما داخلها من التغيير وبين شعائر

---

(١) انظر: الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه ص٤٧ ـ ٥٣، وأساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، د. علي جريشة ومحمد شريف ص٦١، دار الاعتصام، القاهرة.

(٢) انظر: المسيحية لشلبي ص١١٥.

(٣) انظر: مذاهب فكرية معاصرة، د. محمد قطب ص٤٨٧، والعلمانية د. سفر ص٦٦٧، وأخطار الغزو الفكري، د. صابر ص٢٠٩.

الإسلام فقال: «لو أن القديس بطرس[(١)] عاد إلى روما[(٢)] لامتلأ عجباً من الطقوس الضخمة، وملابس الكهنوت المزركشة، والموسيقى الغربية في المعبد المقرونة باسمه، ولن يعيد البخور والصور والرقى إلى ذهنه أي شيء من تعاليم سيده المسيح، ولكن إذا ما عاد محمد إلى أي مسجد من المساجد المنتشرة بين لندن وزنزبار[(٣)] فإنه سيجد نفس الشعائر البسيطة التي كانت تقام في مسجده في المدينة الذي كان من الآجر وجذوع الشجر»[(٤)].

كما أنه لم يحصل من علماء المسلمين اضطهاد لأبناء الإسلام كما حصل ذلك في محاكم التفتيش التي مارس فيها رجال الكنيسة أشد أنواع القمع والتعذيب، ولم يحصل أيضاً من علماء الإسلام ما يسمى بصكوك الغفران والحرمان التي استغلها القساوسة لظلم الناس وأخذ أموالهم بغير حق[(٥)].

ومع هذا التباين بين الإسلام والنصرانية المحرفة فقد انتقلت العلمانية من أوروبا إلى العالم الإسلامي بطرق متعددة، حتى بدأت كثير من الدول

---

(١) بطرس: هو أحد الحواريين المذكورين في إنجيل متّى، وعددهم اثنا عشر رجلاً واسم بطرس «سمعان بن يونان» رأس الكنيسة وأقام في أنطاكيا ثم نزح إلى روما، وله كنيسة هناك باسمه بنيت سنة ٣٢٦م. انظر: الموسوعة العربية الميسرة (١/ ٣٧٨) بإشراف محمد شفيق، دار نهضة لبنان ١٤٠١هـ، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ص٥٠٠.

(٢) روما: عاصمة إيطاليا، وهي من المدن التاريخية المهمة في العالم، وقد ظلت مركزاً للحضارة الغربية قروناً طويلة، وكانت تسمى قديماً «رومية» وهي مقر «البابا» قديماً وبها الكثير من الكنائس المهمة عند النصارى، وتضم كثيراً من الآثار القديمة. انظر: معجم البلدان (٣/ ١١٣ ـ ١١٧)، والموسوعة العربية العالمية (١١/ ٣٨٠ ـ ٣٨١)، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

(٣) زنزبار: ويقال: «زنجبار» مدينة وميناء تجاري تاريخي تقع على الشاطئ الغربي لجزيرة زنجبار التي تعد اليوم جزءاً من دولة تنزانيا. انظر: الموسوعة العربية العالمية (١١/ ٦٠٧).

(٤) الجفوة المفتعلة بين العلم والدين لمحمد يوسف ص٢٣ ـ ٢٤، مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٦م. وانظر: العلمانية، د. سفر ص٦٦٧.

(٥) انظر: العلمانية، د. سفر ص٦٦٧، والإسلام والعلمانية، د. القرضاوي ص٥٨.

الإسلامية بإلغاء الشريعة الإسلامية واستبدال القوانين الوضعية الغربية بها[١].

وكان أول قطر بدأ بإلغاء الشريعة الإسلامية الهند، وقد كانت تحكّم الشريعة حتى سنة ١٧٩١م، حيث بدأ التدرج من هذا التاريخ لإلغاء الشريعة بتدبير الإنجليز وانتهت تماماً في أواسط القرن التاسع عشر[٢].

ثم تلا ذلك الجزائر التي تم إلغاء الشريعة فيها عقب الاحتلال الفرنسي لها سنة ١٨٣٠م، واستبدلت بالشريعة القانون الفرنسي.

ثم مصر حيث كان حاكمها الخديوي مفتوناً بالغرب، فاستبدل بالشريعة القانون الفرنسي، ولم تأت سنة ١٨٨٣م حتى طبق ذلك القانون في مصر كما هو في فرنسا، حتى لم يكن نصيب الشريعة يتجاوز الأحوال الشخصية.

ثم تونس حيث أدخل عليها القانون الفرنسي سنة ١٩٠٦م، وهكذا المغرب فقد طبق فيها هذا القانون سنة ١٩١٣م[٣].

ثم بعد ذلك تركيا وبلاد الشام والعراق والتي كانت تابعة للخلافة العثمانية، فلما ألغيت الخلافة وقضي عليها سنة ١٩٢٤م، تولى السلطة في تركيا «مصطفى كمال» بتخطيط من الإنجليز[٤]، فصرح هذا الزنديق بإلغاء الشريعة ومحاربتها، ولبس ثياب العلمنة، ومجد الغرب وحضارته، وضرب بيد من حديد كل من قاومه، حتى عادت تركيا التي هي بلد الخلافة نموذجاً غربياً في جميع مجالاته، لا تكاد تفرق بينها وبين أوروبا وغيرها من بلاد الغرب، ولكنه مع ذلك لم يستطع أن يقهر الإسلام في نفوس المسلمين، فقد بقي كثير

---

(١) انظر: الإسلام والعلمانية ص٥٤، والمذاهب والأفكار المعاصرة ص٢٧٣.

(٢) انظر: العلمانية، د. سفر ص٥٣٩، والمسلمون بين العلمانية وحقوق الإنسان، د. عدنان النحوي ص١٢٦ ـ ١٢٧، دار النحوي، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

(٣) انظر: العلمانية د. سفر ص٥٣٩، والموسوعة الميسرة ص٣٦٩، ونشأة العلمانية ص٥٢، وأصالة الإسلام في مواجهة التحدي الفكري للعميد محمد آل علي ص٢٤١، دار المؤيد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

(٤) انظر: الإسلام والعلمانية ص٥٤، وأساليب الغزو الفكري د. علي جريشة ومحمد شريف ص٧٤، والموجز في الأديان والمذاهب ص١٠٨، ونشأة العلمانية ص٦٨ ـ ٧٣.

من المسلمين متمسكين بإسلامهم رغم ما دعا إليه «أتاتورك» من العلمانية، ولم يتقبلوا تطبيق العلمانية في بلاد الإسلام كما تقبلها الغرب[1].

صلة العلمانية بالزندقة:

يتضح ـ مما تقدم ـ أن العلمانية في البلاد الإسلامية دعوة خبيثة لا صلة لها بالإسلام، بل هي مناقضة له لما تهدف إليه من تنحية الإسلام والقضاء على الشريعة، وهي في حقيقتها ليست دعوة جديدة على المسلمين، وإنما هي امتداد لدعوات سابقة قام بها الزنادقة ضد الإسلام إلا أنها ظهرت في هذا العصر وهي ترتدي ثوب التحضر والتقدم، فكان خطرها أعظم من غيرها من دعوات الزنادقة الأخرى[2].

فالعلمانية في بلاد الإسلام كغيرها من دعوات الزندقة تدعي الإسلام وتظهر الانتماء إليه، وهي في الحقيقة تسعى إلى تنحيته، والقضاء عليه، وتفرض التحاكم إلى غيره من القوانين الوضعية، وتنكر بشدة وعنف أن يتدخل الدين في الاقتصاد والسياسة والحكم وترفع شعاراتها الزائفة «الدين لله، والوطن للجميع» و«لا دين في السياسة، ولا سياسة في الدين»، وهي شعارات خداع وتمويه فـ «إن من عادة المنافقين والزنادقة من المنتسبين لهذا الدين عدم الإنكار الصريح والواضح وعدم إظهار العداء السافر للإسلام، وهم يسعون بسلاح التلبيس والتمويه للالتفاف حول المسلمين لحين المعركة الفاصلة حتى يفاجئوا المسلمين على حين غرة، من أجل ذلك يرفع هؤلاء الزنادقة من العلمانيين وأشباههم شعارات يحاولون بها خداع أكبر عدد ممكن من المسلمين، وتهدئة نفوس القلة التي قد ساورتها الشكوك تجاه نوايا هؤلاء الذين يرفعون شعارات العلمانية، بينما يسعون بواقعهم العملي لاقتلاع الإسلام

---

(١) انظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة ص٨٧ ـ ٩٣، والإسلام والعلمانية ص٥٥ ـ ٥٦، وقوى الشر المتحالفة لمحمد الدهان ص١٠٥ ـ ١٠٩.

(٢) انظر: الاتجاهات الفكرية ص٦٨، وموقف أهل السُّنَّة والجماعة من العلمانية، د. محمد عبد الهادي المصري ص٣٢، دار طيبة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

من جذوره...»[١].

فالعلمانيون لم يقفوا عند نظريتهم في إبعاد الدين عن السياسة والدولة وإنما هم يسعون جاهدين للقضاء على الإسلام، ولذلك نراهم يرددون الشبهات والطعون ضد الإسلام جرياً على طريقة سلفهم من الزنادقة، وتقليداً لأساتذتهم المستشرقين وغيرهم من أعداء الإسلام، يقول الدكتور أبو شهبة بعد إشارته إلى طعون الزنادقة وتشكيكهم في الإسلام: «وقد جاء القساوسة والمستشرقون في العصور الحديثة، فأخذوا هذه الطعون والشبهات، فنفخوا فيها، وزادوا فيها ما شاء هواهم أن يزيدوا، وحملوها أكثر مما تحتمل، وطلعوا على الناس بها، ومما يؤسف له غاية الأسف أن بعض الذين يثقون بكل ما يرد عن الغربيين من آراء ومذاهب قد تلقفوا هذه الشبهات والطعون، ونسبها بعضهم إلى نفسه زوراً فكان كلابس ثوبي زور[٢]، والبعض الآخر لم ينتحلها لنفسه، ولكنه ارتضاها وجعل من نفسه بوقاً لتردادها»[٣].

فقد جمع أعداء الإسلام من المستشرقين شبهات الزنادقة ليؤدوها إلى أتباعهم من العلمانيين الذين يثقون بكل ما يرد عن أساتذتهم الغربيين.

ولذلك نجدهم يتفقون مع أساتذتهم المستشرقين في الإشادة بسلفهم من الزنادقة على اختلاف فرقهم، ويسعون جاهدين لترويج أفكارهم المنحرفة باسم التجديد والثورة على المألوف ونحو ذلك من ألفاظ التلبيس، كما قال الدكتور محمد البهي: «نلاحظ أن المستشرقين يسرفون في تمجيد التصوف الإسلامي في فترته الأخيرة التي يدعو فيها إلى عقيدة الحلول والفناء في الحب الإلٰهي،

---

(١) موقف أهل السُّنَّة والجماعة من العلمانية ص٣٣.

(٢) في هذا إشارة إلى الحديث الذي رواه مسلم في كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن التزوير في اللباس (٣/١٣٣٩) رقم (٢١٢٩)، عن عائشة رضي الله عنها، أن امرأة قالت: يا رسول الله! أقول: إن زوجي أعطاني ما لم يعطني؟ فقال رسول الله ﷺ: «**المتشبِّع بما لم يُعط، كلابس ثوبي زور**».

(٣) دفاع عن السُّنَّة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين ص٧ ـ ٨، مكتبة السُّنَّة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

وذلك لأنهم يرون في مثل هذا الانحدار صرفاً للمسلمين عن الجهاد في سبيل الله، فالاعتقاد بالحلول يسقط التكاليف كلها ومن بينها الجهاد...»[(١)].

وقد أعجب العلمانيون بأفكار زنادقة الإسماعيلية والباطنية فاتخذوها وسيلة لترسيخ العلمانية والدعاية لها، فبعثوا تلك الأفكار من جديد، وسطروها في كتبهم ومقالاتهم إعجاباً بها وبأصحابها الزنادقة.

يقول الدكتور عبد العزيز سيف النصر: «وقد أعاد نشر آراء الإسماعيلية الباطنية بعض الضالين المفتونين بهم وبكلماتهم مثل: التجديد والتقدم والثورة على الركود والخمول الذي تزعم الإسماعيلية الباطنية أنها تدعو إليه في ذلك الإسلام الروحاني الذي يتجه إلى لب المعاني والغوص للوصول إلى الحقائق دون التعلق بالقشور والظواهر...»[(٢)] يظهر ذلك في كتابات كثيرة من العلمانيين في البلاد الإسلامية كما هو واضح عند محمد عمارة[(٣)] حيث يقول في تمجيده لابن عربي الاتحادي الزنديق: «ابن عربي في التصوف الفلسفي قمة القمم، لا في حضارتنا العربية الإسلامية فقط، بل وعلى النطاق الإنساني، وهو بمقياس «السلفية المحافظة» أو الفقهاء «وثني زنديق»[(٤)].

وكذلك فعل مع قائد الزنج الطاغية الزنديق فكان مما قال عنه: «كان

---

(١) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار، د. محمد البهي ص١٧٢، مكتبة وهبة، مصر، الطبعة الحادية عشرة ١٤٠٥هـ.

(٢) التأويل الإسماعيلي الباطني ومدى تحريفه للعقائد الإسلامية، د. عبد العزيز سيف النصر ص٤ بتصرف، مطبعة الجبلاوي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

(٣) اغتر بعض المثقفين بما أخبر به الدكتور عمارة، من رجوعه عن الفكر الماركسي الذي كان عليه في فترة الخمسينات، وانضمامه إلى قافلة الإسلاميين، والحقيقة أنه وإن ترك الفكر الماركسي، إلا أنه انتقل إلى تيار العقلانية، أو ما يسمى بالتيار الحضاري، وهو وجه آخر للعلمانية. انظر: محمد عمارة في ميزان أهل السُّنَّة والجماعة لسليمان الخراشي ص٧٠١ ـ ٧٠٥، دار الجواب ١٤١٣هـ.

(٤) التراث في ضوء العقل، د. محمد عمارة ص٢٩١، دار الوحدة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م.

قائد هذه الثورة ـ أي: ثورة الزنج ـ شاعراً وعالماً، وهو ثائر عربي وعلوي...»[١].

ولم ينس هذا العلماني دولة الإسماعيلية العبيدية، بل أفرد لهم كتاباً كاملاً أظهر فيه إعجابه بهم وبأفكارهم الخبيثة[٢].

وكذلك فعل العلماني المصري حسن حنفي حيث أشاد بالمعتزلة وبوعيهم الذي يتفق مع ما يريده هو وأصحابه، فذكر أنه «يهتم بالمعتزلة وأصحاب الطبائع من أجل وعي حضاري حديث، ومن أجل الخروج من الإيمان السلفي»[٣].

وكذلك فعل العلماني الخبيث نصر أبو زيد فقد أظهر إعجابه أيضاً بالمعتزلة، واتخذ من موقفهم في خلق القرآن ذريعة لقوله بأن القرآن ليس من عند الله[٤]. هكذا يتتابع زنادقة العلمانية على الإشادة بسلفهم من الزنادقة وببعض الفرق المنحرفة، وما ذلك إلا لإعجابهم بهم وبأفكارهم المنحرفة.

وقد ظهر أثر ذلك الإعجاب على أفكار العلمانيين حيث أخذوا يرددون كثيراً من عقائد الزنادقة وأقوالهم بعد أن غلفوها ببعض عبارات التجديد والتحديث جرياً على طريقة أساتذتهم المستشرقين، وتلبيساً على عوام الناس بتلك الشعارات الزائفة، ومن أمثلة تلك العقائد ما يلي:

---

(١) الإسلام والثورة، د. محمد عمارة ص٢٢٤ بتصرف، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٠م.

(٢) وهذا الكتاب بعنوان «عندما أصبحت مصر عربية» وقد طبع الكتاب بمطبعة المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٤م.

(٣) الإسلام والحداثة ندوة مواقف، لمجموعة من الحداثيين ص٢١٨، دار الساقي، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.

(٤) انظر: مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن لنصر أبو زيد ص٢٧، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م، والانحراف العقدي في الأدب المعاصر (٢/ ٧٠٨)، د. سعيد بن ناصر الغامدي، رسالة دكتوراه مقدمة لكلية أصول الدين، قسم العقيدة، عام ١٤١٧هـ.

١ ـ إنكار الغيبيات والعبث بمعانيها:

ينكر كثير من دعاة العلمنة الأمور الغيبية التي جاءت بها الرسل عليهم السلام من الإيمان بالله وملائكته واليوم الآخر وغير ذلك من أمور الغيب، ويزعمون أن عقولهم لا يمكن أن تتقبل الإيمان بذلك لعدم مشاهدتها له، ويدَّعون مع ذلك أنهم باقون على الإسلام حتى ولو أنكروا جميع الغيبيات كما يظهر ذلك في كلام العلماني حسن حنفي حيث ذهب إلى أنه: يمكن للمسلم المعاصر أن ينكر الجانب الغيبي في الدين ويكون مسلماً حقاً في سلوكه[(١)].

ثم يأتي في موضع آخر فيشكك في وجود الله تعالى فيقول: «إذا كان الله ليس وجوداً ذهنياً بل وجودٌ واقعيٌ أيضاً فكيف يشار إليه وكيف يُعبَّر عنه في اللغة؟ من الصّعب إذاً وجود ما صدق للفظ «الله» كما وضُح أنه من الصعب وجود مفهوم له. ولا ينفع هنا أي دليل... لإثبات وجود الله لأن الانتقال من الذهن إلى الواقع هو خروج من القوة إلى الفعل يحتاج إلى تحقيق ونشاط وحركة وفاعلية لا يعطيها الدليل العقلي...»[(٢)].

وأما الملائكة والقيامة والخلق والبعث فيُصَرِّح بإنكارها ويعلل ذلك بمجاوزتها للحس والمشاهدة، وعدم تقبل جميع الناس[(٣)].

ويأتي علماني آخر وهو زكي نجيب محمود فيصرح بأن الغيب والإيمان به خرافة وتمثيل[(٤)]، وذلك لمخالفته لعقله الفاسد.

هكذا يصرح دعاة العلمنة بإنكارهم لعالم الغيب وحمل ما ورد من ذلك على أنه تمثيل وخرافة لا حقيقة له، لذا فهم يسخرون ممن يصدقون بذلك من أهل الإيمان ويلقبونهم بـ «الرمزية» و«أصحاب الحجب» سخرية بهم كما يظهر ذلك في كلام العلماني علي حرب حيث يقول: «إن الذين ادعوا أنهم يعلمون

---

(١) انظر: قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر، د. حسن حنفي ص٩١، دار التنوير، بيروت.
(٢) التراث والتجديد د. حسن حنفي ص٩٧ مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
(٣) انظر: العصرانيون ص٣٩٥.
(٤) انظر: المرجع السابق ص٣٩٥.

بالأمور العلم اليقين لم يفعلوا سوى أن مارسوا سفسطة مغلّفة» ثم يظهر سخريته بهم فيقول: «أصحاب السلطات الرمزية وأعني بهم الناطقين باسم الغائب والمدافعين عن العقائد وحراس النصوص...»[(١)].

وفي موضع آخر يظهر إعجابه بالعقل وتمجيده للفلسفة فيقول: «الفلسفة قد عنت على الدوام انسحاب الآلهة والأنبياء من على المسرح ليحل محلهم الإنسان بعقله وإرادته بمنطقه وتجاربه»[(٢)].

والعلمانيون بإنكارهم للأمور الغيبية وسخريتهم بمن يؤمن بها يتفقون مع سلفهم الزنادقة في إنكارهم لهذه الأمور وزعمهم بـ «أن ظواهر الشرع، وأكثر ما جاءت به الرسل من الأخبار عما كان ويكون من أمور الآخرة والحشر والقيامة والجنة والنار، ليس شيء منها على مقتضى التصريح لقصور أفهامهم، فمضمون مقالاتهم إبطال الشرائع وتعطيل الأوامر والنواهي، وتكذيب الرسل والارتياب فيما أتوا به»[(٣)].

٢ ـ القول باكتساب النبوة، واعتبارها نوعاً من الخيال:

تحدث العلماني نصر أبو زيد عن النبوة، فكشف عن زندقته حيث عدّ النبوة نوعاً من الخيال مساوياً بها الشعر والكهانة فقال: «إن تفسير النبوة اعتماداً على مفهوم «الخيال» معناه أن ذلك الانتقال من عالم البشر إلى عالم الملائكة انتقال يتم من خلال فاعلية «المخيلة» الإنسانية التي تكون في «الأنبياء» بحكم الاصطفاء والفطرة أقوى منها عند من سواهم من البشر، وإذا كانت فاعلية «الخيال» عند البشر العاديين لا تتبدى إلا في حالة النوم وسكون الحواس، بنقل الانطباعات من العالم الخارجي إلى الداخل فإن «الأنبياء»

---

(١) نقد النص لعلي حرب ص٢٣، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م، وانظر: العواصم من قواصم العلمانية، د. عمر كامل ص٤٣، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

(٢) نقد النص ص٢٨ ـ ٢٩.

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض مع شرحه للملا علي قاري (٢/ ٥١٧)، دار الكتب العلمية، بيروت.

و«الشعراء» و«العرافين» قادرون دون غيرهم على استخدام فاعلية المخيلة في اليقظة والنوم على السواء»[(١)].

فقد صور هذا العلماني الزنديق النبوة على أنها نوع من أنواع الخيال، وهذا الخيال عند الأنبياء ـ كما يزعم ـ أقوى منه عند غيرهم من البشر، ولذا جعل الأنبياء عليهم السلام بمنزلة الشعراء والعرافين لقدرتهم جميعاً على استخدام الخيال في اليقظة والنوم.

ولا شك أن الفرق كبير بين الأنبياء عليهم السلام وغيرهم من أصناف البشر، وذلك أن النبوة إنما هي اصطفاء واجتباء من الله تبارك وتعالى لمن يشاء من خلقه بخلاف الشعر والعرافة وغير ذلك مما قد يدخله الخيال.

ويظهر علماني آخر وهو زكي مبارك ليقرر عقيدته في النبوة فيقول: «إن جمهور المسلمين يعتقدون أن النبوة لا تكتسب، وهم يعنون بذلك أنها لا تنال بالجهاد في سبيل المعاني السامية، وإنما هي فضل يخص الله به من يشاء، وإنما غلبت هذه العقيدة لأن الإسلام نشأ في بيئات وثنية، أو خاضعة للعقلية الوثنية. . .»[(٢)].

فقد ذهب هذا العلماني إلى أن النبوة قد تنال عن طريق الاكتساب وذلك ـ عنده ـ بالجهاد في سبيل المعاني السامية، ثم انتقد جمهور المسلمين الذين لا يزالون يؤمنون بأن النبوة اصطفاء من الله بأن ذلك إنما غلب لكون الإسلام نشأ في بيئات وثنية تصدق بكل شيء، ولذلك قال هذا العلماني بعد كلامه السابق: «لو أن النبي صلى الله عليه وسلم حدثهم بأن فيه عنصراً من الألوهية لوصل إلى قلوبهم بلا عناء»[(٣)].

وهذه العقيدة التي قررها دعاة العلمنة إنما ورثوها عن سلفهم من زنادقة

---

(١) مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن، د. نصر أبو زيد ص٤٩.

(٢) مجلة الرسالة المصرية عدد ٢٩٧، تاريخ ١٣٥٨/١/٢٢هـ، مقال بعنوان: النواحي الإنسانية في الرسول، د. زكي مبارك، السنة السابعة، (١/ ٥٠٧).

(٣) مجلة الرسالة المصرية عدد ٢٩٧، السنة السابعة، (١/ ٥٠٧).

الباطنية والفلاسفة، حيث اتهموا الأنبياء عليهم السلام بالمخرقة والتخييل على الناس فقالوا: «إن الأنبياء كلهم ممخرقون ومنمسون فإنهم يستعبدون الخلق بما يخيلونه إليهم من فنون الشعبذة والرزق...»(١).

وقد صرح كثير منهم باكتساب النبوة ـ كما سيأتي ـ بيان ذلك في الباب الثالث إن شاء الله تعالى.

٣ ـ الدعوة إلى تنحية الشريعة وتحكيم القوانين الوضعية:

يتفق دعاة العلمنة على مسألة تحكيم القوانين وفصل الدين عن شؤون الدولة والحياة تبعاً للغرب الكافر ـ كما تقدم ـ ويطالبون بتنحية الشريعة تحت شعار الحرية والتقدم ومحاكاة الغرب، كما يقول العلماني علي عبد الرزاق: «إن رد الإسلام إلى دائرة الروح، ورد الحياة الاجتماعية والسياسية بعد تحريرها من الدين، إلى دائرة العلم الوضعي، هما السبيل إلى التقدم، وإلى مسابقة الأمم في طرق الرقي، وهذا ما تعنيه هذه العبارة، لا شيء في الدين يمنع المسلمين أن يسابقوا الأمم الأخرى... وأن يهدموا ذلك النظام العتيق الذي ذلوا له واستكانوا إليه...»(٢).

فهذا العلماني يريد من المسلمين أن يقصروا الإسلام على ما يتعلق بالروح فقط من العبادات والأذكار، وأما أمور السياسة والاجتماع فينادي بتحريرها من الدين وإخضاعها للقوانين الغربية باسم الرقي والتقدم.

ويصرح العلماني نصر أبو زيد بعدم إمكانية تطبيق الشريعة في مثل هذا العصر فيقول: «إن المطالبة بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية واعتبارها مطلباً أولياً في الفكر الديني المعاصر مع التسليم بصحة منطلقاتها النظرية وثبٌ على الواقع وتجاهل له، خاصة إذا تم اختزاله في مسألة تطبيق «الحدود» كما هو

---

(١) فضائح الباطنية ص١٨.

(٢) التغريب والمأزق الحضاري، د. سليمان الخطيب ص٦٣، دار هجر، أبها، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، وقد بحثت عن هذا النص في كتاب الإسلام وأصول الحكم لعلي عبد الرزاق، مطبعة مصر، الطبعة الثالثة، ١٣٤٤هـ، فلم أجد إلا بعضه ص١٠٣.

الأمر عند كثير من الجماعات التي تطلق على نفسها اسم «الإسلامية»، إن حصر غاية الدين وأهدافه في رجم الزاني، وقطع يد السارق، وجلد شارب الخمر... أمر بتجاهل مقاصد الشريعة، وأهداف الوحي في تشريع هذه الحدود»[١].

ولا أدري ما المراد بالواقع الذي يكون الوثب عليه إذا طبقت الشريعة الإسلامية ـ عند هذا العلماني الزنديق ـ ولعله أراد بذلك واقعه هو وأمثاله من زنادقة العلمنة الذين لا يريدون الشريعة، وإنما ينادون بمحاكاة الغرب وتقليده في جميع ما يقول ويفعل، ويأتي العلماني زكي نجيب فيقرر «أن الشريعة «شريعة الأسلاف» لم تعد تصلح لواقعنا المعاصر، ثم علينا أن نبني حضارتنا على النموذج الغربي المادي الحديث، دونما التفات إلى أي أسس أخلاقية أو قيمة ثقافية أو عقدية...»[٢].

إلى غير ذلك من أقوال زنادقة العلمنة وكأنهم بذلك قد تواصوا على إحياء عقائد سلفهم من الزنادقة بطريقة عصرية، فقد نادى سلفهم من الزنادقة بالتحرر من الشريعة، وعدم الانقياد لتعاليمها، كما نقل ذلك الإسفراييني عنهم بقوله: «إذا ظفروا بواحد من السلاطين والمحتسبين قالوا له: وضعت هذه الشريعة للحمير والعوام، وأنتم من جملة الخواص، ينبغي أن يكون لدينك خاصية تخالف دينهم، ويقولون: إن النبي ﷺ لم يكن نبياً ولا رسولاً، ولكنه كان حكيماً، أراد أن يستعبد العوام فكلفهم هذه التكاليف، ولا بد للخواص أن يتميزوا عنهم ولا ينقادوا لشيء لا أصل له»[٣].

فهذا بعينه هو ما يردده زنادقة العلمنة في هذا العصر، غير أنهم قد ألبسوا زندقتهم العصرية ثوباً آخر، فلبسوا على الناس باسم المدنية والحضارة وغير ذلك من الشعارات الزائفة.

---

(١) مفهوم النص ص١٤.
(٢) غزو من الداخل، جمال سلطان ص٤٠، دار الوطن، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
(٣) التبصير في الدين ص١٢٢.

٤ ـ الدعوة إلى تحرير المرأة والانحلال الخلقي:

اهتم العلمانيون بقضية المرأة المسلمة فرفعوا شعاراتهم البراقة مطالبين بـ «تحرير المرأة» بقصد اجتذاب المرأة المسلمة واتخاذها وسيلة لحرب الإسلام.

فقد زين دعاة العلمنة للمرأة السفور، ومحاكاة نساء الغرب الكافر، وصوروا لها الحجاب على أنه نوع من الأغلال الموروثة التي لم يرد في الدين ما يؤيدها أو يأمر بها.

وقد كان أول من نادى بهذه الفكرة الخبيثة بمصر العلماني قاسم أمين حيث ألف كتابه المعروف بـ «تحرير المرأة» وصرح فيه بالدعوة إلى السفور ونبذ الحجاب فكان مما قال: «إن الانتقاب والتبرقع ليسا من المشروعات الإسلامية لا للتعبد ولا للأدب، بل هما من العادات القديمة السابقة على الإسلام والباقية بعده...»[(١)].

ويؤكد حسين أحمد أمين على أنه «ليس في القرآن نص يحرم سفور المرأة، أو يعاقب عليه... وأن الرجال يتمسكون بالحجاب ليستبدوا بالمرأة، فينفسوا عن قهرهم سياسياً واجتماعياً»[(٢)].

ولم يقف دعاة العلمنة وأعداء الإسلام عند قضية الحجاب بعد أن تحقق لهم ذلك في كثير من البلاد الإسلامية، بل سخروا جهودهم لتحقيق أهدافهم الخبيثة من الدعوة إلى اختلاط الذكور بالإناث والتهوين من شأن الفاحشة، بل الدعوة إليها بطريقة عصرية ماكرة، كما ورد ذلك في كتاب «كيف نُفهم الأطفال» والذي أصدرته مؤسسة أمريكية تحت إشراف أحد دعاة العلمنة، وهو الدكتور عبد العزيز القوصي المستشار بوزارة التعليم بمصر، يقول كاتبه: «إن الطبيعة الجنسية ليست بالشيء الشاذ أو المشوّه، بل إنها الحياة الجنسية التي تقوم عليها الأسرة، تلك الأسرة التي تعتمد عليها ثقافتنا، والشيء الطبيعي

---

(١) تحرير المرأة لقاسم أمين ص٧٩، الطبعة الثالثة، مصر.

(٢) مجلة الأهالي القاهرية ٢٨/ ١١/ ١٩٩٤م، مقال بعنوان «موقف القرآن من حجاب المرأة» لحسين أحمد أمين، نقلاً عن العصرانيون ص٢٦٣.

الصائب أن يحب الفتيان الفتيات وأن تحب الفتيات الفتيان...»[١]، ثم يقول بعد ذلك: «فالشوق إلى القبلة، أو بعض الغزل الرقيق، أو الإنصات إلى قصة فيها تلميحات جنسية، كل هذه ليست أموراً شائنة، فليهدأ الشباب بالاً، فليس كل ما يدور حول الجنس يدخل في باب المحرّمات...»[٢].

هكذا يتفق دعاة العلمنة مع أساتذتهم الغربيين في الدعوة إلى إعلان الفاحشة وتفشي الإباحية والانحلال بين شباب المسلمين.

وقد ظهر أثر تلك الدعوات في انتشار الاختلاط في المدارس والمؤسسات الحكومية، بل أصبحت المرأة في كثير من البلدان الإسلامية تخرج إلى النوادي المختلطة، والشواطئ الفاضحة بأزياء خليعة من غير خجل ولا حياء، وقد صاحب ذلك انتشار موانع الحمل ووسائل الإجهاض وغير ذلك من الوسائل المغرية بالفاحشة[٣].

وقد وصف المستشرق «جان بول» حال المرأة التركية في بداية تطبيق العلمانية فقال: «المرأة التركية عصرية تماماً، فهي ترتدي أثواب السهرة العارية الكتفين والظهر، كما لا تحجم عن ارتداء «المايو» ولكنها تتحاشى التطرف في ذلك، وأما الغزل وأحاديث الغرام فهي أمور لا تتم في العلن، وكذلك التقبيل لا يجري جهراً، وما من أحد يشكو من التفكك الخلقي»[٤].

ولا أريد أن أسترسل بالحديث عما حصل بعد ذلك من التفكك الخلقي، وانتشار الدعارة، والزنى، وتجارة الأعراض، وغير ذلك مما أفرزته

---

(١) كيف نُفهم الأطفال ـ سلسلة دراسات سيكولوجية ـ مؤسسة فرانكلين الأمريكية، بإشراف د. عبد العزيز القوصي ص٧٢، نقلاً عن حصوننا مهددة من داخلها، د. محمد حسين ص٣٨، دار الرسالة، الطبعة الثانية، عشرة ١٤١٣هـ.

(٢) كيف نُفهم الأطفال ص٧٥ نقلاً عن حصوننا مهددة ص٣٩.

(٣) انظر: العلمانية، د. سفر ص٦٤٣.

(٤) الإسلام في الغرب، جان بول رو، بتعريب: نجدة هاجر وزميله ص١٨٦ وانظر: العلمانية، د. سفر ص٦٤٢.

العلمانية بقوانينها الوضعية المنحرفة[١].

وكأن هؤلاء العلمانيين يريدون أن تعم الإباحية في المجتمع الإسلامي والتي يرددها سلفهم من الزنادقة في كل زمن اقتداء بمزدك الزنديق الذي نادى بهذه الفكرة الإباحية في مجتمع المجوس، ثم أصبحت هذه الفكرة ميراثاً للزنادقة ينادون بها ويدعون إليها كما فعل القرامطة وغيرهم من الزنادقة، وقد تقدم ذكر بعض الأمثلة على ذلك.

والمقصود أن دعاة العلمانية في بلاد الإسلام قد تأثروا بأفكار الزنادقة وعقائدهم فأظهروا العداوة للإسلام، واتفقوا مع أساتذتهم من أعداء الإسلام على الطعن فيه وتوجيه الشبه إلى أحكامه وشريعته.

يقول الدكتور عبد الصبور شاهين بعد أن ذكر بعض أقوال دعاة العلمنة: «هم ـ أي: دعاة العلمنة ـ ولا شك متجردون من دينهم، متمحضون للإلحاد والزندقة، وإن ادَّعوا نفاقاً أنهم مسلمون، وإلا فكيف نصدق ادعاءاتهم؟ وهذا رصيدهم من الكفريات يكذبهم؟...»[٢].

وقد تم لهم ما أرادوا بتنحية الإسلام عن شؤون الحياة في كثير من البلاد الإسلامية، وضياع كثير من المسلمين بالاندماج في الحضارة الأوروبية الكافرة.

ومما تقدم تتضح صلة العلمانية بالزندقة وأن العلمانية في حقيقتها ليست إلا لوناً من ألوان الزندقة، ومظهراً من مظاهرها التي ظهرت في هذا العصر تحت ستار التحضر حتى تمكن دعاتها في كثير من بلاد الإسلام من تحقيق أهداف الزنادقة الخبيثة ضد الإسلام، وذلك بالتعاون مع أعداء الإسلام من المستشرقين وغيرهم.

---

(١) انظر: أصالة الإسلام في مواجهة التحدي الفكري، لمحمد آل علي ص٢٩٩، دار المؤيد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

(٢) العواصم من قواصم العلمانية المقدمة ص٧ ـ ٨.

ثانياً: الحداثة

مفهوم الحداثة:

الحداثة في اللغة: مصدر حَدَثَ، يقال: حدث الشيء يحدث حدوثاً وحداثة، والحديث: الجديد من الأشياء.

والحداثة تعني: نقيض القديم، وتطلق على أول الأمر، وابتداء الشباب، ونحو ذلك[1].

والحداثة في أصلها: فكرة غربية أدبية، يقصد بها الثورة على كل قديم، والانقلاب في المفاهيم والأفكار، والتمرد على الواقع بجميع جوانبه[2].

يقول المفكر الغربي «أورتيكا كاسيت» في تعريفه للحداثة: «إن الحداثة هدم لكل القيم الإنسانية التي كانت سائدة في الأدب، وإنها الفن الثائر على الناس والزمان والتاريخ»[3].

فالحداثة بمفهومها الغربي ترفض كل ما له علاقة بالماضي من عادات وتقاليد وغير ذلك من أنواع التراث، بما في ذلك الشرائع والعقائد والأخلاق والقيم، سوى ما يتفق مع أفكارهم ومبادئهم مما له علاقة بالثورة على الواقع ولو كان ذلك قبل مئات السنين[4].

---

(١) انظر: الحداثة في العالم العربي دراسة عقدية، د. محمد العلى (١/ ١٢٣ ـ ١٢٥) رسالة دكتوراه قدمت لقسم العقيدة بكلية أصول الدين بالرياض وتمت مناقشتها سنة ١٤١٤هـ، والحداثة تعود، د. حلمي القاعود ص١٣، دار المعراج الدولية للنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة (٢/ ٣٦)، ولسان العرب (٢/ ١٣١ ـ ١٣٤).

(٣) الحداثة مناقشة هادئة لقضية ساخنة، د. محمد خضر ص١٥، دار القبلة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

(٤) انظر: الحداثة في منظور إيماني، د. عدنان النحوي ص٢٩، دار النحوي، الطبعة الرابعة، ١٤١٤هـ.

ويتحدث: «هربت ريد» عن حداثة الغرب، وكيف أنها كفرت وتنكرت لكل قديم حتى أنكرت كل الجهود المبذولة في القرون الماضية بحجة الابتعاد عن التراث فيقول: «إننا نلمس الآن ابتعاداً عن كل أنواع التراث، ولا يمكن أن ندعو هذا الابتعاد بالتطور المنطقي لفن الرسم في أوروبا؛ لأنه ليس هناك ما يوازيه تاريخياً، لقد وجدنا أنفسنا فجأة نكفر بجهود خمسة قرون من الإبداع الفني»[(١)].

فهذا هو مفهوم الحداثة عند الغرب الذين هم أصل نشأتها ـ كما سيأتي ـ التنكر لكل قديم، والابتعاد عن كل موروث، وقد انتقلت إلى العرب بهذا المفهوم الغربي، ولم يغير أتباعها العرب من هذا المفهوم الغربي شيئاً، وقد اعترف منظرو الحداثة العرب بالتبعية لمفهوم الحداثة الغربية كما قال الحداثي «محمد برادة»: «الحداثة مفهوم مرتبط أساساً بالحضارة الغربية، بسياقاتها التاريخية، وما أفرزته تجاربها من مجالات مختلفة»[(٢)]، ومع هذه التبعية للحداثة الغربية فإن الحداثيين العرب قد أكدوا على التمسك ببعض القديم الذي يتفق مع أفكارهم ومبادئهم، كما أكد على ذلك أساتذتهم من مفكري الغرب، وإن كان الجميع قد يطلق عبارة الابتعاد أو الهدم على كل قديم، غير أنهم عند التطبيق يستثنون ما يوافق أفكارهم مما هو ـ عندهم ـ ثورة على الواقع ومخالفة للمألوف[(٣)].

يقول عميد الحداثة العربية ـ كما يلقبه أتباعه ـ «أدونيس»: «الكتابة الإبداعية هي التي تمارس تهديماً شاملاً للنظام السائد وعلاقاته، أعني نظام الأفكار»[(٤)].

---

(١) هربت ريد وكتابه «الفن الآن»، نقلاً عن الحداثة في منظور إيماني ص٢٦.

(٢) مجلة فصول، القاهرة، عدد أبريل ـ يونيو ١٩٨٤م، ص١١، مقال بعنوان «اعتبارات نظرية لتحديد مفهوم الحداثة»، محمد برادة، نقلاً عن الحداثة ملة الكفر المعاصر، أبو إسلام أحمد عبد الله ص٢٨، بيت الحكمة، القاهرة.

(٣) انظر: الحداثة تعود ص٦، والحداثة مناقشة هادئة، المقدمة ص ح.

(٤) زمن الشعر لأدونيس ص٢٩٦، دار العودة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٨م.

فالكتابة الإبداعية «الحداثة» تمثل عند «أدونيس» الهدم الشامل لكل نظام فكري، فلا بد للإبداع ـ عنده ـ أن يهدم ما سبقه من الأفكار السائدة، وإلا لم يكن إبداعاً ولا حداثة.

ويصرح الحداثي «كمال أبو ديب» بالمراد بالحداثة، وأنها ثورة عامة على كل ما هو سائد بما في ذلك المقدس منه، فيقول: «الحداثة تجاوز الواقع، وهي الثورة على قوانين المعرفة العقلية، وعلى المنطق وعلى الشريعة... للخلاص من المقدس، وإباحة كل شيء للحرية»[١].

فالحداثة بشهادة أربابها غربية المصدر، تحاول نبذ كل قديم، بغض النظر عن نوع هذا القديم أو شكله، سوى ما يتفق مع ما تدعو إليه من الثورة على الواقع ومخالفة المألوف.

يقول الدكتور محمد مصطفى هدارة في تعريفه للحداثة هي: «اتجاه جديد يشكل ثورة كاملة على كل ما كان وما هو كائن في المجتمع، هي اتجاه فكري أشد خطورة من الليبرالية[٢] والعلمانية والماركسية[٣]، وكل ما عرفته

---

(١) الحداثة ملة الكفر المعاصر ص٢٨.

(٢) الليبرالية: مذهب رأسمالي ينادي بالحرية المطلقة في السياسة والاقتصاد، فيؤكد في الميدان السياسي وعلى النطاق الفردي على القبول بأفكار الآخرين ولو كانت متعارضة مع المذهب بشرط المعاملة بالمثل، وعلى النطاق الجماعي تقوم على العلمانية وعلى أساس التعددية الأيديولوجية والتنظيمية الحزبية من خلال النظام البرلماني الديموقراطي. وتؤكد الليبرالية الاقتصادية على تحقيق: الحرية الاقتصادية وعدم تدخل الدولة في النظام الاقتصادي إلى أدنى حد ممكن. انظر: الموسوعة السياسية المعاصرة، نبيلة داود ص٣٨، مكتبة غريب، القاهرة، والموسوعة الميسرة الندوة العالمية للشباب الإسلامي (٢/ ١١٣٥ ـ ١١٣٦) و(٥/ ٥٦٦)، دار الندوة العالمية، الطبعة الرابعة، ١٤٢٠هـ.

(٣) الماركسية هي مذهب شيوعي إلحادي، وضع أساسه كارل ماركس اليهودي الألماني في ألمانيا، ونفذ أفكارها «لينين» اليهودي الروسي، ومن أهم أفكارها: إنكار وجود الله تعالى، واعتبار المادة هي أساس كل شيء، ومحاربة الأديان، وإلغاء الملكية الفردية، وقد انتشر هذا المذهب باسم الشيوعية، وطبق في بعض الدول =

البشرية من مذاهب واتجاهات هدامة»[١].

فالحداثة إذاً ليست مذهباً أدبيّاً يعنى بقصيدة النثر فحسب، وإنما هي في الحقيقة «نحلة خبيثة تنبذ القديم، وترمي إلى هدم الإسلام في نفوس أهله، واجتثاثه من أصوله، حتى يظهر جيل يقدس ذاته، جيل حديث يرتبط بالفوضى الغربية والكفر والتحلل»[٢].

وقد كان الكثير من الناس يظن أن هذا المفهوم (الحداثة) إنما يعني بالقصيدة المنثورة دون التقيد بقافية وأنه مجرد تغيير في الشكل فقط، كما قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة لكتاب «الحداثة في ميزان الإسلام»: «كنا نظن أن قصيدة النثر المتسمة بالغموض الملقب بالحداثة المحاط بهذه الهالة الإعلامية، نظن ذلك كله أنماطاً من التغيير في الشكل، ولا علاقة له بمضمون الشعر، ولا بمعانيه ولا بمحتواه الفكري، لكن الكتاب كشف لنا أن الشكل لم يكن في ذاته هو هدف هذا التغيير وإنما جعل الشكل الجديد الملفوف بالغموض ستاراً لقوالب فكرية شحنت في كثير من نماذجها بالمعاني الهزلية، والأفكار الهابطة والسهام المسمومة الموجهة للقضاء على الفضيلة والخلق والدين...»[٣].

وهذا الغموض الذي ألبسه الحداثيون لفكرة «الحداثة» هو الذي جعل الكثير من العلماء وغيرهم لا يهتم بأمر «الحداثة» ويظن أنها مجرد تغيير شكلي

= الكبرى في العالم، إلا أنه أعلن فشله وانهياره بعد ذلك في أول معاقله وهو الاتحاد السوفيتي. انظر: الموسوعة السياسية ص٤٠، والموسوعة الميسرة (٢/٩١٩ ـ ٩٢٣).

(١) مجلة الدعوة السعودية، العدد ١١٤٣، ص٣٤ ـ ٣٦، وانظر: مجلة الحرس الوطني عدد ٨٦ ربيع الآخر ١٤١٠هـ مقالات عن الحداثة للدكتور محمد مصطفى هدارة، وانظر: الحداثة مناقشة هادئة ص١٣.

(٢) الحداثة مناقشة هادئة لقضية ساخنة ص١٧.

(٣) مقدمة الحداثة في ميزان الإسلام ص٥ ـ ٦.

في الشعر لا علاقة له بالمضمون، ولم يتنبه الكثير من الناس لحقيقة الحداثة وخطرها إلا بعد أن بدأت تظهر بعض آثار ذلك الفكر الحداثي من خلال ما ينشر عبر الصحف والمجلات من مقالات تدعو إلى نبذ كل قديم، فتارة تظهر الثورة على الدين ورفض تعاليمه بأسلوب ماكر خبيث، وتارة تدعو إلى حرب اللغة وآدابها ومقوماتها، وتارة إلى خروج المرأة وغير ذلك مما ينادون به من أفكار هدامة ومبادئ منحرفة.

نشأة الحداثة:

اختلف مفكرو الغرب الذين كتبوا عن «الحداثة» في تاريخ نشأتها في بلادهم وعلى يد من نشأت، وإن كان الكثير منهم لا يخرجها عن القرن التاسع عشر، وهذا الاختلاف الذي وقع بين أولئك الباحثين حول تاريخ الحداثة نابع عن الاختلاف في تصور هذا المصطلح الذي يعلوه الغموض وعدم الوضوح «فيرى بعضهم أن بداية نشأتها كانت عن طريق الحركات البوهيمية، وأن باريس مهدها، وأن عام ١٨٣٠م وما بعده من الأعوام تعج هناك بالنشاط البوهيمي، وعلى هذا يكون مؤسسها الأول هو الحداثي الفرنسي «شارل بودلير»[(١)].

ويرى آخرون أن بدايتها هي السبعينيات من القرن التاسع عشر إذا اعتبرنا الحداثة تعني الاصطدام بالمذهب الطبيعي[(٢)]، وبعضهم يرجعها إلى

(١) شارل بودلير: كاتب وشاعر فرنسي كبير، ولد سنة ١٨٢١م، وتوفي سنة ١٨٦٨م، وقد كان لمذهبه الفني أثر كبير في الشعر الأوروبي، وقد كثر ذكره في كلام الحداثيين العرب، ويعد عندهم من قدوات الحداثة ورموزها المهمة، انظر: ألف شخصية عظيمة، بلانتا جيت فراي، ترجمة د. مازن طليمات ص٢٨٣، دار طلاس، دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٩٢م، والمنجد في اللغة والإعلام ص١٤٣ ـ ١٤٤.

(٢) المذهب الطبيعي في الفلسفة العامة: هو القول بأن الطبيعة هي الوجود كله، وأنه لا وجود إلا للطبيعة أي للحقيقة الواقعية المؤلفة من الظواهر المادية المرتبط بعضها ببعض، ويتفرع عن هذا المذهب عدة مذاهب؛ منها: ما يتعلق بفلسفة الأخلاق، ومنها ما يتعلق بفلسفة الجمال، وغير ذلك من المذاهب الأخرى. انظر: المعجم الفلسفي (١٧/٢ ـ ١٨)، والموسوعة الميسرة (١١٤٣/٢).

«نيتشة»[١] إذا اعتبرنا الحداثة شيئاً لا بد منه»[٢].

ويؤكد بعض الباحثين على أن فرنسا هي منشأ الحداثة الأول وخاصة الحداثة «الإنكلوأمريكية»[٣] ومن ذلك «سيركونولي»، فيقول: «إن الفرنسيين أنجبوا الحركة الحديثة، التي أخذت تتحرك ببطء... لتستقر في أمريكا حيث انتعشت وازدهرت»[٤] ويقترح تاريخاً تقريباً لنشأة الحداثة وهو عام ١٨٨٠م غير أنه مع هذا الاقتراح التقريبي «يعترف بصعوبة تحديد التاريخ الحقيقي لانطلاق الحداثة، إلا أن اقتراحه لذلك العام بسبب أنه هو العام الذي شهد اتحاد النشاط النقدي لحركة التنوير مع الطابع الاستكشافي للحركة الرومانسية[٥] ليولد الأعمال الفنية للرعيل الأول من الكتاب المحدثين، أمثال: «جيمس» و«مالارميه»...»[٦].

---

(١) نيتشه ـ فريدريك فلهم، فيلسوف ألماني ملحد، ولد سنة ١٨٤٤م، وتوفي سنة ١٩٠٠م، قيل: إنه هو المنظر وصاحب فكر الحركة النازية في القرن العشرين، وقد أخذ نيتشه بمذهب التطور، وقال إن الحياة ليست غير تنازع البقاء وبقاء الأصلح. انظر: ألف شخصية عظيمة ص٣١٠، والمنجد في اللغة والإعلام ص٥٨٢، ومعجم الفلاسفة الميسر، فرانسوا أوبرال وجورج سعد ص١١٢ ـ ١١٤، دار الحداثة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

(٢) الحداثة: مالكوم برادبري وجيمس ماكلفرن ص٣٠ نقلاً عن الحداثة في منظور إيماني ص٥١، وانظر: الحداثة في العالم العربي (١/ ٣٨١).

(٣) أي: الحداثة الإنكليزية الأمريكية.

(٤) الحركة الحديثة مائة كتاب بارز في إنكلترا وفرنسا وأمريكا ص٤ نقلاً عن الحداثة في العالم العربي (١/ ٣٨١).

(٥) الرومانسية: مذهب أدبي يهتم بالنفس الإنسانية وما تزخر به من عواطف ومشاعر، أياً كانت طبيعة صاحبها مؤمناً أو ملحداً مع فصل الأدب عن الأخلاق والتحرر من قيود العقل، وقد بدأت الحركة الرومانسية في فرنسا على يد الأديب الفرنسي «جان جاك روسو»، وتبلورت الرومانسية بعد ذلك مذهباً أدبياً، وانتقلت إلى ألمانيا وإنجلترا وإيطاليا، ويعتبر مذهب الرومانسية ثورة على المذهب الكلاسيكي وتشدده العقلي والأدبي. انظر: الموسوعة الميسرة (٢/ ٨٥٩ ـ ٨٦٣).

(٦) الحداثة مالكوم وجيمس ص٣١ نقلاً عن الحداثة في العالم العربي (١/ ٣٨١)، وانظر: الحداثة في منظور إيماني ص٥١.

ويذهب البعض الآخر من الباحثين إلى أن نشأة الحداثة كانت في بداية القرن العشرين، فيرى «فرانك كيرمود» أن السنوات العشر الأولى من القرن العشرين تمثل بدايات الحداثة الحقيقية[(١)]، وتبين الباحثة «فرجينيا وودلف» تاريخ نشأة الحداثة فتقول: «في شهر كانون الثاني ١٩١٠م حدث تغير كبير في الطبيعة البشرية، فقد تغيرت العلاقات الإنسانية بين السيد والمسود، وبين الزوج والزوجة، وبين الابن وأبيه، وعندما تتغير العلاقات بين البشر لا بد من أن يتبع ذلك تغير في النظرة إلى الدين والأخلاق والسياسة والأدب»[(٢)].

ويؤرخ الكاتب «لورنس» انتهاء العالم القديم ـ أي: ما قبل الحداثة ـ بعام ١٩١٥م فيقول: «لقد انتهى العالم القديم في عام ١٩١٥م»[(٣)].

ومن المعلوم أن الحداثة لم تظهر في الغرب فجأة، وإنما مرت كغيرها من المذاهب الفكرية بعدة مراحل حتى وصلت إلى تمام نضجها، كما أنها لم تنشأ في بلاد الغرب دفعة واحدة، وإنما تدرجت بين البلدان الغربية، وتأثر بعضها ببعض حتى عمت جميع بلدان الغرب، من فرنسا وأمريكا وبريطانيا وألمانيا وغيرها.

فقد كان أول المذاهب الأدبية الفكرية ظهوراً في الغرب، المذهب الكلاسيكي[(٤)] والذي يميل إلى التحفظ واللباقة ومراعاة المقام، ويؤمن أن الإنسان محدود في طاقته، وأن التقاليد يمكن أن تكون جميلة مقبولة، ثم جاء المذهب الرومنسي فكان ثورة على المذهب الكلاسيكي إذ قدس الذات،

---

(١) انظر: الحداثة في منظور إيماني ص٥١.
(٢) الحداثة مالكوم وجيمس ص٣٣ نقلاً عن الحداثة في العالم العربي (١/ ٣٨٣).
(٣) الحداثة مالكوم وجيمس ص٣٣، نقلاً عن الحداثة في العالم العربي (١/ ٣٨٣).
(٤) المذهب الكلاسيكي: مذهب أدبي يقصد به في العصر الحديث: كل أدب يبلور المثل الإنسانية المتمثلة في الخير والحق والجمال، ومن خصائصه عنايته بالأسلوب والفصاحة، والتعبير عن العواطف الإنسانية وربط الأدب بالأخلاق، وغالباً ما يخاطب هذا المذهب الجمهور المثقف، ويعد الكاتب اللاتيني «أولوس جيليوس» هو أول من استعمل لفظ «الكلاسيكية» على أنه مضاد للكتابة الشعبية في القرن الثاني الميلادي. انظر: الموسوعة الميسرة (٢/ ٨٥٥ ـ ٨٥٨).

ورفض الواقع، وادعى أن الشرائع والتقاليد والعادات هي التي أفسدت المجتمع، ثم حدث بعض التطور فيه حتى خرج المذهب الرمزي[١] الفرنسي الذي تمخضت عنه الحداثة[٢].

وقد بلغت الحداثة تمام نضجها وكمالها مع بداية القرن العشرين، وأما قبل ذلك فقد كانت مراحل نمو مرت بها الحداثة، ومما يؤكد ذلك أن الباحثين الغربيين مجمعون «على أن الحداثة الإنكلوأمريكية ما هي إلا نتيجة للحركة الرمزية الفرنسية، التي امتازت بالتجديد، وكان وراءها عالمان بارزان هما «فلوبير» و«بودلير»، وهناك من يؤكد أن الحداثة استمرار للرومانسية، ولكن بصورة عامة تعد فترة الربع الأول من القرن العشرين الفترة التي وصلت فيها الحداثة أعلى درجات النضج...»[٣].

انتقال الحداثة إلى العالم العربي:

ظهرت الحداثة في العالم الإسلامي وبدأ انتشارها في منتصف القرن العشرين الميلادي تقريباً، حيث أعلن عن ولادة الحداثة في العالم الإسلامي بواسطة «تجمع شعر» وذلك أن طائفة من كبار الأدباء العرب الذين تأثروا بالحداثة الغربية اجتمعوا في لبنان وأصدروا مجلة «شعر» لتكون منبراً لنشر أفكار الحداثة في بلاد لبنان وما جاورها، وذلك عام ١٩٥٧م[٤].

---

(١) المذهب الرمزي: هو مذهب أدبي فلسفي ملحد، يتخذ الرمز والإشارة والتلميح طريقة للتعبير عن التجارب الأدبية والفلسفية المختلفة، ولا تخلو الرمزية من مضامين فكرية واجتماعية، تدعو إلى التحلل من القيم الدينية والخلقية، بل تتمرد عليها، مستترة بالرمز والإشارة، وقد عرف مذهب الرمزية في أواخر القرن التاسع عشر، وذلك حينما أصدر عشرون كاتباً فرنسياً بياناً نشر في إحدى الصحف الفرنسية يعلنون فيه ميلاد المذهب الرمزي، وعرف هؤلاء الكتاب بـ «الأدباء الغامضين»، ويعد هذا المذهب هو الأساس المؤثر في مذهب الحداثة الفكري والأدبي. انظر: الموسوعة الميسرة (٢/ ٨٦٤ ـ ٨٦٦).

(٢) انظر: الحداثة في ميزان الإسلام ص٢٠ ـ ٢١، والحداثة في منظور إيماني ص٦٩ ـ ٧٠.

(٣) الحداثة مالكوم وجيمس ص٣٧، نقلاً عن الحداثة في العالم العربي (١/ ٣٨٥).

(٤) انظر: الحداثة في الشعر العربي المعاصر بيانها ومظاهرها، د. محمد حمود ص١٨١ ـ ١٨٢، =

وبهذا انتقلت الحداثة باسمها وأفكارها الغربية إلى بلاد لبنان، ثم انتشرت بعد ذلك في بقية الدول العربية والإسلامية.

ولا شك أن وسائل التغريب المختلفة قد كان لها أعظم الأثر في انتقال الحداثة إلى البلاد الإسلامية ـ كما تقدم ـ ولذا فقد كثر كلام الحداثيين العرب عن تلك الوسائل التغريبية مما يدل على إعجابهم بها وبآثارها السيئة التي هي في أعينهم أساس التقدم والتطور[(١)].

ولعل من أهم تلك الوسائل التي تكررت في كلام أولئك الحداثيين وأشادوا بها وبأصحابها حملة نابليون، والتي حملت معها كثيراً من الأفكار الفرنسية إلى بلاد مصر، حيث عدها الحداثيون هي بداية الحداثة والتطور في العالم الإسلامي، كما قال الحداثي التونسي عبد المجيد الشرفي: «لقد عرف العرب الحداثة في شكل صدمة حين أفاقوا على بونابرت يغزو مصر...»[(٢)].

ويؤكد ذلك الحداثي المغربي سعيد بن سعيد فيقول: «من المعروف أن مؤرخي الفكر العربي المعاصر قد درجوا على اعتبار حملة نابليون على مصر إيذاناً بميلاد ذلك الفكر...»[(٣)].

ويصرح الحداثي محمد العزب بأن هذه الحملة هي بداية الحداثة والتطلع إلى الحضارة فيقول: «توشك الحركة الأدبية أن تجمع على أن الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨م كانت بداية الحداثة في الأدب العربي، فقد صاحب هذه الحملة كثير من مظاهر تحديث الحياة المادية والأدبية، ليس في مصر وحدها، بل في العالم العربي كله...»[(٤)].

= دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، والحداثة في العالم العربي (١/ ٣٨٨).

(١) انظر: الحداثة في منظور إيماني ص٩٠، والحداثة في العالم العربي (١/ ٣٨٨).

(٢) الإسلام والحداثة لعبد المجيد الشرفي ص٣٠، الدار التونسية للنشر ١٩٩٠م.

(٣) الأيديولوجيا والحداثة ـ قراءات في الفكر العربي المعاصر ص١٩، نقلاً عن الحداثة في العالم العربي (١/ ٣٩٨).

(٤) عن اللغة والأدب والنقد، رؤية تاريخية ورؤية فنية، د. محمد العزب ص٨٩ دار المعارف، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م.

كما أن البعثات الخارجية إلى بلاد أوروبا وأمريكا قد أثرت في انتقال الحداثة إلى بلاد المسلمين، فقد عاد كثير من الطلاب المبتعثين إلى بلادهم، وهم يحملون معهم زبالة أفكار الغرب الكافر، ومن بين ذلك الفكر الحداثي، حيث إن معظم رواد الحداثة العربية ومنظريها هم من أولئك الطلاب المبتعثين وخاصة المبتعثين من نصارى البلاد العربية.

وقد أعجب الحداثيون العرب بما نتج عن تلك البعثات الخارجية(١) من آثار خاصة ما ظهر على يد رفاعة الطهطاوي الذي رافق أول بعثة مصرية إلى بلاد فرنسا عام ١٨٢٦م(٢) حيث رجع ذلك المفتون وقد تأثر بالحياة الأوربية مما جعله يرفع لواء التحديث ويدعو إلى الأخذ بالحضارة الأوربية، ولذا فقد أشاد الحداثيون العرب بجهوده في التحديث والتنوير ـ كما يزعمون ـ وفي ذلك يقول الحداثي فادي إسماعيل: «لا بد أن نعترف بأن الطهطاوي كان مؤسساً، أسس لتيار التحديث وأطروحاته التوفيقية والاعتدالية من موقع التكيف مع القوة القاهرة...»(٣).

ويقول الحداثي منذر المعاليقي ـ في الإشادة بالطهطاوي واتجاهاته الغربية ـ: «الطهطاوي الذي أيد... سياسة الانفتاح على المجتمعات الغربية المتطورة، سفه دعاة العزلة، وأصحاب النزعات السلفية، التي تضع الدين في زوايا ضيقة، وترفض مجاراة العصر، وأشار إلى أهمية اتصال الشرق النائم بالغرب الناهض...»(٤).

ولقد كان للحداثي النصراني «يوسف الخال» أثرٌ كبيرٌ في نشر الحداثة في بلاد لبنان، وذلك بعد رجوعه من بعثته إلى الولايات المتحدة الأمريكية،

---

(١) انظر: الحداثة في منظور إيماني ص٩١، والاتجاهات الفكرية المعاصرة ص٩٤ ـ ٩٦.

(٢) انظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة ص٩٤ ـ ٩٦.

(٣) الخطاب العربي المعاصر ـ قراءات نقدية في مفاهيم النهضة والتقدم والحداثة فادي إسماعيل ص٩١، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، أمريكا، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.

(٤) معالم الفكر العربي في عصر النهضة العربية، د. منذر معاليقي ص٣٧، دار اقرأ، بيروت، ١٤٠٦هـ.

حيث رجع داعياً إلى تبعية الغرب في جميع أفكاره، ومن ذلك الفكر الحداثي الغربي الذي نظّر له في بلده حتى ظهرت بدايته بتأسيس مجلة تحمل الدعوة الصريحة للحداثة، كما قال عبد الحميد جيدة: «إن التنظير لحداثة الشعر العربي المعاصر بدأ بعودة يوسف الخال من الولايات المتحدة إلى بيروت، الذي قام عام ١٩٥٦م باتصالات عديدة مع العناصر الأدبية القادرة على الإسهام في خلق حركة شعرية حديثة، وقد تم التجمع، وأعلن عن تأسيس مجلة فصلية. . . وأصبح يوسف الخال نفسه رئيساً لتحريرها. . .»[١].

وقد حصل عند بعض العرب في لبنان وسوريا ما هو أعظم من البعثات الخارجية وهو الهجرة الكاملة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وهؤلاء هم الذين أطلق عليهم اسم «أدباء المهجر» وغالبهم من النصارى العرب، وقد كان لهؤلاء الأدباء دور كبير في نقل الحداثة الغربية إلى البلاد العربية، حيث أكثروا من ترجمة الكتب الفكرية والأدبية للحداثيين الغربيين، وألف بعضهم كتباً ظهرت فيها الدعوة الصريحة إلى الحداثة ونبذ القديم[٢].

يقول أدونيس عن أدباء المهجر: «بالهجرة أصبح الغرب بالنسبة إلى الشاعر العربي مكان إقامة ومناخ إلهام في آن، وهذا ما تفصح عنه حركة الشعر المهجري التي نشأت في بؤرة الحداثة الغربية. . .»[٣].

وقد عُدّ أدونيس أحد هؤلاء الأدباء مؤسساً للحداثة في العالم العربي، حيث قال عن جبران خليل جبران أحد أدباء المهجر إنه «مؤسساً لرؤيا الحداثة، ورائداً أول في التعبير عنها. . .»[٤].

---

(١) الحداثة في الشعر العربي بين التنظير والتطبيق (١/ ١٥) نقلاً عن الحداثة في العالم العربي (٢/ ٤٨٤).

(٢) انظر: الانحراف العقدي في الأدب العربي المعاصر (١/ ٥٨)، والحداثة في العالم العربي (٢/ ٤٤٠).

(٣) الثابت والمتحول بحث في الاتباع عند العرب، أدونيس (٣/ ١٦١)، دار العودة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٩م.

(٤) المرجع السابق (٣/ ١٦٣).

وقد تطورت جهود أولئك الحداثيين من المبتعثين وأدباء المهجر وغيرهم حتى خرج عن تلك الجهود عدة مدارس وجمعيات أدبية جديدة، حملت لواء التحديث في الشعر، والثورة على التعبير الشعري السائد كالمدرسة المهجرية[١] وجمعية أبوللو[٢] وغيرهما[٣].

ولم تزل تلك الجهود الحداثية قائمة حتى ظهرت على أرض الواقع وأعلنت الحداثة صراحة ـ كما تقدم ـ عن طريق المجلات التي أسسها بعض الحداثيين، وجعلوها منابر للدعوة إلى الحداثة، والثورة على الأدب العربي القديم.

ولقد كان من أوائل تلك المجلات التي أسست للدعوة إلى الحداثة «مجلة الآداب» التي أسسها الحداثيون سنة ١٩٥٣م في لبنان، وقد كان لهذه المجلة دور مهم في نشر الحداثة في البلاد العربية[٤].

يقول الحداثي المصري غالي شكري: «كانت الآداب بالنسبة للشعر الجديد ذات دلالة خاصة، فلأول مرة يعثر على منبره الخاص، وتنظيمه العلني

---

(١) المدرسة المهجرية: يقصد بهذه المدرسة الإشارة إلى أدب مهاجري العرب في الولايات المتحدة الأمريكية، والذي تقع مرحلته الإبداعية ـ كما توصف ـ بين الحربين العالميين، وأدباء هذه المدرسة هم من نصارى العرب كجبران خليل وإيليا أبو ماضي وغيرهما، وقد صدر عن هذه المدرسة عدة صحف أسهمت إسهاماً واضحاً في انتشار الحداثة في البلاد العربية. انظر: التجديد في شعر المهجر د. محمد مصطفى هدارة ص١٤٢ ـ ١٧٥، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، ١٩٥٧م، والحداثة في العالم العربي (٢/ ٤٣٨ ـ ٤٤٥).

(٢) جمعية أبوللو: وهم طائفة من الأدباء والشعراء اجتمعوا وقاموا بتكوين هذه الجمعية برئاسة أحمد زكي أبو شادي، وأصدروا مجلة باسم «مجلة أبوللو» سنة ١٩٣٢م، وقد عنيت هذه الجمعية بالتجديد، والثورة على المألوف من الشعر، وسميت هذه الجمعية باسم أحد الآلهة عند الإغريق، وهو إله الشعر والفن عندهم. انظر: جماعة أبوللو وأثرها في الشعر الحديث، عبد العزيز الدسوقي ص٣٠٦ ـ ٣٥٠، معهد الدراسات العربية ١٩٦٠م، والثابت والمتحول (٣/ ١٠٩ ـ ١١٠).

(٣) انظر: الثابت والمتحول (٣/ ٧٧ ـ ١١٠)، والحداثة في العالم العربي (٢/ ٤٤٦ ـ ٤٦٠).

(٤) انظر: الحداثة في العالم العربي (٢/ ٤٨٦).

فيخرج من السراديب السرية (تحت الأرض) إلى الهواء الطلق في إطار يحمي تجربته الجديدة من التبدد والضياع»[١].

ثم توالت بعد ذلك المجلات الحداثية التي أسسها رواد الحداثة لنشر الحداثة في البلاد العربية كمجلة «شعر» اللبنانية التي أدّت دوراً مهماً في نشر الحداثة، ومجلة «حوار» ومجلة «مواقف» وغير ذلك من المجلات الكثيرة التي انتشرت في البلاد العربية والإسلامية داعية إلى الحداثة والثورة على القديم[٢] ـ كما يزعمون ـ فسخر أولئك الحداثيون تلك الصحف والمجلات الكثيرة لنشر أفكارهم.

ولم يقف الحداثيون في دعوتهم إلى الحداثة عند المجلات والصحف بل شاركوا بأشعارهم الحداثية في كثير من الأندية الأدبية والمهرجانات الشعرية وغير ذلك من الوسائل الكثيرة حتى ظهر أثر هذا المذهب الخبيث على كثير من شباب المسلمين الذين لم يعرفوا حقيقة هذا المذهب الذي يتستر بستار الأدب والشعر، وذلك بعد أن تمكنوا من الإشراف عليها، ولم يكتفوا بنشر أفكارهم الحداثية عبر تلك الوسائل الإعلامية وإنما حجبوا عن القراء الآراء الكثيرة المخالفة لأفكارهم الحداثية حتى لا يطلع الشباب على تلك الآراء النقدية فتؤثر على نظرتهم إلى الحداثة وإعجابهم بدعاتها، ولكي تبقى تلك المجلات خاصة بنشر تلك الأفكار الخبيثة، فمن كان تبعاً لهم فإنها تنشر أقواله ومقالاته في كل ما يريده من صحفهم، ومن خالفهم أو أظهر نقدهم أغلقوا الباب في وجهه كما قال أدونيس لأحد محدثيه: «كن معي... وأستطيع أن أجعل مقالاتك تنشر في أية صحيفة أو مجلة تريدها، ولا تضطرني أن أغلق في وجهك حتى زوايا بريد القراء في أي صحيفة»[٣].

فهذا الكلام من عميد الحداثيين العرب يؤكد لنا استيلاء الحداثيين على

(١) شعرنا الحديث إلى أين، غالي شكري ص٣٨، دار المعارف، مصر.
(٢) انظر: الحداثة في العالم العربي (٢/ ٨٨٤ ـ ٥٠٢).
(٣) المرجع السابق (٤/ ١٥٦١) نقلاً عن مجلة الشراع عدد ٣٩٩، ١٣/ ١١/ ١٩٨٩م ص٢٧.

كثير من الصحف والمجلات وتسخيرها في نشر الحداثة وردِّ كل من يحاول أن ينشر غير هذا الفكر فكيف بمن ينتقده أو يناهضه، وقد صرح أحد الحداثيين الذين رجعوا عن الحداثة[1] بذلك وفضح الحداثيين الذين تولوا الإشراف على الصحف فقال: «أعترف أننا مارسنا سياسة قمعية غريبة جداً، حيال أمور عديدة من واقع الإشراف والتحرير، متفق عليه في صحف هذا التوجه:

الأول: رفض معطيات كل الذين تلبسوا التراث، فنرفض مثلاً نشر قصيدة موزونة مقفاة، وكنا نسميها السلم التراثي...

الثاني: رفض أي صوت يناهض الحداثة، فكانت سلة المهملات المكان الطبيعي لهذه المناهضة، أياً كان مصدرها أو كاتبها، حتى كنا بهذا نقول وبصوت متفاوت لنخرس الصوت القادم من بيت العنكبوت.

الثالث: إبراز معطيات الشباب جيدة أو رديئة، وتحتاج لصياغة أو إعادة الكتابة مرة أخرى، حتى الأسماء النسائية...»[2].

وقد صدق هذا الكاتب بعد أن منّ الله عليه بالتوبة من رجس الحداثة وبيّن خبث الحداثيين حينما تمكنوا من وسائل الإعلام حيث أوقفوا تلك الوسائل على الفكر الحداثي ورفضوا كل الأصوات المناهضة لذلك.

صلة الحداثة بالزندقة:

تعد الحداثة إحدى دعوات الزندقة الحديثة كالعلمانية وغيرها التي هي في الحقيقة امتداد لدعوات الزنادقة في العصور الماضية، وقد ظهرت هذه الدعوة في بلاد الإسلام تحت ستار تحديث الأدب وتجديد الشعر العربي، إلا أن حقيقة أمرها العداوة والحقد على دين الإسلام كغيرها من دعوات الزنادقة على مر العصور والتي ظهرت بمظاهر تختلف كل الاختلاف عن حقيقة ما تهدف إليه من عداوة الإسلام وأهله كالسبئية والباطنية وغيرهما.

---

(١) وهو الكاتب عبد الله سلمان، وقد أعلن توبته عن الحداثة والحمد لله.

(٢) نشر هذا المقال في ملحق صحيفة المدينة الأسبوعي الأربعاء ١٤٠٧/٨/١٧هـ تحت عنوان «سيرة الحداثة من الداخل»، وانظر: الحداثة في ميزان الإسلام ص٣٢.

فإن دعاة الحداثة في بلاد الإسلام قد أظهروا الدعوة إلى رفض الإسلام، والتحلل من قيود الشريعة، وإن كانوا مع ذلك يدّعون الإسلام ويرفضون الحكم على أحد منهم بالكفر وإن أتى بكل مكفر، كما قال الحداثي سعيد السريحي مدافعاً عن أستاذه عبد الوهاب البياتي حينما اتهم بالإلحاد لتطاوله على الذات الإلهية: «يأخذكم الحزن على أولئك الذين لا يستحون، حينما يستسهلون تكفير من شاؤوا... يحزنك أن يمارس القتل غيابياً ضد رموز الثقافة المعاصرة، تقول في نفسك: إن أول باب من أبواب التقوى، ألا نسمح لأنفسنا بالوقوف بين الرجل وربه، وأن نترك مسألة الخلق للخالق»(١).

هكذا يدافع هذا الحداثي عن أستاذه البياتي ويعده من رموز الثقافة المعاصرة، ويرد بكل قوة على من يتهمه بالكفر مع تصريحه بالإلحاد والزندقة في قصائده كما في قوله، ونعوذ بالله مما قال:

«الله في مدينتي يباع في المزاد
دعارة الفكر
هنا رائجة، دعارة الأجساد»(٢).

فالحداثيون في بلاد الإسلام يدعون الإسلام، ويتظاهرون به وهم يهدمون الإسلام، ويعادون الشريعة في مقالاتهم وقصائدهم التي يطالعوننا بها كل يوم في عدد من المجلات والجرائد العربية، فهم يظهرون الإسلام ويتمسحون به وهم في الحقيقة يطعنون الإسلام من داخل حصونه، وهذه هي الزندقة التي كان عليها الزنادقة من الباطنية وغيرهم إلا أنها ظهرت في هذا العصر بثوب جديد تحت مسمى «الحداثة» وإن كانت الأهداف واحدة، ولذا فكثيراً ما نرى زنادقة الحداثة يشيدون بسلفهم من الزنادقة، ويمتدحونهم في قصائدهم مما يدل على الصلة الوثيقة بين زنادقة الحداثة ومن سبقهم من الزنادقة على اختلاف فرقهم؛ فمن ذلك:

---

(١) صحيفة عكاظ عدد ٧٥٦٦ بتاريخ ١٤٠٧/٧/١٦هـ، مقال لسعيد السريحي، وانظر: الحداثة ملة الكفر المعاصرة ص٦٦ ـ ٦٧.

(٢) ديوان البياتي (٥٢٧/١)، دار العودة، بيروت ١٩٧١م.

١ ـ الإشادة بزنادقة الصوفية كالحلاج، وابن عربي وغيرهما:

يقول أدونيس في الإشادة بالفكر الصوفي الباطني: «المثل العربي البارز على رفض الشريعة من أجل الحقيقة؛ أي: من أجل ما يتجاوز الشريعة، هو التصوف على صعيد التجربة الفكرية»(١).

وأما امتداح زنادقة الصوفية فقد ظهر عند كثير من الحداثيين، حيث أشادوا بغلاة الصوفية وقدموهم على أنهم أصحاب مواقف نضالية، كما في مسرحية الحداثي صلاح عبد الصبور التي بعنوان «مأساة الحلاج»، فقد أثنى على الحلاج، وصوّر عقيدة الحلول والاتحاد كما يعتقدها الحلاج فقال: «أظن الله كيف ونوره المصباح، وظني كوة المشكاة، وكوني بضعة منه تعود إليه... فالهيكل المهدوم بعض منه إن طهرت جوارحه، وجَلَّالله متفرق في الخلق أنوارا...»(٢).

ثم يأتي حداثي آخر فيشيد بصلاح عبد الصبور ومسرحياته، ثم يشاركه في مدح الحلاج الذي وقف في وجه الظلم حتى قتل! وقد جعل عنوان قصيدته «الحلاج الذي ينتظر السيف» وكان مما قاله: «فعندما يخلع الحلاج خرقة الصوفية، وينزل إلى الناس شاهراً الكلمة في وجه الظلم، تظل الصوفية قيداً يثقل خطواته ليظل بدوره متأرجحاً بينها وبين الواقع، وبين الكلمة والسيف، إلى أن يدهمه الواقع بالشرطة والمحاكمة الشكلية التي تصل إلى الصلب...»(٣).

هكذا يشيد أولئك الحداثيون بالحلاج الذي قتل في الزندقة، بل ويتمنى بعضهم أن يموت كما مات الحلاج، كما يظهر ذلك في شعر الحداثي عبد الوهاب البياتي الذي أكثر من ذكر الحلاج، وردد عباراته، يقول هذا

---

(١) الثابت والمتحول (٣/ ١٨٣).

(٢) ديوان صلاح عبد الصبور ص٥٠٣ ـ ٥٠٤، دار العودة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٢م.

(٣) جريدة الشرق الأوسط عدد ٣٦٤ بتاريخ ٢٩/ ١٠/ ١٤٠٦هـ، وانظر: الحداثة في ميزان الإسلام ص١٠٣.

الزنديق: «فإذا نحر الحلاج، وأصبح في تاريخ العشق شهيداً، فأنا لم أبدأ عرس دمي حتى الآن»[١].

كما أشاد البياتي أيضاً بابن عربي وخصص له قصيدة بعنوان «عين الشمس أو تحولات محيي الدين بن عربي في ترجمان الأشواق» وأشار فيه إلى عقيدته «وحدة الوجود» فقال:

«توحد الواحد في الكل
والظل في الظل»[٢].

كما امتدح هذا الحداثي (السهروردي)[٣] في قصيدة له بعنوان «صورة للسهروردي في شبابه»[٤].

إلى غير ذلك من مدائح الحداثيين لإخوانهم زنادقة الصوفية، والذي جمع بينهم هو الزندقة والاستخفاف بالدين نسأل الله العافية.

٢ ـ الإشادة بزنادقة الرافضة والباطنية:

ظهر في أشعار الحداثيين امتداح زنادقة الرافضة والاستدلال بأقوالهم كما فعلوا مع إخوانهم من زنادقة الصوفية.

يقول أدونيس في الإشادة بـ «الشلمغاني»[٥] الذي يتفق معه في إبطال الشرائع والسخرية بالآخرة:

---

(١) ديوان البياتي (٢/ ٤٢٥) من قصيدة بعنوان «صورة للسهروردي في شبابه»، وانظر: الحداثة مناقشة هادئة لقضية ساخنة ص١٥٥.

(٢) ديوان البياتي (٢/ ٢٣٨).

(٣) يحيى بن حبش بن أميرك السهروردي، شهاب الدين، الفيلسوف المنطقي، اتهم بالانحلال والزندقة واعتقاد مذهب الفلاسفة، فأفتى علماء حلب بقتله، فقتله الظاهر غازي ابن صلاح الدين سنة ٥٨٧هـ، وقد كان مولده بسهرورد سنة ٥٤٩هـ. انظر: السير (٢١/ ٢٠٧ ـ ٢١١)، والأعلام (٨/ ١٤٠).

(٤) ديوان البياتي (٢/ ٤٢٥).

(٥) محمد بن علي أبو جعفر الشلمغاني، ويعرف بابن أبي العزاقر، ادعى الألوهية على طريقة الحلاج، وأحدث شريعة جديدة، فأفتى العلماء بإباحة دمه لزندقته وإلحاده، فقتله الراضي بالله العباسي، وأحرق جثته وكان ذلك سنة ٣٢٢هـ. انظر: البداية والنهاية (١١/ ١٩١)، والأعلام (٦/ ٢٧٣).

«يقول الشلمغاني:

اقرأوا كتابي ـ الحاسة السادسة في إبطال الشرائع

الجنة أن تعرفوني

النار أن تجهلوني»[(١)].

ويأتي حداثي آخر يدعى إسماعيل الوريث فيمدح أحد زنادقة الباطنية وهو «ميمون القداح» مؤسس فرقة الإسماعيلية في قصيدة له بعنوان «من هموم القداح»[(٢)].

هكذا يشيد الحداثيون بأسلافهم من زنادقة الصوفية والرافضة، ولم يكتفوا بهؤلاء الزنادقة مع كثرتهم وخبثهم، وإنما أشادوا بغيرهم من الزنادقة على اختلاف توجهاتهم، وتأثروا بهم في عداوتهم لدين الإسلام، وإنكارهم لما جاء به من الغيبيات وغيرها، كما فعل «أدونيس» في مدحه لبعض الزنادقة كابن الراوندي والرازي وغيرهما، وترديده لأقوالهم وشبهاتهم في إبطالهم للنبوة والشريعة من أصلها.

يقول هذا الزنديق الحداثي في معرض كلامه في الاعتراض على الأنبياء عليهم السلام مستدلاً بكلام الرازي[(٣)] «يقوم نقد الرازي للنبوة على أساسين، عقلي وتاريخي، ومقدمة الأساس الأول أن العقل مصدر المعرفة، ولذلك يجب أن يكون متبوعاً لا تابعاً...»[(٤)] ثم يقول بعد ذلك: «وإذا كان الرازي قد أبطل الأساس وهو النبوة، فقد كان طبيعياً أن يبطل الأديان...»[(٥)].

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة لأدونيس (٢/٥٤٨)، دار العودة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨٥م.

(٢) مجلة اقرأ العدد ٣٥٣، وانظر: الانحراف العقدي في الأدب (٢/ ٧١٢).

(٣) محمد بن زكريا الرازي، أبو بكر الطبيب الفيلسوف، كان على مذهب الإسماعيلية، اشتغل في أول حياته بالموسيقى والغناء والكيمياء ثم عكف على الطب والفلسفة، وقد اشتهر عنه القول بإنكار النبوات، ونقد الأديان، وغير ذلك من الزندقة والإلحاد. ولد سنة ٢٥١هـ، وتوفي سنة ٣١٣هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٥٤)، والأعلام (٦/ ١٣٠)، ومن تاريخ الإلحاد في الإسلام لعبد الرحمٰن بدوي ص٢٣٠ ـ ٢٦٠.

(٤) الثابت والمتحول (٢/ ٨٠ ـ ٨١).

(٥) المرجع السابق (٢/ ٨٣).

وإبطال الأديان هو هدف الزنادقة قديماً وحديثاً، إذ إن زنادقة الحداثة يتفقون مع من سبقهم من الزنادقة على هذا الهدف، بل إن هذا الهدف هو الجامع بينهم، حتى إن بعضهم أطلق على كل زنديق ثائر على الدين «حداثي» وقال بأن تأسيس الحداثة كان على يد أولئك الزنادقة في العهد الأموي والعباسي، كما قال أدونيس: «مبدأ الحداثة هو الصراع بين النظام القائم على السلفية، والرغبة العاملة لتغيير هذا النظام، وقد تأسس هذا الصراع في أثناء العهدين الأموي والعباسي، حيث نرى تيارين للحداثة:

الأول: سياسي فكري، ويتمثل من جهة في الحركات الثورية ضد النظام القائم، بدءاً من الخوارج وانتهاء بثورة الزنج[١] مروراً بالقرامطة، والحركات الثورية المتطرفة، ويتمثل من جهة ثانية في الاعتزال والعقلانية الإلحادية في الصوفية على الأخص...

أما التيار **الثاني** ففني، وهو يهدف إلى الارتباط بالحياة اليومية، كما عند أبي نواس...»[٢].

ولا شك أن إعجاب الحداثيين بالزنادقة ومدحهم لهم قد ظهر أثره على أفكارهم وعقائدهم، كما قال عبد الحميد جيدة: «إن الرافد الصوفي صُبَّ في دائرة الشعر العربي المعاصر، ولونه بلونه الخاص، إن «النفري»[٣] و«الحلاج»... و«ابن عربي»، وغيرهم، أثروا في أدونيس والسياب والبياتي ونازك الملائكة وصلاح عبد الصبور ومحمد عفيفي مطر وفي معظم الشعراء الشباب، لذلك فإن القيم التي يضيفها الشعر العربي الجديد إنما يستمدها من التراث الصوفي»[٤].

---

(١) تقدم التعريف بهم. انظر: ٤١٦.

(٢) الثابت والمتحول (٣/ ٩ ـ ١١).

(٣) محمد بن عبد الجبار النفري أبو عبد الله، الصوفي، نسبته إلى بلدة «نفر» من أعمال الكوفة، له بعض المؤلفات في التصوف، توفي سنة ٣٥٤هـ. انظر: الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ٣٤٠)، والأعلام (٦/ ١٨٤)، ومعجم المؤلفين (١٠/ ١٢٥).

(٤) الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر، د. عبد الحميد جيده ص٩٨ ـ ٩٩، مؤسسة نوفل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م، وانظر: الحداثة في ميزان الإسلام ص٢٩.

وقد ظهر هذا التأثر واضحاً في ترديد الحداثيين لعقائد الزنادقة وشبهاتهم الباطلة التي يطعنون بها في دين الإسلام؛ فمن ذلك:

أولاً: إنكار الغيبيات والعبث بمعانيها:

يتفق دعاة الحداثة مع سلفهم الزنادقة على إنكار الغيبيات والسخرية بمن يؤمن بها، ولذلك نجدهم يعبثون بمعانيها في أشعارهم وكتاباتهم، فيطلقون الألفاظ الغيبية على معان بعيدة عن معانيها الشرعية سخرية واستهزاء بها مما يدل على إنكارهم لها وعدم الإيمان بها، بلغ بهم الأمر إلى الجرأة على «الرب» سبحانه وتعالى، والسخرية به كما يظهر ذلك في قصيدة الحداثي اليمني عبد العزيز المقالح والتي تجرأ فيها على الرب سبحانه وتعالى.

يقول هذا الزنديق في مطلع قصيدته ـ وبئس ما قال ـ:

«صار الله رماداً صمتاً رعباً
في كف الجلادين حقلاً
ينبت سبحات وعمائم
بين الرب الأغنية الثروة»(١).

هكذا يتجرأ هذا الزنديق على الرب سبحانه وتعالى، ويطلق مثل هذه الكلمات الكفرية نسأل الله السلامة والعافية.

ويقول الحداثي العراقي عبد الوهاب البياتي في سخرية بالرب سبحانه وتعالى ـ ونعوذ بالله مما قال ـ:

«الله في مدينتي يبيعه اليهود
الله في مدينتي مشرد طريد
أراده الغزاة أن يكون
لهم أجيراً شاعراً...»(٢).

---

(١) الحداثة ملة الكفر المعاصرة ص٧٦، والحداثة في ميزان الإسلام ص٨٦.

(٢) ديوان البياتي (٥٢٦/١).

تعالى الله عن قول الزنادقة علواً كبيراً.

ويقول أدونيس مخاطباً «القرمطي» في سخرية بيوم القيامة والجنة والنار:

«استغونا أيها السيد استدرجنا

لماذا كانت أبواب الجنة ثمانية

وأبواب النار سبعة كأبواب السمٰوات؟

استغونا»(١).

هكذا يجمع هذا الحداثي الزنديق بين عقيدته في إنكار القيامة والجنة والنار وبين أقوال سلفه من الزنادقة الذين يتفقون معه في ذلك.

أما الحداثي الزنديق نزار قباني فيجعل من أسباب تخلف المسلمين عموماً أنهم يؤمنون بيوم القيامة، فيقول في استخفاف وسخرية بمن يؤمن بذلك:

«الملايين التي تركض من غير نعال

والتي تؤمن في أربع زوجات

وفي يوم القيامة»(٢).

ويقول وهو يخاطب معشوقته في سخرية بالقيامة وعلاماتها:

«بيني وبينك كهنة وعرافون

وعلامات حب قادم تشبه علامات يوم القيامة»(٣).

ثم يأتي حداثي آخر اسمه «علاء حامد» ليؤكد تلك العقيدة الباطلة التي جرى على الإيمان بها الزنادقة، فيقرر أن إثبات القيامة آمالاً كاذبة فيقول ـ قبحه الله ـ: «وتدفع هذه الآمال الكاذبة قطعان البشر للاستسلام للظلم والاستبداد والقهر والاستذلال والجوع والحرمان أملاً في جنة أخرى غير

(١) الأعمال الشعرية الكاملة لأدونيس (٢/ ٥٦٧).

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة لنزار قباني (١/ ٥٦٧)، منشورات نزار قباني، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧١م.

(٣) الأعمال الشعرية الكاملة (٢/ ٨٨١).

أرضية يقطف ثمارها الإنسان بعد موته... هل قرأت أو سمعت عن مجتمع انهار لأنه لا يؤمن بوجود البعث والحساب؟...»[١].

إلى غير ذلك من كلام زنادقة الحداثة وما يرددونه من سخرية واستهزاء بالأمور الغيبية مما يدل على إنكارهم لها، وهم بذلك يتفقون مع إخوانهم الزنادقة من الباطنية والقرامطة وغيرهم.

ثانياً: جحد النبوة والسخرية بالأنبياء:

ردد الحداثيون عقيدة سلفهم من الزنادقة في شأن النبوة والأنبياء، حيث أظهروا إنكار النبوة، والاستخفاف بالأنبياء وبما جاؤوا به من الوحي مستدلين في ذلك بأقوال من سبقهم من الزنادقة وغيرهم من أعداء الإسلام.

يقول أدونيس بعد أن نقل كلام الرازي في إبطاله للنبوة والوحي: «لقد نقد الرازي النبوة والوحي وأبطلهما، وكان في ذلك متقدماً جداً على نقد النصوص الدينية في أوروبا في القرن السابع عشر، إن موقفه العقلي نفي للتدين الإيماني، ودعوة إلى إلحاد يقيم الطبيعة والمحسوس مقام الغيب، ويرى في تأملها ودراستها الشروط الأولى للمعرفة، وحلول الطبيعة محل الوحي وجعل العالم مفتوحاً أمام العقل؛ فإذا كان الوحي بداية ونهاية فليس للطبيعة بداية ولا نهاية، إنها إذن خارج الماضي والحاضر: إنها المستقبل أبداً...»[٢].

هكذا يقرر أدونيس كلام الرازي في إنكاره للنبوة ويثني عليه في ذلك، ولا غرابة في ذلك إذا كان الجامع بينهما هو الزندقة والكيد للإسلام.

وينتقل أدونيس من الاستشهاد بكلام الرازي إلى الاستشهاد بكلام زنديق آخر على مناقضة الأنبياء للعقل، وهو ابن الراوندي الذي أنكر وجود الرسل، فيقول بعد استشهاده بأقوال هذا الزنديق: «يتضح من هذا النص أن العقل في نظر ابن الراوندي هو أصل العلم، وأصل العمل، والنبوة إما أن تقر ما يقره

---

(١) مسافة في عقل رجل ص١١٣ نقلاً عن الانحراف العقدي (٢/ ١٠٦٨).

(٢) الثابت والمتحول (٢/ ٢١٤).

وحينئذ تكون تابعة له، ولا حجة فيها، أو أن تخالف ما يقره، وحينئذ يجب رفضها، فالنبوة في الحالتين لا معنى لها...»[(١)].

وأما السخرية بالأنبياء وإطلاق لفظ النبوة على غير الأنبياء فذلك فكثير عند زنادقة الحداثة، مما يدل على إنكارهم للنبوة والأنبياء، كما يقول نزار قباني في سخرية بالأنبياء وبالوحي الذي ينزل من السماء:

«ما الذي يفعله قرص الضياء؟

ببلادي

ببلاد الأنبياء

ماضغي التبغ وتجار الخدر

ما الذي يفعله فينا القمر؟

فنضيع الكبرياء

ونعيش لنستجدي السماء

ما الذي عند السماء؟

لكسالى ضعفاء»[(٢)].

ويقول الحداثي بدر السياب الذي أطلق عليه الحداثيون رائد الشعر في سخرية وتمييع لمعاني الوحي والأنبياء حيث يزعم هذا الزنديق أنها أساطير وخرافات:

«أساطير، مثل المدى القاسيات

تلاوتها من دم البائسين

فكم أومضت في عيون الطغاة

بما حملت من غبار السنين

يقولون وحي السماء

---

(١) المرجع السابق (٢/ ٧٤).

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة لنزار قباني (١/ ٣٦٥).

فلو يسمع الأنبياء

لما قهقهت ظلمة الهاوية

بأسطورة بالية»[(١)].

ويأتي الحداثي صلاح عبد الصبور فيواصل السخرية بالأنبياء فيقول:

«هذي آخر أشعاري

العنوان طويل

يوميات نبي مهزوم، يحمل قلماً، ينتظر نبياً يحمل سيفاً»[(٢)].

وهكذا الحداثي محمود درويش فقد ساوى بين الأنبياء والأساطير فيقول في سخرية:

«صار جلدي حذاء

للأساطير والأنبياء»[(٣)].

وأما إطلاق لفظ النبي على غير الأنبياء كالشعراء وغيرهم فكثير في كلامهم، كما يقول الحداثي أنسي الحاج: «الشاعر الحر هو النبي والعراف والإلـٰه»[(٤)]، فهذا الزنديق لم يكتف بإطلاق لفظ «النبي» على الشاعر حتى أطلق عليه لفظ «الإلـٰه» تعالى الله عن قوله علواً كبيراً.

ويأتي نزار قباني ليقول عن الطاغوت جمال عبد الناصر إنه نبي فيقول: «قتلناك يا آخر الأنبياء»[(٥)].

ثم يأتي الحداثي الفلسطيني سميح القاسم ليطلق لفظ النبوة على أصحاب الدعارة والفحش فيقول:

---

(١) ديوان بدر شاكر السياب (١/ ٣٤)، دار العودة، بيروت ١٩٧١م.

(٢) ديوان صلاح عبد الصبور ص٨٠٢.

(٣) ديوان محمود درويش ص٦١٠، دار العودة، بيروت، ١٩٧١م.

(٤) أفق الحداثة وحداثة النمط، دراسة في حداثة مجلة «شعر» لسامي مهدي ص٣٥ دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٨م.

(٥) الأعمال الشعرية الكاملة لنزار قباني (٣/ ٣٥٥).

«باختصار

يومها كنا رجالاً أربعة

من صغار الأنبياء

معنا خمس صبايا

خمساً وخمس نساء

حسنا وخمس بغايا!»[١].

إلى غير ذلك من السخرية بالأنبياء والاستخفاف بلفظ النبوة مما يدل على إنكار النبوة والأنبياء والاستهزاء بمن يؤمنون بهم، وهم بذلك يتفقون مع سلفهم من الزنادقة كما سيأتي بيان ذلك في الباب الثالث إن شاء الله تعالى.

ثالثاً: الدعوة إلى الإباحية المطلقة:

لقد رفع الزنادقة لواء الإباحية ونادوا بذلك في مختلف العصور التي خرجوا فيها اقتداء بشيخهم الفارسي مزدك، الذي نادى بهذه الفكرة الإباحية في مجتمع المجوس ـ كما تقدم ـ ولم يزل الزنادقة يتوارثون تلك العقيدة الخبيثة حتى جاء دور زنادقة الحداثة، فرفعوا لواء الإباحية والفحش والدعارة مستدلين على ذلك بأقوال سلفهم من الزنادقة، كما في قصيدة لعميد الحداثة العربية «أدونيس» حيث يقول في إحدى مقاطعها مستدلاً على عقيدته الإباحية بقول الشلمغاني الزنديق:

«ويقول الشلمغاني

اتركوا الصلاة والصيام وبقية العبادات

لا تناكحوا بعقد

أبيحوا الفروج

للإنسان أن يجامع من يشاء»[٢].

---

(١) ديوان سميح القاسم ص٢٣٠، دار سعاد الصباح، الكويت، ١٩٩٣م.

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة لأدونيس (٢/٥٤٨).

هكذا يريد أدونيس أن تباح الفروج، وأن يترك ليجامع من يشاء من النساء في إباحية عامة بعد دعوته إلى التحلل من الإسلام، وواجباته من صلاة وصيام، وغير ذلك.

ثم يواصل هذا الزنديق الحداثي دعوته الإباحية مستدلاً بأقوال القرامطة الذين أباحوا الفروج، وكيف أنهم بلغوا في الإباحية إلى جمع الرجال مع النساء ثم يطفئون المصابيح لينتهب كل رجل منهم امرأة فيقع عليها، فيقول مخاطباً القرمطي:

«استغونا أيها السيد استدرجنا
قل لنا من كذب ومخرق
من البلية
من خدع الجسد بنواميسه.
استغونا استدرجنا
نتوافق نتناصر
ننصب الدعوة
وندخل في تميمة الإباحية
رقعة من شمس البهلول
يبيح الأموال والفروج
يجمع النساء ويخلطهن بالرجال
حتى يتراكبوا، هذا من صحة
الود والإلف أطفئوا المصابيح
تناهبوا النساء أطفئن المصابيح
تناهبن الرجال»[1].

لقد دعا هذا الحداثي الزنديق إلى نصب الدعوة إلى الإباحية كما كانت

(١) الأعمال الشعرية الكاملة (٢/ ٥٦٥ ـ ٥٦٦).

عند سلفه من القرامطة، ولم يكتف هذا الحداثي الزنديق بالدعوة إلى إباحية النساء، وإنما نادى أيضاً باللواط بين الرجال، واعترف بأنه كان يمارس ذلك، كما في قوله:

«. . . الشمس قدم الطفل

عرفت أقل من امرأة

لأنني تزوجت بأكثر من امرأة

عرفت أقل من رجل

لأنني تزوجت بأكثر من رجل»[(١)].

وأما الحداثي نزار قباني فقد أكثر في شعره من الدعوة إلى الإباحية والجنس والدعارة، بل ويفتخر بوقوعه في ذلك وتنقله بين الداعرات والفاجرات، يقول مخاطباً إحدى الداعرات:

«كان عندي قبيلة من النساء

أنتقي منها ما أريد، وأعتق ما أريد

كانت خيمتي بستاناً من الكحل والأساور

وضميري مقبرة للأثداء المطعونة

كنت أتصرف بنذالة ثري شرقي. . .»[(٢)].

لقد أظهر هذا الحداثي الفخر بما وقع فيه من إباحية خبيثة، وانتقاء للنساء الداعرات ثم يفتخر في قصيدة أخرى بنوع آخر من الإباحية، وهو هجومه مع جمع من الرجال على امرأة واحدة، فيقول قبحه الله:

«كنا ثمانية معاً

نتقاسم امرأة جميلة

كنا عليها كالقبيلة

---

(١) المرجع السابق (٢/ ٦٦٢).

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة لنزار (٢/ ٥٠٤ ـ ٥٠٥).

كانت عصور الجاهلية كلها
تعوي بداخلنا
وأصوات القبيلة»[1].

إلى غير ذلك من أقوال زنادقة الحداثة وأشعارهم في دعوتهم الصريحة إلى الإباحية المطلقة كما كانت عند أسلافهم من زنادقة الرافضة والباطنية وغيرهم.

والمقصود أن الحداثيين قد تأثروا بالزندقة في كثير من أقوالهم وأفعالهم وعقائدهم، وأظهروا العداء للإسلام، والاستهزاء به وبشعائره، وصرحوا بالتحلل من أوامره ونواهيه، كما فعل سلفهم من الزنادقة على مر العصور.

ومما تقدم تتضح صلة الحداثة بالزندقة، وأن الحداثة ليست إلا لوناً من ألوان الزندقة، ظهرت في هذا العصر داعية إلى تحديث الأدب والشعر، وإن كانت في الحقيقة لم تكتف بذلك، وإنما جعلت ذلك ستاراً لنشر عقائد الزنادقة وأفكارهم وعداوتهم للإسلام.

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة (٢/ ١٢٣)، وانظر: الانحراف العقدي (٣/ ١٥٢٩).

فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع — الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع — الصفحة

الموضوع	الصفحة